ՏՎԷ.

٢١٨
ش ٥ ع

شرح الحكم العطائية، تأليف ابن عباد، محمد بن ابراهيم ٧٩٢ هـ. بخط محمود بن عبد المنعم الدمشقي في القرن الثالث عشر الهجري تقديرا.

٢٧٢ ق ١٨ س ١٩ × ٠٫٢، ١٤سم

نسخة جيدة، خطها مغربي، طبع.

٤٧٤٥ الاعلام ٦: ١٩٠، الظاهرية (التصوف ٢): ١٣٩

١ - الشعائر والتقاليد والاخلاق الاسلامية

أ - المؤلف ب - الناسخ ج - تاريخ النسخ د - غيث المواهب العلية هـ - شرح النفزي على متن الحكم ريه.

٣٧

٢٦

مكتبة جامعة الملك سعود "قسم المخطوطات"
الرقم: ٤٧٤٠ ف ١٩٦٦/١
العنوان: شرح الحكم العطائية
المؤلف: محمد بن ابراهيم بن عباد
تاريخ ا: الثالث عشر الهجري
اسم ال:
عدد الأو: ٢٧٢ ق ١٩×١٥ سم
ملاحظة:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

قال العبد الفقير الى الله المعتمد في غفران
ذنوبه على الله محمد بن ابرهيم بن عباد
النفزي الرندي رحمه الله تعالى

الحمد لله المنفرد بالعظمة والجلال المتوحد باستحقاق نعوت الكمال المنزه عن الشركاء والنظراء والامثال المقدس عن سمات المحدث من التغير والانتقال والانفصال والاتصال عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال والصلاة والسلام على سيدنا محمد الهادي من الضلال وعلى آله واصحابه الذين خلصت لهم الاعمال وصفت منهم الاحوال وجميع من اتبعهم فيما لهم من محامد الصفات ومحاسن الخلال وسلم كثيرا اما بعد فانا لما رأينا كتاب الحكم المنسوب الى الشيخ الامام المحقق العارف المكاشف الولي ابي الفضل تاج الدين احمد بن محمد بن عبد الكريم ابن عطاء الله الاسكندري رضي الله تعالى عنه ونفعنا به من افضل ما صنف في علم التوحيد واجل ما اعتمد بالتفهم والتحقيق كل سالك ومريد لكونه صغير الحجم عظيم العلم ذا عبارات رائقة ومعان حسنة فائقة

قصد فيه الى ايضاح طرقات العارفين والموحدين
وابانة مناهج السالكين والمتجردين اختيارا في وضع
تنبيه يكون كالشرح في بعض معانيه الظاهرة وكالكشف
للمعنى بيسيرة من انواره الباهرة ولا قدرة لنا على استيفاء جميع
ما اشتمل عليه الكتاب وما تضمنه من لباب الالباب لان كلام
العلماء والاولياء منطو على اسرار مصونة وجواهر حكم
مكنونة لا يكشفها الا هم ولا تتبين حقايقها الا بالتلقي
عنهم ونحن في هذه الكلمة التي نوردها والمناجات التي
نعتمدها غير متعرضين لشرح كلام المولف ولا انا نذكر له
فيه هو حقيقة مذهبهم حسبما يعلمه كل منصف ولئن
اردنا ذلك كان منا اساءة ادب فيؤول بنا والعياذ بالله
تعالى الى العطب وكنا قد تعرضنا للخطر والضرر في تعاطي
ما لا يليق بنا من شرح كلام السادات من اهل الله تعالى
من غير ذوق ولا حال وانما نحن في ذلك على حسب
ما فهمناه من كلامهم وما انتهى الينا علمه من هذا الفن
فان وافقنا فيه حقيقة الامر وعثرنا على مكنون السر
كان ذلك من النعم التي لا نحصي لها شكرا ولا نبلغ لها
قدرا وان خالفنا ذلك ولم نصل الى تلك المسالك

المناجات خ

احلناه

احلناه على نقصنا وجهلنا وانتفا عنا التقصير بقولنا
وفعلنا واقتصرنا الامر في ذلك علينا وكانوا مبرئين
مما قلنا ونوينا فلا جرم اذا كان هذا مقصودنا الوجود
السالمة التي جعلناها معتمدنا ينبغي لنا ان نقدم اولا
كلام المؤلف رحمه الله تعالى مستوفى ثم نتبعه
كلامنا بصيغة الخبر والدعوى وناتي فيه بعبارة
ابسط من عبارته واشارة اجلى من اشارته ليفهم
بذلك ما عنيناه في تفسير ما ذكرناه لانه تفسير له
حقيقة مقررة وقد نذكر في اثنايه كثيرا مما ناسب
عند الكلام المنبه عليه لتتم بذلك الفايدة
في الغرض المتوجه اليه وما اغفلناه في كلامه من تكرار
معان وتداخل فروع ومباني واثبتنا التنبيه عليه
كالغرض واحلنا بعضه على بعض وعلى الناسخ لهذا
المجموع ان يتبع فيه ما رسمناه ويكتب نص كلام
المولف بصيغ خلاف لون ما يكتب به سواه او
يكتبهما بقلمين مختلفين في الغلظ والرقة ويوفق
من ذلك كلا منهما حقه ليكون ذلك اقرب الى
حصول المرام في استخراج فايدة ترتيب الكلام

لم في الخصم

ان ينتبع ب

والله الموفق لا رب غيره ولا خير الا خيره والذي حملني
على وضعه وتكلف تصنيفه وجمعه بعد تقدم ارادة
الله تعالى التي لا تغالب ونفوذ قدرته التي ليس للعبد منه ملجا
ولا مهرب ثم الراي الذي رايته من المطالب الملحة ونبهنا
عليه في هذه المقدمة الحاح بعض الاصحاب في ذلك علي
وترددهم بمسئلة الي لكونهم على اعتقاد صحيح والمحبة
في هذه الطريقة ومحبة خالصة لاهل الحقيقة واسعفتهم
لما طلبوه وحققت لهم الامل فيما رغبوه ان شاء
الله وحكم وقضاه علينا وختم نفعنا الله واياهم
بما يجري منه على ايدينا ولا جعله حجة عليهم ولا علينا
ونحن نستغفر الله تعالى مما تعاطيناه من الامر العظيم
واقتحمناه من الخطر الجسيم ونستعيذه من الوقوع
في حبائل العدو الرجيم ونسأله توفيقا يوقفنا على جادة
الاستقامة ويصرفنا عن العمل بما يعقب ملامة وندا
مة ونرجو مع هذا ان من علينا بالاقتداء الى
مذاهبهم والانتساب الى كريم مناسبهم والتعلق
باذيالهم ومحاولة النسج على منوالهم
ورزقنا شيئا من تعظيمهم وحبهم وفسحا
لي

من تكليمهم وبرهم ان لا يحرمنا من شفاعتهم ولا يحجبنا
من كنفهم ولا ينقصنا وان لا يطردنا عن بابهم الكريم ولا يبعدنا
عن منهاجهم القويم فهم القوم لا يشقى جليسهم
هم سادتي من عزهم افتداهم فوق الجبال ان لم اكن منهم
فلي في ذكرهم عز وجاه اللهم انا نتوسل اليك بحبهم
فانهم احبوك فلم يحبوك حتى احببتهم فبحبك اياهم
وصلوا الى حبك ونحن لم نصل الى حبهم فيك الا بفضل
منك فتمم النعمة حتى نلقاك يا ارحم الراحمين وصلى
الله وسلم على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى اله
الطيبين الطاهرين وتابعيهم باحسان الى يوم الدين وسلم
عليهم كثيرا وهذا حين ابتدي وبالله تعالى التوفيق والهداية
الى سواء الطريق قال المؤلف رضي الله عنه
من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء
عند وجود الزلل قلت الاعتماد على الله تعالى
نعت العارفين الموحدين والاعتماد على غيره وصف
الجاهلين الغافلين كائنا ما كان ذلك الغير حتى علومهم
واعمالهم واحوالهم اما العارفون الموحدون فانهم
على بساط القرب والمشاهدة ناظرين الى ربهم

تاقوا عن انفسهم فاذا وقعوا في زلة او اصابتهم
غفلة شهدوا تصريف الحق تعالى لهم وجريان قضائه
عليهم كما انهم اذا صدرت منهم طاعة او لاح
عليهم شيء من يقظة لم يشهدوا ذلك انفسهم ولم
يروا فيها حولهم ولا قوتهم لان السابق الى قلوبهم
ذكر ربهم فانفسهم مطمئنة تحت جريان اقداره
لهم قلوبهم ساكنة بما لاح لها من انواره ولا فرق
عندهم بين الحالتين لانهم غرقى في بحار التوحيد
قد استوى خوفهم ورجاؤهم فلا ينقص من خوفهم
ما يجتنبونه من العصيان ولا يزيد في رجائهم ما ياتون
به من الاحسان قال شارح الحكم [illegible] العارفون
قائمون بالله تعالى قد تولى امرهم فاذا ظهرت منهم
طاعة لم يرجوا عليها ثوابا لانهم لم يروا انفسهم
عمالها وان ظهرت منهم زلة فلا دية على القاتل
لم يشاهدوا غيره في الشدة والرخاء فقيامهم
بالله وفكرهم اليه وخوفهم وهيبتهم ورجاؤهم
الا نسبه انتهى واما غيرهم فيقفوا مع نفوسهم
في نسبة الافعال اليها وطلب الحظ لها عليها فاعتمدوا

على اعمالهم

على اعمالهم وسكنوا الى احوالهم فاذا وقعوا في زلة نقص
بذلك رجاؤهم كما انهم اذا عملوا الطاعة جعلوها من اعظم
عددهم واقوى معتمدهم فتعلقوا في الاسباب وحجبوا
لتعرفهم بها عن رب الارباب فمن وجد هذه العلامة في نفسه
فليعرف منزلته وقدره ولا يتعدى طوره فيدعي مقامة
الخاصة من المقربين وانما هو من عامة اصحاب اليمين
وستاتي اشارة الى هذا المعنى في مواضع من كلام المولف وقد
ذكر الشيخ ابو عبد الرحمان السلمي والحافظ ابو نعيم الاصبهاني
عن يوسف ابن الحسين الرازي رضي الله عنهم قال
عارضني بعض الناس في ذلك كلام وقال لي لا تستدرك
مداركه من عملك الا ان تتوب فقلت مجيبا
لو ان التوبة تطرق بابي ما اذنت لها على اني انجوا
بها من ربي ولو ان الصدق والاخلاص كانا عبدين لي
لبعتهما كاني زهدا مني فيهما لاني ان كنت عند
الله في علم الغيب سعيدا مقبولا لما تخلف
بافتراف الذنوب والماثم وان كنت عند الله شقيا
محنة ولما تسعدني توبتي واخلاصي وصدقي وان الله
خلقني انسانا بلا عمل ولا شفيع كان لي اليه وهداني
لدينه الذي ارتضاه لنفسه فقال ومن يبتغ غير الاسلام

دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين فلاعتماد
على فضله وكرمه اولى وان كنت خاليا فلا من الاعتماد
على افعالك المدخولة وصفتك المعلولة لا من مقابلة فضله
وكرمه بافعال الناس فلله المعرفة بالكريم المتفضل
قلت وهذه الحكاية وامثالها ربما تقرع سمع من لا حقيقة
عنده من طريق القوم فينكر معناها او ما يعتقده
او يسلمه ويدعيه مقاما لنفسه وكلتا الحالتين
مودية بصاحبها الى ضرر وخطر جليل فان الله عبدا
ليس له بطري هذه الطريقة ان ينكر ما ذكرناه فليقع فيقع
في الاعتراض على السادات والاولياء وفي ذلك بعده
من الله او يدعيه مقاما لنفسه من غير ان يستظهر
عليها ويتوثق منها ويزنها بالمعيار الذي
نبهنا عليه ومحال وجود ذلك ممن لم يتحقق
مقام الفناء عن النفس فيرتكب حينئذ مساخط الفنا
الله تعالى ويتعدى حدوده ويجعل ذلك حجة
لنفسه غلطا وجهلا وهذا من باب الزندقة
والعياذ بالله ارادتك التجريد مع اقامة الله
اياك في الاسباب من الشهوة الخفية وارادتك
الاسباب مع اقامة الله اياك في التجريد انحطاط
عن

عن الهمة العلية الاسباب عبارة عما يتوصل به الى
غرض ما ينال في الدنيا والتجريد عبارة عن اشتغاله عدم
بتلك الاسباب لاجل ذلك فمن اقامه الله تعالى
في الاسباب واراد هو الخروج منها فذلك من شهوته
الخفية وانما كانت من الشهوة لعدم وقوفه
مع مراد الله تعالى به وارادته هو خلافه لا وانما
كانت خفية لانه لم يقصد بذلك نيل حظ عاجل وانما
قصد بذلك التقرب الى الله تعالى بكونه على حال هي اعلى بزعمه
لكن فاته الادب بعدم وقوفه مع مراد الله تعالى من اقامته
اياه فيما اقامه فيه وتطلعه الى مقام رفيع لا يليق
به في الوقت وعلامة اقامته اياه في الاسباب ان يدوم له
له ذلك وان تحصل ثمرته ونتيجته وذلك بان يجد
عند اشتغاله بالاسباب سلامة في دينه وقطع
الطمع عن غيره وحسن نيته في صلة رحم او اغاثة
فقير معدوم الى غير ذلك من فوائد المال المتعلقة
بالدين ومن اقامه الله تعالى في التجريد واراد الخروج
منه الى الاسباب فذلك من انحطاط همته
وسوء ادبه وكان وافقا مع شهوته الجلية

أن التجريد مقام وجميع أقسام الحق تعالى فيه خواص عباده
من الموحدين والعارفين فإذا أقامه الحق تعالى
مقام الخواص فلم ينحط عن رتبتهم إلى منازل أهل
الانتقاص قال الشيخ أبو عبد الله القرشي من لم
يأنف من مشاركة الأضداد في الأسباب فهو خسيس الهمة
وعلامة إقامته إياك في التجريد ما ذكرته من الدوام ووجد
الثمرة ومن ثمرات ذلك طيب وقت التجرد وصفاء
قلبه ووجدان راحته من ملابسة الخلق ومخالطتهم
والهمة حالة للقلب وهي قوة وإرادة وغلبة انبعاث
إلى نيل المقصود ما وتكون عالية إن تعلقت بمعالي
الأمور وسافلة إن تعلقت بدناياها قال الشاعر
وقائلة لم علتك الهموم وأمرك ممتثل في الأنام
فقلت ذريني على حالتي فإن الهموم بقدر الهمم
وقال آخر إذا أعطشتك أكف اللئام كفتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا رجله في الثرى وهامة همته في الثريا
وما ذكرته من معاني الإقامة في نوعي الأسباب والتجريد
هو شيء فهمته مما يقوله بعد هذا من علامة إقامة
الحق تعالى لك في الشيء إدامته إياك فيه مع حصول
النتائج

النتائج والله أعلم وقد ذكر في التنوير بسطا لما في
هذا الكتاب وقال في أثره وافهم رحمك الله أن من شأن
العدو أن يأتيك فيما أنت فيه مما أقامك الله فيه
فيحقره عندك لتطلب غير ما أقامك الله فيه فيشوش
عليك قلبك ويتكدر وقتك وذلك أنه يأتي للمتسببين
فيقول لو تركتم الأسباب وتجردتم لأشرقت لكم الأنوار
ولصفت منكم القلوب والأسرار فلانا وكذلك صنع فلان
وفلان ويكون هذا العبد ليس مقصودا للتجريد ولا طاقة له
به إنما صلحه في الأسباب فيتركها فيتزلزل إيمانه ويذهب
إيقانه ويتوجه إلى الطلب من الخلق وإلى الاهتمام بأمر الرزق
فيرميه في بحر القطيعة وكذلك قصد العدو منه لأنه إنما
يأتيك في صورة ناصح إذ لو أتاك في غيرها لم تقبل منه
كما أتى أبويك فيما أخبر الله عنه وقال ما نهاكما ربكما
عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين
وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين كما تقدم بيانه وكذلك
يأتي المتجردين فيقول لهم إلى متى تتركون الأسباب ألم
تعلموا أن ترك الأسباب تتطلع معه القلوب إلى ما في أيدي
الناس ويفتح باب الطمع ولا يمكنه الإسعاف والإيثار

ولا القيام بالعفو وعوض ما تكون منتظرا ما يفتح به
عليه منك الى غير ذلك ويكون هذا العبد قد كساه
وقته وانبسط نوره ووجد الراحة بالانقطاع عن الخلق
فلا يزال به حتى يعود الى الاسباب فتغشيه كدرتها وتغشاه
ظلمتها ويعود العدو بسببه احسن حالا منه الان لانه ما
سلك طريقا ثم رجع عنها ولا قصد مقصدا ثم انقطع عنه
فافهم واعتصم بالله منه ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط
مستقيم الشيطان بذلك ان يمنع العباد الرضى من الله
تعالى فيما هم فيه وان يخرجهم عن مختار الله تعالى لهم الى
مختارهم لانفسهم وما ادخلك الله فيه تولى اعانتك
عليه وما دخلت فيه بنفسك وكلك اليه وقل رب
ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك
سلطانا نصيرا فالمدخل الصدق ان تدخل فيه لا بنفسك
والمخرج الصدق ايضا كذلك فافهم والذي يقتضيه الحق
منك ان تمكث حيث اقامك حتى يكون الحق سبحانه
هو الذي يتولى اخراجك كما تولى ادخالك وليس الشان
ان تترك السبب بل الشان ان يتركك السبب قال
بعضهم تركت السبب كذا مرة فعدت اليه ثم تركني

السبب

لعنه اراد

السبب فلم اعد اليه ودخلت على الشيخ ابي العباس المرسي
رضي الله عنه وفي نفسي العزم على التجريد قائلا في نفسي
ان الوصول الى الله على هذه الحالة التي انا عليها بعيد
من الاشتغال بالعلم الظاهر ووجود المخالطة للناس فقال
من غير ان اسئله صحبني انسان مشتغل بالعلوم الظاهرة
ومتصدر فيها فذاق من هذه الطريقة شيئا فجاء الي
وقال يا سيدي اخرج عما انا فيه وتتفرغ لصحبتك
فقلت له ليس الشان ذلك ولكن امكث فيما انت فيه
وما قسم الله لك على ايدينا فهو واصل اليك ثم قال
الشيخ ونظر الي وهذا شان الصديقين لا يخرجون من شيء
حتى يكون الحق سبحانه هو الذي يتولى اخراجهم فخرجت
من عنده وقد غسل الله تلك الخواطر من قلبي ووجدت
الراحة بالتسليم الى الله تعالى ولكنهم كما قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هم القوم لا يشقى جليسهم
انتهى كلامه في التنوير في هذا المعنى وهو كلام حسن
وانما اثبتناه ها هنا على طوله لانه تولى فيه بيان
مسئلة التي ذكرها في هذا الكتاب بنفسه وبيانه
شافيا فنقلناه بلفظه ووددنا لو ان جميع مسائله
تكون كهذا سوابق الهمم لا تخرق اسوار

الأقدار الهمم السوابق هي قوى النفس التي ينفعل
عنها بعض الموجودات بإذن الله تعالى وتسميها الصوفية
همة فيقولون فلان له همة على أمر ما فانفعل له ذلك و
هذه الهمم السابقة لا تنفعل الأشياء عنها إلا بالقضاء و
القدر وهو معنى قولنا بإذن الله تعالى فهي على حال سبقيتها
ونفوذها لا تخرق أسوار الأقدار ولا تنفذها وهذه الهمم
قد تكون للأولياء كرامات وقد تكون لغيرهم استدراجا
ومكرا كما تكون للعائن والساحر وقد تبين أن العين حق
والسحر حق ومعناه ما ذكرناه وحاصله لأنه يجب أن
يعتقد أنها أسباب لا تأثير لها ولا إبداع فيه وأن الفاعل
هو الله تعالى وحده عندها لا بها وكأن رحمه الله إنما أورد
هذه المسألة ليبين في كلامه للتفويض ليعرف بذلك
أن وجود التدبير لا حاجة والتعب ولا فائدة لأن الهمة
الفعالة إذا لم تنفذ في خرق الأقدار شيئا فكيف
يفيد في ذلك التدبير وما لا فائدة فيه فالعاقل لا ينبغي
أن يتشاغل بها ويتعب فيه دون العقل ولذلك قال
**أرح نفسك من التدبير فما قام به غيرك عنك
لا تقم به لنفسك** تدبير الخلق لأمور دنياهم
على الوجه الذي تعقلوه مذموم لأن الله تكفل بذلك وقام

به

فيه عنهم وطلب منهم أن يفرغوا قلوبهم منه ويقومون
نحو عبوديته ووظائف تكليفاته فقط وهو أن يقصد
العبد لنفسه شؤونا يكون عليها من أمور دنياه على ما تقتضيه
شهوته وهواه ويدبر لها ما يليق بها ويستعد لذلك
ويهتم لأجله وهذا تعب عظيم استعجله لنفسه والعلى ولعل
أكثر ما يقدره لا يقع فيخيب ظنه ويبطل سعيه
ثم فيه من ترك العبودية ومضادة أحكام الربوبية ومنازعة
القدر وإضاعة العمر ما يحمل العاقل على تركه واجتنابه وقطع
مواده وأسبابه قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه
ذروا التدبير والاختيار فإنهما يكدران على الناس عيشهم
وقال شيخي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه ذروا التدبير
إن كان ولا بد أن تدبروا فدبروا أن لا تدبروا وهذه المسألة
أساس طريق القوم بل هي جملته وكليته والكلام فيه
طويل وعريض وإنما اقتصرنا فيها على هذا القدر
اليسير من التنبيه لأن المؤلف رحمه الله تعالى أفرد
في هذا المعنى كتابا سماه التنوير في إسقاط التدبير
أحسن فيه غاية الإحسان وفرغ الأمر فيه جملة
يستغني به عن ما ذكر في هذه الطريقة من ديوان

فتحصيله متعين على كل مريد فيجب اجتهادك فيما
ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس
البصيرة منك الشيء المضمون للعبد هو الرزق الذي
يحصل له به قوام وجوده في الدنيا ومعنى كونه مضمونا
ان الله تعالى تكفل بذلك وفرغ العباد ولم يطلب منهم
الاجتهاد في السعي فيه ولا الاهتمام به والشيء المطلوب
من العبد هو العمل الذي يتوصل به الى سعادة الآخرة والقرب
من الله تعالى من عبادته وطاعته ومعنى كونه مطلوبا انه
موكل الى اكتساب العبد له واجتهاده فيه ومراعاة شروطه
واسبابه وان فاته يفوت به جرت سنة الله تعالى في عباده
قال الله تعالى في المعنى الاول الذي ضمنه للعبد وكاين من دابة
لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم
وقال تعالى في المعنى الثاني الذي طلبه وان ليس للانسان الا ما سعى
وقد ورد في بعض الآثار عن الله تعالى عبدي اطعني فيما امرتك
ولا تعلمني بما يصلحك وذكر في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ما بال اقوام يشرفون المترفين ويستخفون بالعابدين
ويعملون بالقرآن ما وافق اهواءهم وما خالف اهواءهم تركوه
فعند ذلك يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض يسعون فيما يدرك
بغير

بغير سعي من القدر المقدور والاجل المكتوب والرزق المقسوم
ولا يسعون فيما لا يدرك الا بالسعي من الجزاء الموفور والسعي
المشكور والتجارة التي لا تبور وقال ابراهيم الخواص العلم كله
في كلمتين لا تتكلف ما كفيته ولا تضيع ما استكفيته
فمن قام بهذا الامر على ما ينبغي له من الوجه الذي ذكرناه
من الاجتهاد في الامر المطلوب منه وتفريغ القلب من الامر
المضمون له فقد انفتحت بصيرته واشرق نور الحق في قلبه
وحصل غاية المقصود ومن عكس هذا الامر فهو مطموس
البصيرة اعمى القلب وفعله دليل على ذلك والبصيرة
نظر القلب كما ان البصر نظر العين ومنظر القلب انما يكون
الى العاقبة والعاقبة للمتقين والتقوى هي التي يجب على العبد
ان يجتهد فيها لا غير وتعبير المؤلف رحمه الله تعالى
بالاجتهاد اشعار بان طلب الرزق من غير اجتهاد فيه
غير مقصود في الكلام وهو كذلك لانه مباح ومأذون
فيه فلا يدل ذلك على انطماس بصيرة صاحبه الا ان اقترن
به تقصير فيما امر به وقال في التنوير في قوله تعالى
وأمر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا
نحن نرزقك والعاقبة قم بخدمتنا ونحن نقوم لك

يقسمنا وهما شيئان شيء ضمنه الله لك فلا تتهمه
فيه وشيء طلبه منك فلا تهمله فمن اشتغل بما ضمن له
عن ما طلب منه فقد عظم جهله واتسعت غفلته وقل
ما ينتبه لمن يوقظه بل حقيق على العبد ان يشتغل بما طلب
منه عما ضمن له اذا كان سبحانه قد رزق اهل الجحود فكيف
لا يرزق اهل الشهود واذا كان سبحانه قد اجرى رزقه على
اهل الكفران كيف لا يجري رزقه على اهل الايمان فقد علمت
ايها العبد ان الدنيا مضمونة لك اي مضمون لك فيها ما يقوم
باودك والاخرة مطلوبة منك اي العمل لها لقوله تعالى وتزودوا
فان خير الزاد التقوى فكيف يثبت لك عقل او بصيرة وا
هتمامك فيما ضمن لك اقتطعك عن اهتمامك بما طلب منك
من امر الاخرة حتى قال بعضهم ان الله ضمن لنا الدنيا
وطلب منا الاخرة وطلب منا الدنيا انتهى لا يكن
تأخر امد العطاء مع الالحاح في الدعاء موجبا له
ليأسك فهو ضمن لك الاجابة فيما يختاره لك
لا فيما تختاره لنفسك وفي الوقت الذي يريد لا في الوقت
الذي تريده حكم العبد ان لا يتخير شيئا عن مولاه
ولا يعزم بصلاحية حال من الاحوال له لانه جاهل
من

من كل وجه فقد يكره الشيء وهو خير له ويحب الشيء
وهو شر له قال شيخ ابو الحسن رضي الله عنه لا تختر
من امرك شيئا واختر ان لا تختار وفر من ذلك المختار
ومن فرارك ومن كل شيء الى الله عز وجل وربك يخلق ما يشاء
ويختار ودخل على شيخ ابي العباس المرسي رضي الله عنه رجل
وهو لما به فقال ذلك الرجل يا شيخ فسكت ولم يرد عليه
ثم سكت ذلك الرجل ساعة ساعة وقال الله يعافيك يا شيخ
فقال الشيخ ابو العباس وانا ما سالت الله العافية والذي انظر العا
انا فيه هو العافية رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سال
الله العافية وقد قال ما زالت اكلة خيبر تعاودني والان
قد قطعت ابهري ابو بكر رضي الله عنه سال الله العافية
وبعد ذلك مات مسموما عمر رضي الله عنه سال الله تعالى
العافية وبعد ذلك مات مطعونا عثمان رضي الله عنه
سال الله تعالى العافية وبعد ذلك مات مذبوحا علي
رضي الله عنه سال الله تعالى العافية وبعد ذلك مات
مقتولا فاذا سالت الله تعالى العافية من حيث يعلمها
لك انها عافية انتهى فعلى العبد ان يسلم نفسه
الى مولاه ويعتقد ان الخيرة له في جميع ما به يتولاه

دار خالف ذلك مراده او هواه فاذا دعي وطلب من
مولاه شيئا فيرى له فيه مصلحة ابقى بالاجابة
لا محالة فقال الله عز وجل وقال ربكم ادعوني استجب
لكم وقال عز وجل من قائل واذا سالك عبادي عني فاني قريب
اجيب دعوة الداع اذا دعان وعن جابر رضي الله عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من احد
يدعو بدعاء الا اتاه الله ما سال او كف عنه من السوء
مثله ما لم يدع باثم او قطيعة رحم وعن انس رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من داع يدعو بدعاء
الا استجاب الله دعوته او كفر عنه مثلها سوءا
وحط من ذنوبه بقدرها ما لم يدع باثم او قطيعة رحم
فاذا الاجابة المطلقة حاصلة لكل داع على حسب ما
ورد الوعد الصادق الا ان امرها الى الله تعالى يجعلها كما يشاء
وقد يكون المنع وتاخير العطاء اجابة وعطاء لمن
فهم عن الله تعالى في ذلك فلا ييأس العبد من فضل
الله تعالى اذا راى منعا او تاخيرا او لم ير في دعائه
وسؤاله وقد يكون تاخيره ذلك الى الاخرة خيرا له
وقد جاء في بعض الاخبار يبعث العبد فيقول الله

تعالى

تعالى له الم امرك برفع حوائجك الي فيقول نعم وقد
دعوتك فلبيتك فيقول الله تعالى ما سالتني شيئا الا اجبتك
فيه ولكن عجلت البعض في الدنيا وما لم اعجله في الدنيا
فهو معد لك ذخرته لك الان حتى يقول ذلك العبد
ليتهم لم يقض لي حاجة في الدنيا وقد ورد عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم معنى النهي عن الاستعجال في اجابة
الدعاء في قوله يستجاب لاحدكم ما لم يعجل فيقول قد
دعوت فلم يستجب لي وقد دعا موسى وهرون عليهما
السلام على فرعون فيما اخبر الله تعالى به عنهما
حيث قال ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم
فلا يومنوا حتى يروا العذاب الاليم ثم اخبر الله
انه اجاب دعوتهما في قوله سبحانه وتعالى قد اجيبت
دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون
قال وكان بين قول الله لهما قد اجيبت دعوتكما وهلاك
فرعون اربعين سنة قال الشيخ ابو الحسن الشاذلي
رضي الله عنه في قوله تعالى فاستقيما اي على عدم
الاستعجال لما طلبتما ولا تتبعان سبيل الذين
لا يعلمون وهم الذين يستعجلون الاجابة وناهيك

دعوتكما

شرحها وتعظيمها يتحصل له بسبب مداومة الدعاء
من الظفر بمحبة الله تعالى وموافقة رضاه وقد روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الملحين في الدعاء
وقد جاء في الحديث قال جبريل عليه السلام يا رب
عبدك فلان اقض حاجته فيقول دعوا عبدي فاني احب
ان اسمع صوته رواه انس بن مالك عن النبي صلى الله
عليه وسلم ومقتضى هذا ان من الناس من يعجل الله له حاجته
لكراهته لصوته وقد روي هذا المعنى ايضا منصوصا فليكن
العبد خائفا من ذلك عند تعجيل اجابته دعاءه قال
ابو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه كل من لم يكن في دعائه
تاركا لاختياره وراضيا باختيار الحق فهو مستدرج وهو
ممن قيل له اقضوا له حاجته فاني اكره ان اسمع صوته
فاذا كان في دعائه مع اختيار الحق تعالى لا مع اختياره
نفسه كان مجابا وان لم يعطه والاعمال بخواتيمها انتهى
وقد تكون الاجابة مرتبة على شروط لا علم للداعي بها
فتتاخر لعدم وقوع ذلك او بعضه وذلك مثل
وجود الاضطرار وقال تعالى امن يجيب المضطر
اذا دعاه فرتب الاجابة على الاضطرار وقال بعض

العارفين اذا اراد الله ان يستجيب دعاء عبده وفقه
للاضطرار في الدعاء والاضطرار لا يتحقق العبد من نفسه في جميع
حالاته قال بعضهم المضطر الذي اذا رفع يديه لم ير لنفسه عملا
وهذا حال شريف ومقام منيف يعز على اكثر الناس الوصول
اليه فكيف يتحققوا ما ينبغي عليه وفي المسألة التي تاتي بالاثر
هذا تنبيه على هذا المعنى لا يشككك في الوعد عدم
وقوع الموعود وان تعين زمنه لئلا يكون ذلك قدحا
في بصيرتك واخمادا لنور سريرتك الحق سبحانه لا يخلف
الميعاد فمن وعده مولاه شيئا وان كان معين الزمان ثم لم
يقع ذلك الموعود فلا ينبغي ان يشككه في صدق وعد ربه ويجوز
ان يكون وقوع ذلك الوعد معلقا على اسباب وشروط استأثر
الحق تعالى بعلمها دون العبد فعلى العبد ان يعرف قدره ويتادب
مع ربه ويسكن اليه فيما وعده به ويفوض الامر اليه ولا يتشكك
في ذلك ولا يتزلزل اعتقاده فيه فمن كان على هذا
الوصف فهو عارف بالله تعالى سالم البصيرة منور
السريرة والا فعلى العكس اذا فتح لك وجهة
من التعرف فلا تبال معها ان قل عملك فانه ما
فتحها لك الا وهو يريد ان يتعرف اليك

ألم تعلم أن التعرف هو مورده عليك والأعمال
أنت مهديها إليه وأين ما تهديه إليه مما هو
مورده عليك معرفة الله تعالى هي غاية المطالب ونها
ية المآمل والمآرب فإذا أوجب الله تعالى لعبده بعض
أسبابها وفتح له باب التعرف له منها فذلك
من النعم الجزيلة عليه فينبغي أن لا يكترث بما يفوته بسبب
ذلك من أعمال البر وما يترتب عليه من جزيل الأجر وليعلم
أنه سلك به مسلك الخاصة المقربين والموقنين أهل حقائق
التوحيد واليقين من غير اكتساب من العبد ولا تعمل
والأعمال التي من شأنه أن يلتبس هو باكتسابه وتعمله
فلا تسلم من دخول الآفات عليها وقد لا يحصل له منها
أمله من الثواب عند مناقشة الحساب وأين أحدهما
من الآخر ومثال ما يجاء به لأنفس من البلايا والشدا
ئد التي تنغص عليه لذات الدنيا وتمنعه من تكثير
أعمال البر فإن مراده أن يستمر بلذة دنياه
طيب العيش ونعيم البال ويكون حاله في طلب سعادة
الآخرة حال المتربصين المتودعين فلا تسخوا
أنفسهم إلا بالأعمال الظاهرة التي لا كبير مؤونة
عليه

١٣
عليه فيها ولا مشقة ولا تقطع عليه لذة ولا تفوته
شهوة ومراد الله منه أن يطهره من أخلاقه اللائمة
ويحول بينه وبين طبيعته الذميمة ويخرجه من أسر
وجوده إلى متسع وجوده ولا سبيل له إلى الوصول إلى هذا
المقام من غاية الكمال والتمام إلا بما يضاد مراده و
يشوش عليه معتاده ويكون حاله حينئذ المعاملة
الباطنة ولا مناسبة بينه وبين الأعمال الظاهرة فإذا فهم
هذا علم أن اختيار الله تعالى له ومراده منه خير له من
اختياره لنفسه ومراده لها وقد روي عنه أن الله تعالى
أوحى إلى بعض أنبيائه إني أنزلت بعبدي بلائي فدعاني
فمطلته بالإجابة فشكاني فقلت عبدي كيف أرحمك من
شيء به أرحمك وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى إذا ابتليت عبدي المؤمن
فلم يشتكني إلى عواده أنشطته من عقالي وبدلته لحما
خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ثم قلت له استأنف العمل
قال وروي عن أبي سعيد المقبري قال سمعت أبا هريرة
يقول قال الله تبارك وتعالى إذا ابتلي عبد المؤمن فإذا لم يشتكني
إلى عواده حللته من عقالي وبدلته لحما خيرا من لحمه ودما

غير امرضه ثم قلت استنف العمل قال ابو
عبد الله محمد بن علي الترمذي رضي الله عنه ولقد مرضت
في سالف ايام مرضة فلما شفاني الله تعالى منها مثلت
في نفسي ما دبر الله تعالى لي من هذه العلة في مقدار هذه
المدة وبين عبادة الثقلين في قدر ايام علتي فقلت لو خيرت
بين هذه العلة وبين ان تكون لي عبادة الثقلين في مقدار مدتها
الى ايهما اختياري فصح عزمي ويقيني ووقعت بصيرتي
ان مختار الله لي اكثر شرفا واعظم خطرا وانفع عاقبة
وهي العلة التي دبر فيها ولا شوب فيه اذ كان فعله
فشتان بين فعله بك لتنجو به وبين فعلك لتنجو
به فلما رايت هذا دق في عيني عبادة الثقلين مقدار
تلك المدة في جنب ما نلت فصارت العلة عندي نعمة وصارت
النعمة منة وصارت المنة املا وصار الامر عجبا فقلت
في نفسي فبهذا كانوا يستمرون في البلاء على طيب النفوس
مع الموت فبهذا الذي انكشف كانوا يفرحون بالبلاء انتهى وهذا
هو وجه التعرف التي هي فتح الله تعالى له وحملته له الغبطة
بفضل [illegible] اثرها على عبادة الثقلين والله اعلم فاذا اورد الله
تعالى على العبد شيئا من البلايا فليستشعر ما ذكرنه
وليجعله

وليجعله نصب عينيه وليجدد تذكاره على نفسه حتى يحصل له
من السكون والطمانينة ما يحمل عنه اثقال ذلك ويزيل عنه مرارته
ويوجد له حلاوته وعند ذلك يكون حاله في بلائه حال الشاكرين
من الفرح والاستبشار به فيرى من حق شكره ان ياتي بما يخص
من اعمال بره واعتبر جميع ما قلناه في هذه المسئلة
بالحكاية التي ذكرها ابو العباس ابن العريف رحمه الله
في كتابه مفتاح السعادة ومنهاج سلوك طريق
الاخرة قال فيه كان بالمغرب عمره الله رجل يدعى بالخياط
رحمه الله ونفعنا بذكره اصله من صقلية وموطنه بغداد
وجاوز سنه التسعين وهو بالمرية لم يجتنبه مولاه وذلك
منه من فضه وافتقار وعم جسده الجذام ورايحة
المسك توجد منه على مسافة بعيدة قال الغ حدثني
رايته يصلي على الحصاء ثم لقيته بعد محمد الاستيسي
فاذا هو مرض فقلت له يا سيدي كان الله سبحانه لم يجد
غير المبلا محلا من اعدايه حتى انزله بكم وانتم خاصة
اولياءه قال فقال لي اسكت لا تقل ذلك انه لما اشرفنا
على خزاين العطاء لم نجد عنده اشرف ولا اقرب اليه
من البلاء فسالناه اياك وكيف بك لو رايت سبقتم

الزهاد وقطب العباد وامام الاولياء والاوتاد في غدا
بارض هركوش وجبالها لحمة بيته قفر وحده لا يبيل
فيها وحده ابدا وقد احاط به الذباب والنمل فاذا كان
الليل لم يقنع بذكر الله وشكره على ما اعطاه من الرحمة
واسكر جسده من العافية حتى يبشه نعسه بالمدية
ويستقبل القبلة عامة الليل حتى يطلع الفجر انتهى
وسياتي شيء من كلام المولف رحمه الله في هذا المعنى والتنبيه
عليه والله الموفق **تنوعت اجناس الاعمال لتنوع**
واردات الاحوال واردات الاحوال هي ما يرد على القلوب من
المعارف الربانية والاسرار الروحانية وهي توجب لها
احوالا خاصة له فمنها وارد يوجب هيبة ومنها
وارد يوجب انسا ومنها وارد يوجب قبضا ومنها
وارد يقتضي بسطا الى غير ذلك من مختلفات الاحوال
ولما كانت هذه الواردات متنوعة كانت اجناس
الاعمال التي تقتضيها هذه الواردات ايضا متنوعة
والاعمال الظاهرة ابدا تابع القلب الباطنة كما سيقوله
المولف بعد هذا في قوله حسن الاعمال نتائج حسن
الاحوال **الاعمال صور قائمة وارواحها وجود**

سير

١٥

سر الاخلاص فيها اخلاص كل عبد في اعماله على حسب رتبة
مقامه فاما من كان منهم من الابرار فمنتهى درجة اخلاصه
ان تكون اعماله سالمة من الرياء الجلي والخفي وقصده موا
فقة الهوى النفسي طلبا لما وعد الله به المخلصين من
جزيل الثواب وهربا مما وعد به المخلطين من اليم العقاب
وسوء الحساب وهذا من التحقيق بمعنى قوله تعالى
اياك نعبد لا نعبد الا اياك ولا نشرك في عبادتنا غيرك
وحاصل امره اخراج الخلق عن نظره في عمل بره مع بقاء
رؤيته لنفسه في النسبة اليها والاعتماد عليها واما
من كان منهم من المقربين فقد جاوز هذا الى عدم رؤيته
لنفسه في عمله فاخلاصه انما هو شهود انفراد الحق
تعالى بتحريكه وتسكينه من غير ان يرى لنفسه في ذلك
حولا ولا قوة ويعبر عن هذا المقام بالصدق والغنى به
يعني مقام الاخلاص وصاحب هذا مسلوك به سبيل
التوحيد واليقين وهو مسلوك من التحقيق بمعنى
قوله تعالى اياك نستعين لا نستعين الا اياك
لا بانفسنا ولا حولنا ولا قوتنا فعمل الاول هو العمل لله
وعمل الثاني هو العمل بالله فالعمل لله يوجب المثوبة

والعمل بالله يوجب القربة والعمل لله يوجب تحقيق
العبادة والعمل بالله يوجب تصحيح الارادة والعمل
لله نعت كل عابد والعمل بالله نعت كل قاصد والعمل
لله قيام باحكام الظواهر والعمل بالله قيام بالضما
ير وهذه العبارات للامام ابي القاسم القشيري رضي الله
عنه وبها يتبين الفرق بين المقامين وتباينهما في الشرف
والجلالة فالاخلاص لكل عبد هو روح اعماله فبوجود ذلك
يكون حياتها وصلاحيتها للتقرب بها الى الله ويكون
فيها اهلية وجود القبول لها وبعدم ذلك يكون موتها
وسقوطها عن درجة الاعتبار وتكون اذ ذاك اشباح
بلا ارواح وصور بلا معاني قال بعض المشايخ صحح عملك
بالاخلاص وصحح اخلاصك بالتبري من الحول والقوة
ادفن وجودك في ارض الخمول فما نبت مما لم يدفن
لا يتم نتاجه لا شيء اضر للمريد من الشهرة
وانتشار الصيت لان ذلك اعظم الحظوظ التي مامور
بتركها ومجاهدة النفس فيها وقد تسمح نفس المريد
بترك ماسوى هذا من الحظوظ ومحبة الجاه وايثار الاشتهار
مناقض للعبودية التي هو مطالب بها قال ابرهيم ابن ادهم

رضي

رضي الله تعالى عنه ما صدق والله من احب الشهرة وقال بعضهم
طريقتنا هذه لا يصلح الا لاقوام كنست بارواحهم المزابل
وقال ايوب رضي الله عنه ما صدق والله عبد الا سره ان لا يشعر
بمكانه وقال رجل لبشر ابن الحارث رضي الله عنه اوصني
فقال اخمل ذكرك وطب مطعمك وقال بشر رضي الله
عنه ما اعرف رجلا احب ان يعرف الا ذهب دينه وافتضح
وقال ايضا لا يجد حلاوة الاخرة رجل يحب ان يعرفه الناس
وقال الفضيل رضي الله عنه بلغني ان الله عز وجل يقول في بعض
ما يمتن به على عبده الم انعم عليك الم استرك الم اخمل ذكرك
ثم ان محبة الاشتهار مما يقدح في اخلاص العبد لانه بذلك
لا ينفك عن الاغراض التي تبعثه على استمالة قلوب الخلق
فيدخل على نفسه من ذلك داء خفيا فيضيع عمله بالرياء
الخفي فلا يخطر له كما سياتي عند قوله ربما دخل الرياء عليك
من حيث لا ينظر الخلق اليك وقد تضعفه بوجد الخمول تحقق له
مقام الاخلاص حتى يتملو لك من رايت اخلاصه وبهذا
يتبين لك اطلاق جميع الناس الامر رحمه الله تعالى ان الاخلاص
في غاية الصعوبة على النفس وانه اعز الاشياء في الوجود
قيل لسهل ابن عبد الله رضي الله عنه اي شيء اشد على النفس

قال الاخلاص لانه ليس لها فيه تطلب وقال يوسف ابن الحسين
رضي الله عنه اعز شيء في الدنيا الاخلاص وكم اجتهدت في اسقاط
الرياء من قلبي فكانه ينبت فيه على لون اخر قال الشيخ ابو طالب
المكي رضي الله عنه والاخلاص عند المخلصين اخراج الخلق من معا
ملة الحق واول الخلق النفس والاخلاص عند المحبين ان لا يعمل الخلق
عملا لاجل النفس ولا يدخل عليه مطالعة العوض او تشوف الى حظ
طبع والاخلاص عند الموحدين خروج الخلق من النظر اليهم في الافعال
وترك السكون والاستراحة اليهم في الاحوال انتهى فاذا حمل العبد
نفسه والزمها التواضع والمذلة واستمر على ذلك حتى صار له
خلقا وجبلة بحيث لا يجد لضعته ألما ولا للذلة طعما
فحينئذ يتزكى نفسه ويستضيء بنور الاخلاص قلبه وينال من ربه
اعلى درجات الخصوصية ويحصل على اوفر نصيب من المحبة الحقيقية
قال الشيخ ابو طالب المكي ومتى ذل في نفسه واتضع عند
نفسه فلم يجد لذلته طعما ولا لضعته حسا فقد صار
الذل والتواضع كونه فهذا لا يكره الذم من الخلق لوجود النقص
في نفسه ولا يحب المدح منهم لفقد القدر والمنزلة في نفسه
فصارت الذلة والضعة صفة لا تفارقه لازمة لزوم الزبالة
للزبال والكساحة للكساح فهما صنعتان له كسائر الصنائع

وربما

وربما يحذرونه لعدم النظر الى نقصانهم فيعده ولاية
عظيمة له من ربه فقد دل على نفسه وحكم عليها بفقرها
بعزل وهذا افتتاح عيوب ومجمع الكاشفات بسائر العيوب ثم
قال ومن كان حاله مع الله تعالى الذل طلبه واستعمله كما يطلب
المتكبر العز ويستحليه اذا وجده فلا رجاء من ذلك الا ان ساعة
تغير قلبه لفراق حاله واخمال ذكره وفراره عن موضع اشتهاره
وتعاطيه امورا مباحة تسقطه من اعين الناس كقضية
السائح الذي سمع به ملك زمانه فجاء اليه فلما علم بذلك السائح
استدعى بقلا وجعل ياكله اكلا عنيفا بحضرة الملك فلما راه
الملك على تلك الحالة استحقره واستصغره وانصرف ذاما له وسيأتي
هذه القصة بعد هذا عند قوله وربما دخل الرياء عليك عند ما ينظر
الخلق اليك وقد بالغ بعضهم في مداراة علة الجاه الذي علق مداوات
بالقلوب حتى استعملوا في ذلك اشياء منكرة في ظاهر الشرع وراوا
ذلك جائزا لهم ان يفعلوه ويامروا به وذلك مثل قضية الرجل الذي
دخل الحمام ولبس من فاخر ثياب الناس تحت ثيابه بحيث تظهر
ومشى بذلك متمهلا بحيث يرى ويعرف به السرقة فلما راه الناس
اخذوه وضربوه ونزعوا الثياب عنه واشتهر عندهم بالسرقة
حتى كان يعرف بلص الحمام فحينئذ وجد قلبه ومثل ما روي

عن ابي يزيد منه في قصة الشاهد الذي امره بحلق راسه
ولحيته وتعليق مخلاة الجوز في عنقه واعطايه من ذلك
لمن يصحبه من الصبيان وطوافه على تلك الحال في المحافل
والمحاضر والحكايتان مشهورتان ذكرهما الامام ابو حامد
الغزالي رضي الله عنه قال بعض المتعبين واذا جاز لمن غص
بلقمة من طعام حلال ان يسيغها بجرعة من الخمر اذا لم يجد
غيره مع ان تحريمه مقطوع به ولا يفوته الا حياة فانية
فكان يجوز مثل هذا اذا تعين اولى ان يفوته بذلك الحياة الباقية
والقرب من الله فاذا التزم العبد هذا الطريق من الرياضة ماتت
نفسه وحيا قلبه وقرب من حضرة ربه واجتنا
ثمرة غرسه على غاية الكمال والتمام وذاق الثمرة اخلاق الابدال
التي تخلقت بها نفسه وصارت كصفات ذاتية له وهو نتيجة
الحكمة التي انبتها الله في قلوب عباده الاتقياء ومن يوت
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا قال عيسى عليه الصلاة والسلام
لاصحابه اين تنبت الحبة قالوا في الارض قال عليه السلام كذلك
الحكمة لا تنبت الا في قلب مثل الارض فلتفـ وقد ورد عن النبي
صلى الله عليه وسلم في مدح الخمول وذم الشهرة احاديث كثيرة
منها ما روى ابو امامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه قال

انه قال ان اغبط اوليائي عندي لمومن خفيف الحاذ ذو حظ
من الصلاة احسن عبادة ربه واطاعه في السر وكان غامضا
في الناس لا يشار اليه بالاصابع وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك
ثم نقض بيده فقال عجلت منيته قلت بواكيه قل تراثه
وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم رب اشعث اغبر ذي طمرين تنبو عنه
اعين الناس لو اقسم على الله لابره وروى معاذ ابن جبل رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسيرا من الرياء شرك وان
من عادى اولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة وان الله يحب الاخفياء
الاتقياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يدعوا ولم
يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة
وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حديث الى نور جبه فانصح اويس القرني واشار بذكره
ونبه على عظيم علو امره رضي الله عنه انه قال بينما نحن عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم في حلقة من اصحابه اذ قال ليصلين
معكم غدا رجل من اهل الجنة قال ابو هريرة فطمعت ان اكون ذلك
الرجل فصليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقمت
في المسجد حتى انصرف الناس فبقيت انا وهو فبينما

نحن كذلك اذ اقبل رجل متزر بخرقة مرتد برقعة فجاء
حتى وضع يده في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
قال يا نبي الله ادع الله لي بالشهادة فدعا النبي صلى الله
عليه وسلم بالشهادة وانا لنجد منه رائحة المسك الاذفر
فقلت يا رسول الله اهو هو قال نعم انه لمملوك بني فلان
قلت افلا تشتريه فتعتقه يا نبي الله قال وانى لي بذلك ان كان

صح والله اعلم
افلا تشتريه فتعتقه

الله يريد ان يجعله من ملوك الجنة يا ابا هريرة ان لاهل الجنة
ملوكا وسادات وان هذا الاسود اصبح من ملوك الجنة
وساداتهم يا ابا هريرة ان الله عز وجل يحب من خلقه الاصفياء
الاخفياء الابرياء الشعثة رؤوسهم المغبرة وجوههم الخمصة
بطونهم من كسب الحلال الذين اذا استاذنوا على الامراء
لم يؤذن لهم وان خطبوا المتنعمات لم ينكحوا وان غابوا
لم يفتقدوا وان حضروا لم يدعوا وان طلعوا لم يفرح
بطلعتهم وان مرضوا لم يعادوا وان ماتوا لم يشهدوا
قالوا يا رسول الله كيف لنا برجل منهم قال ذلك اويس القرني
قالوا وما اويس القرني قال اشهل ذو صهوبة بعيد ما
بين المنكبين معتدل القامة آدم شديد الادمة ضارب
بذقنه الى صدره رام ببصره الى موضع سجوده واضع يمينه

على شماله

١٩

على شماله يتلو القرآن يبكي على نفسه ذو طمرين لا يؤبه
له متزر بازار صوف ورداء صوف مجهول في اهل الارض
معروف في اهل السماء لو اقسم على الله لابر قسمه الا وان
تحت منكبه الايسر لمعة بيضاء الا وانه اذا كان يوم القيامة
قيل للعباد ادخلوا الجنة ويقال لاويس القرني قف
فاشفع فيشفعه الله في مثل عدد ربيعة ومضر يا عمر
ويا علي اذا انتما لقيتماه فاطلبا اليه يستغفر لكما
يغفر الله لكما وذكر باقي الحديث وفي حديث اخر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يكون في امتي رجل يقال له اويس
القرني يدخل في شفاعته عدد ربيعة ومضر لو اقسم
على الله لابره فمن لقيه منكم فليقرئه مني السلام ثم سئل
عن علامته فقال هو رجل اصهب اشهل ذو طمرين ابيضين
له ام وقد كان به بياض فدعا الله تعالى عز وجل فاذهبه عنه
الا مقدار الدينار والدرهم لا يؤبه له مجهول في الارض معروف
في السماء وكان قد بلغ من شدة خموله ونهاية خفته
ان الناس كانوا يسخرون منه ويستهزؤون به ويؤذونه
ويرمون فيه اصلبة الجذاع والنخص ويسمونه الاذلة
وفيه روي انه كان دفع اليه بعض فقهاء الكوفة ثوبين

وكان يجالسه فلا ينقطع عن مجلسه لاجل العرى ابرد ها
عليه بعد ان اخذها وقال ان الناس يقولون اين له هذان
الثوبان ترى من خدع عليهما او كان في ذلك الوقت يجالس
الفقهاء ويظهر للناس ذلك قبل ان يعرفوا برفعة القدر
وجلالة المنكر وتنويه عمر به على المنبر فلما راه الناس عرفوا
حاله هربا منهم واستخفاء منهم ولئلا يسر امره عليهم من رعاية
الابل وغير ذلك وقيل لعمر رضي الله عنه لما سال عنه قومه
ما فينا اخمل منه ذكرا فلما لقيه هو وعلي رضي الله عنهما
وساله من هو فقال له راع غنم واجير قوم وستر ذكره
او يسر فلما ساله عن اسمه فقال عبد الله فقالا
ما اسمك الذي سمتك به امك امتنع ان يجيبهم على ذلك فلما
اخبراه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم له وانهما عرفاه بذلك
قال لهما عسى ان يكون ذلك غيري فلما قالا له اخبرنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان تحت منكبك الايسر لمعة بيضاء
وطلبا منه ان يوضحها لهما لم يجد بدا من ان يوضحها وذلك
والله اعلم ليتبين لهما رؤية عين صحة قول النبي صلى الله عليه وسلم
وصدقه في اخباره بالغيب وذلك امر واجب عليه والا فلعله
كان يتعلل لهما كما فعله في كل ما سيل عنه ثم بعد ذلك
لما ساله

لما ساله عمر رضي الله عنه ان يلتقي معه ويجعل ذلك
الموضع ميعادا بينه وبينه قال له يا امير المومنين
لا ميعاد بيني وبينك ولا اعرفك ولا تعرفني بعد اليوم
ثم دفع الابل لاصحابها وخلا عن الرعاية وكذلك فعل مع
هرم ابن حيان رضي الله عنه لما لقيه [illegible] العراق
ووقع بينهما التعرف فقال له حدثني بحديث عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم احفظه عنك فقال له لا احب ان افتح
بهذا الباب على نفسي لا احب ان اكون محدثا ولا مفتيا ولا قاضيا
فلما فرغ من الكلام الذي كان بصدده وساله مداومة الاجتماع به
ابى وامتنع وقال له لا اراك بعد اليوم تطلبني ولا تسال عني انطلق
انت ها هنا ثم بعد ذلك اجتهد في طلبه والبحث عنه فلم يقع
له على خبر ومن عجائب امره ان حقق الله له هذا الحال من التخفي
والتستر واتمه له بعد موته مع ما اظهر بسببه من الايات
والعجائب حينئذ قال عبد الله ابن سلمة غزونا اذربيجان زمن عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه ومعنا اويس القرني رضي الله عنه فلما
رجعنا مرض ومات فنزلنا فاذا قبر محفور وماء مسكوب
وكفن وحنوط فغسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه فقال
بعضنا لبعض لو رجعنا فعلمنا قبره فاذا قبر لا اثر فلقد

والعداوة والاشر في مدح الخمول او ذم الاشتهار لكثرة ما
ترتبت عليها النصوص وقد اورد كثيرا منها الائمة المصنفون
في هذا الفن فليطالع ذلك المريد مستمدا من الله تعالى
حسن التوفيق والتأييد والمولف رحمه الله ههنا بالاجود الارفق
والقيانات والتنائح من مليح الاستعارة **ما نفع القلب شيء**
مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة مداواة امراض القلب واجبة
على المريد وامراضه انما تكون من غلبة احكام الطبع عليه في كمينه
للاضداد ووقوفه مع المعتاد وانقياده الى هوى النفس وانسه
بعالم الحس ومداواة هذا المرض تتاتى من وجوه كثيرة وابلغها
في ذلك وانفعها ما ذكره من العزلة عن الناس المصحوبة بالفكرة
فبالعزلة ينقبض القلب عن مخالطة من لا تصلح مخالطته
ومن لا يامن دخول الافة عليه بصحبته فيتخلص بذلك المعتزل
من المعاصي التي يتعرض لها بالمخالطة مثل الغيبة والمداهنة
والرياء والتصنع ويتحصل له بذلك السلامة من مسارقة
الطباع الردية والاخلاق الدنية ويستفيد ايضا بذلك صيانة الطباع
دينه ونفسه عن التعرض للخصومات وانواع الشرور والفتن
فان النفس تولعه وتتسارع الى الخوض في امثال هذا ويجب
على المعتزل ان يكف لسانه عن السؤال عن اخبار الناس

ومع

والا هم مشغولون به ومنهمكون فيه ومقبلون عليه ويلزم
سمعه عن الاصغاء الى اراجيف البلد وما اشتملت عليه من الاحوال
التي ذكرنها وليحرص على ان يشتغل في خلوته وعزلته من شانه
التطلع لذلك والبحث عنه وليجتنب صحبة من لا يتورع في منطقه
ولا يضبط لسانه عن الاسترسال في دقائق الغيبة والوقيعة و
التعرض بالطعن على الناس والقدح فيهم بل وذلك مما يكسب ظلمة
القلب ويودي الى ارتكاب سخط الرب فليهجر المعتزل
وليفر منه فراره من الاسد ولا يجتمع في مكان البتة وليتفكر
الى الكرام تعرف له من هذا شانه من المنسوبين الى العلم
فضلا عن غيرهم كما قال بعضهم انكر من تعرف ولا تتعرف الى من
لا تعرف وفي الخبر مثل جليس السوء كمثل الكير ان لم يحرقك
بشرره علق بك من ريحه وفي الاخبار السالفة ان الله تعالى اوحى
الى موسى عليه السلام يا ابن عمران كن يقظانا وارتد لنفسك اخوانا
وكل اخ او صاحب لا يوازرك على مسرتي فهو لك عدو واوحى الله
الى داود عليه السلام فقال له يا داود ما لي اراك منتبذا وحدانيا
قال الهي قليت الخلق من اجلك فقال يا داود كن يقظانا وارتد لنفسك
اخوانا وكل خدن لا يوافقك على مسرتي فلا تصحبه
فانه لك عدو يقسي قلبك ويباعدك مني وما احسن قول

قال ابو اسحاق ابرهيم بن مسعود الالبيري بهذا المعنى
تقيةً ابناءَ جنسك واخش منهم كما تخشى الضراغمَ والسبنتى
وخالطهم وزايلهم حذاراً وكن كالسامري اذا لُمِستَ
وبالعزلة ايضا يجمع همه ويقوى بذات الله عزمه بخلاف
المخالطة فانه تتفرق الهم وتضعف العزم فيحتاج العبد
ليجدد في خلوته ما خطر من التخليط يحملها فاذا خرج
الى الناس حلوا عليه ذلك عقدة عقدة حتى يرجع الى بيته
وقد انحلت العقد كلها وعن عيسى عليه السلام
لا تجالسوا الموتى فتموت قلوبكم قيل ومن الموتى قال
المحبون الدنيا والراغبون فيها وفي الخبر المروي عن نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم اخوف ما اخاف على امتي ضعف
اليقين وضعف اليقين انما يكون من رؤية اهل الغفلة
ومخالطة ارباب البطالة والفسوق قال ابو طالب
المكي رضي الله عنه واضر ما ابتلي به العبد وادخله
واعمله في هلاكه واشده بحجبه وابعده ضعف يقينه
بما وعد من الغيب وتوعد عليه بالشهادة وقوة
اليقين اصل كل حال عالم وقال بعض هذه الطائفة قلت
لبعض الابدال المنقطعين الى الله تعالى كيف الطريق
الى التحقيق

٢٢

الى التحقيق والوصول الى الحق قال لا تنظر الى الخلق فان النظر
اليهم ظلمة قلت لا بد لي قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم
قسوة قلت لا بد لي قال فلا تعاملهم فان معاملتهم خسران
وحسرة ووحشة قلت انا بين اظهرهم لا بد لي من معاملتهم
قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قلت هذا لعله
قال يا هذا تنظر الى [struck] وتسمع كلام الجاهلين وتعامل الى اللاعبين
البطالين وتسكن الى الهلكى وتريد ان تجد حلاوة الطاعة
وقلبك مع غير الله عز وجل هيهات هذا لا يكون ابدا وبالعزلة
ايضا ينقبض بصره عن النظر الى زينة الدنيا وزهرتها وينطوي
فكره عن الاستحسان لما زخرفه الله عز وجل فيها فينقمع بذلك الا استحسن
النفس عن التطلع اليها والاستشراف لها ومنافسة اهلها
فيها قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم
الاية ولا ينبغي لاحد ان يستصغر هذا فانه يؤدي الى امراض عظيمة
في القلب ومن اعتزل عن الناس سلم باذن الله تعالى منها قال
الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه فارباب المجاهدات
اذا ارادوا صون قلوبهم عن الخواطر الردية لم ينظروا
الى المستحسنات وهذا اصل كبير لهم في المجاهدات في
الرياضات انتهى وقال محمد بن سيرين رضي الله عنه

ابلاه وفضول النظر الى الاشياء بالبصر يوجب تفرقة
القلب وفي النشد[1] في هذا المعنى وانك
متى ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك
المناظر رايت الذي لا كله انت قادر عليه ولا عن
بعضه انت صابر وبالعزلة ايضا ينقطع طمعه عن الناس
ويحصل له منهم الياس وذلك من اعظم فوائد العزلة عند
العقلاء الاكياس ولا ينتفع له منفعة العزلة الا باشتغال
القلب بالفكر وهي المقصودة ها هنا وكان العزلة مقدمة
لها ومعينة عليها وذلك بعد تقديم ما يحتاج اليه
من علوم الشريعة الظاهرة والقيام بمراعاة ادابها الباطنة
وقد ذكر منها الشيخ ابو حامد الغزالي رضي الله عنه جملة
شافية في كتاب العزلة من احياء علوم الدين فلينظر
هنالك وقد جاء في الخبر تفكر ساعة خير من عبادة
سبعين سنة كذا والله اعلم وكان عيسى عليه السلام
يقول طوبى لمن كان كلامه ذكرا وصمته تفكرا ونظره عبرة
ان اكيس الناس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت
قال كعب الاحبار رضي الله عنه من اراد شرف الاخرة
فليكثر التفكر وقال ام الدرداء فانت التفكر

وذلك

وذلك لانه يصل بها الى معرفة حقائق الاشياء ويتبين
الحق من الباطل والنافع من الضار ويطلع بها ايضا على
خفايا افات النفس ومكائد العدو وغرور الدنيا ويتفكر
بها وجوه الحيل في التحرز منها والظاهرة منها
قال الحسن رضي الله عنه الفكرة مرءات تريك حسنك
من قبيحك ويطلع بها ايضا على الايات الجلية والخفية
ويستفيد بذلك احوالا سنية يزيل بها مرض قلبه
ويستعين بسببها على طاعة ربه قلت والعزلة التي
ذكرها المؤلف وهي احد الاركان الاربعة التي هي اساس
الطريق ويلزم عنها من الثلاثة الباقية الصمت
اذ لا يتاتى من الكثير الناس لا بالخلوة والعزلة بان
اضاف اليها الجوع الركنين الباقيين وهما الجوع
والسهر فقد حصل من كلية الاربعة والتمع من سير
الاولياء والابدال قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه
اجتمع الخير كله في هذه الخصال الاربع وبها صار
الابدال ابدالا اخماص البطون والصمت والخلوة والسهر
وقال الشاعر وجمعها في نظمه ∴ يا من يريد منازل
الابدال من غير قصد منه للاعمال لا تطمعن بها فلست

من تحليها .:. ان شئت ترجع على الاحوال بيت الولاية
قسمت اركانها ساداتنا فيها من الابدال ما بين
صمت واعتزال دائم والجوع والسهر النزيه العالي

كيف يشرق قلب صور الاكوان منطبعة في مرآته
ام كيف يرحل الى الله وهو مكبل بشهواته ام كيف
يطمع ان يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من غفلاته
ام كيف يرجو ان يفهم دقائق الاسرار وهو لم يتب
من هفواته الجمع بين الضدين محال كاجتماع الحركة
والسكون والنور والظلمة وهذه الاشياء التي ذكرها
المؤلف رحمه الله اضداد لا تجتمع فان اشراق القلب
بنور الايمان واليقين مضاد للظلمة التي استولت
عليه من ركونه الى الاغيار والاكوان واعتماده عليها
والمسير الى الله تعالى بقطع عقبات النفس مضاد
للاشتغال بحبس الهوى والشهوات ودخول حضرة
الله المقتضية لطهارة الداخل ونزاهته مضاد لما
هو عليه من جنابة غفلاته التي مقتضاها الاقصاء
والابعاد وفهم دقائق الاسرار المستفاد من التقوى
مضاد للاصرار على المعاصي والهفوات واليه الاشارة
بقوله

بقوله عز من قائل واتقوا الله ويعلمكم الله وجاء في بعض
الاخبار من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم قال يحيى
ابن معاذ رحمه الله التقى احمد بن حنبل واحمد بن ابي الحواري
فقال ابن حنبل لابي الحواري يا احمد حدثني بحكاية سمعتها
من استاذك ابي سليمان فقال يا احمد قل سبحان الله بلا عجب
فقال احمد بن حنبل سبحان الله وطولها بلا عجب فقال احمد
ابن ابي الحواري سمعت ابا سليمان يقول اذا اعتقدت
النفوس على ترك الآثام جالت في الملكوت وعادت الى ذلك
العبد بطرائف الحكمة من غير ان يؤدي اليها عالم علما قال
فقام احمد بن حنبل ثلاثا وجلس ثلاثا وقال ما سمعت
في الاسلام حكاية اعجب الي من هذه ثم ذكر الحديث الذي
ذكرته من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم ثم قال
لاحمد بن ابي الحواري صدقت يا احمد وصدق شيخك ولاجل كون
هذه الاشياء اضداد اعجب المؤلف رحمه الله ممن يعتقد صحة
اجتماعها وممن طمع في نيل مراتب الرجال مع كونه على اقبح
الخصال الكون كله ظلمة وانما اناره ظهور الحق فيه
فمن رأى الكون ولم يشهده فيه او عنده او قبله او بعده فقد
اعوزه وجود الانوار وحجبت عنه شموس المعارف

بسبب الآثار العدم ظلمة والوجود نور فالكون
بالنظر إلى ذاته عدم مظلم وباعتبار تجلي نور الحق
عليه وظهوره فيه وجود مستنير ثم اختلف أحوال
الناس ها هنا فمنهم من لم يشهد إلا الأكوان وحجب
بذلك عن رؤية المكون فهذا أتاتيه في الظلمة محجوب
بسبب الآثار الكائنات فمنهم فيشاهد المكون
قبل الأكوان وهؤلاء هم الذين يستدلون بالمؤثر على الآثار
ومنهم من شاهده بعد الأكوان وهؤلاء الذين يستدلون بالآثار
على المؤثر ومنهم من يشاهده مع الأكوان والمعية
ها هنا إما معية الاتصال وهو شهوده في الأكوان
وإما معية انفصال وهو شهوده عند الأكوان وهذه
الطرق المذكورة ليست بفوقانية ولا مكانية لأن الزمان
والمكان من جملة الأكوان والاتصال والانفصال المذكوران
ليس على ما يفهم من معانيهما فإنهما أيضا من جملة
الأكوان ومعرفة تفصيل هذه الأمور والتفرقة بين
هذه المحال وعلى ما هي عليه موكول إلى أربابه فلنقتصر
على ما ذكرته فها هنا زلت أقدام كثير من الناس
فتكلموا بكلمات موهمة وعبروا بعبارات منكرة
في الشرح

في الشرح فكفروا بذلك وبدعوا فاعتقد كمال التنزيه
وبطلان التشبيه وتمسك بقوله عز وجل ليس كمثله شيء
وهو السميع البصير مما يدلك على وجود قهره سبحانه
أنه حجبك عنه بما ليس بموجود معه انتهت مقالة
العارفين والمحققين وإشاراتهم وتوجيههم على ما ذكرته
قبل هذا من أن ما سوى الله عدم محض من حيث ذاته لا يوصف
بوجود مع الله سبحانه قال الله تعالى كل شيء هالك إلا وجهه
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدق بيت قالته الشعراء
ألا كل شيء ما خلا الله باطل قال بعض العارفين المحققون
لو شهدوا غير الله لما حققهم به من شهود القيومية والإحاطة
الديمومية وقال أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه إنا لننظر
إلى الله ببصر الإيمان والإيقان فأغنانا ذلك عن الدليل والبرهان
ونستدل به على الخلق هل في الوجود شيء سوى الواحد الحق
فلا نراهم وإن كان ولا بد فنراهم كالهباء في الهواء فتفتشهم
لم تجد فيه شيئا وقال أيضا رضي الله عنه قوي علي الشهود
مرة فسألته أن يستر ذلك عني فقيل لو سألته بما سأله
موسى كليمه وعيسى روحه ومحمد صفيه لم يفعل ولكن
سله أن يقويك فسألته فقواني قال ابن عطاء الله

في التنوير فما سوى الله تحلّى عند اهل المعرفة لا يوصف
بوجود ولا بفقد اذ لا يوجد معه غيره لثبوت وحدانيته وحدانيته
ولا بفقد لغيره لانه لا يفقد الا ما يوجد ولو انتهك حجاب
الوهم لوقع العيان على فقد الاعيان واشرق نور الايقان
فغطى وجود الاكوان وهذا الكلام هو بسط ما ذكر في هذا
الكتاب وقال بعضهم لو كلفت ان ارى غيره لم استطع لانه
لا غير معه حتى اشهده معه وقال الشاعر مُذْ عَرَفْتُ
الْإِلَهَ لَمْ أَرَ غَيْرَهُ وَكَذَا الْغَيْرُ عِنْدَنَا مَمْنُوعُ مُذْ تَجَمَّعْتُ
مَا خَشِيتُ افْتِرَاقًا وَأَنَا الْيَوْمَ وَاصِلٌ مَجْمُوعُ وقال في اخر
اَللَّهَ قُلْ وَذَرِ الْوُجُودَ وَمَا حَوَى إِنْ كُنْتَ مُرْتَادًا بُلُوغَ كَمَالِ
فَالْكُلُّ دُونَ اللَّهِ إِنْ حَقَّقْتَهُ عَدَمٌ عَلَى التَّفْصِيلِ وَالْإِجْمَالِ وَاعْلَمْ
بِأَنَّكَ وَالْعَوَالِمَ كُلَّهَا لَوْلَاهُ فِي مَحْوٍ وَفِي اضْمِحْلَالِ مَنْ لَا وُجُودَ
لِذَاتِهِ مِنْ ذَاتِهِ فَوُجُودُهُ لَوْلَاهُ عَيْنُ مُحَالِ وَالْعَارِفُونَ فَنَوْا
وَلَمَّا يَشْهَدُوا شَيْئًا سِوَى الْمُتَكَبِّرِ الْمُتَعَالِ وَرَأَوْا سِوَاهُ
عَلَى الْحَقِيقَةِ هَالِكًا فِي الْحَالِ وَالْمَاضِي وَالِاسْتِقْبَالِ وقد عبروا
في هذا الامر تعالى وتفننوا في الكلام في هذا المعنى نظما
ونثرا وكل عبر على حسب شربه وذوقه فجزاهم الله عنا خيرا
بذا اتفقوا هذا وجدنا اكثر الناس قد حجبوا عن الله تعالى
بشهواتهم

بشهواتهم الدنياوية ودرجاتهم الاخراوية ومقاماتهم
العلومية وكذلك من الغيار العدمية والموجودات
الوهمية علمنا بذلك وجود قهره اذ من اسمائه تعالى
القهار ولو ارتفع الحجاب عنهم لغنوا عن انفسهم وارادتهم
وبقوا بربهم وكانوا عباد الله حقا وقد سئل ابو سعيد
ابن الاعرابي رضي الله عنه عن الفناء فقال الفناء ان تبدو العظمة
والاجلال على العبد فتنسيه الدنيا والاخرة والاحوال والدرجات
والمقامات والاذكار وتفنيه عن كل شيء وعن عقله وعن نفسه
وعن فنائه عن الاشياء وعن فنائه عن الفناء انه يغرق
في التعظيم انتهى قالوا ان الفناء على ثلاثة اوجه فناء
في الافعال ومنه قولهم لا فاعل الا الله وفناء في الصفات
لا حي ولا عالم ولا قادر ولا مريد ولا سميع ولا بصير ولا
متكلم على الحقيقة الا الله وفناء في الذات لا موجود
على الاطلاق الا الله وانشدوا فَيَفْنَى ثُمَّ يَفْنَى ثُمَّ يَفْنَى
فَكَانَ فَنَاؤُهُ عَيْنَ الْبَقَاءِ وقال الشيخ محي الدين من شهد
الخلق لا فعل لهم فقد فاز ومن شهدهم لا حياة لهم
فقد جاز ومن شهدهم على العدم فقد وصل وانشدوا
مَتَى انْفَرَدَ الْخَلْقُ كَالسَّرَابِ فَقَدْ تَرَقَّى عَنِ الْحِجَابِ

الى وجود تراه ذقفة بالابتعاد والافتراق، ولم تشاهد
به سواه بعينايك تهدى الى الصواب، فلا خفاء بالتي
ولا مشيرا الى الخطاب كيف يتصور ان يحجبه شيء
وهو الذي اظهر كل شيء فما اشرق عليه الوجود وقد كان
بظلمة العدم كما تقدم كيف يتصور ان يحجبه شيء
وهو الذي ظهر بكل شيء حتى استدلوا عليه المستدلون بالا
شياء كما قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم
كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الذي ظهر في كل شيء
اذ هو المتجلي فيها بمعاني صفاته واسمائه كيف
يتصور ان يحجبه شيء وهو الذي ظهر لكل شيء في ظهور
ذلك الشيء ولذا كل ساجد له ومسبح بحمده ولكن لا
تفقهون ذلك كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الظاهر
قبل وجود كل شيء لقدمه فهذا الاسم له ازلا وابدا
كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو اظهر من كل شيء
لان الوجود اظهر من العدم على كل حال كيف يتصور ان يحجبه
شيء وهو الواحد الذي ليس معه شيء اذ كل ما سواه عدم
لا وجود له على التحقيق كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو
اقرب اليك من كل شيء لتيقنك احاطته بك ووجود قيوميته

عليك

عليك كيف يتصور ان يحجبه شيء ولولاه لما كان وجود
كل شيء حتى استدل به الشاهدون على الاشياء كما قال
تعالى اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد يا عجبا
كيف يظهر الموجود في العدم لان العدم ظلمة والوجود
نور وهما ضدان لا يجتمعان ام كيف يثبت الحادث مع
من له وصف القدم لان الباطل لا يثبت مع ظهور الحق كما
كما قال تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا
وقوله عز من قائل بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا
هو زاهق قلت وهذا الفصل من قوله الكون كله ظلمة الى هنا
ابدع فيه المؤلف غاية الابداع واتى فيه بما تقر به الاعين وتلذ
به الاسماع فانه رضي الله عنه ذكر جميع متعلقات الظهور
وابطل حجابية كل ظلام ونور وادرك فيه الحضورية عيانا
وبرهان ورفعك من مقام الايمان الى عالي مراتب الاحسان
كل ذلك في اوجز لفظ وافصح عبارة واتم تصريح والطف
اشارة فلو لم يكن في هذا الكتاب الا هذا الفصل لكان كافيا
شافيا فجزاه الله عنا خيرا وقال رضي الله عنه ما ترك
من الجهل شيئا من اراد ان يحدث في الوقت غير ما
اظهره الله فيه اذ اقام الله العبد في حال من الاحوال التي

لابد من الشرع فليلزم حسن الادب في اختيار مقابله عليها
وان غاله بها وليرتقب امر الله تعالى في مراعات ادبه وليوا
في مراد الله تعالى في ذلك حتى يكون هو الذي ينقله عنها
قال ابو عثمان رضي الله عنه منذ اربعين سنة ما اقامني
الله في حال فكرهته ولا نقلني الى غيره فسخطته وقد تقدمت
حكاية المؤلف رحمه الله تعالى مع شيخه ابي العباس حين
عزم على التجريد وترك ما كان عليه من الاشتغال بالعلم الظاهر
وما اجابه به شيخه رضي الله عنه وهذا امر من نتايج العلم بالله نتائج
ومعرفة ربوبيته فان نفسه ذلك وتشوق الى الانتقال
عنها بنفسه واراد ان يحدث غير ما اظهره الله تعالى
فقد بلغ غاية الجهل بربه واساءة الادب بحضرة مولاه
عز وجل وهذا امر معارضة حكم الوقت الذي تشير اليه
الصوفية وهو مندرج من اعظم ذنوب الخاصة فالجواب
على العبد الاستسلام لحكم الله تعالى لذلك الوقت فهو الواجب
ادب العبودية ومقتضى العلم بالله تعالى وهذا احد
معاني لفظ الوقت في اصطلاحهم قال الامام ابو القاسم
القشيري رضي الله عنه وقد يريدون بالوقت ما يصادفهم
من تصريف الحق لهم دون ما يختارون لانفسهم ويقولون

فلان

فلان بحكم الوقت اذ انه مستسلم لما يبدو من الغيب
من غير اختيار وهذا فيما ليس لله عز وجل عليهم فيه
امر واقتضاء بحق مشروع اذ التضييع لما امرت به واحالة
الامر فيه على التقدير وترك المبالاة بما يحصل للامر من التقصير
خروج عن الدين ومن كلامهم الوقت سيف اي كما ان السيف قاطع
فالوقت بما يقتضيه الحق ويجريه غالبا وقيل السيف لين
مسه قاطع حده فمن لاينه سلم ومن خاشنه اصطلم كذلك
الوقت من استسلم لحكمه نجا ومن عارضه بترك الرضى انتكس
وتردى وانشدوا وَكَالسَّيْفِ اِنْ لَايَنْتَهُ لَانَ مَسُّهُ
وَحَدَّاهُ اِنْ خَاشَنْتَهُ خَشِنَانِ ومن ساعده الوقت فالوقت
له وقت ومن ناكده الوقت فالوقت عليه مقت هذا
من كلام الامام ابي القاسم وهو موافق لما ذكره المؤلف والله
اعلم **احالتك الاعمال على وجود الفراغ من رعونات النفوس**
اذا كان العبد ملتبسا بحال من احوال دنياه وكان له فيها
شغل يمنعه من الاعمال الصالحات واحال ذلك على فراغه
من تلك الاشغال وقال اذا تفرغت عملت فذلك من رعونات
نفسه والرعونة ضرب من الحماقة وحماقته من وجوه
الاول ايثاره الدنيا على الاخرة وليس هذا شأن عقلاء المؤمنين

وهو خلاف ما طلب منه قال تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا
والآخرة خير وأبقى والثاني تسويفه بالعمل إلى أن يفرغ منه
وقد لا يجد مهلة بأن يختطفه الموت قبل ذلك أو يزداد
شغله لأن اشتغال الدنيا يتداعى بعضها إلى بعض
كما قيل فما قضى أحد منها لبانته وما انتهى
أرب إلا إلى أرب والثالث أن يفرغ عنها ما الغرض منه
مع ضعف عزمه وضعف نيته ثم فيه من دعوى الاستقلال
ورؤية الحول والقوة في جميع الأحوال ما يستحق به تجنبه
جميع هذا بل الواجب عليه أن يبادر إلى الأعمال على أي حالة
كان وينتهز فرصة الإمكان قبل مفاجأة الموت وحلول
الفوت وأن يتوكل على الله في تيسيرها عليه ورفع
العوائق الحائلة بينه وبينها وما أحسن قول ابن
البنا في هذا المعنى ودعه من قريب واشتغل
واجتنب غدا وشمر عن ساق اجتهاد بنهضة
وكن صارما كالوقت فالمقت في عسى وإياك علا
فهي أخطر علة وسر زمنا وانهض كسيرا فحظك
البطالة ما أخرت عزما لصحة وجد بسيف العزم
سوف فإن تجد تجد نفسا فالنفس إن جدت جدت

لا تطلب

٢٩ لا تطلب منه أن يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواها
فلو أرادك لاستعملك من غير إخراج كما أنه إذا كان
العبد على حالة لا قوام له ولو كانت متعلقة بالعبث
أو بالدنيا لا ينبغي أن يروم الخروج منها بنفسه
ويعارض حكم وقته فيجعل فيه غير ما أظهره الله
كما تقدم في قوله ما ترك من الجهل شيئا من أراد أن يحدث
في الوقت غير ما أحدثه الله فيه مع الشرح المتقدم المتقدم
وهو ألا يكون في ذلك مخالفة أمر أو ارتكاب نهي فينبغي
له ألا يعارض حكم الوقت ويطلب من الله أن يخرجه منها
ويستعمله فيما سواها لأن هذا من التدبير على الله تعالى
والاختيار له في ذلك بل ينبغي له حسن الأدب معه وإيثار مراده
على اختياره وهو حينئذ يتحقق بحال يشعره منها محبة
الله تعالى وإرادته له فيستعمله فيما يحبه إلا مجبورا عنده
مع وقوفه على حالته التي هو عليها فيكون له ذلك من
الله تعالى له لا بمراده لنفسه وهو خير له مما اختاره
قال الشنوبري يحكى عن بعضهم أنه يقول وددت لو أني
تركت الأسباب وأعطيت كل يوم رغيفين يريد بذلك
أن يستريح من تعب الأسباب قال فسمعت ثم كنت

في السجن نوتى كل يوم برغيفين فطال ذلك حتى ضجرت
ففكرت يوما في أمري فقيل لي إنك طلبت منا كل يوم رغيفين
ولم تطلب منا العافية فلو طلبتها لأعطيناك ما طلبت فاستغفرت
من ذلك ورجعت إلى الله تعالى فإذا بباب السجن قد فتح
فتخلصت وخرجت قال فيه فتأدب بهذا أيها المريد
ولا تطلب أن تخرج من أمر وتدخل في سواه إذا كان
ما أنت فيه مما يوافق لسان العلم فإن ذلك من سوء
الأدب مع الله تعالى فاصبر لئلا تطلب الخروج بنفسك
فتعطى ما طلبت وتمنع الراحة فيه فرب تارك شيئا
وداخلا في غيره ليجد الثروة والراحة فعوقب وقوبل بوجود
التعسير عقوبة لوجود الاختيار انتهى كلامه في التنوير
وهو كالتفسير لما ذكره هاهنا فلذلك أوردته

ما أرادت همة سالك أن تقف عند ما كشف لها إلا ونادته
هواتف الحقيقة الذي تطلب أمامك ولا تبرجت ظواهر
المكونات إلا ونادتك حقائقها إنما نحن فتنة فلا تكفر

السائر إلى الله تعالى في أثناء سلوكه أنوار وتبدو له
أسرار فإذا أرادت همته أن تقف عندما كشف لها من ذلك
واعتقد أنه وصل إلى الغاية والنهاية من المعرفة نادته
هواتف

هواتف الحقيقة المطلوب الذي تطلب أمامك فجد في السير
ولا تقف وإن تبرجت له ظواهر المكونات بزينتها
وجمال حسنها وجمالها نادته حقائقها الباطنة
إنما نحن فتنة فلا تكفر واغضض عينيك عن ذلك ولا
تلتفت إليه ودم على سلوكك وسيرك واعلم أنه
ما دامت لك همة وإرادة فأنت في الطريق لم تصل
فلو قد غيبت عنها لوصلت وما أحسن قول الشيخ
أبي الحسن الششتري في هذا المعنى فلا تلتفت
في السير غيرا فكلها سوى الله غير فاتخذ ذكره حصنا
وكل مقام لا تقم فيه إنه حجاب فجد السير واستنجد العونا
ومهما ترى كل المراتب تجتلى عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا
وقل ليس لي في غير ذاتك مطلب فلا صورة تجلى
ولا طرفة تجنى وقد رأيت لأبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه
كلاما حسنا مناسبا لما ذكره المؤلف رحمه الله هاهنا
من الترقي في الأحوال وظهور النفحات ورؤية الكرامات
أردت ذكرها هنا لنفعها لما فيه من حسن الفوائد وشريف
المقاصد فقال رضي الله عنه اعلم أنك إذا أردت
أن يكون لك نصيب مما لأولياء الله تعالى فعليك برفض

والناس جملة الامر بيدك على الله بالفكرة صادقة واعمال ثابتة
لا ينقضها الكتاب والسنة واعرض عن الدنيا بالكلية ولا
تكن ممن يحارض ليعطي شيئا على ذلك بل كن في ذلك عبدا لله
امرك ان تعرض عنه ولاجل كنت بهذا تبين لك تلبس الاعراض
عن الدنيا والزهد في الناس فافهم مع الله بالمراقبة والتزم التوبة
بالرعاية والاستغفار بالانابة والخضوع للاحكام بالاستقامة
وتفسير هذه الوجوه الاربعة ان تقوم بين يدي الله كانك تراه
وتعرف قلبك لا ترى في المملكة شيئا لغير الله فان اتيت بهذا
نلت مواهب الخصوص بانوار العرفان قد منعت من طريق الرشد
من اين لك القيام مع الله بالمراقبة وان تسمع قوله وكان الله
على كل شيء رقيبا فصار بين يديك من الحياء ما يحملك على التوبة
الرعاية مما تحققت انه قريب فالتزم التوبة بالرعاية لقلبك
لا تشهد ذلك منك بحال فتعود الى ما خرجت منه
فان صحت هذه منك نال ذلك الهواتف ايضا من قبل الحق
ذا التوبة منه به ان والانابة تتبعها والاشتغال
بما هو ولي الله ان هذا لا تقصر وصاحبك
فتستغنيه بالله منه وتلافه في الاستغفار والانابة
والاستغفار طلب الستر منه وصاحبك بالرجوع اليه وصاحبه

جار كنت

جار كنت بهذه الصفة اعني بالاستغفار والانابة ناداك
رب قريب اخضع للاحكام ودع عنك منازعتي واستمع
مع مراحة بعض اراداتك وانما هي ربوبية قوانا عبودية
ولكن عبيد مملوك لا يقدر على شيء فمتى رايته منك فر
وكلمتك النجاء وانا بكل شيء عليم فارجع الى هذا الباب والزمه الشريف
من فعالك على اصرار لا انكار تسمع من احد من العلماء
طلبك منه انقطاع له وطلبك له غيبة منك عنه وطلبك
لغيره لغفلة حيائك منه وطلبك من غيره لوجود بعدك
عنه الطلب الذي يتهوو من العبد على اربعة اوجه كلها
مدخولة معلولة طلبه من الله وطلبه له وطلبه لغيره
وطلبه من غيره فطلبه من الله تهمة له اذ لو وثق به لا ابطال
مناجعه من غير سؤال المطالبة منه وطلبه له غيبة عنه
اذ الحاضر لا يطلب وطلبه لغيره لغفلة حياء اذ لو استحيا
منه انقبض عما يكرهه له حتى طلبه لغيره ومن حسن
الحياء منه ان لا يذكر معه غيره ولا تؤثر عليه سواه
وطلبه من غير الوجود بعده عنه اذ لو كان قريبا منه لكان
غيره بكليته اعني في لا يطلب فالطلب كله علة الموحدين
العارفين معلول كذا الطلب متعلقا بالهوى وبالحظوظ

من الطلب على وجه التعجيل والتأدب واتباع الامر
وانتظار العاقبة والعفو فينبغي تزول عنه العلة
ما من نفس تبديه الا وله قدر فيك يمضيه الانفاس فيك
ازمنة دقيقة تتعاقب على العبد ما دام حيا فكل نفس
فيه واقعة ظرف لقدر من اقدار المولى تعالى ينفذ فيه
كما فيه ما كان فيه اذ الاكوان جزئية العبد ودقائقه فيه
استغرقتها احكام المولى تعالى وكان جميع ذلك يقتضي
منه حقوقا لازمة ومن حقوق الله تعالى يقوم بها وهو
مطالب بذلك يقتضي ومسؤول عنه وعن انفاسه
التي هي امانة الحق عنده لم يبذله اذ ذاك محل التدبير
امور دنياه ولا محل المتابعة شهواته وهواه
لا تترقب فراغ الاغيار فان ذلك يقطعك عن وجود
المراقبة له فيما هو مقيمك فيه اذا اقام الله تعالى
عبدا في سبب من الاسباب فالواجب عليه ان يوفيه
حقه ويلزم فيه الادب والوقوف وقتا كافيا يكون فيه
فارغا منه فان تأجيله للوقت الذي يفرغه من القيام
بحق الوقت الاول فيما اقيم فيه وتوجيهه فيما فيه امره
وهو خلاف الامر المطلوب منه فليجتنب ذلك المريد قال
ابو جعفر

٣٢ ابو جعفر رضي الله عنه الفقير الصادق الذي يكون كل وقت
فيه فاذا ورد عليه وارد يشغله عن حكم وقته
يستوحش منه ويجتنبه وقال سهل بن عبد الله رضي
الله عنه اذا جنك الليل لا تأمل النهار حتى تسلم
ليلتك تلك وتؤدي حق الله فيها وتنظر فيه لنفسك واذا
اصبحت فكذلك وسئل رضي الله عنه متى يستريح
الفقير فقال اذا لم ير وقتا غير الوقت الذي هو فيه
لا تستغرب وقوع الاكدار ما دمت في هذه
الدار فانها ما ابرزت الا ما هو مستحق وصفها وواجب
نعتها جعل الله تعالى الدنيا دار فتنة وابتلاء ليعمل
فيها على ما اقتضى ما سبق له ويوفى جزاءه في الدار
الاخرة قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا
ترجعون وعمل كل واحد فيها انما هو مخالفة شهوات
نفسه وموافقتها وذلك لا محالة يستند الى وجود
محبوب او مكروه لا يفعل او يترك فمن ضرورية الدنيا
وجدان المكاره والمشاق فيها فتقع الاكدار بسبب
ذلك وايضا فان اصل الدنيا امور وهمية انقلبت
طبع الناس اليها وهي لا تفي بجميع مطالبهم

لخفتها وقلتها وسرعة تقضيها وتقلبها او قيا
بعدها بينهم وتنكد عيشهم ولم يحصلوا على كلية
اغراضهم كما قيل   ان اشقيا الناس لا يستفيقون
عن انهم فيها عراة وجياع   ارى الدار وان كانت قليلة
كأنها   سحابة صيف عن قريب تقشع فلا تشتغل
وقوع امثال هذه فالذة ما ظهر منها الا ما هو مستغنى
وصفها واجب تعيينها من جدار المكاره التي
هي خاتية لها قال بعض الحكماء لولا ان الدنيا مبنية
على المكاره لجعلت منبعة للاعلم في الورنيع
وسياق التنبيه على الحكمة في هذا عند قوله انما
جعلناها محلا للاعتبار ومعدنا لوجود الاكدار فتزهد الك
فيها وفي بعض الحكاية المنقولة عن جعفر الصادق
رضي الله عنه انه قال من طلب ما لم يخلق اتعب نفسه
ولم يرزق فقيل له وما ذلك قال الراحة في الدنيا وفي
معناه انشدوا   تطلب الراحة في دار الفنا
خاب من يطلب شيئا لا يكون. وقال بعض البلغاء
فملتمس السلامة في دار المنازل والمعاطب كالمتمرغ
على مراحي الحبالة ومحدا العقار. وقال ابن مسعود
رضي الله

٢٢ رضي الله عنه الدنيا كلها غموم فما كان منها من سرور فهو
ربح وقال الجنيد رضي الله عنه لست استبشع ما يرد علي
من العالم لاني قد اصلت اصلا الدار دار هم وغم وبلاء
وفتنة وان العالم كله شر ومن حكمه ان يلقاني بكل ما
اكره فان تلقاني بما احب فهو فضل والا فالاصل هو
الاول وقال ابو تراب رضي الله عنه يا ايها الناس
انتم تحبون ثلاثة اشياء وليست لكم تحبون النفس
والنفس لله والروح والروح لله وتطلبون المال والمال
للورثة وتطلبون اثنين ولا تجدونهما الراحة والفرح
وهما في الجنة فالواجب على العبد ان لا يعول على الراحة
في الدنيا نفسا ولا يركن منها الى ما يقتضي فرحا وانما
يعول على قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابو هريرة
رضي الله عنه الدنيا سجن المومن فتوطين العبد
على السجن في دنياه يهون عليه ما يلقاه ويجد السلوان
عند فقدان ما يهواه كما قيل   يمثل ذو اللب في لبه
شدائده قبل ان تنزلا   فان نزلت بغتة لم ترعه
لما كان في نفسه مثلا   راى الامر يفضي الى اخره   فصير
اخره اولا   وذو الجهل يامن ايامه   وينسى مصارع

من يَذق لا دَهَتهُ صُرُوفُ الزَّمَانِ بِبَعْضِ مَطَالِبِهِ
أتوا لا وَلَو دَفَعَ الحَزْمَ عَن نَفْسِهِ لَعَلَّمَهُ الصَّبْرُ عِندَ البَلَا
فليتلق المريد ما يرد عليه من الله بالصبر والرضى
والاستسلام عند جريان القضاء فعن قريب ينجلي الامر
ويستوجب من الله تعالى جزيل الاجر والله تعالى ولي
التوفيق وقال احمد بن ابي الحواري رضي الله عنه قال لي
سليمن الداراني جوع قليل وعري قليل وذل قليل
وصبر قليل قد انقضت ايام الدنيا واعلم ان ما ذكرته
من الصبر هو جماع كل خصلة فضيلة وملاك كل فعلة
جزيلة ومكرمة نبيلة قال الله عز وجل وتمت كلمة
ربك الحسنى على بني اسراءيل بما صبروا وقال تعالى
وجعلنا منهم ايمة يهدون بامرنا لما صبروا وقال
عز من قائل انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
وفي وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس
رضي الله عنه ان استطعت ان تعمل لله بالرضى
في اليقين فافعل والا فاصبر فان في الصبر على ما
تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر
والفرج مع الكرب واليسر مع العسر وقال عمر
رضي

رضي الله عنه لرجل ان صبرت مضى امر الله وكنت ماجورا
وان جزعت مضى امر الله وانت مازور وقال علي رضي الله عنه
افضل العدة الصبر عند الشدة وفي بعض الاخبار انتظار الفرج
بالصبر عبادة وقد قال الشاعر
إِنَّ الأُمُورَ إِذَا انسَدَّت مَسَالِكُهَا ... وَالصَّبْرُ يَفْتَحُ عِندَ كُلِّ مُرْتَتِجِ
لَا تَيْأَسَنَّ وَإِن طَالَت مُطَالَبَةٌ ... إِذَا اسْتَعَنتَ بِصَبْرٍ أَن تَرَى فَرَجًا
أَخْلِق بِذِي الصَّبْرِ أَن يَحْظَى بِحَاجَتِهِ ... وَمُدْمِنِ القَرْعِ لِلأَبْوَابِ أَن يَلِجَا
فمن جعل الصبر معتمده
واعتده من افضل عدده ووسايله فهو مصيب في رايه
منجح في سعيه ومن جزع من المصايب واضطرب عند وقوع
النوايب كان جزعه فيها يزيده ضرا ويكسبه وزرا
ويفوته اجرا وناهيك به خسرا كما قيل
وَإِذَا أَتَتْكَ مُصِيبَةٌ فَاصْبِرْ لَهَا ... عَظُمَتْ مُصِيبَةُ مُبْتَلًى لَا يَصْبِرُ
وكما قيل
وَعُوِّضْتَ أَجْرًا مِن فَقِيدٍ فَلَا يَكُن ... فَقِيدُكَ لَا يَأْتِي وَأَجْرُكَ يَذْهَبُ
ما توفيق مطلب انت
طالبه بربك ولا تيسر مطلب انت طالبه بنفسك
من انزل حوايجه بالله تعالى والتجا اليه وتوكل
في امره له عليه كفاه كل مؤونة وقرب عليه كل بعيد
ويسر عليه كل عسير ومن سكن الى عمله وعقله

واعتمد على قوته وحوله وكل الله تعالى الى نفسه
وخذله وحرمه توفيقه وامهله ولم ينجح له طلبه
ولم يتيسر منه ... وهذا معلوم على القطع من نصوص
الشريعة وانواع التجارب قلت وكلام المؤلف
رحمه الله تعالى عام يتناول كل طلب من المطالب
الدينية والدنيوية التي مآل امرها الى الدين واشرف
تلك المطالب واكثرها فوائد ومصالحه اخذ المريد
في سلوك سبيل التوجه فيه التحلي بالحق تعالى
احق واحرى وهو جدير بانه الرجوع الى الله تعالى اولا
وواجب بلا جرم كان من الراي الصحيح والامر الاكيد
ان يخصص من ذلك العام وان يفرد له عقيب هذه المسألة
بمزيد من الكلام فلذلك قال من علامة النجح في النها
يات الرجوع اليه في البدايات للمريد بداية ونها
ية فبدايته حال سلوكه ونهايته حال وصوله فمن
صحح بدايته بالرجوع الى الله تعالى والتوكل عليه
والاستعانة به كما ذكرناه اتضح وانجح في نهايته
وكان وصوله الى الله وامن عليه من الرجوع والانقطاع
قال بعض المشايخ ما رجع الا من رجع من الطريق

ولو وصلوا

ولو وصلوا ما رجعوا وقد لا يصح ذلك الا اذا كان
٢٥ من تعلقه بالحق لا بارادة اليه من نفسه والخلق انقطع
ورجع من حيث جاء قال بعض العلماء من انه يبطل الى الله
بغير الله قطع به ومن استعان على عبادة الله بنفسه
وكل الى نفسه فعلى العبد السالك ان يجعل معتمد امره
الاستعانة بالله على ما هو بسبيله ولا يرى حول نفسه
ولا قوتها كثير عمله ولا قليله فهذا هو اساس السلوك
الذي تبتنى عليه قواعده من اشرقت بدايته اشرقت نهايته
هذه عبارة اخرى موافقة لمعنى ما قبلها فاشراق بداية المريد برجوعه
الى الله تعالى في مهماته وثقته به في ملماته واشراق نهايته
الوصول الى قربه والحصول في حضرته ما استودع في غيب
السرائر ظهر في شهادة الظواهر هذا ايضا علامة
يعرف بها حال السالك وما انطوى به باطنه من المريد
والتدارك لان الظاهر مرآة الباطن كما قيل
الاسرة تدل على السريرة وما خامر القلوب فعلى الوجوه
يلوح اثره فما استودع الله تعالى القلوب والاسرار
لا بد ان تظهر اثار ذلك على الجوارح فيستدل بشاهد
العبد على الغائب من اوصافه صحته والواصلة وما اشبه

هذا من الاغراض والمقاصد قال ابو حفص رضي الله
عنه حسن ادب الظاهر عنوان حسن ادب الباطن قال
النبي صلى الله عليه وسلم لو خشع قلبه لخشعت
جوارحه وقيل لما ورد ابو حفص العراق جاء اليه
الجنيد فرأى اصحاب ابي حفص وقوفا على رأسه يأتمرون
لأمره لا يخطئ احد منهم فقال يا ابا حفص ادبت اصحابك اداب
الملوك فقال لا يا ابا القاسم ولكن حسن الادب في الظاهر
عنوان ادب الباطن قلت وقد يكون من ذلك ان يجد المريد
في نفسه ويكون من امر مكرها على بصيرة ولا يجد في باطنه
من صلاح سريرته دون علانيته فمراده في قلبه
معرفة الله ومحبته ولم يظهر على ظاهره ثمرة ذلك
وما اثمر من اللهج بذكره والمسارعة الى اتباع امره
والاغتباط بوجوده والاستبشار عند تغير شهوده
والفراغ من القواطع الشاغلة عنه والاضراب عن الوسائط
به المبعدة منه فهو كاذب في دعواه متخذ الهه
هواه فإن كان موصوفا باضداد هذه الخصال مفتخرا
بظهوره عن حدود الاعتدال فهو في دعواه اكذب
وحاله للنفاق والشرك اقرب قال الشيخ ابو طالب
المكي

المكي رضي الله عنه قد جعل الله تعالى وصف الكافرين انهم
اذا ذكر الله وحده في شيء تقبض قلوبهم واذا ذكر غيره
فرحوا وجعل من نعوتهم انهم اذا ذكر الله تعالى بتوحيده
والافراد بشيء غلوا ذلك وكرهوه واذا اشرك غيره
في ذلك صدقوا اجابه فقال تعالى واذا ذكر الله وحده
اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين
من دونه اذا هم يستبشرون وقال تعالى ذلكم بانه اذا دعي الله
وحده كفرتم والحكم المخطية وان يشرك به تؤمنوا والشرك
المخالفة ان يغفله بذكره ذكر سواه ثم قال فالحكم لله العلي الكبير
يعني لا يشركه خلقه في حكمه لانه العلي في عظمته الكبير في سلطانه
لا شريك له في ملكه وعطائه ولا نظير له في عبادته في دليل
هذا الكلام وجهه من الخطاب ان المؤمنين اذا ذكر الله بالتوحيد
والافراد في شيء انشرحت صدورهم واتسعت قلوبهم
واستبشروا بتوحيده واذا ذكرت الوسائط والاسباب
التي دونه كرهوا ذلك واشمأزت قلوبهم وهذه علامة صحيحة
فاعرف بها من قلبك او من قلب غيرك لتستدل بها على
حقيقة التوحيد في القلب او وجود خفي الشرك في السر
ان كنت عارفا انتهى قلت وهذه المسألة التي

بعد كلام الشيخ ابي طالب المكي رحمه الله ورضي عنه من اعلام
المسايل على صدق الصادق وكذب الكاذب ومن اوضح
الدليل والبرهان فلنقدم بهذا التنبيه استفتاح
ذكر الفوائد العجيبة والحرص على رسم المقاصد الغريبة
لغربة العلم في هذا الزمان الرذل واستيلاء الغفلة
والجهل على المنسوبين الى العلم والفضل حسبما اراد هذه
الكلمة على جهة ضرب المثل والاكتفاء بالنقل عن العقل
ليحصل بمقتضى ذلك مريد سالك والمنتفع من نفاعة
ربه في دينه وقلبه او في المسالك واجمل على هذا الاسلوب
على كلام لم تظهر لك مقاصده ولم تفهم في فكرك هذا
لتستسلم بذلك من الاعتراض وتعلوا همتك عما
تولع به اصحاب القلوب الامراض عافانا الله من ذلك بمنه
وفضله فشتان بين من يستدل به او يستدل عليه
المستدل حتى يستدل عليه ومتى به عرف الحق
لاهله واثبت الامر من وجود اهله والاستدلال
عليه من عدم الوصول اليه والا فمتى غاب حتى يستدل
عليه ومتى بعد حتى تكون الاثار هي التي توصل اليه بنوا
ادم في ان تشتتهم وجمعهم اختلفتهم وفرقهم

كـ بطون

من بطون امهاتهم بالجهل وعدم العلم قال الله تعالى والله اخرجكم
من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا ثم ان الله تعالى لما اختص
بعضهم بخصوصية عنايته واختار منهم من اهله لولايته
وهدا لك الا بحصول العلم الذي يتخلص به وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة التي يتحقق بها النسبة ويوجب لهم الزلفة والقربة
المشار الى ذلك بقوله لعلكم تشكرون فجعلهم قسمين
مرادين ومريدين وان شئت قلت مجذوبين وسالكين وكلاهم
مراد ومجذوب على التحقيق قال الله عز وجل الله يجتبي اليه من يشاء
ويهدي اليه من ينيب فالمريدون السالكون الى الله تعالى في حال
سلوكهم محجوبون من بعضهم برؤية الاغيار بالاثار والاكوان
ظاهرة لهم وموجودة لديهم والحق تعالى غيب عنهم بعضهم
يستدلون بها عليه في حال ترقيهم والمرادون المجذوبون كانوا
الله تعالى بوجهه الاكرم وتعرف اليهم فعرفوه به قبل
ان عرفوه على هذا الوجه احتجبت الاغيار عنهم فلم يروها فهم
يستدلون به عليها في حال تدليهم فهذا هو حال العارفين
وشتان ما بينهما اي بعد ما بينهما وذلك ان المستدل به على
غيره عرف الحق الذي هو الوجود والواجب لاهله وهو
المفتقر بوصفه القدم واثبت الامر المشار به الى الاثار

العدمية من وجود اصله المشار به الى المؤثر المتقدم وجوده
والمستدل بغيره عليه على عكس ما ذكرناه لانه استدل
بالمجهول على المعلوم وبالمعدوم على الموجود وبالامر الخفي
على الظاهر الجلي وذلك الوجود لوجود الحجاب ووقوفه مع
الاسباب وعدم الاستغلال به بالوصول والاقتراب والا فمتى غاب
حتى يستدل عليه بالاشياء الحاضرة ومتى بعد حتى تكون الاثار
القريبة هي توصل اليه او فقد حتى تكون الاثار الموجودة هي التي
تدل عليه. عَجِبْتُ لِمَنْ يَبْتَغِي عَلَيْكَ شَهَادَةً * وَأَنْتَ
الَّذِي أَشْهَدْتَهُ كُلَّ شَاهِدِ * فان قلت الطريقة المقرر وعلم
ان الادلة انما نصبت لمن يطلب الحق لا لمن يشهده فان
الشاهد غني بوضوح الشهود عن ان يحتاج الى دليل
فتكون المعرفة باعتبار توصيل الى مسائل اليها كسبية
ثم تعود الى نهاية ينتهي ضرورية واذا كان من الكائنات ما
هو غني بوضوحه عن ان يستدل به فالمكون اولى بغناه
عن الدليل منها ثم قال ومن اعجب العجب ان تكون الكائنات
موصلة اليه فليت شعري هل لها وجود معه حتى توصل اليه
او هل لها من الوضوح ما ليس له حتى تكون هي المظهرة له وان
كانت الكائنات موصلة اليه فليس لها ذلك من حيث ذاتها

لكن هو

٢٨

لكن هو الذي ولاها رتبة التوصيل فوصلت فما وصل اليه غير
الا به والكن الحكيم هو واضع الاسباب وهي لمن وقف
عندها لا لمن نفذ الى قدرته غير الحجاب ليُنفق ذو سعة
من سعته الواصلون اليه ومن قدر عليه رزقه السائرون
اليه هذا اشارة تلميحية الى حال الفريقين فالواصلون
الى الله تعالى لما خرجوا من سجن رؤية الاغيار الى فضاء
التوحيد وكمال الاستبصار اتسعت مساحة نظرهم فانفقوا
من سعتهم وتوجهوا عن الحصر كيف شاؤوا والسائرون اليه
مقدور عليهم في ارزاق العلوم والفهوم محبوسون في مضايق
الخيالات الى ان ينفذوا منها فانتهى الامر الى الرزق المعلوم
المقدر والمضيق. اهتدى الراحلون اليه بانوار التوجه
والواصلون لهم انوار المواجهة فالاولون للانوار
وهؤلاء الانوار لهم لانهم لله لا لشيء دونه
انوار التوجه هي ما ينتج الى الله تعالى لما خرجوا
من سجن رؤية الاغيار والرقة من عبادات ومعاملة ومجا
هدات ومكابدات وانوار المواجهة ما ظهر الله لهم
من تعرف وتقرب وتودد وتحبب فالاولون طالبة الانوار
لوجود حاجتهم اليها في الوصول الى مقصودهم والاخرون

مناسم

الانوار لهم لوجود غناهم عنها برؤية وجه الله
لا الشيء دونه وسيأتي هذا المعنى عند قوله انت
مع الاكوان ما لم تشهد المكون فاذا شهدته
كانت الاكوان معك قل الله ثم ذرهم في خوضهم
يلعبون افراد التوحيد بعدم ملاحظة الاغيار وهو
هو اليقين ورؤية ما سوى الله تعالى خوض ولعب وهما
من صفة الكافرين والمنافقين قال الله عز وجل اخبارا
عنهم وكنا نخوض مع الخائضين وقال تعالى بل هم
في شك يلعبون وقال رضي الله عنه تشوفك الى ما
بطن فيك من العيوب خير لك من تشوفك الى ما
حجب عنك من الغيوب حكم المريد ان يتشوف الى ما
غاب عنه من عيوب نفسه ويطلبها ويفتش عنها
فان ذلك هو حق الله تعالى منه فينبغي ان يحرص عليه
ويصرف عنان اشتياقه اليه ليحصل له سواء اعماله من
الآفات وصفاء احواله من الكدرات وينتفي عنه الجهل
والغرور وتنقطع عنه مواد الشرور وقد ذكر
ابو حامد الغزالي رضي الله عنه في كتاب رياضة النفس
في صفة الطريق التي بها يتعرف الانسان عيوب نفسه

فلينظر

فلينظر فيه المريد فقد جعل حاصله اربعة اوجه
٢٩ احدها ان يجلس بين يدي شيخ بصير بالعيوب والآفات
يحكمه على نفسه ويتبع اشارته فيما يشير به عليه
والثاني مصاحبة صديق صادق يجعله رقيبا على احواله
واعماله لينبهه على ما يخفى عليه من مذام خلاله
والثالث ان يستفيد معرفة عيوبه من اعدائه اذ لابد
من جريان ذلك على السنتهم عند ثلبهم وغيبتهم والرابع
ان يستفيد ذلك من مخالطة الناس اذ يطلع بذلك على مسا
ويهم فاذا اطلع عليها منهم علم انه لا ينفك هو عن شيء
منها لان الطباع البشرية في ذلك متقاربة وقد يظهر له
في نفسه ما هو اعظم مما يراه في غيره فيطالب نفسه
حينئذ والتنزه عنها هذا تلخيص ما ذكره ثم قال
وهذه كلها حال من فقد شيخا عارفا ذكيا بصيرا بالعيوب
النفس مشفقا ناصحا في الدين فارغا من تهذيب
نفسه مشغول بتهذيب عباد الله ناصحا لهم فمن وجد
الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه
من الهلاك الذي هو بصدده انتهى واما طلبه للغيوب
المحجوبة عنه من خفايا القدر ولطائف الغيب

فإنه حظ نفسه لا حق عليه فيه للحق تعالى فليكن عندك
نفسا ولا يشتغل بها عقلا ولا حسا وما ظهر له منه
فلا يسكن اليه ولا يعول عليه فإن ذلك من العجائب
القادحة في عبوديته ولهذا قال الذاكر طالب الاستقا
مة ولا تكن طالب الكرامة فإن نفسك تتحرك وتطلب
الكرامة ومولاك يطالبك بالاستقامة ولأن تكون بحق
مولاك أولى بك من أن تكون بحظ نفسك ومن الحكا
يات في هذا المعنى الذي ذكرناه ما روي في الاسرائيليات
عن وهب ابن منبه رضي الله عنه ان رجلا من بني اسرائيل
هام سبعين سنة يفطر في كل سبعة ايام فسال
الله تبارك وتعالى ان يريه كيف يغوي الشيطان الناس
فلما طال ذلك عليه ولم يجبه قال لو اطلعت على خطيئتي
وذنبي بيني وبين ربي لكان خيرا من هذا الامر الذي
طلبته فارسل الله اليه ملكا فقال له ان الله تعالى
ارسلني اليك وهو يقول لك ان كلامك هذا الذي
تكلمت احب الي مما مضى من عبادتك وقد فتح
الله بصرك فانظر فإذا جنود ابليس قد احاطت
بالارض واذا ليس احد من الناس الا والشياطين حوله

كالذباب

كالذباب فقال اي رب من ينجو من هذا فقال الورع اللين
وسيأتي فإن الكرامات غير مطلوبة التحصيل
ولا مختصة بوجودها الذي كل عالم نبيل عنه قوله
ليس كل ما ثبت تخصيصه كمل تخليصه الحق ليس بمحجوب
وانما المحجوب انت من النظر اليه اذ لو حجبه شيء لستره
ما حجبه ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر وكل حاصر
لشيء فهو له قاهر وهو القاهر فوق عباده الحجاب
عن الحق تعالى محال واستدل المؤلف على ذلك بما ذكرناه وهو
بين لا اشكال فيه والحجاب على العبد واجب من حيث ذاته
اذ هو عدم كما تقدم ولا نسبة بين العدم وبين الوجود
فإن اراد الله تعالى رفع هذا الحجاب عمن شاء وكيف شاء ومتى
شاء رءا من ليس كمثله شيء وهذا مما يجب اعتقاده
اخرج من اوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك
لتكون لنداء الحق مجيبا ومن حضرته قريبا اوصاف
البشرية المتعلقة بالدين نوعان احدهما ما يتعلق
بظاهر القلب وجوارحه وهي الاعمال والثاني ما يتعلق
بباطنه وتعلقه وهي العقود ثم كل منهما يتعلق بظاهره
وجوارحه فينقسم الى قسمين ما وافق الامر ويسمى

طاعة والثاني ما خالفه ويسمى معصية واما ما يتعلق
بباطنه وقلبه فينقسم ايضا الى قسمين احدهما
ما وافق الحقيقة ويسمى ايمانا وعلما والثاني ما خالفها
ويسمى نفاقا وجهلا والتقرب بما يتعلق بظاهر
العبد يسمى في الاصطلاح تفقها والتقرب بما يتعلق
بباطنه يسمى في العرف تصوفا وهذان الامران جميعا
كلمية الشجرة وظاهره تابع لباطنه بالضرورة لان القلب
هو الملك والجوارح جنوده ورعيته ومن شان
الرعية طاعة الملك فيما يامر به وينهى عنه
وقد نبه على هذا المعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح جميع الجسد
واذا فسدت فسد الجسد الا وهي القلب وصلاح
القلب انما يكون بطهارته عن الصفات المذمومة
دقيقها وجليلها وهذه هي الصفات المناقضة
للعبودية من اوصاف البشرية التي اشار اليها
المؤلف رحمه الله وهي تسمى عند اصحابها سمة النفاق
والعيوب وهي كثيرة مثل الكبر والعجب والرياء و
السمعة والحقد والحسد وحب الجاه والمال

ويتفرع

ويتفرع من هذه الاصول فروع خبيثة من العداوة و
البغضاء والتذلل للاغنياء واستحقار الفقراء وترك
الثقة بمجيء الرزق وخوف سقوط المنزلة من قلوب
الخلق والشح والبخل وطول الامل والاشر والبطر والغش
والمباهات والتصنع والمداهنة والقسوة والفظاظة
والغلظة والغفلة والجفاء والطيش والعجلة والحدة
والحمية وضيق الصدر وقلة الرحمة وقلة الحياء
وترك القناعة وحب الرياسة وطلب العلو و
الانتصار للنفس اذا نالها الذل وذهاب ملك النفس
اذا ورد عليه قول الى غير ذلك من النعوت الذميمة
والاخلاق الاثيمة واصل جميعها وعنصر ينابيعها
انما هو رؤية النفس والرضى عنها وتعظيم قدرها
وترفيع امرها فبهذه الامور كبر من كبر وفسق
من فسق وعصى من عصى وبها خلع من عنقه ربقة
ربقة العبودية لربه عز وجل موضع حسب ما
يقول المؤلف رحمه الله فيما بعد هذا وشان الصوفي
انما هو النظر فيما يطهرها ويزكيها من انواع الرياضة
والمجاهدة وقد يتفاوتون في ذلك كما قال الشيخ

ابو طالب المكي رضي الله عنه ولا يكون المريد بالاحق
يبدل بمعاني صفة الربوبية صفات العبودية وباخلاق
الشيطنة بخير اوصاف المومنين وبطبايع البهايم اوصاف
الروحانيين من الاذكار والعلوم فعندها يكون مريدا لا مقربا
قال والطريق الى هذا ان تملك نفسك فتملكها فتحكم
لك وتسلط عليها فاذا اردت ان تملك نفسك فلا تملكها
وضيق عليها ولا توسع عليها ولا توسع لها فان ملكتها ملكتك
وان تضيق عليها اتسعت عليك فاذا اردت الظفر بها فلا
تعرضها لهواها واحبسها عن عادة بلائها فان نفسها
انطلقت بك وان اردت ان تقوى عليها فاضعفها بقطع
اسبابها وحبس موادها والا قويت عليك فسرعنا انتهى
فاذا اقام بذلك المريد على الوجه الذي رسمو له والتزم الوظايف
التي امروه بها طهر قلبه وتزكت نفسه واتصف
بمحاسن الصفات التي تزينه بين العباد وينال بها مرتبة
ذوي غاية المراد فتظهر حينئذ عليه اثار حميدة من
التواضع لله والخشوع بين يديه والتعظيم لامره والمحبة
لحدوده والهيبة له والخوف منه والثقة الى ربه بنعمه والا
خلاص في عبوديته والرضى بقضايه ورؤية المنة لله

عليه

عليه في منعه وعطايه وينصف فيها بين خلقه بالرافة
والرحمة واللين والرفق وسعة الصدر والحلم والاحتمال ٤٢
والصيانة والنزاهة والامانة والثقة والعفو والتقى
والوفاء والسخاء والجود والحياء والبشاشة والنعيمة
وسلامة الصدر الى غير ذلك من اخلاق الايمان التي بها ينال
العبد غاية السعادة والحسنى والزيادة قلت
وهذان المعنيان هما اللذان يعبر عنهما ايمة الصوفية
رضي الله عنهم بالتخلي والتحلي اي التخلي عن الصفات المذمومة
والتحلي بالصفات المحمودة ويعبرون عنهما ايضا
بالتزكية والتحلية وهما حقيقة السلوك الذي يعبرون
به ايضا وستاتي الاشارة الى كيفية ذلك عند قوله
لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السايرين فاذا اصلح
للمريد هذا السير وانقلب منه الى الفضل مستقر وتحققت
عبوديته لربه عز وجل فلم يملكه غيره ولم يسترقه
سواه وان يرقى في القرب من ربه الى اشرف محل فيكون
هنالك منزله ومثواه فيكون حينئذ كما قال المولى
كن لله ايها المرء محبوبا لانه اذا كان عبدا لربه بالسمع
العبد فيقول له يا عبدي فيجب حينئذ مولاه

باسم الرب فيقول لبيك فربي يكون هذا فاذا اجابته
متمتعا في نسبته ويكون ايضا من حضرته قريبا والوجود
يعده عن نفسه التي من شانها النفور عنها والعراء منها
فاذا فهم العبد تعلقه مقام العبودية وحاز مرتبة العز
من حضرة الربوبية كان محبوها من اقتحام الاوزار
ميسرة عليه الاعمال الاخيار ومتحليا في الظاهر والباطن
بانواع الخلق متخلقا بفضيلة التشبه بالملا الاعلى قال
الله عز وجل ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا
يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقال
تعالى ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه
وله يسجدون وقال عز من قايل لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يومرون فمن فوته العبدية الا ان اتصفهم
هذه الخصوصية وكذلك من تشبه بهم في محاسن
صفاتهم من الصفوة الصوفية الا ان هولاء محفوظون
لا معصومون على ما اصطلحوا عليه من الفرق بين الحفظة
والعصمة والفرق بينهما ما قاله الامام ابو القاسم
القشيري رضي الله عنه ان المعصوم لا يلم بذنب
البتة والمحفوظ قد يحصل منه هناة وقد تكون له

في القدرة

في القدرة زلة ولكن لا يكون له اصرار اولئك الذين يتوبون
من قريب وقد وصف الله عباده في التنزيل اوصاف التطهير
والتقديم في ايات كريمة بصفات جليلة عظيمة واعد
لهم خيرات جسيمة قال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون
على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الى
قوله حسنت مستقرا ومقاما اولئك ما قاله اهل
التفسير وما استنبطه منها ارباب الاشارة والتذكير
واما من عدا هولاء فهو عنه تعس عبد الدينار تعس عبد
الدراهم الحديث وهولاء هم عبيد العدد المعنيون
بقوله عز وجل ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن
عبدا لقد احصاهم وعدهم عدا وكلهم اتيه يوم القيمة
فردا واعلم انه لا ينتهي هذا السلوك الى حضرة ملك
الملوك الا لمن وفقه الله تعالى لمعرفة نفسه وما له
تركبت عليه من مذموم الصفات ومن دام نفسه لا يزال
متهما لها مسيئا ظنه بها اذ اخوف ما منها والاوقع
في المعاصي والذنوب من حيث لا يشعر وقد نبه المولف
رحمه الله تعالى على هذا بقوله اصل كل معصية وغفلة وشهوة
الرضى عن النفس واصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضى

منك عنها الرضى عن النفس اصل جميع الصفات المذمومة
وعدم الرضى عنها اصل الصفات المحمودة وقد اتفق على
هذا جميع العارفين من ارباب القلوب وذلك لان الرضى عن النفس
يوجب تغطية عيوبها ومساويها ويصير قبيحها حسنا
كما قيل وعين الرضى عن كل عيب كليلة وعدم الرضى
عن النفس على عكس هذا لان العبد اذذاك يتهم نفسه و
يطلب عيوبها ولا يغتر بما تظهره من الطاعة والانقياد
كما قيل في الشطر الاخر ولكن عين السخط تبدي
المساويا فمن رضي عن نفسه استحسن حالها وسكن
اليها استولت عليه الغفلة وبالغفلة ينصرف قلبه
عن التفقد والمراعاة لخواطره فتثور حينئذ دواعي
الشهوة على العبد وليس عنده من المراقبة والتذكير
ما يدفعها به ويقهرها فتصير الشهوة غالبة له بسبب
ذلك ومن غلبته شهوته وقع في المعاصي لا محالة
واصل ذلك كله رضاه عن نفسه ومن لم يرض عن نفسه
لم يستحسن حالها ولم يسكن اليها ومن كان بهذا
الوصف كان متيقظا متنبها للطوارق والعوارض
وباليقظة والتنبه يتمكن من تفقد خواطره

ومراعاتها

44

ومراعاتها وعند ذلك تخمد نيران الشهوة فلا يكون لها
عليه غلبة ولا قوة فيتصف العبد حينئذ بصفة العفة
فاذا صار عفيفا كان مجتنبا لكل ما نهى الله عنه ممتثلا
ايضا على جميع ما امر به وهذا هو معنى الطاعة لله عز وجل
واصل هذا كله عدم الرضاء عن نفسه فلذا الاشياء اوجب
على العبد من المعرفة بنفسه ويلزم من ذلك عدم الرضى
عنها وبقدر تحقق العبد في معرفته بنفسه يصح له حاله
ويعلو مقامه وقد ورد عن كبار الائمة الاخيار من الكلمات
المتضمنة للتبري من نفوسهم والتهمة منهم لها وعدم
رضاهم عنها اكثر من ان يحصى ولذلك قال ابو حفص رضي
الله عنه من لم يتهم نفسه على دوام الاوقات ولم يخالفها
في جميع الاحوال ولم يجرها الى مكروهها في سائر ايامه كان
مغرورا ومن نظر اليها باستحسان شيء منها فقد
اهلكها وكيف يصح لعاقل الرضى عن نفسه والكريم ابن
الكريم يقول وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء
وقال ايضا رضي الله عنه منذ اربعين سنة اعتقادي في نفسي
ان الله ينظر الي نظر السخط واعمالي تدل على ذلك وقال
الجنيد رضي الله عنه لا تسكن الى نفسك وان دامت طاعتها

لك في هذا عن ربك وقال ابو سليمان الداراني رضي الله عنه
ما رضيت عن نفسي طرفة عين ويحكى عن سري السقطي
رضي الله عنه انه قال اني لانظر الى انفي في اليوم كذا وكذا
مرة مخافة ان يكون قد اسود لما اخاف من العقوبة
وقال ايضا رضي الله عنه من الناس ناس لو مات نصف احدهم
ما انزجر نصفه الاخر ولا احسبني الا منهم الى غير هذا من
العبارة الصادرة عن المشايخ رضي الله عنهم في هذا المعنى
وقد الف الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي جزءا صغير
الجرم عظيم الفائدة في عيوب النفس وكيفية مداواتها
فلينظر فيه المريد وكذلك الف قبله الامام ابو عبد الله
الحارث المحاسبي رضي الله عنه كتابا سماه بالنصائح
جمع فيه من معايب النفس وخدعها وغرورها وشرورها
جملة شافية كافية ونبه فيه على مستقر داء وغمة عاقبة
مما كان عليه سلفنا الصالح رضوان الله عليهم من التفتيش
والتيقظ والنظر فيما تعلق به اعمالهم واحوالهم وتحسسه
والمحافظة على تطهير الاسرار والقلوب والمبالغة في الحذر من
محظورات الذنوب وقد نقل الامام ابو حامد الغزالي رضي الله عنه
فصلا في كتابه واعتمد فيه ذكره بلفظه ونحن نخطب به

بعد

بعد ان اثني على مولاه بما هو اهله بان الجاهل به علمه وفضله
فقال في حقه والمحاسبي رحمه الله خبير الايمة على المعاملة و
له السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات
الاعمال واغوار العبادات وكلامه جدير بان يحكى على وجهه
ثم ذكره وقد كان احد زمانه علما وعبادة وتحفة اوانه
ورعا وزهدا سمعت الحاج ابو العباس ابن عاشر رحمة الله
عليه ورضوانه يكثر من التحريض على مطالعة ذلك والعمل بما
تضمنه من حكم وصواب واتفق سمعته ذات يوم يقول لا يحصل
بما فيه الاولياء وكلاما هذا معناه فليتخذ المريد مطالعته
وردا وليحرص على العمل بما تضمنه مستعينا بالله تعالى وسائلا
منه توفيقا وليتفقه النصح لمولاه في مراعاة اصلاح باطنه
والقيام على قدم الصدق في مواطن عباداته وليجعل عادته
مطالعة كتب التصوف وموالاة اهله بالتالف في دينه
ولا يقدم على ذلك الا بورع يقيمه وما يستقيم به نفسه
من مكايدات التعب ان المريد يشتغل نفسه بعلم
يغير وجه مقصوده ويوجب التفات مواقفه وعقوده
وهو ما اكثر الله عليه البدع وحاد به عن سنن القوم
حتى تعرف لهم بسبب ذلك من رذائل الصفات ومظالم الافات

مرادهم الى الهلاك والشقاء واعقبهم النفاق في قلوبهم
الى يوم القيامة وسجل عليهم بالكذب في دعواهم انهم
قاصدون بعملهم رضى مولاهم فاياك واياهم افهم
اشفقت لو نويت خيرا :: ولكن لا حيلة لمن لا يدري
ولذلك قال الشيخ المؤلف رحمه الله وان تصحب جاهلا
لا يرضى عن نفسه خير لك من ان تصحب عالما يرضى
عن نفسه فاي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه واي علم
لعالم يرضى عن نفسه فإن فائدة الصحبة انما هو الزيادة في
الحال وعدم النقصان فيها حسبما في الكلام عليه عند
قوله لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله فصحبة
من رضي عن نفسه وان كان عالما شر محض ولا فائدة فيها لان علمه
غير نافع وجهله الذي اوجب رضاه عن نفسه صار غاية الضرر
وكانه اذا فاته هذا العلم الذي يريه عيبه حتى لا يرضى عن
نفسه لا علم عنده وصحبة من لم يرض عن نفسه وان
كان جاهلا خير محض وفيه كل الفائدة لان جهله غير
ضار وعلمه الذي اوجب له عدم رضاه عن نفسه نافع
غاية النفع وكانه اذا حصل له هذا العلم لا جهل عنده
شعاع البصيرة يشهدك قربه منك وعين البصيرة

يشهدك

يشهدك عدمك لوجوده وحق البصيرة يشهدك وجوده
لا عدمك ولا وجودك شعاع البصيرة نور العقل وعين
البصيرة نور العلم وحق البصيرة نور الحق فالعقلاء بنور
عقلهم شهدوا انفسهم وشهدوا ربهم قريبا منهم
فبالعلم والاحاطة والعلماء بنور علمهم شهدوا انفسهم
عدما في وجود ربهم والمحققون بنور الحق شهدوا الحق
ولو لم يشاهدوا معه سواه كان الله ولا شيء معه وهو الآن
على ما عليه كان فالازمنة ههنا امور وهمية لا وجود لها على التحقيق
والمقصود ان الله لا شيء معه في الثبوت احديته :: فلم يبق
الا الحق لم يبق كاين فما ثم موصول ولا ثم بائن بذا جاء
برهان العيان فما ارى :: بعيني الا عينه اذ اعاينه وبيانه
من كلام المؤلف رحمه الله الاكوان ثابتة باثباته وممحوة
باحدية ذاته وقال رضي الله عنه لا تتعد نية همتك الى غيره
فالكريم لا تتخطاه الامال الهمة العلية لا تنقطع من رجوع
حوائجها الى غير كريم ولا كريم على الحقيقة سوى الله
تعالى قال الجنيد رضي الله عنه الكريم لا يحوجك
الى المسالة وقال الحارث المحاسبي رضي الله عنه الكريم
الذي لا يبالي من اعطى وقيل الكريم الذي لا يخيب

رجوى الاملين واجمع العبارات في معنى الكرم ما
قيل في الكريم الذي اذا قدر عفا واذا وعد وفا واذا
اعطى زاد على منتهى الرجاء ولا يبالي كم اعطى
ولا لمن اعطى وان رفعت حاجته الى غيره لا يرضى
واذا جفا عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذ
به ويغنيه عن الوسايل والشفعاء واذا كانت هذه
الصفات لا يستحقها احد سوى الله تعالى حقا فالتجا الى الله
تعالى ينبغي اذ لا تتخطاه امال الاملين الى غيره
كما قال بعضهم ؞ حَرَامٌ عَلَى مَنْ وَحَّدَ اللهَ رَبَّهُ ؞
وَأَفْرَدَهُ أَنْ يَجْتَدِي أَحَدًا رِفْدًا ؞ وَيَا صَاحِبِي قِفْ بِي
عَلَى الْحَقِّ وَقْفَةً ؞ أَمُوتُ بِهَا وَجْدًا وَأَحْيَا بِهَا وَجْدًا
وَقُلْ لِمُلُوكِ الْأَرْضِ تَجْهَدُ جَهْدَهَا ؞ فَذَا الْمُلْكُ مُلْكٌ
لَا يُبَاعُ وَلَا يُهْدَى لا ترفعن الى غيره حاجة هو موردها
عليك فكيف يرفع غيره ما كان هو له واضعا من
لا يستطيع ان يرفع حاجته عن نفسه فكيف يستطيع
ان يكون لها عن غيره رافعا اذا اورد الله تعالى عليك
حاجة وانزل بك نازلة فاعلم انه لا رافع لها سواه
اذ يستحيل ان يرفع غيره ما كان هو له واضعا لثبوت

توحيده

توحيده بان لا فاعل سواه واذ هو غالب على امره لا يغلبه
احد فيستحيل ايضا ان يرفعها عنك من لا يستطيع
ان يرفعها عن نفسه لو نزلت به لثبوت عجزه وضعفه
ومن المحال تعلقك في حاجتك بمن هو محتاج مثلك
قال بعضهم من اعتمد على غير الله فهو في غرور لان الغرور
ما لا يدوم ولا يدوم شيء سواه وهو الدائم القديم
لم يزل ولا يزال وعطاؤه وفضله دائمان فلا تعتمد
الا على من يدوم عليك منه الفضل والعطاء في كل نفس
وحين واوان وزمان وقال عطاء الخراساني رضي الله عنه
لقيت وهب ابن منبه في الطريق فقلت حدثني
حديثا احفظه عنك في مقامي واوجز فقال اوحى
الله تعالى الى داوود عليه السلام يا داوود اما
وعزتي وعظمتي لا ينتصر عبد من عبادي بي دون
خلقي اعلم ذلك من نيته فتكيده السموات
السبع ومن فيهن والارضون السبع ومن فيهن الا جعلت
له بينهن فرجا ومخرجا اما وعزتي وعظمتي
لا يعتصم عبد من عبادي بمخلوق دوني اعلم ذلك
من نيته الا قطعت اسباب السموات من يده

وانخسفت الأرض من تحته ولا أبالي بأي واد هلك وقال
بعضهم كنت في مجلس يزيد بن هارون وكان إلى
جانبي رجل يسأل الله عن قصته وخبره فقال إني قد
نفقتي فقلت ومن تؤمل لها ترى بك فقال يزيد فقلت
إذا لا يسعفك بحاجتك لا تنجح طلبتك ولا يبلغك
أملك فقال وما علمك يرحمك الله قلت إني قرأت
في بعض الكتب أن الله عز وجل وعزته وجلاله وجوده
وكرمه وارتفاعه فوق عرشه في علو مكانه لأقطعن
أمل كل مؤمل لغيري بالإياس ولأكسونه ثوب
المذلة عند الناس ولأنحينه من قربي ولأقطعنه
من وصلي أيؤمل غيري في النوائب والشدائد بيدي
وأنا الحي وأنا الغني ويرجى غيري ويقرع بالفكر أبواب
غيري وبيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة وبابي
مفتوح لمن دعاني ومن ذا الذي أملني لنائبة فقطعت
به دونها ومن ذا الذي رجاني لعظيم جرمه فقطعت
رجاءه مني ومن ذا الذي قرع بابي فلم أفتحه له
جعلت آمال الخلق بيني وبينهم متصلة فتعلقت
بغيري وجعلت رجاءهم مدخورا لهم عندي

فلم يرضوا

فلم يرضوا بحفظي وملأت سماواتي ممن لا يملون تسبيحي
من الملائكة وأمرتهم أن لا يغلقوا الأبواب بيني وبين عبادي
فلم يثقوا بقولي ألم يعلم من طرقته نائبة من نوائبي
أنه لا يملك أحد كشفها غيري أفتراني أبدأ بالعطية
قبل المسألة ثم أسأل فلا أجيب سائلي أبخيل أنا
فيبخلني عبادي أليس الدنيا والآخرة لي أوليس الرحمة
والفضل بيدي أوليس الجود والكرم لي أوليس محل الآمال
فمن ذا الذي يقطعها دوني وما عسى أن يؤمل المؤملون
لو قلت لأهل سماواتي وأهل أرضي أملوني وأعطيت
كل واحد منهم مثل ما أعطيت الجميع ما انتقص ذلك
من ملكي عضو ذرة وكيف ينقص ملك أنا قيمه
فيا بؤسا للقانطين من رحمتي ويا بؤس من عصاني ولم يراقبني
ويتوثب على محارمي ولم يستحي مني قال رحمه الله
أملى هذا الحديث علي فكتبته ثم قال والله لا أكتب حديثا
بعده قلت والأصل الذي ينبني عليه هذا المعنى هو تحقق
العبد في مقام حسن الظن بالله تعالى وقد أخذ المؤلف
رحمه الله تعالى في ذكره بإشارة فقال **إن لم تحسن ظنك به**
لأجل وصفه حسن ظنك به لوجود معاملته معك

فهل عوّدك الا حسنا وهل اسدى اليك الا مننا

فـ في الظن بالله

حسن الظن بالله تعالى احد مقامات اليقين والناس فيه
على قسمين خاصة وعامة فالخاصة حسنوا الظن به
لما هو عليه من النعوت السنية والصفات العلية والعا
مة حسنوا الظن به لما فيه من سبوغ النعم وشمول
الفضل والكرم والتفاوت من المقامين ظاهر ولذلك لا يخاف
من الانقلاب والتغيير احد ممن يخاف في الظن الا ارباب
المقام الاول لما تحققوا في المعرفة بالله تعالى واحتظوا
بانوار اليقين به اطمانت قلوبهم وسكنت نفوسهم
فلم يبق فيهم متسع لوجود تهمة ولا مجال لسوء الظن
وارباب المقام الثاني لم يرتقوا عن نفوسهم الى الافعال
وهي متلونة عليهم في كل حال وعند وقوع بعض ما يلائم
بعضهم منهم ربما تضعف عن تحمل مكروهها
قوى قلوبهم فلا تحصل لهم البراءة من خواطر سوء
الظن بالله وتحدث النفس بما يقتضي وجود الهلع
والجزع فليفكر العبد عند ذلك مشاهدا معنى قوله
عز وجل وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم
وما اشبهه واليقين النادر على الغالب قال ابو

محمد عبد

محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه اهل الفهم
عبارة عن قطع الوهم ان يكون او لا يكون لان الوهم
قاتل وهو لوقت ثان فمتى اعطيته اذنيك للوهم
هلكت وشكيت وكذلك الاصغاء بالاذن الى الشيكر والنفس
بنفس واحد انتهى قلت وحسن الظن بالله يطلب
من العبد من امر دنياه ومن امر اخرته اما امر دنياه فان يكون
واثقا بالله تعالى في ايصال المنافع والمرافق اليه من غير
كد ولا سعي فيها او يسعى سعيا خفيفا ماذون فيه ومأجور
عليه وبحيث لا يفوته ذلك بشيء من قبل ولا همّ فيوجب
له ذلك سكونا وراحة في قلبه وبدنه فلا يستفزه
طلب ولا يزعجه سبب واما امر اخرته فان يكون
قوي الرجاء في قبول اعماله الصالحات وتوفية اجوره
عليها في دار الثواب والجزاء فيوجب له ذلك المبادرة
بامتثال الامر والتكثير من اعمال البر لوجدان حلاوة
واغتباطه ولذاذة ونشاطه وقد قال يحيى بن معاذ
رضي الله عنه اوثق الرجاء رجاء العبد ربه واصدق
الظنون حسن الظن بالله تعالى ومن مواطن حسن الظن
بالله تعالى التي ينبغي للعبد ان يلازمه فيها اوقات

حتى
الشدائد والمحن في المصائب في الاهل والمال والبدن
ايلا يقع بسبب ذلك في الجزع والتسخط وسياتي
هذا المعنى في كلام المولف وهو قوله من ظن انفكاك لطفه
عن قدره فذلك لقصور نظره ومن مواضع حسن الظن بالله
تعالى حالة الموت وقد جاء في الخبر لا يموتن احدكم الا وهو
يحسن الظن بالله تعالى وفي حديث جابر من استطاع منكم ان لا يموت
الا وهو يحسن الظن بالله تعالى فليفعل ثم تلا هذه الايات
وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم وقال الله تعالى
فيما يروي عنه انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء قال
ابو طالب المكي رضي الله عنه وكان ابن مسعود رضي الله
عنه يحلف بالله تعالى ما احسن عبد ظنه بالله تعالى الا
اعطاه الله عز وجل ذلك لان الخير كله بيده فاذا
اعطاه حسن الظن به فقد اعطاه ما يظنه لان الذي حسن
ظنه به هو الذي اراد ان يحققه له انتهى وقد ورد
عن ابي النضر حيان قال عايدا يزيد ابن الاسود فلقيت
واثلة ابن الاسقع وهو يريد عيادته فلما دخلنا عليه
وهو في فراشه فلما راى واثلة بسط يده وجعل يشير
اليه فاقبل واثلة حتى جلس على الفراش واخذ يزيد

ابن الاسود

ابن الاسود بكفي واثلة حتى جعلهما على وجهه
فقال له واثلة اسالك عن شيء تخبرني به قال لا تسالني
عن شيء اعلمه الا اخبرتك به فقال له واثلة كيف ظنك
بالله تعالى عز وجل فقال ظني والله بالله حسن قال فابشر
فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال
الله تبارك وتعالى انا عند ظن عبدي بي ان ظن خيرا وان ظن
شرا وروي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال
عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم مريضا فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم كيف ظنك بربك قال يا رسول الله حسن
الظن قال فظن به ما شئت فان الله تبارك وتعالى عند
ظن المومنين به وروى ابو هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم ان حسن الظن بالله عز وجل من حسن عبادة
الله تعالى قلت والاخبار والاثار في الرجاء وحسن الظن
بالله وسعة رحمة الله اكثر من ان تحصى ومطالعتها
مما يزيد المريد قوة في هذا المكان فمن اراد شيئا
في ذلك فعليه بمطالعة كتاب الرجاء من قوت القلوب
وكتاب الاحياء ثم نبه المولف رحمه الله تعالى الى
بمنازلتها يتحقق العبد بمقام حسن الظن بالله تعالى

وهو عكوف العبد بباب الله تعالى وتعلق قلبه بوجدانه
ونيته وإشارة إلى ذلك هو غاية النعيم ومنتهى
الآمال إلا ما تتوهمه النفس وتطلبه من النعيم
المعقول والأمتعة التي تفنى وتزول وحكم بأن
خلاف هذا من عمى القلب ومما يستحسن أن يتعجب
منه كل لبيب فقال العجب كل العجب ممن يهرب مما
لا انفكاك له عنه ويطلب ما لا بقاء له معه فإنها
لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
هرب العبد من مولاه بإقباله على شهواته ومتابعة
هواه وذلك نتيجة عمى قلبه ووجود جهله
بربه لأنه استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير وآثر
العاجل الذي لا بقاء له معه على الباقي الذي لا انفكاك
له عنه ولو كانت له بصيرة لآثر الباقي على الفاني
ولا فعل ما فعله سحرة فرعون لما آمنوا بربهم
إذا لم يبالوا بما وعدهم به فرعون من الأجر والأجر
والتقريب والإكرام ولم يكترثوا بما توعدهم به
من العذاب والقتل خيروا أبقى فعند ذلك استنارت
قلوبهم وشهدوا محبوبهم فكان منهم ما كان

لا ترحل

لا ترحل من كون إلى كون فتكون كحمار الرحى يسير
والذي ارتحل إليه هو الذي ارتحل منه ولكن ارحل من
الأكوان إلى المكون وأن إلى ربك المنتهى العمل لطلب
الجزاء والدرجات ونيل الرتب العالية والمعاد وفي ذلك نقصان
في الحال ونقص في الأفعال والأعمال وهو معنى الرحيل من كون
إلى كون وسبب ذلك بقاء أغيار النفس في أن تحصلها
رتبة وارتقال بسعيها إلى شهوتها وهذه كلها من
الأكوان والأكوان كلها متساوية في كونها أغيارا
وإن كان بعضها نورا وتمثيله بحمار الرحى مبالغة
في تقبيح حال العامليين على رؤية الأغيار وتلك
في دعا ينقسم إلى حسن الأدب بين يدي الواحد القهار
حتى يتحققوا بمعنى قوله وأن إلى ربك المنتهى
فيكون انتهاء سيرهم إليه وعكوف قلوبهم
عليه وتكون أعمالهم إذ ذاك وفاء بمقتضى العبودية
وقياما بحقوق الربوبية بفكر من غير التفات
النفس على أي حال تكون بهذا هو تحقق الإخلاص
للكائن عن مشاهدة التوحيد الخالص جعلنا
الله من أهله بمنه وفضله وانظر إلى قوله صلى

صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته الى الله ورسوله
فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا
يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه
فافهم قوله صلى الله عليه وسلم فهجرته الى ما هاجر اليه
وتامل هذا الامر ان كنت ذا فهم والسلام في هذا الحديث
النبوي تنبيه على المعنى الذي ذكره وهو موضع الاعتبار والتامل
والله اعلم قوله في القسم الثاني فهجرته الى ما هاجر
اليه ولا نصيب من الوصول والقرب الذي حظي به من
هاجر الى الله ورسوله وهو قوله فهجرته الى الله ورسوله
وهو من باب حصر المبتدا في الخبر كما تقول زيد صديقي
اي لا صديق له غيره وكلامه صلى الله عليه وسلم نبه
في القسم الثاني بالدنيا التي يريد ان يصيبها والمراة
التي يريد ان يتزوجها على حظوظ النفس والوقوف
عليها والعمل عليها كاينة ما كانت وان كان ظاهره
طلب الحظ العاجل فقوله فهجرته الى الله ورسوله
وهو معنى الارتحال من الاكوان الى المكون وهو المطلوب
من العبد وهو مصرح به غاية التصريح وقوله فهجرته
الى ما هاجر اليه وهو البقاء مع الاكوان والتشغل بها

هو

هو الذي نهاه عنه وهو مشار به بغير مصرح فليكن
المريد عالي الهمة والنية وقد احسن القايل
وكن ما قد خلقت له وقائما تخلق فمن لم يرض همته كشعرة
في مجرى فقال رجل لابي يزيد رضي الله عنه اوصني فقال ان
اعطاك من العرش الى الفرش فقل له لا انت اريد وقال ابو سليمان
الداراني رضي الله عنه لو خيرت بين ركعتين ودخول الفردوس
لاخترت ركعتين لان في الفردوس حظي وفي الركعتين حق ربي
وقال الشبلي رضي الله عنه احذر مكره ولو في قوله كلوا
واشربوا وان كان ظاهرها اكراما وانما هذا في باطنه ابتلاء
واختبارا حتى يظهر من هو معه ومن هو مع الحظ وقال رضي الله عنه
لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله
تكلم ها هنا في الصحبة وهي اصل كبير من اصول القوم وبها
منافع وفوايد ولذلك استمر عليها شانهم قديما وحديثا وقد
نبه المولف على فايدتها بقوله لا تصحب من لا ينهضك حاله
ولا يدلك على الله مقاله فعلم ان انهاض الحال ودلالة المقال على الله
تعالى هو فايدة الصحبة ومعنى الحال المنهضة ها هنا
ان تكون همته متعلقة بالله تعالى مرتفعة عن الخلق فهي
لا تلتجئ في حوايجه الا الى الله تعالى ولا يتوكل في اموره الا على الله

قد سقط الناس من عينه فلا يرى منهم ضرا ولا نفعا
وسقطت نفسه من عينه فلا يشاهد لها فعلا ولا
يقتضي لها حظا ويكون في اعماله كلها جاريا على مقتضى
الشرع وهذا صفة العارفين والمريدين فصحبة من
هذه حاله وان قلت عبادته ونوافله مامون الغائلة
محمود العاقبة فالصحبة لمثله فائدة دينية ودنياوية
لان الطبع يسرق من الطبع والنفس مجبولة على محبة
الاقتداء لمن تستحسن حاله ولا يشترط في المصحوب
اتصافه بتلك الصفات على غاية الكمال والتمام فان ذلك
محنة وانما يشترط فيه ان يتصف منها بما يكون
به صاحبه فقط بحيث يكون اعلا منه حالا واصوب
منه مقالا ومن لم يكن على هذا الوصف وكان شانه
المعاملة بالظاهر لا غير فليس له فائدة في صحبته بل
ربما زادته شرا لان خلطته تدعوه الى التنطع
له والتزين فيؤديه الى كبائر معاصي القلوب وهي
اشد عليه من معاصي الجوارح بكثير قال يوسف
ابن الحسين الرازي رضي الله عنه لان القى الله بجميع
المعاصي احب الي من ان القاه بذرة من التصنع

بيدخل

فيدخل بذلك عليه النقص في حاله من حيث رجاء
الزيادة فيه قال بعض الصوفية لا تعاشر من الناس
الا من لا تزيد عنده ببر ولا تنقص عنده باثم يكون
ذلك لك وعليك وانت عنده سواء وقال بعضهم
كن مع ابناء الدنيا بالادب ومع ابناء الآخرة بالعلم ومع
العارفين كيف شئت وقيل لبعض العالمين ان فلانا
يحبك ويكثر ذكرك فقال انه لحبيب الي واجله واعرف
قدره ولكن هون علي ان القى الشيطان مائة مرة ولا ان
القاه مرة واحدة فقيل له وكيف ذلك قال اخشى ان اتزين
له ويتزين لي قال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه
وكانت هذه الطائفة من الصوفية لا يصحبون الا على التساوي
اربعة معان لا يترجح بعضها على بعض ولا يكون فيها اعتراض
من بعض على بعض ان اكل صاحبه النهار كله لم يقل له صاحبه
صم وان صام الدهر كله لم يقل له افطر وان نام الليل كله
لم يقل له صاحبه قم وان صلى الليل كله لم يقل له صاحبه
نم بعضه وتستوي احواله عنده فلا مزية لاجل
صيامه ولا نقصان لاجل فطره ونومه قالوا واذا
كان يزيد عنده بالعمل وينقص بترك العمل فالفرقة

اشغلهم وابعد من الصوابات من قبل النفس مجبولة
على حب المدح وكره الذم ومولعات بان تعرض من العلانية
عروضا بدوا ان تظهر احسن ما يحسن عند الناس منها ولن تتطلب
ما يوجب المدح منهم وتتجنب ما يوقع الذم
عندهم فاذا صحب من يعمل معه هذا فليس ذلك
طريق الصادقين ولا بغية المخلصين فمجانبة هولاء
الناس اصلح للقلوب واسلم للدين فمعاشرة امثالهم
فساد القلب ونقصان الايمان وضعف اليقين لان هذه
اسباب الرياء وفي الرياء حبط الاعمال وخسران راس
المال والسقوط من عين ذي الجلال وكان الثوري رضي الله عنه
يقول من عاشر الناس داراهم ومن داراهم راياهم
ومن راياهم وقع فيما وقعوا وهلك فيما هلكوا
وكان بعض الحكماء يقول لا تواخ من الناس من يتغير
عليك في اربعة عند غضبه ورضاه وعند طمعه
وهواه لان هذا المعنى تقتضيه له الطباع لذ قول
الضرر منها على النفس وبقدر الانتفاع وقال
في موضع اخر ومن كان في الفقراء احوالا رفيعة في صحبته
لكثرة عمله او وافقها مع اكمال احواله دل

عن جهله

٥٤ عن جهله بهذه الطريق التي تنبه الى التحقيق
لا تنفعه تمويه وانما العمل عن حقائق القلوب لانها ثابتة
في الاصول فان افتقر الى جهله نقص حرمات الاخوة
دخل عليه التزين والتصنع عنده ليحلو امتزاجه
ويحسن عنده اثره فيدخله ذلك في الشرك ويخرجه
الشرك عن حقيقة التوحيد فينزل قدم بعد ثبوتها
ويسقطه عن عين مولاه فلا يتولاه لان التصنع مبتلية
بحب الثناء والحظوة واثبات المنزلة باظهار الوجد
فيكون هذا الصاحب فتنة من انتظام الناس عليه
وافتراقهم له ويصير احدهما بلاء على صاحبه فيفارقه
فتنة لانه جاهل فلا يصحبه لانه يحب التفضلات
في صحبته وقد دخل عليه الافات بمفارقته وليفرد
بنفسه ويقصد في حاله عالية او دانية وضيعة
كانت او رفيعة من غير مقاربة احد ولا مباينة
فهو خير له واحمد عاقبة انتهى ويدل على ارادة
صاحب الكتاب لهذا المعنى الذي ذكرناه في التنبيه
عن قوله لا تصحب من لا ينهضك حاله ما عقبه
به من قوله ولا يدلك على الله مقاله فيكون الحال

والمقال متنا سببين في كون كل واحد متعلقا بالله
تعلى عبودية ودلالة قال سهل بن عبد الله
التستري رضي الله عنه احذر صحبة ثلاثة
اصناف الناس الجبابرة الغافلين والقراء المداهنين
والمتصوفة الجاهلين وقال ابو سعد ابن الحسين السوائ
رضي الله عنه قال من اصحب قال من لا قلت كذا النوري
المصري رضي الله عنه قال من اصحب قال من لا تكتمه شيئا
يعلمه الله منك وقال حمدون القصار رضي الله عنه اصحب
الصوفية فان للقبيح عندهم وجوها من المعاذير
وليس للحسن عندهم كبير موقع يعظمونك به اشارة
الى ان العجب بالعمل منتفي في صحبتهم وقال الجنيد
رضي الله عنه اذا اراد الله تعلى بالمريد خيرا اوقعه الى
الصوفية ومنعه صحبة القراء وقال علي رضي الله عنه
شر الاصدقاء من احوجك الى المداراة والجاك الى الاعتذار
وقال مرة شر الاصدقاء من تكلف له وانشد يوسف
ابن الحسين الرازي رضي الله عنه

أُحِبُّ مِنَ الإِخْوَانِ كُلَّ مُوَاتِ
وَكُلَّ غَضِيضِ الطَّرْفِ عَنْ عَثَرَاتِي يُوَافِقُنِي فِي كُلِّ أَمْرٍ أُرِيدُهُ
وَيَحْفَظُنِي حَيًّا وَبَعْدَ وَفَاتِي فَمَنْ لِي بِهَذَا لَيْتَنِي قَدْ وَجَدْتُهُ

بقسمته

بَقَسَمْتُهُ مَالِي وَمِنْ حَسَنَاتِ والحاصل من هذا ان الصحبة
الصوفية هي التي يحصل بها كمال الانتفاع لصاحب
دون من عداهم من المنسوبين الى الدين والعلم لانهم
خصوا من حقائق التوحيد والمعرفة بخصائص لم
يقاسمهم فيها احد ويسري ذلك الى الصاحب من المحبوب
هو غاية الامل والمطلوب وقد قيل من تفقه بالله لم ينل
خلا فوق منها بمن جلس على ذكار وعقار لم يفقد الرائحة
الطيبة هذا في المخلوق والمجالسة فما ظنك بالصحبة
والمؤانسة وقد وصف بعض العلماء فقال الصوفي
من لا يعرف في الدارين غير الله احد ولا يشهد مع الله سوى
الله وقد يعرف له كل شيء ولم يستغن هو لشيء وسلك
من كل شيء ولم يملك عليه شيء بواحد النصيب من كل
شيء ولا ياخذ النصيب منه شيء فيصفوا به كدر كل شيء
ولا يكدر صفوه شيء وقد اشغله واحد عن كل شيء وكان
واحدا من كل شيء فانظر رحمك الله هذه الصفات ما
اعظمها واجمعها وما اشرف حال من اتصف بها
وما اعزه في هذا الوجود نفعنا الله بهم ورزقنا من
بركتهم وفي صحبة امثال هؤلاء يحصل للمريد من المزيد

ما لا يحصل لو بدا بغيرها من فنون المجاهدات وانواع
المكابدات حتى يبلغوا من ذلك الى امر لا يسعه
عقل عاقل ولا يحيط به عالم ناقل قال ابو العباس المرسي
رضي الله عنه ما ذا الصنع بالكيمياء والله لقد رايت
اقواما يعبر احدهم على الشجرة اليابسة فيشير اليها
فتثمر رطبا للوقت فمن صحب هولا الرجال ما ذا يصنع
بالكيمياء وقال ايضا رضي الله عنه والله ما سادات الاولياء
والابدال من قاف الى قاف الا حتى يلقوا او واحدا مستغنيا في
ذا القوة كان بغيتهم وقال ايضا رضي الله عنه الولي اذا اراد
اغنا وقال ايضا والله ما بيني وبين الرجال الا ان انظر
اليه نظرة وقد اغنيته وقال فيه شيخه ابو الحسن رضي الله
عنه ابو العباس هو الرجل الكامل والله انه ليأتيه البدوي
فيبول على ساقيه فلا يمسي عليه المساء الا وقد اوصله الى الله
وسيأتي طرف من ذكر حال المولى رضي الله عنه في محبته وصل
او صل اليه ببركته رفيقته عند قوله كل كلام يبرز وعليه كسوة
القلب الذي برز منه **ربما كنت مسيئا فاراك الاحسان**
منك صحبتك من هو اسوا حالا منك هذا اصل عظيم ايضا
تدخل على من جالس ما ذكره وصحب من هو دونه في الحال

وهو

وهو استحسانه لما هو عليه فيؤديه ذلك الى رضاه عن
نفسه ودوام تيقنه لما استحسنه وهو اصل كل شر كما تقدم
ما قل عمل برز من قلب زاهد ولا كثر عمل برز من قلب
راغب مقادير الاعمال على حسب قلوب العمال فما
صدر من الزاهدين في الدنيا من عمل الطاعة وان كان قليلا
في الحس فهو كثير في التحقيق وما صدر من الراغبين فيها
من عمل وان كان كثيرا في الحس فهو قليل في التحقيق وذلك
لان الزاهدين سلموا من الافات التي تقدح اخلاص اعمال
لهم من مراآت الناس والتصنع لهم وطلب الاعواض
الدنيوية عليها منهم لانهم زهدوا فيها فيحصل لهم
قبول اعمالهم فيوجد قليلها بسبب ذلك ويكثر
والراغبون تحتشر بهم الافات المبطلة لاعمالهم القادحة
في اخلاصهم بسبب رغبتهم في الدنيا فلا تقبل منهم
فيقل الكثير من اعمالهم لوجود العلل فيها وفيه
قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه
كونوا لقبول العمل اشد اهتماما منكم بالعمل
فانه لا يقل عمل مع التقوى وكيف يقل عمل يتقبل
وقد وصف الله تعالى ذكر المومنين بالخشية لما

تضمنته من وجود الاخلاص وعدم رياء الناس وقيل
في قوله عز وجل يا ايها الذين ءامنوا اذكروا الله
ذكرا كثيرا وسبحوه قيل يعني خالصا فسمى الخالص
كثيرا وهو ما قصدت فيه النية لوجه الله تعالى ووصف
ذكر المرائي بالقلة لما اشتمل عليه من عدم الاخلاص
ووجود رياء الناس فقال تعالى يراءون الناس ولا يذكرون
الله الا قليلا يعني غير خالص وروي عن عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه انه قال ركعتان من زاهد عالم خير من عبادة
المتعبدين المجتهدين الى آخر الدهر ابدا سرمدا او
قال بعض الصحابة لصدر التابعين انتم اكثر اعمالا
واجتهادا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم كانوا خيرا منكم قيل ولم ذلك قال لانهم كانوا ازهد
منكم في الدنيا وعن بعض الصحابة تابعنا الاعمال
كلها فلم نر في امور الآخرة ابلغ من الزهد في الدنيا
وقال ابو سليمان الداراني رضي الله عنه سالت معروفا
الكرخي رضي الله عنه عن الطائعين لله عز وجل باي شيء
قدروا على الطاعة فقال باخراج الدنيا من قلوبهم ولو
كان شيء منها في قلوبهم ما صحت لهم سجدة وقال

ابو عبد الله

ابو عبد الله القرشي رضي الله عنه شكا بعض الناس
الى رجل من الصالحين انه يعمل اعمال البر ولا يجد حلاوة
في قلبه فقال لانك عندك بنت ابليس وهي الدنيا ولابد
للاب ان يزور ابنته في بيتها وهو قلبك ولا يؤثر دخوله
الا الفساد وكان ابو محمد ابن سهل رضي الله عنه يقول يعطى الزاهد
ثواب العلماء والعباد ثم يقسم على المؤمنين ثواب اعمالهم
ولا يرى في القيامة احد افضل من زاهد عالم ورع حسن
الاعمال نتائج حسن الاحوال وحسن الاحوال من التحقق بمقامات
الانزال حسن الاعمال توفيتها بما يجب لها من شروط وآداب
عبودية لله تعالى لا لطلب حظ عاجل ولا ثواب آجل وحسن
الاحوال ان تكون سالمة من العلل والدعاوى موسومة بسمة
الصدق والتحقق في مقامات الانزال ان تواطئ القلب بما ينزل
الحق تعالى فيه من مقامات اليقين والعرفان ما ينتفي
عنه كل شك وريب وهذه الثلاثة المذكورة مرتب بعضها
على بعض وهو معنى ما يقوله الامام ابو حامد رضي الله عنه
لا بد في كل مقام من مقامات اليقين من علم وحال وعمل
فالعلم ينتج الحال والحال ينتج العمل وهذا الكلام الذي
ذكره المؤلف نوع استدلال على ما قاله في الزاهد والراغب

لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه لان غفلتك
عن وجود ذكره اشد من غفلتك في وجود ذكره فعسى
ان يرفعك من ذكر مع وجود غفلة الى ذكر مع وجود
يقظة ومن ذكر مع وجود يقظة الى ذكر مع وجود حضور
ومن ذكر مع وجود حضور الى ذكر مع غيبة عما سوى المذكور
وما ذلك على الله بعزيز الذكر اقرب الى الحضور الى الله تعالى وهو
علم على وجود ولايته فيا قبل الذكر منشور الولاية فمن
وفق للذكر فقد اعطي المنشور ومن سلب الذكر فقد عزل
وقال الشاعر وَلِيَ بِأَعْظَمِ بَابٍ أَنْتَ دَاخِلُهُ إِلَيهِ فَلَا تُقْبِلْ
لَهُ بَابًا تَعَبًا مِنْ شَرٍّ اَرَى قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه
الذكر عنوان الولاية ومنار الوصلة وتحقيق الارادات وعلامة
صحة البداية ودلالة صفاء النهاية فليس وراء الذكر
شيء وجميع خصال المحمودة راجعة الى الذكر ومنشاها
عن الذكر وفضائل الذكر اكثر من ان تحصى ولو لم يرد فيه الا
قوله تعالى في كتابه العزيز فاذكروني اذكركم وقوله عز
وجل فيما يرويه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم انا عند
ظن عبدي بي وانا معه حين يذكرني ان ذكرني في نفسه
ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم
وان تقرب الي

وان تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الي
ذراعا تقربت منه باعا وان اتاني يمشي اتيته هرولة
لكان في ذلك الشرف والغنيمة وهذا الحديث متفق على
صحته قالوا ومن خصائصه انه غير موقت بوقت فما
من وقت الا والعبد مطلوب فيه اما وجوبا واما ندبا بخلاف
غيره من الطاعة فقال ابن عباس رضي الله عنه لم يفرض
الله تعالى على عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر
اهلها في حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهي
اليه ولم يعذر احدا في تركه الا مغلوبا على عقله وامرهم
بذكره في الاحوال كلها فقال عز من قائل فاذكروا الله قياما
وقعودا وعلى جنوبكم وقال تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا
الله ذكرا كثيرا بالليل والنهار والحضر والسفر والبر والبحر
والغنا والفقر وفي الصحة والسقم وفي السر والعلانية
وعلى كل حال وقال مجاهد رضي الله عنه الذكر الكثير ان لا ينساه
ابدا وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا ذكر الله
تعالى حتى يقولوا مجنون ينبغي للمريد ان يستكثر
منه في كل حالاته ويستغرق فيه جميع اوقاته ولا
يغفل عنه وليس له ان يتركه لوجود غفلته فيه فان تركه

له وفضيلته عند الشيخ من غفلته فيه فعليه ان يذكر الله
تعالى بلسانه وان كان غافلا فيه فلعل ذكره مع وجود الغفلة
يرفعه الى الذكر مع وجود اليقظة ولعل ذكره مع وجود
اليقظة يرفعه الى الذكر مع وجود الحضور ولعل ذكره مع وجود
الحضور يرفعه الى الذكر مع وجود الغيبة عما سوى المذكور
قال تعالى واذكر ربك اذا نسيت اي اذا نسيت ما دون الله
عند ذلك تكون ذاكر الله تعالى وفي هذا المقام ينقطع ذكر
اللسان ويكون العبد ذاكرا بوجود العيان وفي هذا المعنى
انشدوا مَا إِن ذَكَرتُكَ إِلَّا هَمَّ يَلعَنُنِي قَلبِي وَسِرِّي وَرُوحِي
عِندَ ذِكرِكَ حَتَّى كَأَنَّ رَقِيبًا مِنكَ يَهتِفُ بِي إِيَّاكَ وَيحَكَ وَالتَّذكَارَ
إِيَّاكَ أَمَا تَرَى الحَقَّ قَد لَاحَت شَوَاهِدُهُ وَوَاصَلَ الكُلَّ مِن مَعنَاهُ
مَعنَاكَ وقال الواسطي رضي الله عنه مشيرا الى هذا المقام الذاكرون
في ذكره اكثر غفلة من الناسين لذكره لان ذكره سواه قال ابو العباس
ابن البناء في كلام ذكره على مقدمات كتاب ابي العز تقي الدين
المظفر الشافعي وهو كتاب الاسرار العقلية في الكلمة
النبوية ورايت هذا الكلام بخطه رحمه الله ومن احسن الذكر
ما هاج عن شاكلتهم واراد من المذكور الى حالة مستغرق به
من الذكر فليس ذلك ثم ثم حلول والاتحاد بالحكمة وقدرة

كـ حزنه

التكلم

من يسر يتق الجسم ويبا عن ذلك ان يكون القلب عند الذكر
فارغا من الكل فلا يبقى فيه غير الله فاذا ذكره القلب يثبت
الحق ويمتلئ منه فيخرج الذكر من غير قصد ولا تدبير
وحينئذ يكون العبد شبيها بالسيول الذي ينطق به بان
يطيش هذا الذاكر كالريد الذي يكتشر بها ولا يسمع كل من يسمعه
الذي يسمع فيه قد استولى المذكور العلي على الفؤاد والقلب
وعلى الجوارح فصرفها فيما يرتضيه وعلى الصفة من هذا
العبد فقلبها كيف شاء فيجهر تارة ويخفي اخرى بالذكر من غير
تكلفه وتتبعث الاعمال بالطاعات نشطة ولذة من غير كلال
ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ان الله
مع العبد المتقي او القلب مستور وقد وضع الله تعالى
قلب ام موسى عليه السلام بمعنى ذلك في قوله الحق واصبح
فؤاد ام موسى فارغا اي فارغا من كل شيء الا من ذكر موسى
فكادت ان تبدي به من غير قصد منها لولا ذكره وكانت يومئذ
ان كان تركها لتصرفها بذكر صبرا لولا ان ربطنا على قلبها
لتكون من المؤمنين بما اوحى الله اليها من قبل في شأن موسى
وبلغه من المرسلين والله لم يقدح مع الاشتغال الذي ذكره ابو
العز وتتبعه بالتحقيق وهو الجمع في الصديق والولي

وهما والذكر والغفلة عن الذكر وهذا الفعلي والمراقبة لا يعرف
حقا بقصد الا السالكون وجدانا والعلماء بيانا وتصديقا فاياك
والتكذيب بما يقتال الله فتكون من الصم والبكم الغافلين ولما
كان المذكور لا يجوز عليه وصف البعد والعدم ولا يمنعه حجاب
ولا يحويه مكان ولا يشتمل عليه زمان ولا تجوز عليه الغيبة بوجه
ولا يتصف بحالة العدم بحين ولا تجري عليه احكام المخلوقين
فهو حاضر معنا اينما كنا وشاهد سرا وجهرا اذ هو
القريب من كل شيء اقرب الى الذاكر له من نفسه من حيث
لا يوجد له والعلم به والمشيئة فيه والقدرة والتدبير له
والقيام عليه فلو التعلقة فلا تلحقه اوهام ولا توجد
الاعداد فلا تحصى لمعد نعتا سبحانه وهو العلي الكبير انتهى
من كلام الشيخ ابن العباس رحمه الله تعالى في معنى المقام الثالث
من مقامات الذكر وهو في غاية الحسن والتحقيق مشيرا
الى توجيه الخواص من اهل هذه الطريقة فلا ينبغي ان يستبعد
العبد الوصول الى هذا المقام الكريم فليس ذلك بعزيز
على الفتاح العليم وعلى العبد القيام بحق الاسباب ومن الله
تعالى رفع الحجاب قال رضي الله عنه من علامة موت القلب
عدم الحزن على ما فاتك وترك الندم على ما فعلته من وجود

الزلات

٦٠

الزلات القلب اذا كان حيا بالايمان حزن على ما فاته من
الطاعات وندم على ما فعله من الزلات ومقتضى هذا وجود
الفرح بما يستعمل فيه من الطاعات ويوافق من اجتناب
المعاصي والسيئات وقد جاء في الخبر من سرته حسنته
وساءته سيئته فهو مؤمن فان لم يكن العبد بهذا الوصف
وعدم الحزن على ما فاته والندم على ما اتاه فهو ميت القلب
وانما كان ذلك من قبل ان عمل العبد الحسنة والسيئة
علامة على وجود رضى الله تعالى على العبد وسخطه عليه فاذا وفق
الله عبده للطاعات سره ذلك لانه علامة على رضاه عنه و
على محبته ورجائه واذا خذله ولم يعصمه وعمل بالمعاصي
ساءه ذلك واحزنه لانه علامة على سخطه عليه وغلب
خشيته خوفه والرجاء يبعث على الاجتهاد في الطاعات وليس
من مقتضاه تركها وعدم الحزن على ما فاته منها امنا واغترارا
والخوف يبعث على المبالغة في اجتناب المعاصي والسيئات
وليس من مقتضاه فعلها وترك الندم عليها ايا سا
وقنوطا وفي حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه
قال بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اتاه
آت فلما دنا [illegible] اناخ راحلته ثم مشى

الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اوضعت راحلتي
من مسيرة تسع فسيرتها اليك ستا واسهرت ليلي
واظمات نهاري واتعبت لا سالك عن خصلتين اسهرتاني
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من انت قال انا زيد الخيل فقال بل
انت زيد الخير فسل عن معضلة فقد سيل عنها قال جئت اسالك
عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال النبي
صلى الله عليه وسلم بخ بخ كيف اصبحت يا زيد قال اصبحت
احب الخير واهله واحب ان يعمل به واذا فاتني حننت اليه
واذا عملت عملا قل او كثر ايقنت بثوابه فقال هي هي بعينها
يا زيد ولو اراد الله للاخرى لهياك لها ثم لا يبالي في اي واد
هلكت قال زيد حسبي حسبي ثم ارتحل ولم يلبث
لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله
تعالى فان من عرف ربه استصغر في جنب كرمه ذنبه
عظمة الذنب عند من تلبس على وجهين احدهما ان يعظم
عنده عظمة تحمله على التوبة منه والاقلاع عنه وصدق
العزم على ان لا يعود الى مثله فهذه عظمة محمودة وهو
من علامة ايمان العبد كما قلناه قال عبد الله ابن
مسعود رضي الله عنه ان المومن يرى ذنوبه كانه في اصل

جبل

٦١
جبل يخاف ان يقع عليه وان الفاجر يرى ذنوبه كذباب
يقع على انفه فقال به هكذا ابو طارده ويقال ان الطاعة كلما
استصغرت كبرت عند الله وان المعصية كلما عظمت الغرت
استعظمت صغرت عند الله تعالى والثاني ان يعظم عنده
عظمة توقعه في الياس والقنوط ويودي به الى سوء الظن
بالله تعالى فهذه عظمة مذمومة فادحة في الايمان وهي شر
عليه من ذنوبه وسبب ذلك وجود جهله وعجزه عن مولاه
المحسن الجواد الكريم ووقفه مع نفسه وقياسه بعقله
وحسه ولو علم علما بالله تعالى حق المعرفة لاستحقر
ذنوبه في جنب كرمه وفضله فلا قدر للعبد او قيمة
حتى يقع في ذنب لا يسعه عفو ربه ويكبر عليه ان يغفر
له فشان القنوط واعلم انه لا في مملكته من عباده
تغييب الحلم وعدل ظهور الرحمة والمغفرة ووقوع الشفاعة
واعظم ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعتي لاهل
الكبائر من امتي وجاء رجل الى الشيخ ابي الحسن فقال
يا سيدي كان يجول في الباطنة من المنكرات كيت وكيت
وقصر من ذلك الرجل واستغراب ان يكون هذا يقال فيه فهذا
كانك تريد الا يعصى الله في مملكته عز وجل الا بعض

في معاملته فقد احب الا تظهر مخبرته والا تكون
شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذنب
كثرت اساءته وذلك مخالفته اوجبت له الرحمة
من ربه بفكره واعمله وبغفر لسيئاته وان عصاه عاليا
التقي فلا ينبغي للعبد ان يستعظم ذنبه استعظاما
يوديه ان يلقي بيده ايا سامن روحه وفي الكلام من جهته
وسوء الظن به بل عليه ان يتوب الى ربه منه ويرجع
اليه عنه ويعلم حكمة الله تعالى في تسليطهم عليه
وتخليته بينه وبينه وفي الخبر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لولا ان الذنب خير للمومنين من العجب
ما خلا الله تعالى بين مومن وبين ذنب ابدا فهذا يفيدك
عن ان الذنب مانع من وجود العجب الذي هو اعظم حجاب
بين العبد وبين مولاه لان صاحبه ناظر الى نفسه لا الى ربه
مستعظما لطاعته وعبادته ملاحظا لذلك ومثنيا
كرله بخلاف الذنب لانه يوجب له الخوف والحزن والالتجا
الى الله تعالى والفرار اليه عن نفسه والعجب يصرف
العبد عن الله تعالى والذنب يصرفه اليه والعجب يقبل
به على نفسه والذنب يقبل به على ربه والعجب يوديه
الى الاستغناء

الى استغناء والذنب يوديه الى الافتقار واحب اوصاف
العبد الى الله تعالى افتقاره اليه واشرف احوال المومن
ما يرده اليه ويقبل به عليه **لا صغيرة اذا قابلك عدله**
ولا كبيرة اذا واجهك فضله اذ اظهرت صفة العدلية
بطلت اعمال العاملين فلا اذا ظهرت صفة العدل على من
ابغضه ومقته بطلت حسناته وعادت صغيره كبائر
واذا ظهرت صفة الفضل لمن احبه اضمحلت سيئاته
ورجعت كبائره صغائر قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه
ان وضع عليهم عدله لم تبق لهم حسنة وان نالهم فضله
لم تبق لهم سيئة ومن دعائه رضي الله عنه اللهم
ان يستقصي عفوك سيئاتي وان مقتني لم تقبل حسناتي
وما احسن قول سيدي ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه
في دعائه ومناجاته واجعل سيئاتنا سيئات من احببت
ولا تجعل حسناتنا حسنات من ابغضت فالاحسان لا ينفع
مع البغض منك والاساءة لا تضر مع الحب منك وسياتي
من هنا جاءت المواهب مثل هذا المعنى في قوله الحكم في
بنيتها او حالة شيء تهدم اعتمادا عليها عداه
بل انك منها فاتك **لا عمل ارجى للقلوب من عمل يغيب**

عنده شهوده ويستحقر عنده وجوده في التسبيح
الموجود، عنه بأيدينا لا عمل أرجى للقلوب ومعناه
على هذا الوجه أن الأعمال الموصوفة بهذه الصفة لا يلتفت
إليه القلب ولا يعتبرها في عدم التفاته واعتباره حال
حصولها عن رؤيته فيبقى خفية عن ربه لا مع عمله
ويكون ذلك على حذف مضاف تقديره لا عمل أرجى لصلاح
القلوب أو ما في معناه وسياق من كلام المؤلف ما يناسب
هذا المعنى وهو قوله قطع السائرين له والواصلين
إليه عن رؤية أعمالهم وشهود أحوالهم الى آخره وإن
الغالب على الظن أن الخ فهذا المؤلف وذكره أفضل صور القبول
بغلبة الناسخ فقلب حروفه ولا يحتاج في هذا الى هذا
ونقف بناء على هذا الوجه أن تقول علامة العمل من الإثبات
شرط في قبوله لأن صاحبه متوليه وقد قال عز من قائل
إنما يتقبل الله من المتقين وإنما يصلح العمل من الإثبات
باتهام النفس في القيام بحقه ورؤية تقصيره فيه فيغيب
عنه إذ ذاك شهوده ويحتقر عنده وجوده جملة
بسائقته ولا يعتمد عليه وإن لم يكن على هذا الوجه بل
كان قد ذكر الله وحسنه بحكمه له غائبا عن شهود منة الله

عليه

٦٢

عليه في توفيقه أو رفعه فلا يجب العجب بعمله إذا عمله
وخاف من ضعفه فقد قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه
ما استحسنت من نفسي عملا إلا احتسبته وقال علي
ابن الحسين رضي الله عنه كل شيء عمي عن أعمالك إذا انقطعت به
رؤيتك فذلك دليل أنه لم يقبل منك لأن المقبول مرفوع
مغيب عنك وما انقطعت عنه رؤيتك فذلك دليل على القبول
وقد سئل بعض العارفين عن علامة قبول العمل فقال نسيانك
إياه وانقطاع نظرك عنه بالكلية بدلالة قوله تعالى
إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال وعلامة
قبول الموتى على ذلك العمل أنه لا يبقى عنده منه شيء فإنه
إذا بقي في فكره منه شيء لم يرجع إليه لينتبه بين يديه
وعند ثقته فينبغي للعبد إذا عمل عملا أن يكون عنده نسيا
منسيا بما ذكرته من اتهام النفس ورؤية التقصير حتى
يتحصل له قبوله **إنما أورد عليك الوارد لتكون به عليه**
واردا الوارد عبارة عما يرد على القلب من المعارف الربانية
واللطائف الروحانية ليطهرها بذلك ويزكيه حتى يطلع
في لك المورد عليه والدخول الى حضرته لأن الحضرة منزهة
عن كل قلب متكدر بالآثار متلوث بأقذار الأغيار فإذا

انما اورد عليك لتكون به عليه واردا اورد عليك الوارد
ليتسلمك من يد الاغيار وليحررك من رق الاثار
الاثار والاغيار غاصبة ومسترقة لك وذلك لوجود
حبك لها وسكونك اليها واعتمادك عليها فاذا اورد
عليك الوارد ليتسلمك من يد من غصبك وليحررك
من ملكية من استرقك والاشارة الى هذا المعنى بما ضرب
الله تعالى من المثل الكبار في قوله تعالى ضرب الله مثلا رجلا
فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان
مثلا فمن تسلم من يد الاغيار وتحرر من رق الاثار لا يكون
المملوك فيه تنازع ولا شركة وكان سلما لله عز وجل
اورد عليك الوارد ليخرجك من سجن وجودك
الى فضاء شهودك سجن وجودك هو شهودك لنفسك
ومراعاتك لحظها وفضاء شهودك ان يغيب عن ذلك
بشهود عظمة الله تعالى وجلاله ورؤية قيام حركاته
وسكناته به قال ابو القاسم النصراباذي رضي الله عنه سجنك
نفسك اذا خرجت منها وقعت في راحة الابد وسبق
من كلام المؤلف رحمه الله تعالى في معنى قوله سجن
وجودك الغاية في الكون ولم يفتح له ميادين الغيوب

مسجون

مسجون بمحيطاته ومحصور في هيكل ذاته الانوار مطايا
القلوب والاسرار انوار الايمان واليقين مطايا وحاملة
للاسرار والقلوب الى حضرة عالم الغيوب وتلك هي
الواردات المذكورات النور جند القلب كما ان الظلمة
جند النفس فاذا اراد الله ان ينصر عبده امده بجنود
الانوار وقطع عنه مدد الظلم والاغيار نور التوحيد واليقين
وظلمة الشرك والشك جندان للقلب والنفس والحرب بينهما
سجال فاذا اراد الله نصر عبده امد قلبه بجنوده وقطع
عن نفسه مدد جنودها واذا اراد الله خذلان عبده
فعل العكس فاذا مال القلب الى العمل بامر معبوده ومولاه
في الحال متلذذا به في المآل ومالت النفس الى العمل
بامر هواها متلذذة به في الحال مولمة به في المآل وتنازعا
وتقاتلا سارع النور الذي هو من امر الله تعالى ورحمته الى
نصرة القلب وسارعت الظلمة التي هي من وسواس الشيطان
وهمته الى نصرة النفس وقام سوق القتال بينهما فان
سبقت للعبد من الله تعالى سابقة السعادة اهتدى
القلب بنور الله تعالى واستهان بالعاجلة ورغب في الآجلة
وعمل القلب بما مال اليه ورجع النفس في الحال صاغرة

من التنعم به في الصلاة الذي سبقت له من الله تعالى الشفا
ية والعناية بالله دخل القلب على النور والايمانه الكاملة
عن مفوجة الكلمن واشتغل في العواميل وعمل بما ما له
اليه نفسه ودرة العم في الصلاة لما يحصل لها من لذة الحال
وعند القضاء الصلاة النفاع القتال بين الحقير لا بسبيل
الحب الى جزء من الله تعالى والبا وبه وكثرة ذكره وصدق
توكله عليه واستعاذته به من الشيطان الرجيم وهذه
العبارات الخمسة من قوله واثنا وردت علينا الواردات التي
به عليه وارد الى هنا تختص في هذه الكتاب وكررها
لالفاظ مختلفة والمعاني فيها متقاربة وهذه عادته
في مواضع كثيرة من هذا الكتاب رضي الله عنه **النور له**
الكشف والبصيرة لها الحكم والقلب له الاقبال والادبار
هذه الالفاظ مختلفة المعاني متغايرة والنور وظيفته كشف
المعاني وشهودها المغيبات حتى تتضح وتتشاهد وا
لبصيرة التي هي ناظر القلب وظيفتها الحكم وهو حكمه ما
شهدته القلب له الاقبال على ما يقتضي ما شهدته البصيرة
وله ايضا الادبار تركا للعمل بمقتضى ما شهدته البصيرة
لا تفرحك الطاعة لانها برزت منك وافرح بها لانها برزت

من الله

من الله اليك قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا
هو خير مما يجمعون الفرح بالطاعة على وجهين وجه
يقتضي حيث شهودها من الله تعالى نعمة منه وتفضلا
وهذا هو الفرح المحمود وهو الذي يطلب من العبد وذلك
هو مقتضى شكرها والفرح بها من حيث شهودها من العبد
اختيارا وارادته وحوله وقوته فهذا الفرح مذموم
منهي عنه وهو كفران النعمة وهو من العجب المحبط للعمل
بالفرح بها على هذا الوجه فرح بلا شيء وسيأتي في اثر
الكتاب انواع الفرح بالنعم وما ينتج منها وما يحرم تامة
مستوفيات **قطع السائرين له والواصلين اليه عن رؤية**
اعمالهم وشهود احوالهم اما السائرون فلانهم
لم يتحققوا الصدق مع الله فيها واما الواصلون فلانه
غيبهم بشهوده عنها لهذا اسبغ الله تعالى نعمه
على العبد بين حيث جعل معهم ذلك لانه ابقاهم معه
ولم يدعهم لسواه فالواصلون جعل ذلك بهم طوعا
منهم والسالكون جعل ذلك بهم كرها والله يسجد
من في السموات والارض طوعا وكرها فالواصلون فطعهم
عن ذلك بشهودهم له في حضرة قربه وهم شاهدون

انظر
الفرح بالطاعة

لم يشهده معه غيره اذ محال ان يراه ويشهد معه سواه
والسلف الكرام قطعوا عن ذلك عدم تعففهم بالمعروف
الله تعالى وهم ابدا متهمون لانفسهم قال النهرجوري
رضي الله عنه من علامة من تولاه الله في احواله ان يشهد
التقصير في اخلاصه والغفلة في اذكاره والنقصان في صدقه
والفتور في مجاهدته وقلة المراعاة في فقره فتكون جميع
احواله عنده غير مرضية ويزداد فقرا الى الله في قصده
وسيره حتى يفنى عن كل ما دونه وقال ابو عمرو اسماعيل
ابن نجيد رضي الله عنه لا يصفو لاحد قدم في العبودية حتى
تكون افعاله عنده كلها رياء واحواله كلها عنده دعاوى
وقال ابو يزيد رضي الله عنه لو صفيت لي تهليلة ما باليت بعدها
بشيء والى هذا يشير المشايخ بتفسير الحكاية التي تروى عن الواسطي
رضي الله عنه وذلك انه لما دخل نيسابور سال اصحاب ابي
عثمان رضي الله عنه ماذا كان يامركم شيخكم فقالوا كان يامرنا
بالتزام الطاعة ورؤية التقصير فيها فقال امركم بالمجوسية
المحضة هلا امركم بالغيبة عنها بشهود مجريها
ومنشيها قال الاستاذ ابو القاسم القشيري رضي الله
عنه وانما اراد الواسطي بهذا صيانتهم عن محل الاعجاب

لا تقصيرا

لا تقصيرا مما تجاوزوا الى التقصير وتجويز الاخلال بالادب مع الادب
وقال رضي الله عنه ما بسقت اغصان ذل الا على بذر طمع
البسوق الطول يقال بسقت النخلة بسوقا اذا طالت وقال
الله تعالى والنخل باسقات والاغصان جمع غصن وهو ما يتشعب
من سوق الشجر والطمع ايضا على غلو والبذر الحب الذي يزرع
وهذه كلها استعارة بليغة والطمع من اعظم افات النفوس
وعيوبها القادحة في عبوديتها بل هو اصل جميع الافات لانه
محض تعلق بالناس والتجاء اليهم واعتماد عليهم وعبودية لهم
وبذلك من الذل والمهانة ما لا مزيد عليه ولا ينبغي للمومن ان يذل
نفسه والطمع مضاد لحقيقة الايمان الذي يقتضي وجود الغنى و
العزة التي اتقضيها المومن انما تكون من رجوع همتهم الى
مولاهم وطمانينة قلوبهم اليه وثقتهم به دون من سواه
وهذه هي العزة التي اعطاها الله عبده المومن قال الله تعالى
ولله العزة ولرسوله وللمومنين وكمال العزة من صفة
المومنين وكذلك الذلة من اخلاق الكافرين والمنافقين
ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين قال ابو بكر
الوراق الحكيم رضي الله عنه لو قيل للطمع من ابوك قال الشك
في المقدور ولو قيل ما حرفتك قال اكتساب الذل

ولو قيل ما غايتك قال الحرمان وقال ابو الحسين الوراق
النيسابوري رضي الله عنه من اشعر نفسه محبة شيء من الدنيا
فقد قتلها بسيف الطمع ومن طمع في شيء ذل وهلك
وقديما قيل أَتَطْمَعُ فِي لَيْلَى وَتَعْلَمُ أَنَّهَا تُقَطِّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ
الْمَطَامِعُ فالطمع لا محالة فاسد الدين مفلس من انوار اليقين قال
في التنوير وتفقد وجود الورع من نفسك اكثر مما تتفقد
ما سواه وتطهر من الطمع في الخلق فلو تطهر الطامع بمياه
بسبعة ابحر ما طهره الا الياس منهم ورفع الهمة عنهم
قال وقدم علي ابن ابي طالب رضي الله عنه البصرة فدخل جامعها فوجد
القصاص يقصون فاقامهم حتى جاء الى الحسن البصري رضي الله
عنه فقال يا فتى اني سائلك عن امر فان اجبتني عنه ابقيتك
والا اقمتك كما اقمت اصحابك وكان قد راى عليه سمتا وهديا
فقال سل عما شئت قال ما ملاك الدين قال الورع قال فما فساد
الدين قال الطمع قال اجلس فمثلك يتكلم على الناس قال
وسمعت شيخنا رضي الله عنه يقول كنت في ابتداء امري
بثغر الاسكندرية فجئت الى بعض من يعرفني لاشتري منه
حاجة بنصف درهم ثم قلت في نفسي لعله لا ياخذ مني
فهتف بي هاتف السلامة في الدين بترك الطمع في المخلوقين

قال

٦٧

قال وسمعته يقول صاحب الطمع لا يشبع ابدا الا ترى
حروفه كلها مجوفة الطاء والميم والعين قال بعضهم
فعليك ايها المريد برفع همتك عن الخلق ولا ترفع الهم
وقد سبقت قسمته وجودك وتقدم ثبوته وظهورك
واسمع ما قال بعض المشايخ ايها الرجل ما قدر لماضغيك
ان يمضغاه فلا بد ان يمضغاه فكله ويحك بعز
ولا تاكله بذل فلتقف تقدم الاول من كلامه في التنوير
ذكر الورع في مقابلة الطمع وكذلك جواب الحسن لعلي
رضي الله عنهما لما ساله مستخبرا له عن ملاك الدين
وفساده في الكلام الذي حكيناه عنهما ولا شك ان الورع
الظاهر لعامة الناس هو ترك المتشابهات والتحرز
من اقتحام المشكلات لا يقابل الطمع كل المقابلة وقد
ذكرنا الطمع ما هو وانما يقابله ورع الخاصة وهو عدم
همة اليقين وكمال التعلق برب العالمين ووجود السكون
اليه والتوكل عليه وطمانينة القلب به والا يكون له
ركون الى غيره ولا التفات الى خلق ولا اكوان وهذا هو
الورع الذي يقابل الطمع المحض وبه يبلغ كل عمل
مقرب وحال سنية كما نبه عليه الحسن رضي الله عنه

في جوابه المذكور قال يحيى ابن معاذ رضي الله عنه الورع
على وجهين ورع في الظاهر لا تتحرك الا لله وورع في
الباطن وهو لا يدخل قلبه الا الله ذكر ان بعضهم كان
حريصا على احد من اهل هذه الطبقة فجعل يجتهد
في طلبه ويحتال على التوصل اليه بان ياخذ الشيء بعد الشيء
من ماله ويقصد به الفقراء والمساكين فيقول لمن يلقى
منهم حين المناولة خذ لالك فكانوا ياخذون ولا يسمع
من احد منهم جوابا مطابقا لما اراده فكلامه الى
ان كان ذات يوم ببغيته وحصل على مقصوده ومنيته
وذلك انه قال له خذ هذا لالك فقال له ما اخذه لا منك
فان كان للعبد استشراف الى الخلق او سبقية نظر اليهم
قبل مجيء الرزق او بعده فمقتضى حد الورع الواجب
في حق الادب الا يتبع نفسه شيئا مما ياتيه على هذا
الحال عقوبة لنفسه في نظره الى ابناء جنسه كقصة
ايوب الجمال مع احمد بن حنبل رضي الله عنهما وهي معروفة
كما روي عن الشيخ ابي مدين رضي الله عنه انه كان جمال
يقصد فنازعته نفسه فقالت يا ترى من اين هذا فقال
لها انا اعرف هذا فقال انا اعرف من اين هو يا عدوة الله
وامر بعض اصحابه ان يدفعه الى بعض الفقراء عقوبة
لها

٦٨

افهم الورع

لها لكونها تشوفت الى الخلق قبل رؤية الحق تعالى وقد قيل
احذر الحلال ما لم يخطر لك على بال ولا استشرفت فيه احدا
من النساء والرجال وقد صرح بهذا المعنى الذي ذكرناه
واوضح الغرض الذي قصدناه شيخ الطريقة وامام اهل
الحقيقة من المتاخرين ابو محمد عبد العزيز المهدوي
رضي الله عنه بانه قال العلم ان الورع الا يكون بينك
وبين الخلق نسبة في اخذ او عطاء او قبول او رد وان يكون
السبق لله تعالى وهو ان تاتي الله طاهرا من جميع الاشياء والعلم
والعمل كما قال تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة
وقال ايضا الورع الا يخطر الرزق بالبال والا يكون بينه وبينه
نسبة لا في التحصيل ولا عند المباشرة لانه لا يدري ايأكله
ام لا وقال ايضا الورع لا تتحرك ولا تسكن الا وترى الله
في الحركة والسكون فاذا رايت الله ذهبت الحركة والسكون
ويبقى مع الله في الحركة ظرف لما فيها كما قال ما رايت شيئا
الا رايت الله فيه فاذا رايت الله ذهبت وقال اجمع العلماء
ان الحلال المطلق ما اخذ من يد الله بسقوط الوسائط وهذا
مقام التوكل ولهذا قال بعضهم الحلال هو الذي لا ينسى الله
فيه الى غير هذا من العبارات التي تشير بجملتها لهذا المعنى

وقال بعض هذه الطائفة العجب كل العجب من الذين يأكلون أرزاقهم
ثم يتوقفون في المشاهدة لأن منهم من يأكل رزقه بذل
ومنهم من يأكل رزقه بامتهان ومنهم من يأكل رزقه بانتظار
ومنهم من يأكله بعز بلا مهنة ولا انتظار ولا ذلة فأما
الذين يأكلون أرزاقهم بذل فالسؤال يشهدون أيدي الخلق
بين أيديهم وأما الذين يأكلون أرزاقهم بامتهان فالصانع
بلا أجد هم رزقه بمهنته وكده وأما الذين يأكلون أرزا
قهم بانتظار فالتجار ينتظرون نفاق سلعتهم فهو
متعوب القلب معذب بانتظاره وأما الذين يأكلون
أرزاقهم بعز من غير مهنة ولا انتظار ولا ذل فالصوفية
يشهدون العزيز فيأخذون قسمتهم من يده بعزة وقال
سهل ابن عبد الله رضي الله عنه ليس من الإيمان أسباب
إنما الأسباب من الإسلام وقال الشيخ أبو طالب رضي الله عنه
معناه ليس في حقيقة الإيمان رؤية الأسباب والسكون
إليها إنما رؤيتها والطمع في الخلق يوجد في مقام
الإسلام وقد عقد المؤلف رحمه الله تعالى ترجمة لطائف المنن على
هذا المعنى وجعله لجميع الوظائف الدينية أصلا ومبنى
فرأينا نقله في هذا الموضع من صواب العمل المقبول إن شاء الله
بنجاح الآمال فقال رضي الله عنه واعلم رحمك الله تعالى أن وهم الخصوص

لا يفهمه إلا قليل فإن من جملة ورعهم تورعهم عن أن يسكنوا
لغيره أو يميلوا بالحب أو تمتد أطماعهم بالطمع في غير
فضله وخيره ومن ورعهم عن الوقوف مع الوسائط
والأسباب وخلع الأنداد والأرباب ومن ورعهم ورعهم
عن الوقوف مع العادات والاعتماد على الطاعات والسكون
إلى أنوار التجليات ومن ورعهم ورعهم عن أن تقتطعهم
الدنيا وتوقفهم الآخرة عن الدنيا وعن الوقوف مع الآخرة
حياء قال الشيخ عثمان ابن عاشوراء خرجت من
بغداد أريد الموصل فأنا أسير وإذا بالدنيا قد عرضت
علي بعزها وجاهها ورفعتها ومراكبها وملابسها
ومزيناتها ومشتهياتها فأعرضت عنها فعرضت
علي الجنة بحورها وقصورها وأنهارها وثمارها فلم أشتغل
بها فقيل لي يا عثمان لو وقفت مع الأولى لحجبناك
عن الثانية ولو وقفت مع الثانية لحجبناك عنا فها نحن
لك وقسطك من الدارين يأتيك وقال الشيخ عبد الرحمن
المغربي وكان مقيما بشرقي الإسكندرية حججت سنة
من السنين فلما قضيت الحج عزمت على الرجوع إلى الإ
سكندرية فإذا هاتف يقول لي إنك العام القابل عندنا

فقلت في نفسي اذا كنت افعل الفعل هاهنا فلا اعود
الى الاسكندرية فخطر لي الذهاب الى الاولياء فاتيت الى عين
فاذا بيوما على ساحلها واذا بالتجار قد اخرجوا ثيابهم
ومتاجرهم ثم نظرت فاذا رجل قد نشر سجادته على البحر
ومشى على الماء فقلت في نفسي لم اصلح للدنيا ولا للاخرة
فاذا بهاتف علي يقول لي من لم يصلح للدنيا ولا للاخرة فيصلح لنا
وقال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه الورع نعم الطريق لمن
كمل ميراثه واجل ثوابه فقد انتهى في الورع الى الاخذ من الله
وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحة وا
لبصيرة الفائقة فهم في اوقاتهم وسائر احوالهم لا يدبرون
ولا يختارون ولا يريدون ولا يتفكرون ولا ينطقون ولا يبطشون
ولا يتحركون الا بالله ولله من حيث يعلمون فهم في العلم
على حقيقة الامر فهم مجموعون في عين الجمع لا يفترقون
فيما هو ادنى واعلى ادنى الادنى فالله يورعهم عنه ثوابا
او ورعهم في الحقيقة لمنازلات الشرع عليهم ومن لم يكن
لعلمه وعمله ميراث فهو محجوب بدنياه او مطرود بدعوى
وميراثه التعزز بخلقه والاستكبار على مثله والدالة
على الله بعمله فهذا هو الخسران المبين والعياذ بالله

العظيم

العظيم من ذلك ولاكياس يتورعون عن هذه الورع و
يستعيذون بالله منه ومن لم يزد بعلمه وعمله افتقارا
لربه وتواضعا لخلقه فهو هالك فسبحان من قطع كثيرا
من الصالحين بصلاحهم عن مصلحهم كما قطع كثيرا من المفسدين
بفسادهم عن موجدهم فاستعذ بالله انه هو السميع
العليم فان قلت فهذه اعلى سبيل اولياءه ومن علت
همته في احبابه هذا الورع الذي ذكره الشيخ رضي الله عنه
هل كان يصل فهمه الى مثل هذا النوع من الورع الذي قوله
قد انتهى فيهم الورع الى الاخذ من الله وعن الله والقول
بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة
الفائقة فهذا هو ورع الابدال والصديقين لا ورع المنقطعين
الذي ينشا عن سوء الفكر وغلبة الوهم وانما اوردنا
هذه المعاني هاهنا تتميما للفائدة المتعلقة
بكلام صاحب كتاب التنوير من كون الورع مقابلا
للطمع وسياتي مزيد بيان فيها في موضع انسب
من هذا عند قوله لا تمدن يدك الى الاخذ من الخلائق الا
فانظر اليه ما قادك شيء مثل الوهم الوهم امر عدمي
وهو ضد الحقيقة الوجودية والنفس النافعة انقيادها

الى امور الوهمية الباطلة التي من انقيادها الى الحفا
بق التابعة لوجود المناسبة بينهما والطمع
في الناس انقياد الى الاوهام الباطلة لان الطمع تلهيه
الظنون الكاذبة والطمع فيهم طمع في غير مطمع واربا
المقامات بمعزل عن هذا فلا تتعلق همتهم الا بالله ولا يتو
كلون الا عليه ولا يثقون الا به فسقطت اعتبار الاوهام
والخيالات التي هي متعلقة بالاعيان عن قلوبهم فزال
عنهم الطمع واتصفوا بصفة القناعة والورع فنالتهم
الحيوة الطيبة والمعيشة المرضية والقناعة مقام
عظيم من مقامات اليقين وهي من بدايات احوال الراضين
قال بعض العارفين لا يكون العبد قانعا حتى لو جاء الى
بابه متزلة جميع ما يرغب فيه اهل الدنيا من الاتساع
والنعمة فعرض عليه لم ينظر الى ذلك ويفتح بابه فنفا
عنه من محاله وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في معنى قوله تعالى فلنحيينه حيوة طيبة قال هي القناعة
انت حر لما انت عنه ايس وعبد لما انت له طامع
والطمع في الشيء دليل على الحب له وعن فرط الاحتياج
الى نيله وذلك عبودية له كما ان الياس من الشيء

دليل

دليل على فراغ القلب منه وعدل عنه وذلك حرية
منه فالطمع عبد واليائس حر ولهذا قيل
العبد حر ما قنع والحر عبد ما طمع وقيل الى
الاطماع الكاذبة لما استعبد الاحرار بكل شيء لاحتال
وقيل ان العقاب يحلق في جو عزيز بعيد لا يرتقي
طرف الى مكانه ولا تسمو همة الى الوصول اليه فيرى قطعة
لحم معلقة على شبكة فيستنزله الطمع من مكانه فيعلق
في الشبكة جناحه فيصطاد فيلعب به وقيل ان فتحا
الموصلي رضي الله عنه كان قاعدا فقيل اعرض عن تتبع الشهوات
كيف صنعته وكان بقربه صبيان مع احدهما خبز بلا ادام مع
الاخر الخبز مع كامخ فقال الذي لم يكن معه كامخ لصاحبه
اعطني من الكامخ فقال بشرط ان تكون كلبي فقال اطعمه مع
فجعل خيطا في فيه وجعل يجره كما يقاد الكلب فقال فتح
للسائل اما انه لو رضي بخبزه ولم يطمع في كامخه لم يكن
كلبا لصاحبه وحكي عن بعضهم انه دخل على تلميذ له فقدم
التلميذ اليه خبزا قفارا ولم يكن له ادام فاخذ يتمنى
في قلبه ان ليته كان له ادام فقدمه الى استاذه فقال الاستاذ
وقال تعالى مع جمعه الى باب السجن فوق الناس يكرب

واحد ويقطع الاخر ويعذب كل واحد بانواع العذاب
فقال الاستاذ للتلميذ ترى هؤلاء الا برلم يصبروا
على الخبز القفار وقيل ان رجلا اخرج من السجن
وفي رجليه قيد فسئل الناس فقال الانسان اعطني كسرة
فقال لو قنعت بالكسرة لما وقع القيد في رجلي و
رءا رجل رجلا من الحكماء ياكل ما تساقط من البقل على راس
ماء فقال لو خدمت السلطان لم تحتج الى اكل هذا فقال
الحكيم لو قنعت بهذا لم تحتج الى خدمة السلطان وانت
وقد
اردت ان اذكر هاهنا حكاية مناسبة لما نحن فيه ليعرف
بها كيف يكون الهمم السنية والاداب المرضية في اخذ
البلاغ من الدنيا والقناعة باليسير من الاشياء ورؤية
منة الله تعالى في تيسير القليل والشكر له على ذلك
قال بعضهم خرجنا من المدينة حجاجا فلما كنا بالزاوية
نزلنا فوقف بنا رجل عليه ثياب رثة وله منظر وهيئة
ومروءة فقال من يطعمني فاده من يطعم شاقيا فقلت
دونك هذه الغرفة فاخذها فانطلق فلم يلبث الا يسيرا
حتى اقبل وقد امتلأت اثوابه طينا واثر الطين في كفيه
فوضعها وهو كالمسرور الضاحك ثم قال الكم غيرها

قلنا

قلنا لا واطعمناه قرصا باردا فاخذه وحمد الله سبحانه
٧٢ وشكره كثيرا ثم اعتزل وقعد فاكله اكل جائع
فادركتني عليه الشفقة فقمت اليه بطعام طيب
كان معنا واكثرت منه فقلت قد علمت انه لم يقع
منك الغرض بموقع فدونك هذا الطعام فنظر في وجهي
وتبسم وقال يا عبد الله انما هو قوت جوع فما
ابالي باي شيء رددتها عني فرجعت عنه فقال رجل
الى جنبي اتعرفه قلت لا قال رجل من بني هاشم من ولد
العباس ابن عبد المطلب هذا من ولد سليمان ابن جعفر
المنصور كان يسكن البصرة فتاب فخرج منها ففقد
فما عرف له اثر فلا يعجبني قوله فقمت فجئت به وانسته
وقلت له يا فتى انا رجل من اخوانه وقد بلغني موضعك
فاحببت الاتصال بك فهل لك ان تعادلني فان لي فضلا
من راحلتي فجزاني خيرا وقال لو اردت هذا لكان لي معد
ثم انس الي وجعل يحدثني فقال انا رجل من ولد العباس
كنت اسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد وتجبر
وبذخ وانه امرت خادما لي ان يحشو لي فراشا من حرير
ومخدة بورد نقي فبينما انا قائم اذا بقمع

وورد قد اعتلت الخادم وعجفت البعير او وجعت ظهرا
ضربا ثم عدت الى مضجعي بعد اخراج المضجع والمخدة
فلا تاخذ انت ومنا هي في حوزة فضيحة وعزة وقال الحسن
من غشيتك وابصر من حيرتك ثم انشا يقول تلافيه
وانك ان نوديت ليلا وشدت بعد الموت عنها الجنادل
فلا تخدعن النفس ما لا تستعيد به فلست من غدا ان لم
تفعل ما تستطيع جزعا فخرجت من ساعتي الى
جهة ... قال الراوي فلما فرغ من حديثه ... ومضى
من لم يقبل على الله بملاطفات الاحسان قيد اليه
بسلاسل الامتحان النفوس الكريمة تقبل على الله بملا
طفات الاحسان وموالات فضله وامتنانه والنفوس
الابية لا تنقاد الا بسلاسل الامتحان ووقوع المصائب
بالاموال والابدان والقود بالسلاسل استعارة حسنة
قال سيدي ابو محمد رضي الله عنه سنة الله عز وجل استدعاء
العبد للعبادة بسعة الارزاق ودوام المعافات
ليرجعوا اليه بنعمته فان لم يفعلوا ابتلاهم بالسراء
والضراء لعلهم يرجعون لان مراده عز وجل رجوع العبد
اليه طوعا او كرها من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها

ومن شكرها

ومن شكرها فقد قيدها بعقالها شكر النعم موجب
لبقائها والزيادة منها وكفرانها وعدم شكرها
موجب لزوالها وانفصالها قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم
وقال تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم
اي اذا غيروا ما بهم من الطاعات وهي شكر النعم غير الله
تعالى ما بهم من الاحسان والكرم واجمعت حكماء
العرب والعجم على هذه الحكمة فقالوا الشكر قيد النعم وقالوا
الشكر قيد الموجود وصيد المفقود وكان يقال النعم اذا قوبلت
بالشكر فهي اوابد واذا ووجهت بالكفر فهي اغلال الشكر
على ثلاثة اوجه شكر بالقلب وشكر باللسان وشكر
بسائر الجوارح فشكر القلب ان يعلم ان النعم كلها من الله تعالى
قال الله عز وجل وما بكم من نعمة فمن الله وشكر اللسان
الثناء على الله تعالى وكثرة الحمد والمدح ويدخل فيه
التحدث بالنعم واظهارها ونشرها قال الله تعالى
واما بنعمة ربك فحدث وقال عمر ابن عبد العزيز
رضي الله عنه تذاكروا النعم فان ذكرها شكرها ومن شكر
اللسان ايضا شكر الوسائط بالثناء عليهم والدعاء لهم
وفي حديث النعمان ابن بشير رضي الله عنه ان رسول الله

افضل الشكر

صلى الله عليه وسلم قال من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير
ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله وعن اسامة ابن زيد
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشكر الناس
لله اشكرهم للناس وسياق الكلام على هذا المعنى في اخر
الكتاب ان شاء الله تعالى عند كلام المؤلف عليه وشكر سائر
الجوارح ان تعمل بها العمل الصالح قال تعالى اعملوا آل داود شكرا
فجعل العمل شكرا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قام حتى
انتفخت قدماه فقيل له يا رسول الله تفعل هذا وقد غفر الله
لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال افلا اكون عبدا شكورا
وسال رجل ابا حازم رضي الله عنه فقال له ما شكر العينين فقال اذا
رايت بهما خيرا اعلنته واذا رايت بهما شرا سترته قال
فما شكر الاذنين قال اذا سمعت بهما خيرا وعيته واذا
سمعت بهما شرا دفنته قال فما شكر اليدين قال لا تاخذ
بهما ما ليس لك ولا تمنع حقا هو لله فيهما قال فما شكر
البطن قال ان يكون اسفله صبرا واعلاه علما قال فما شكر الفرج
قال كما قال تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم
او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين قال فما شكر الرجلين
قال ان رايت شيئا غبطته استعملتهما عمله وان رايت شيئا

مقتته

مقتته كففتهما عن عمله وانت شاكر لله تعالى واما من شكر
بلسانه ولم يشكر بجميع اعضائه فمثله كمثل
رجل له كساء فاخذ بطرفه ولم يلبسه فلم ينفعه ذلك
من الحر والبرد والثلج والمطر واجمع العبارات للشكر
قول من قال الشكر معرفة بالجنان وذكر باللسان وعمل بالاركان
والقدر الملتزم من شكر النعم ما قاله الجنيد رضي الله عنه حين
ساله السري رضي الله عنه قال الجنيد رضي الله عنه كنت بين
يدي السري فقال يوشك ان يكون حظك من الله وانا ابن سبع
سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال يا غلام ما
الشكر قلت لا تعصي الله بنعمه فقال يوشك ان يكون حظك من الله
لسانك فلا ازال ابكي على هذه الكلمة خف من وجود احسانه
اليك ودوام اسائتك معه ان يكون ذلك استدراجا لك
سنستدرجهم من حيث لا يعلمون الخوف من الاستدراج — انظر الاستدراج
بالنعم من صفات المؤمنين وعدم الخوف منه مع دوام الا
ساءة من صفات الكافرين وقال بعض اهل الاشارة الاستدراج ركون
السيئة الى الاغترار بزمن المهلة وحمل تاخير العقوبة
على استحقاق الوصلة وهذا من الشكر الخفي قال الله
عز وجل سنستدرجهم من حيث لا يعلمون اي لا يشعرون

بذلك وهو ان يلقى في اوهامهم انهم على شيء وليسوا كذلك ليستمر رجيعهم في ذلك شيئا فشيئا حتى ياخذهم بغتة كما قال فلما نسوا ما ذكروا به اشارة الى ما القى وعصيانهم فتحنا عليهم ابواب كل شيء اي فتحنا عليهم اسباب العوائد واسباب الرفاهية حتى اذا فرحوا بما اوتوا من الحظوظ الدنياوية ولم يشكروا عليها برجوعهم منها الينا اخذناهم بغتة اي عجالة فاذاهم مبلسون اي ايسون قانطون من الرحمة قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه في قوله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون اي نمدهم بالنعم وننسيهم الشكر عليها فاذا ركنوا الى النعمة وحجبوا عن المنعم اخذوا وقال ابن عطاء الله كلما احدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة وانسيناهم الاستغفار من تلك الخطيئة من جهل المريد ان يسيء الادب فتوخر العقوبة عنه فيقول لو كان هذا سوء ادب لقطع الامداد واوجب الابعاد فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر ولو لم يكن الا منع المزيد وقد تقام مقام البعد من حيث لا تدري ولو لم يكن الا ان يخليك وما تريد هذا نوع من الاستدراج الذي تقدم ذكره سوء ادب المريد موجب لعقوبته ولكن العقوبة مختلفة فمنها معجلة ومنها موجلة ومنها جلية ومنها

خفية

خفية فالعقوبة الجلية العقوبة بالعذاب والعقوبة الخفية العقوبة بوجود الحجاب فالعقوبة بالعذاب لاهل الحجاب والذنوب والعقوبة بالحجاب لاهل اساءة الادب مع الله بين يدي عالم الغيوب وقد تكون العقوبة الخفية والموجلة اشد على المريد من العقوبة الجلية والمعجلة وقال العقوبة الخفية ما ذكره من قطع المدد عنه والاقامة مقام البعد عنه وهو مبتلا وقوع الحجاب الذي ذكرناه فاذا ابتداء به المريد ولم تداركه رحمة من الله تعالى في الحال العقوبة كان ذلك موجبا لسقوطه من عين الله ووقوع الحجاب على قلبه وتبدل الانس بالوحشة واستبدال الضياء بالظلمة ولم يمكنه بعد ذلك معاودة الحال الاولى لانه اذ ذاك تنقطع عنه الامداد المتصلة الواردات والواردات المتصلة فتنكشف حينئذ تتحصن العرفان وتستتر عنه الكشوفات والبيان وهذه جنود الله تعالى في قلب العبد فاذا فقد النصرة من الله تعالى فذلك وقع في الخذلان واستحوذ عليه الشيطان فانساه الشيطان الذكر وصار من حزب المكر ورجع الى متابعة هوى نفسه الامارة وخرج عن دائرة العبودة المختارة ونعوذ بالله من سوء المقت وعدم التوفيق الى مراعاة اوائل الامور ومما ينتفع به المريد لنفسه من الكلام الذي ذكر المولف

يقتضي توجه هذه العقوبة ضربة لازب لا رفعه لو كان هذا
سوء ادب في الحضور دليل على رضاه بحاله واستحسانه لا حاله
وهذا هو الموجب له عدم المزيد الذي اقتضاه قطع المدد
عنه ولو كان العبد متوطئا اليه لا ازداد عند ما يقع منه سوء
الادب توجعا للتوبة والافتقار اليه وخوفه من مكره ولم يستحسن
حال نفسه ولم يرض بها قال سيدي ابو العباس رضي الله عنه
كل سوء ادب يثمر لك ادبا فهو ادب وهو الذي اوجب له ايضا
التلقية بينه وبين ما يوجبه الذي اقتضاه اقامة مقام العبد اذ لو
كان مقاما في القرب لبعد عن رؤية نفسه وكان مقتها له في ارادتها
وكان موافقا مع مراد الله تعالى فاذا اقدم على امر بارادته وشهوته
فذا وكله الله تعالى بالحجبة وعفو عليه ما اراد له وسد عليه مسا
لكه ولم يهمله وما ازداد من ذلك ويقال من علامة التوفيق ثلاثة مطلب توفيق
دخول اعمال البر عليك من غير قصد منك اليها وصرف المعاصي
عنك مع السعي فيها وفتح باب اللجا والافتقار الى الله تعالى
في كل الاحوال ومن علامة الخذلان ثلاثة تعسر الطاعة عليه مطلب الخذلان
مع السعي فيها ودخول المعاصي عليك مع الهرب منها وغلق
باب اللجا الى الله تعالى وترك الدعاء في الاحوال والادب له موقع
عظيم في التصوف ولذلك قال ابو حفص رضي الله عنه التصوف كله

في اداب

في اداب الكل وقت ادب ولكل حال ادب ولكل مقام ادب فمن
لزم في اداب الاوقات بلغ مبلغ الرجال ومن ضيع الادب فهو
بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يظن القبول
وقال ابو عبد الله بن خفيف قال لي رويم يا بني اجعل عملك
ملحا وادبك دقيقا وقال بعضهم الزم الادب ظاهرا وباطنا
فما اساء احد الادب في الظاهر الا عوقب ظاهرا وما اساء احد
الادب باطنا الا عوقب باطنا وقال ذو النون المصري اذا
خرج المريد من حد الادب فانه يرجع من حيث جاء وقال الثوري
رضي الله عنه من لم يتادب للوقت فوقته مقت وقال ابن
المبارك رضي الله عنه نحن الى قليل من الادب احوج منا الى كثير
من العلم وقيل لبعضهم يا سيء الادب فقال لست بسيء الادب
فقيل له ومن ادبك فقال الصوفية والاداب اللازمة للمريد علامة
في ظاهره وباطنه وادب الظاهر تبع لادب الباطن وادب
الباطن هو التحلي بمحاسن الاخلاق كلها وفي الحديث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ادبني ربي فاحسن ادبي
ثم امرني بمكارم الاخلاق فقال خذ العفو وامر بالعرف
واعرض عن الجاهلين ولا يتصل له ذلك بعد توفيق الله وتاييده
الا بالرياضة والمجاهدة قال ابن عطاء الله رضي الله عنه

النفس مجبولة على سوء الادب والعبد مامور بملازمة
الادب فالنفس تجري بطبعها في ميدان المخالفة والعبد
يردها بجهده عن سوء المطالبة فمن اطلق عنانها فهو
شريكها في فسادها ويختلف ما ذكرناه من المجاهدة
والرياضة باختلاف الاشخاص فرب شخص زكي الفطرة كريم
السجية سهل المقادة لا يحتاج في ذلك الى كبير معاناة
ولا تعب ورب شخص يكون حاله على عكس هذا فلا جرم
يحتاج الى زيادة تعب وقوة ممارسة وشدة مجاهدة
لرداءة فطرته وثقل غريزته ويبين هذا شرح وحلت [?]
لا تفطن ولهذا يحتاج المريد الى صحبة المشايخ والتقيد
بآدابهم واتباع اوامرهم ونواهيهم لانه ان لم يجر
افعاله على مراد غيره لا يصح له الانتقال عن الهوى
في الرياضة والمجاهدة كل مبلغ وذلك لكثافة
حجاب نفسه وقد سئل الاستاذ [?] رضي الله عنه بماذا
يقوم الرجل عوجاجه فقال بالتادب بامام فان لم يتادب
بامام يبقى بطالا فاذا دام العبد على ذلك تزكت نفسه
وطهر قلبه وتهذبت اخلاقه وظهر على ظاهره
انوار ذلك فتكون حركات ظاهره وباطنه مزمومة

بزمام

بزمام الادب حتى ينتهي به الى الصحة وخفة على تجنب
امور غير مستنكرة في ظاهر العلم ويكون تركها في حقه
عيبا وذنبا من مثله وقد تعاتب عليه ويخاف من
رجله فقال السري رضي الله عنه جلست [?] في ذا الليلة
من الليالي ومددت رجلي في المحراب فنوديت يا سري
كذا تجالس الملوك فضممت رجلي ثم قلت وعزتك
لا مددت رجلي ابدا قال الجنيد رضي الله عنه فبقي ستين
سنة ما مد رجله ليلا ولا نهارا وقال ابو القاسم القشيري
رضي الله عنه كان الاستاذ ابو علي لا يستند الى شيء وكان يوما
في مجمع فاردت ان اضع وسادة خلف ظهره لاني رايته
غير مستند فتنحى عن الوسادة قليلا فتوهمت انه
توقى الوسادة لانه لم يكن عليها خرقة او سجادة
فقال لا اريد الاستناد فتاملت بعد ذلك فعلمت انه
لا يستند الى شيء ابدا وقال ابو القاسم الجنيد رضي الله عنه
كنت جالسا في مسجد الشونيزية انتظر جنازة اصلي
عليها واهل بغداد على طبقاتهم جلوس ينتظرون الجنازة فرايت
فقيرا عليه اثر النسك يسال فقلت في نفسي لو عمل هذا عملا
يصون به نفسه كان اجمل به فلما انصرفت الى منزلي وكان لي شيئا

من الورد بالليل حتى البكاء والصلاة وغيرها فشغل عني
جميع اورادي فسهرت وانا قاعد فغلبتني عيناي
فرأيت ذلك الفقير جاء وبه عمى فقال بصره ورادد فقالوا
بأكل عينه فقد اغتبته وكشفت عن الحال فقلت
ما اغتبته وانما قلت شيئا في نفسي فقال ما انت ممن
يرضى منك بمثله اذهب واستحله فاصبحت ولم ازل
اتردد حتى رأيته في موضع يلتقط من الماء عند تردد الكلاء
اوراق من البقل مما تساقط من غسل البقل فسلمت عليه
فقال تعود يا ابا القاسم فقلت لا فقال غفر الله لنا ولك
الى غير ذلك مما جاء عنهم رضي الله عنهم والظاهر ان مراد المؤلف
باساءة الادب ما كان فيه نوع من الرعونة واظهار الدعوى
والاتصاف الحسن بصفة المولى والانبساط والادلال في موقف
الهيبة والحياء وما اشبه هذا مما ينافي حاله وقوع
الاستدراج والمكر به ولكن ينبغي للمريد الا يتهاون
بشيء من الاداب ولا يستحقرها فان التهاون بذلك والاستحقار
من علامة الجهل وعدم المعرفة بالله تعالى وهذا الفتح انواع
سوء الادب فان وقعت منه اساءة ادب فليكن خائفا
من ذلك مستعظما الامر فيه وليبادر الى التوبة والاعتذار

والتنصل

والتنصل منها خشية ان توقعه العقوبة من حيث لا يشعر
وعادة ما ينبغي ان يجتنبه المريد من مقتضيات هذه الجملة
التي ظهر لنا انها مراد المؤلف رحمه الله من انواع سوء
الادب ان يتوهم بخاطره على شيء من الاعتراض على الله تعالى
وتعاطي التدبير معه والتخير واحكامه المؤلمة له في
نفسه او غيره وان يصرح لسانه بالشكوى الى الخلق والعيب
لما لا يوافق هواه وينقص نظره مما اراده الحق فان خطر
بباله او اجرى على لسانه شيء من ذلك فليبادر الى الاستغفار
منه والرجوع عنه وليحذر ان تشاغله بذلك من احسن الحسنات
وافضل القربات وذلك يدخله في مقامات الرضى ويوصله
الى غاية النعيم والحظ كما ان توطينه عليه وتهاونه به
من اعظم خطاياه واكبر ذنوبه ويؤديه ذلك الى تعجيل
الاكدار والوقوع في دركات النار ونعوذ بالله من ذلك
ضاع لبعض الصوفية ولد صغير فلم يعرف له
خبر ثلاثة ايام فقيل له لو سألت الله تعالى ان يرده
عليك فقال اعتراضي عليه فيما قضى اشد علي من ذهاب
ولدي وقال بعض السادة اذنبت ذنبا فانا ابكي
عليه منذ ستين سنة وكان قد اجتهد في العبادة

لاجل التوبة من ذلك الذنب فسأله وما هو فقال قلت لشيء مرة
ليته كان وقال بعض الصلحاء لو قرض جسمي بالمقاريض
احب الي من ان اقول لشيء فعله الله ليته لم يفعله وقال
بعضهم مرض الجنيد رضي الله عنه فاوجع عليه فسمع
هاتفا يقول ما لك والدخول بينك وبين ملكي ومن دقائقها
ايضا ان يعلو بقلبه شيئا من الاعتراض على المشايخ والاولياء
او يترك تعظيمهم واحترامهم والا يقبل اشاراتهم فيما
يشيرون به عليه فقد قالوا عقوق الاستاذين لا توبة لها
وقالوا ايضا من قال لاستاذه لم لم يفلح قال ابو القاسم
القشيري رضي الله عنه من صحب شيخا من الشيوخ ثم
اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة ووجبت
عليه التوبة وان يقع من اهل السلوك فاحذا لم يصل
الى مقصوده فليعلم ان موجب حجبه اعتراض له من قلبه
على شيوخه في بعض اوقاته فان الشيوخ بمنزلة
السفراء للمريد بين قاله وفي الخبر الشيخ في اهله
كالنبي في امته وكذلك من سوء ادبه تصديه للتعليم
والهداية وتصديه للامر والولاية وحبه للاستتباع
والرياسة وتربية الجاه والحشمة والقبول بين الناس

واستعد عادة

واستعد عادة ان يسر ان يكون من يعظمه ويتبرك به
ويقبل يده ويسارع في قضاء حوائجه وذلك من اشد
الاشياء به وهو نتيجة استحسانه لما هو عليه
وعدم تفقده لعيوبه واتهام نفسه في كل حال من احواله
وذلك مذموم منه قال ابو عثمان رضي الله عنه لا يرى
احد عيب نفسه وهو يستحسن من نفسه شيئا
وانما يرى عيوب نفسه من يتهمها في جميع الاحوال
وقال ابو عبد الله السجزي رضي الله عنه من استحسن شيئا
من احواله في حال ارادته فسدت عليه ارادته الا ان يرجع
الى ابتدائه فيروض نفسه ثانيا وقال ابو عبد الرحمن
السلمي رضي الله عنه سمعت جدي يقول آفات المريد
رضاه عن نفسه بما هو فيه بان استشعر المريد من نفسه
شيئا مما ذكرناه فليبادر الى قطع مودته واستيصال
عروقه من قبل ان يستحكم ذلك فيه ويستفرسخ فبداية
الامور هي التي ينبغي ان تراعى كثيرا ومن انواع سوء
ادب المريد المفضي الى عطبه نزوله عن مقتضيات الحقيقة
الى رخص الشريعة فقد عدوا هذا من الجنايات العظيمة
الموجبة لانحطاط الرتبة والبعد عن محل القربة ولهذا

انظر

قالوا اذا رأيت المريد انحط عن رتبة الحقيقة الى رخصة
الشريعة فاعلم انه قد نقض عهده مع الله وفسخ عقده
بينه وبين الله وقال ابن خفيف رضي الله عنه الارادة استدامة
الكد وترك الراحة وليس شيء اضر على المريد من مسامحة
النفس في قبول الرخص والتأويلات وقال يوسف ابن الحسين
رضي الله عنه اذا رأيت المريد يشتغل بالرخص فاعلم
انه لا يجيء منه شيء وقال ابو اسحاق ابرهيم ابن شيبان
من اراد ان يتعطل ويبطل فليلزم الرخص ونعني بالرخص ها هنا
ما كان منافيا لحال المريد من تناول الشهوات واللذات
والراحات وارتكاب الشهوات والتأويلات فان حال المريد
يقتضي حمله نفسه لهذا كله وان كان بعض ذلك مباحا في
رخصة الشرع لعامة الناس كان ابرهيم الخواص رضي
الله عنه يقول الا ترى هذه الشهوات التي اظلمت قلوب
المتعبدين بعد ضياء نورها وفترت ابدانهم بعد
اجتهادها وحبست قلوبهم بعد قربها واطالت امالهم
بعد قصرها وانسوا بالمخلوقين بعد الهرب منهم و
توطئوا الفرش بعد الترك لها فسقتهم الدنيا بكاس
سمها فنظروا الى ظاهرها بعد باطنها فناموا بعد السهر

شبعوا

انظر
خطاب الله لداود
...

شبعوا بعد الجوع واكتسوا بعد العري وقال ابو
سليمان الداراني رضي الله عنه اوحى الله تعالى الى داود
عليه السلام اني انما خلقت الشهوات لضعفاء خلقي
فاياك ان تعلق قلبك منها بشيء فايسر ما اعاقبك به
ان انزع حلاوة حبي من قلبك وفي اخبار داود عليه السلام
ايضا يا داود تمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين
منها فاحجب محبتي عنك اقطع شهوتك فانما جعلت
الشهوات لضعفة خلقي ما بال الاقوياء ان ينالوا الشهوات
فانها تنقص حلاوة مناجاتي فان عقاب الاقوياء في الدنيا للمحب
ونزهته عنها يا داود لا تجعل بيني وبينك عالما سكرانا
فيحجبك بسكره عن محبتي اولئك قطاع الطريق
على عبادي المريدين استعن على ترك الشهوات بادمان
الصوم يا داود تحبب الي بمعاداة نفسك امنعها
من الشهوات انظر اليك وترى الحجب بيني وبينك
مرفوعة وقال ابرهيم ابن ادهم رضي الله عنه لا ينال
الرجل درجة الصالحين حتى يجوز ست عقبات اولها
يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة والثانية ان يغلق باب
العز ويفتح باب الذل والثالث ان يغلق باب الراحة

ويفتح باب الجد والرابع أن يغلق باب النوم ويفتح باب
السهر والخامس أن يغلق باب الغنا ويفتح باب الفقر
والسادس أن يغلق باب الأمل ويفتح باب الاستعداد وقال
ابراهيم الخواص رضي الله عنه كنت في جبل لكام فرأيت
رمانا فاشتهيته فدنوت منه فأخذت منه واحدة فشققتها
فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلا
مطروحا قد اجتمع عليه الزنابير تلدغه فقلت السلام
عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم فقلت وكيف عرفتني فقال
من عرف الله لا يخفى عليه شيء فقلت أرى لك حالا مع الله
تعالى فلو سألته أن يحميك ويقيك من هذه الزنابير فقال
وأرى لك حالا مع الله تعالى فلو سألته شهوة الرمان
فإن لدغ الرمان يجد الانسان ألمه في الآخرة ولدغ الزنابير
يجد ألمه في الدنيا وقال السهروردي رضي الله عنه ان فيمن
تطالبه نفسه ثلاثين سنة أو أربعين سنة أو خمسين جزرة
في بقل فما أطعمتها فلما كان ترك الشهوات والتنعمات عن
من شيم الصوفية فمن مقتضى حاله لزمه الوفاء به
وكان يحمله على خلافه نقضا ونسخا كما تقدم قال
جعفر ابن نصير دفع إلي الجنيد درهما وقال اشتر به
التين

التين الوزيري فاشتريته فلما أفطر أخذ واحدة ووضعها
في فيه ثم ألقاها وبكى وقال احمله فقلت له في ذلك فقال
هتف في قلبي هاتف أما تستحيي شهوة تركتها من أجلي
ثم تعود إليها وعن شقيق بن ابراهيم قال لقيت ابراهيم
ابن ادهم رضي الله عنه بمكة في سوق الليل عند مولد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو جالس ناحية من الطريق يبكي فعدلت
إليه وجلست عنده وقلت له أي شيء هذا البكاء يا أبا اسحاق
فقال خير فعاودته مرة واثنين وثلاثة فلما أكثرت عليه قال يا شقيق
استر علي فقلت يا أخي قل ما شئت فقال اشتهت نفسي سكباجا
فمنعتها جهدي فلما كان البارحة كنت جالسا وقد غلبني النعاس
فإذا أنا بفتى شاب بيده قدح أخضر يعلو منه بخار ورائحة سكباج
قال فاجتمعت بهمتي عليه فقربه مني وقال يا ابراهيم كل فقلت ما آكل
شيئا قد تركته لله تعالى قال لي فإذا أطعمك الله تأكل فما كان لي جواب إلا
أن بكيت فقال لي يرحمك الله كل فقال ابراهيم فقلت له قد أمرنا لا نطرح
في وعائنا إلا من حيث نعلم فقال لي كل يرحمك الله فإنما أعطيته
وقيل لي يا خضر اذهب بهذا أطعم نفس ابراهيم ابن ادهم فقد رحمها
الله من طول صبرها حتى ما يحملها من منعها اعلم يا ابراهيم أني
سمعت الملائكة يقولون من أعطي فلم يأخذ طلب فلم يعط

فقلت ان كان كذلك فهاتنا بين يدي لما احل العقد مع الله
عز وجل ثم اقعد فاذا انا بجارية اخرى ومعها شيء وقال
يا فاجر لقمة اتت فلم يزل يلقمني حتى شبعت وانتبهت
وحلاوته في فمي فقال شقيق رضي الله عنه فقلت ان كنت
فاخذت كفه فقبلتها وقلت يا من يطعم الجياع الشهوات
اذا صححوا المنع يا من يقدح في الضمير اليقين يا من يشفي قلوبهم
من محبته اترى لشقيق عندك حالا ثم رفعت يد ابرهيم الى السماء
فقلت بقدر هذه الكف وبقدر صاحبها وبالجود الذي وجد منك جد
على عبدك الفقير الى فضلك واحسانك ورحمتك وان لم يستحق
ذلك قال فقام ابرهيم رضي الله عنه ومشى حتى دخل المسجد الحرام
وقال عتبة الغلام لعبد الواحد بن زيد رضي الله عنهما ان فلانا يصف من
قلبه منزلة ما اعرفها فقال انك تاكل مع خبزك تمرا وهو
لا يزيد على الخبز شيئا فقال ان تركت التمر عرفت تلك المنزلة
قال نعم وغيرها فاخذ يبكي فقال له بعض اصحابه ابكى الله عينيك
اعلى شيء لم يعاود فيه ابدا وقال احمد بن ابي الحواري رضي الله عنه
اشتهى ابو سليمان الداراني رضي الله عنه رغيفا حارا بملح فجئت
به اليه فعض منه عضة ثم طرح الرغيف وقال عجلت الى شهوتي
بعد اطالة جهدي وشقوتي قد عزمت على التوبة فاقلني قال احمد

فما رايته

فما رايته اكل الملح حتى لقي الله وقال ابو بكر الجلا رحمه الله
عليه اعرف انسانا تقول له نفسه انا اصبر لك على طي عشرة ايام
واطعمني بعد ذلك شهوة اشتهيها فيقول لها لا اريد ان
تطوي عشرة ايام ولكن اترك هذه الشهوة وقال ابو
سليمان رضي الله عنه ترك شهوة من شهوات النفس انفع
للقلب من صيام سنة وقيامها وقال ابو حامد الغزالي رضي الله
عنه وقد امتنع خوف السلف رضي الله عنهم من تناول الاطعمة الشهية
وتمرين النفس عليها وراوا ذلك علامة الشقاوة وراوا منع
الله منه غاية السعادة حتى روي عن وهب بن منبه رضي الله عنه قال
التقى ملكان في السماء الرابعة فقال احدهما للاخر من اين
فقال امرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي وقال
الاخر امرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد قال وهذا تنبيه
على ان تيسير الشهوة ليس من علامة الخير قال ابو حامد رضي الله
عنه والاصل المهم في المجاهدات الوفاء بالعزم فاذا عزم على
ترك الشهوة فقد تيسرت اسباب ذلك ويكون ذلك من الله تعالى
ابتلاء واختبارا فينبغي ان يصبر ويستمر فانه ان عود نفسه
كسر العزم الفت ذلك وفسدت واذا اتفق منه كسر
عزم فينبغي ان يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه

في معاقبة النفس من كتاب المراقبة فإذا لم يخوف النفس
بعقوبة عليه وحسمت عنه تناول الشهوات ونفذت
به الرياضة عليه بالكلية هذا كلام الإمام لبوامة وهو
حسن ومعناه صحيح مجرب فلنعامل عليه أيها المريد
وقد يعجل الله لبعض هؤلاء العقوبة رحمة له ومنة
عليه قال أبو تراب النخشبي رضي الله عنه ما تمنت
نفسي شهوة من الشهوات إلا مرة واحدة فتمنيت
خبزا وبيضا وأنا في سفر فعدلت إلى قرية فقام واحد
فتعلق بي وقال هذا كان مع اللصوص فضربوه سبعين درة ثم
عرفني رجل منهم فقال أبو تراب النخشبي واعتذروا إلي
فحملني رجل منهم إلى منزله وقدم إلي خبزا وبيضا فقلت
لنفسي كليه بعد سبعين درة وقال بعضهم اشتهى أبو الخير
العسقلاني رضي الله عنه السمك سنين ثم ظهر له ذلك
من موضع حلال فلما مد يده إليه ليأكله أخذت شوكة
من عظامه إصبعه فذهب في ذلك فقال يا رب هذا لمن مد
يده بشهوة إلى حلال فكيف بمن مد يده بشهوة إلى حرام
وقال إبراهيم الخواص رضي الله عنه كنت في جبل لكام
في الطريق فواجهت الرمان فهممت بأن آكلها معارضة

فإذا دخلتها

فإذا دخلتها الضاجعة والخصومة فلما دخلت البلاد رأيت
فيه منكرا استحييت أن آمر فيه بالمعروف فأخذوني وضربوني
فوقفت في نفسي من أين أصابني هذا الضرب على جوعي بتوبيخ
في سري إنما أصابك ذلك لأنك سكنت إلى معارضة قلبك وقالت
النفس بالصلحين إذا دخلت البلد وحكي عن إبراهيم بن شيبان
رحمه الله أنه قال كنت بالجب واشتهيت شيئا من الخبز
والعدس من قاتن فلم آكل حتى شبعت فرأيته على باب
المسجد قوارير معلقة شبه نمودجات فتوهمتها خلا
فقال لي قائل إنما تنظر إليها إنها خمر فقلت لزمني فرض فدخلت الحانوت
فلم أزل أصب دنا دنا حتى انتهيت إلى الجميع فأخذوني وضربوني مائتي
خشبة وطرحوني في السجن أربعة أشهر حتى دخل أستاذي
أبو عبد الله المغربي البلد فسمع بحالي فتشفع لي فلما
وقع بصره علي قال ما شأنك قلت شبعت خبزا وعدسا
فضربت مائتي خشبة وسجنت أربعة أشهر فقال نجوت
مجانا أي وردت عقوبة هذه الأكلة على ظهرك ولم تقدح
فيما كنت فيه من صبر أمرك فصار ذلك رفقا على أنه
بك ونجاة وقال الإمام أبو القاسم القشيري رضي
الله عنه ومن أصح ما قال فيمن مراده في دنياه فيما

يتعاطاه من متابعة هواه وقد ضعف عنه عقابه بل
طهره بالتاديب جوهره ومعناه **وحكاية** خير
النساج رضي الله عنه المشهور من معناه ما ذكر الاي فاذكرها
وفيها عبرة للمعتبرين قال الحافظ ابو نعيم رضي الله عنه
حدثني جعفر بن محمد من قطيرة كتابه قال سالت
خيرا النساج اكان النسج حرفتك قال لا قلت فمن اين سميت
به قال كنت عاهدت الله واعتقدت ان لا اكل الرطب ابدا
فغلبتني نفسي يوما فاخذت نصف رطل فلما اكلت واحدة
اذا برجل نظر الي وقال يا خير يا ابق هربت مني وكان له غلام
اسمه خير فوقع علي شبهه وصورته فاجتمع
الناس فقالوا هذا والله غلامك خير فبقيت متحيرا وعلمت
بما اخذت وعرفت جنايتي فحملني الى حانوته الذي كان
فيه ينسج غلمانه وقالوا يا عبد السوء اهربت من مولاك
ادخل واعمل عملك الذي كنت تعمل وامرني بعمل الكرباس
فدليت رجلي على ان اعمل فاخذت بيدي فكاني منذ كنت
اعمل من سنين فبقيت معه اشهرا انسج فقمت ليلة
قد ذهب عنه فتمسحت وقمت الى الصلاة الغداة فسجدت
وقلت في سجودي اللهم لا اعود الى ما فعلت فاصبحت فاذا

الشبه

الشبه قد ذهب عني وعدت الى صورتي التي كنت عليها فاطلقت
فسميت على هذا الاسم فكان سبب النسج اتباع شهوة
عاهدت الله ان لا اكلها فعاقبني بما سمعته وفي بعض الاخبار
عن الله ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا اثر شهوته على محبتي ان
احرمه لذيذ مناجاتي وسنذكر ان شاء الله كيفية مجاهدة النفس
عند قوله لولا مياه بين النفوس ما تحقق تمييز الطاهرين ولهذا
المعنى كره اهل الله التزوج من غير ضرورة محققة لانه انما يقصد
بذلك قضاء شهوته وبلوغ نهمته وذلك في الحقيقة بمنزلة
السم القاتل وقد قالوا من اعطى شهوته عدم همته وقال
بعضهم من جمع بشيء مما اباحه العلم تلذذا عوقب بتلبيح
العمر وقسوة القلب وتعب الهم بالدنيا وقال ابو سليمان
الداراني رضي الله عنه ثلاثة من طلبهن فقد ركن الى الدنيا
من طلب معيشة او تزوج امراة او كتب الحديث وقال ما
رايت احدا من اصحابنا تزوج فثبت على مرتبته وكان ابن جريج
ابراهيم رضي الله عنه يقول من تعود افخاذ النساء لا يفلح
وقيل لبعضهم لم لا تتزوج فقال امراة لا تصلح الا للرجال
وانا ما بلغت مبلغ الرجال في جهة من مكابدة امر غيري
ومراعات توجبة حقوقهم ومعرفات اختلافهم واتباع

من قوته ما يشوش على المريد حاله ويكدر عليه وقته وقد
كان في معاناة امر نفسه اكتفى شاغل عن ان يضاف الى نفسه
نفس اخرى مع ما يتسلط على باطنه من خوف الفقر ومحبة
الجمع والمنع وما تركبه بسبب ذلك من التاويلات والرخص
وذلك كله مضاد لحال المريد وقد قالوا اذا تزوج الصوفي فقد
ركب السفينة فان ولد له فقد غرقت السفينة وكان بشر
ابن الحارث رضي الله عنه يقول لو كنت اعول دجاجة لخفت ان
اكون جلوازا على الجسر وفي الخبر في آخر الزمان فقال
في ذلك الوقت حلت العزبة فقيل وكيف قال يعيرونه
بالفقر فيتكلف ما لا يطيق فيورده موارد الهلاك وفي الخبر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم بعد المائتين رجل
خفيف الحاذ قيل يا رسول الله وما الخفيف الحاذ قال الذي
لا اهل له ولا ولد وقال سهل بن عبد الله رضي الله عنه اياكم
والاستماع الى النساء والميل اليهن فان النساء مبعدات
من الحكمة قريبات من الشيطان وهن مصايده وحظه
من ابن آدم فمن عطف اليهن بكليته فقد عطف الى حظ
الشيطان ومن جاهد منهن فيئس منه وما مال الشيطان
الى احد كميله الى من استرق بالنساء وأكثر معصيتهم حيث

كثر فاذا رايتم في وقتكم من قد ركن اليهن واستوا منه
قيل له قد حبب الى النبي صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم
ثلاث فذكر النساء فقال النبي صلى الله عليه وسلم معصوم
وقد بلغني ما كان فيه معهن هن عدو الرجال ظاهرا وباطنا
ان انصرفت له العصمة اهلكته وان نصرته القوة وان الله
عز وجل جعلهن فتنة فنعوذ بالله من فتنتهن انتهى
كلام سهل رضي الله عنه وقال حذيفة المرعشي رضي الله عنه
كان ينبغي للرجل لو خير بين ضرب عنقه وبين ان يتزوج امراة
في الفتنة لاختار ضرب العنق على تزويج امراة في الفتنة وضرب
العنق احسن حالا واحمد عاقبة من التعرض لارتكاب شيء
من معاصي الله عز وجل فان غاب شيء من ذلك المريد
فهو داء عضال في حقه وقد قالوا زلة بعد الارادة اقبح
من سبعين زلة قبل الارادة وفي المثل من عرف بالخيانة
لا يؤتمن عليه في الامانة وقال بعض الانبياء في مناجاته
لربه لو عفت عن فلان ذنوبه بعد عظيم نعمك فاوحى الله
اليه ليس الذنب في القرب كالذنب في البعد وقيل لبعضهم
هل تجد العاصي حلاوة الطاعة فقال لا ولا من هم بالمعصية
انظر سوء الادب
ومن عظيم سوء ادب المريد ان يميل الى اهل الدنيا وان يقرب

منهم وان يصاحبهم قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله
عنه ومن شان المريد التباعد عن ابناء الدنيا فان صحبتهم
سم مجرب لانهم ينتفعون به وهو ينتقص بهم قال الله تعالى
ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره
فرطا وفي نقله من كلام المولف لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك
على الله مقاله ومن ذلك ايضا معاشرة الاحداث والنسوان وقبول
ارفاق النسوان فان من تعرض لاستجلاب ذلك منهن فهو سمه
قال يوسف ابن الحسين رضي الله عنه رايت افات الصوفية في صحبة
الاحداث ومعاشرة الاضداد ورفق النسوان قال الامام ابو
القاسم القشيري رضي الله عنه ومن اصعب الافات في هذه
الطريقة صحبة الاحداث ومن ابتلاه الله بشيء من ذلك فبا
جماع الشيوخ ان ذلك عبد اهانه الله تعالى وخذله بل عن
نفسه شغله ولو بالف الف كرامة اهله ثم قال بعد كلام
كثير فليعلم ان المريد من جملة الاحداث ومما الكتهم
فيه ان التبصير عنه فتح باب الخذلان وبذر في حال الهجران ونعوذ
بالله من قضاء السوء وءاداب المريد كثيرة وانما نبهنا
على بعض ما يحتم فيه النظر والضرر مصادقة ومنه ايمتنا.
رضي الله عنهم ومالفوائد التوصية به والنهي عنه وجميع

ذلك

٢٠٦

ذلك محتمل لان يكون مراد المولف رحمه الله وقوله من جهل
المريد ان يسيء الادب فراينا الا يخلوا هذا الموضع من هذا
التنبيه لان هذا يقع للمريد كثيرا والله ولي التوفيق
اذا رايت عبدا اقامه الله بوجود الاوراد وادامه عليها
مع طول الامداد فلا تستحقرن ما منحه مولاه لانك لم تر
عليه سيما العارفين ولا بهجة المحبين فلولا وارد
ما كان ورد عباد الله المخصوصين ينقسمون الى قسمين
مقربين وابرار فالمقربون هم الذين اخذوا من حظوظهم
وارادتهم واستعملوا في القيام بحقوق ربهم عبودية
وطلبا لمرضاته وهولاء هم العارفون والمحبون والابرار
هم الذين بقوا مع حظوظهم وارادتهم واقيموا في الاعمال الطاعات
ليجزون عليها برفع الدرجات في الجنة وهولاء هم الزاهدون
والعابدون ولكل واحد منهم مدد في مقامه الذي هو فيه بمدد
الله الخفي منهم القيام بحقوق مقاماتهم على اختلافها
فاذا رايت عبدا اقامه الله تعالى في اعمال البر الظاهرة ومواصلة
الاوراد المتواترة وامده في ذلك بالمعونة والتيسير فذلك
من اختيار الله تعالى له فلا تستحقرن ذلك لاجل انك لم تر
سيما العارفين عليه من ترك الاختيار والبراءة من الحظوظ

والارادات فيمن يدعي المريد المختار ولا يعجبه الصحيح من
الشغف بمن غلبت محبوبهم والانبساط والادلال بين يدي
حبيبهم فلولا الوارد الالهي الذي اورده الله تعلى عليه ما اقتحم
على عمله ووروده فهو لم يخرج عن دائرة وحدانيته عنايته
فلم يستحقر ذلك بما منحه مولاه وتستقل الكثير او معه
وهل ذلك الامر وجود جهلك وتعطل عقلك وسيادة من كلام
المولف رحمه الله لا يستحقر الورد الا جهول **قوم اقامهم**
الحق لخدمته وقوم اختصهم بمحبته كلا نمد هؤلاء
وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا الحق
تعالى له الاختيار التام والمشيئة النافذة لا يسئل عما يفعل
وهم يسئلون فطائفة اقامهم الحق تعالى لخدمته حتى
طلبوا لجنته وهم الزاهدون والعابدون كما تقدم وطائفة
اختصهم بمحبته حتى طلبوا القربة والدخول الى حضرته وهم
العارفون والعلماء قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه
الزاهد صيد الحق من الدنيا والعارف صيد الحق من الجنة
فاذا استشهد العبد انفراد الله تعلى بهذه الاقامة والتخصيص
منعه ذلك مما ذكرناه من الاستحقار وسلم الامر لمن
بيده التدبير والاختيار قال ابو زيد رضي الله عنه الخلع

الله تعلى

الله تعلى على قلوب اوليائه فمنح من لم يطلع لمعرفته صرف
فشغلهم بالعبادة وذكر الحافظ ابو نعيم في كتاب حلية الاولياء
عن مفضل بن عبد الله رضي الله عنه قال ان الله تعلى يطلع على اهل قربة
اوليائه فيمن يريد ان يقسم لهم من نفسه قسما فاي قلوب العباد
والقلوب الزهاد موضعا لتلك القسمة من نفسه حبس عليهم ان يشغلهم
بالتعبد عن نفسه قال ابو العباس الدينوري رضي الله عنه ان لله عبادا لم
يستصلحهم لمعرفته فشغلهم بخدمته ولله عباد لم يستخلصهم
لخدمته فاجلهم والاشارة بالاية الكريمة التي ذكرها المولف رحمه الله
ببيته بهذا المعنى **وقال رضي الله عنه قلما تكون الواردات الالهية**
الا بغتة صيانة لها ان يدعيها العباد بوجود الاستعداد
الواردات الالهية هدايا من الله تعلى وتحف وكرامات يكرم بها عباده
فلا تكون في الغالب الا بغتة اي فجأة لئلا يدعوها ويرون انهم اهلا لها
بوجود استعدادهم وتاهبهم وتحف الله تعلى وهداياه منزهة
عن ان تعلل بامر ومنزهة عن ان تنال بالاعمال بل هو محض كرم وفضل من الكريم
المتفضل **من رايته مجيبا عن كل ما سئل ومعبرا لكل ما شهد وذاكرا**
لكل ما علم فاستدل بذلك على وجود جهله الاجابة عن كل سؤال
والتعبير عن كل مشهود والذكر لكل معلوم امارات على وجود جهل من
اتصف بها كما قال اما الاجابة عن كل سؤال فلاتصافها بها مضم

منه الاحاطة بجميع المعلومات وذلك محال في حقه فان العلى
وما لان يتقدم من العلم الا قليلة فكيف يتصور منه مع هذا
الاجابة عن كل سؤال اليه وجود جهله وايضا فانه يجب عليه
ان يراعي حال السائل من وجود الاهلية لما سأل عنه فيمتنع
من اجابته من الاهلية فيه لذلك فيفعل ما فعله رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيما روي عنه مع السائل الذي جاء سأله ان يعلمه
من غرائب العلم بانه استنقصه وقال له ما فعلت في راس العلم
ويذكر الحديث الى اجابة السائل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
اذهب فاحكم ما هنالك ثم تعال حتى اعلمك من غرائب العلم
وكما اخذ الله تعالى على العلماء ان لا يكتموا العلم اهله كذلك اخذ
عليهم ان يصونوه من غير اهله فمن لا يسلك هذا المسلك فهو
جاهل واما التعبير لكل مشهود فلان فيه نوع من افشاء السر عن السر
الذي يجب كتمه وقد قالوا قلوب الاحرار قبور الاسرار والسر
امانة الله تعالى عند العبد فاشارة التعبير عنه خيانة والله
لا يحب الخائنين وايضا فان الامور المشهودة لا يستعمل فيها
الا الاشارة والايماء وان استعمل العبارات فيها احتاج بها واشعار
بها وذلك لدقة الزها واذا كانت هذا شان العبارة عنها لا
تزيدها الا غموضا وانغلاقا لان الامور الذوقية يستحيل
ادراك

ادراك حقائقها بالعبارات الدقيقة فيبقى ذلك الانكار
والقدح في علوم السادات الاخيار قال ابو علي الروذباري رضي
الله عنه علمنا هذا اشارة فاذا صار عبارة خفي واما الذكر لكل
معلوم فلعدم تعريفه في المعلومات وقد يكون علم لا ينتفع
فذاكره العمر استغرقه وان كان ينتفع به فهو عدم تعريفه فاني
المعلومات في ذكرها من وجود انما جعل الدار الاخرة محلا
لجزاء عباده لان هذه الدار لا تسع ما يريد ان يعطيهم ولانه اجل
اقدارهم عن ان يجازيهم في دار لا بقاء لها انما جعل ثواب المومنين انظر
في الدار الاخرة فيما ظهر لنا لوجهين احدهما ان هذه الدار لا تسع
ما يريد ان يعطيهم من انواع النعم حسا ولا معنى اما الحس فلان الدنيا
مدة البقاء المسافة ضيقة الاقطار ويعطي الله تعالى لاحد المومنين
في الدار الاخرة في ملك واحد منهم كما ورد في الخبر مسيرة سبعمائة
عام فما لا يمكن في خواطرهم فيضيق لا محالة مسافة عن كلية جزائهم
واما المعنى فلان الدنيا موسومة بالدناءة والنقص والخساسة والكدارة
والاشياء التي ينتفع بها اهل الجنة امور شريفة رفيعة كما جاء في الخبر
ان موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها وان نور حور حوراء
يطمس نور الشمس والقمر هذا او يكفي في ذلك قوله تعالى فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون وقوله صلى الله

صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أعددت لعبادي
الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
والثاني أن الله أجل أقدار عباده المؤمنين فلم يجعل لهم الجزاء على طا
عتهم في دار فانية منقضية منصرمة لا تكاد تبقى وإن طالت مدتها
كلا شيء بل أعطاهم الخلود في النعيم والبقاء الدائم في الملك المقيم
وناهيك شرفا بتسميته إياهم باسمه الكريم وهو الحي الذي لا يموت جاء
في التفسير في قوله تعالى وملكا كبيرا أنه يرسل الله تعالى الملك إلى وليه
ويقول له استأذن على عبدي فإن أذن لك فادخل وإلا فارجع فيستأذن عليه
من سبعين حجابا ثم يدخل عليه ومعه كتاب من الله عز وجل مكتوب على
عنوانه من الحي الذي لا يموت فإذا فتح كتابه وجد مكتوبا فيه عبدي
اشتقت إليك فزرني فيقول هل جئت بالبراق فيقول نعم فيركب البراق
فيغلب الشوق على قلبه فيحمله شوقه ويبقى البراق إلى أن يصل فيسأله
الغني من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول
ثمرة العمل وجدان الحلاوة فيه والتنعم به ويتصور ذلك في أكثر الأعمال
في المواظبة عليه على حال تركه واستثقال لما دعا هو غالب الأمر فقال
بعض العارفين ليس شيء من البر إلا ودونه عقبة يحتاج إلى الصبر فمن
صبر على شدتها أفضى إلى الراحة والسهولة وإنما هي مجاهدة النفس
ثم مخالفة الهوى ثم مكابدة في ترك الدنيا ثم اللذة والتنعم

وقال ثابت

79

وقال ثابت البناني رضي الله عنه كابدت القرآن عشرين سنة
ثم تنعمت به عشرين سنة وقال عتبة الغلام رضي الله عنه
كابدت الليل عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة
وقال بعض العلماء كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلوته
كأني أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على أصحابه
ثم رفعت إلى مقام فوقه وكنت أتلوه كأني أسمعه من جبريل
عليه السلام يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء الله
تعالى بمنزلة أخرى فأنا الآن أسمعه من المتكلم به فعندها
وجدت له لذة ونعيما لا أصبر عنه وما ذكرناه من الحلاوة والنعيم
إنما ثمرته الأعمال الصحيحة المستقيمة السالمة من الرياء و
الهوى قال أبو تراب رضي الله عنه إذا صدق العبد في العمل وجد حلاوته
قبل أن يعمله وإذا أخلص فيه وجد حلاوته وقت مباشرته العمل
والأعمال الموصوفة بهذه الصفات مقبولة بفضل الله تعالى وقد ورد
في الخبر لا يقبل الله تعالى من مسمع ولا مراء دليل خطابه أن العمل
السالم من الرياء والسمعة مقبول مع قوله عز وجل إنما
يتقبل الله من المتقين وقبول الله تعالى العمل للعبد وإثابته به هو
ثوابه المعجل كما يقوله المؤلف رحمه الله بعد هذا وذلك
علامة على وجود الجزاء عليه في الدار الآخرة حسبما جاء

في قوله وجدان ثمرات الطاعة عاجلا بشائر العاملين بوجود
الجزاء عليها آجلا وقال ابو سليمان الداراني رضي الله عنه
كل عمل ليس له ثواب في الدنيا ليس له جزاء في الآخرة مخصوص هذا
ان وجدان الحلاوة على وجود المقتضي لوجود الرضى والجزاء ولذلك
قال الحسن رضي الله عنه تفقدوا الحلاوة في ثلاثة فان وجدتم
ثمرها فابشروا وامضوا لقصدكم وان لم تجدوها فاعلموا
ان الباب مغلق عند ثلاثة القرآن وعند الذكر وفي السجود
وزاد بعضهم عند الصدقة وفي الاسحار وقيل في قوله تعالى
ولمن خاف مقام ربه جنتان قال جنة معجلة وهي حلاوة الطاعات
ولذاذة المناجاة والاستئناس بفنون المكاشفات و
جنة مؤجلة هي فنون المثوبات وعلو الدرجات قلت
وهذه الحلاوة المذكورة لا تكون الا في مقام المعرفة الخاصة
وهي التي تنافيها المعصية فقيل لبعضهم هل يعرف
الله من يعصيه فغضب على السائل وقال ترى العبد من لا يعرف
بفعاله او يعصي من يعرفه وقيل بما تعرف انك
عرفته قال لم اقصد مخالفته الا وترد على قلبي
استحياء منه وقال اسماعيل بن نجيد رضي الله عنه
التهاون بالامر من قلة المعرفة بالآمر فاذا العصيان

في حال

في حال العرفان بعيد فان وقعت منه زلة او هفوة بحكم
وتقدير من الله فهو راجع عنها وجد لا محالة لذلك مرارة
والهم في قلبه فوجدان هذه المرارة والألم في المعصية
علامة صحة وجود الحلاوة والنعيم في الطاعة فهذه هي
الحلاوة التي هي ميزان الاعمال المقبولة كما ذكرناه واما
الحلاوة التي يجدها من دون اهل هذا المقام في بعض هذه
العبادات فهي حظوظ معلومة لا اثر لها على تشهيه العابدين
للمواظبة على العبادة والحلاوة على الاطلاق اذا وجدها العامل
في العمل لا ينبغي له ان يقف معها ولا يفرح بها ولا يسكن اليها
وكذلك ايضا لا ينبغي له ان يقصد بعمله ان ينالها لما فيها
من اللذة والحظ فان ذلك مما يقدح في عبادته وفي ارادته
ولا يكن اعتناؤه بحصولها لتكون ميزانا لاعماله ومحكا لاحواله
وفيه قال الواسطي رضي الله عنه استحلاء الطاعات سموم
قاتلة فانها لطائف المنن وصدق الواسطي رضي الله عنه
وافلح في ذلك انه اذا ابيح لك حلاوة الطاعات تصير قائما
فيها متطلبا لحلاوتها فيفوتك صدق الاخلاص في نهوضك
لها وتحب دوامها لا قياما بالوفاء ولكن لما وجدت من الحلاوة
والمتعة فتكون في الظاهر قائما لله وفي الباطن انما قمت

في قوله وجدان ثمرة الطاعة عاجلا بشائر العاملين بوجود
الجزاء عليها آجلا. وقال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه
كل عمل ليس له ثواب في الدنيا ليس له جزاء في الآخرة يحتمل من هذا
أن وجدان الحلاوة على وجود المقتضي لوجود الرضى والجزاء ولذلك
قال الحسن رضي الله عنه تفقدوا الحلاوة في ثلاثة فإن وجدتم
ثمرها فابشروا وامضوا لقصدكم وإن لم تجدوها فاعلموا
أن الباب مغلق عند ثلاثة القرآن وعند الذكر وفي السجود
وزاد بعضهم عند الصدقة وفي الأسحار. وقيل في قوله تعالى
ولمن خاف مقام ربه جنتان قال جنة معجلة وهي حلاوة الطاعات
ولذاذة المناجاة والاستئناس بفنون المكاشفات و
جنة مؤجلة هي فنون المثوبات وعلو الدرجات. قلت
وهذه الحلاوة المذكورة لا تكون إلا في مقام المعرفة الخاصة
وهي التي تنافيها المعصية. فقيل لبعضهم هل يعرف
الله فيغضب على السائل وقال ترى العبد من لا يعرف
فقال له أو يعصي من يعرف. وقيل بما تعرف أنك
عرفته قال لم أقصد مخالفته إلا ورد على قلبي
استحياء منه. وقال إسماعيل بن نجيد رضي الله عنه
التنعم في الأمر من قلة المعرفة بالآمر بل الأمر من ذل العصيان.

في حال

٩٠

في حال العرفان بعيد فإن وقعت منه زلة أو هفوة بحكم
وكان أمر الله قدرا مقدورا وجد لا محالة لذلك مرارة
والهم في قلبه فوجد أن هذه المرارة والألم المعصية
علامة صحة وجود الحلاوة والنعيم في الطاعة فهذه هي
الحلاوة التي هي ميزان الأعمال المقبولة كما ذكرناه وأما
الحلاوة التي يجدها من دون أهل هذا المقام في بعض هذه
العبادات فهي حلاوة معلولة إذ لا يأمن فيها من نشبة العابدين
للمواظبة على العبادة والحلاوة على الإطلاق إذا وجدها العامل
في العمل لا ينبغي له أن يقف معها ولا يفرح بها ولا يسكن إليها
وكذلك أيضا لا ينبغي له أن يقصد بعمله التي نيلها لما له فيها
من اللذة والمتعة فإن ذلك مما يقدح في عبادته ويحول إرادته
ولمن اعتنى به بحصولها لتكون ميزانا لأعماله ومحكمة لأحواله
وفيه قال الواسطي رضي الله عنه استحلاء الطاعات سموم
قاتلة. فانظر لطائف النفس وحذق الواسطي رضي الله عنه
وأقوالها في ذلك أنه إذا انفتح لك حلاوة الطاعات تصير قائما
فيها متطلبا لحلاوتها فيفوتك صدق الإخلاص في نهوضك
لها وتغيب دواعيها إلا قياما بالوفاء ومن لم يجد تلك الحلاوة
والمتعة فتكون في الظاهر قائما لله وفي الباطن إنما قمت

لك نفسك وتخشى عليك ان تكون حلاوة الطاعة جزاء
تعجلته في الدنيا فتاتي يوم القيامة ولا جزاء لك **ان اردت**
ان تعرف قدرك عنده فانظر فيما ذا يقيمك هذا بيان
صحيح وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اراد
ان يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله تعالى من قلبه
فان الله تعالى ينزل عبده حيث انزله العبد من نفسه وهذا
لان تنزل الحق كون المقصود في العبد هو معنى الاقامة المذكورة
اذ العبد لا يجعل له على التحقيق قال الفضيل بن عياض رضي الله
عنه انما يطيع العبد ربه على قدر منزلته منه وقال الشيخ
ابو طالب المكي رضي الله عنه فاذا كان العبد لا ينظر مولاه مكرما
ولحرمته معظما والى محبوبه ومرضاته مسارعا كان الله عز
وجل له في اسرته لوجهه مكرما ولشانه مستحجبا والشغل
عنه مستصغرا كان الله عز وجل له مهينا وبشانه متهاونا
وان ما يكره من العذاب الاليم مسارعا والعياذ بالله من ذلك
قال وهب ابن منبه رضي الله عنه في بعض الكتب يا ابن ادم اطعني
فيما امرتك ولا تعلمني بما يصلحك اني عالم بخلقي انا اكرم
من اكرمني واهين من هان عليه امري لست بناظر في حق
عبدي حتى ينظر عبدي في حقي **متى رزقك الطاعة والغنى**
به عنها فاعلم انه اسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة

المطلوب

المطلوب من العبد شيئان اقامة الامر والتعلق بالله في
الباطن وهو الاستغناء به عن غيره فاذا رزق الله تعالى العبد
هذين الامرين فقد اسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة واوصله الى غاية
الامل في الدنيا والآخرة سبحانه جل وعلا **وقال رضي الله عنه خير ما**
تطلبه منه ما هو طالبه منك ان كان لا بد من الطلب فالطلب منه
ما هو طالبه منك من الاستقامة على سبيل العبودية لربوبيته
خير لك من طلبك لحظوظك ومرادك لانك حينئذ تكون به وله
ويسعفك بمطلوبك عاجلا من غير تاخير واما طلبته من حظ
نفسك وتعجيل مرادك فقد يحصل في ذلك تاخير ويقع مع ما يفوتك
حقيقة من حسن الادب في الطلب **ويحكى** عن ابي الحسن **الديلمي**
رضي الله عنه قال دخلت انطاكية لاجل اسود يتكلم على القلوب فاقمت
فقصدته فلما رايته رايت معه شيئا من المباحات يريد ان يبيعه
فساومته وقلت له بكم تبيع هذا فنظر الي ثم قال اقعد فاني جائع
منذ يومين حتى اذا بعنا هذا نعطيك من ثمنه شيئا قال فجفيت الى غيره
وتغافلت كاني لم اسمع ما قال وساومت غيره ما كان بين يديه
ثم رجعت اليه وقلت له بكم تبيع هذا فنظر الي وقال اقعد فاني جائع
منذ يومين حتى اذا بعنا هذا نعطيك من ثمنه شيئا قال فوقع
على قلبه منه هيبة فلما باع ذلك اعطاني شيئا ومضى قال فتبعته

خلقه لعلي استجيبه منه شيئا قال في النفحة التي وقال اذا
عرضت لك حاجة فلا تنزلها بالله الا ان تكون بيضاعة
بتحجيب عن الله ومن دعاء ابي القاسم الجنيد رضي الله عنه
اللهم وكل سؤال ليطلب الله فيعرا من كلي بالسؤال فاجعل سؤاله
اليك سؤال المحابك ربنا تجعلني ممن يعتمد بسؤاله مواضع
الحظوة بل ممن يسئل القيام بواجب حقك ومن دعائه ايضا اللهم
اني اسئلك ما هو لك واستعيذ بك من كل امر يشغلك
اللهم ولا تشغلني بشغل شغله عنك ما اراده مني الان
يكون لك اللهم اجعلني ممن يذكرك ذكرا لا يريد بذكرك الا هو
ما الذ اللهم اجعل شوقي فيك اليك ما هو لك ولا تجعل فيه
اليك ما اطلبه منك. **الحزن على فقدان الطاعة مع عدم
النهوض اليها من علامة الاغترار** هذا هو الحزن الكاذب والحزن
يكون عند البكاء الكاذب كما قالوا كم من يبكي بجارحته وقلبه
قاس وهو من مكر الله تعالى الخفي حيث منعهم ما ينفعهم
واعطاهم ما يغترون به من الحزن والبكاء سمعت رابعة
العدوية رضي الله عنها رجلا يقول وا حزناه فقالت قل
وا قلة حزناه لو كنت محزونا لم يتهيا لك ان تتنفس
واما الحزن الصادق فبخلاف هذا وهو مقام من مقامات

السالكين

السالكين وهو يبعث على الانكماش في الاعمال والنهوض الى
الطاعات على كل حال قال الشيخ ابو علي الدقاق رضي الله عنه
صاحب الحزن يقطع من طريق الله عز وجل في شهر ما لا يقطعه من فقد
حزنه سنين وفي الخبر ان الله يحب كل قلب حزين وفي التوراة
اذا احب الله عبدا نصب في قلبه نائحة واذا ابغضه نصب في قلبه
مزمارا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم
الفكرة وقيل الحزن اذا فقد من القلب خرب دمر بيده وهم
الحزن لم يرغب والهم لذة العبادة فاذا الحزن الذي يجد العبد من نفسه
ان لم يبعثه على النهوض والانكماش والاجتهاد فذلك من علامة
الاغترار وليس بمقام السالكين الابرار. **ما العارف من اذا اشار
وجد الحق اقرب اليه من اشارته بل العارف من لا اشارة له
لفنائه في وجوده وانطوائه في شهوده** الاشارة الطف
من العبارة وهي كناية وتلويح دقيقة لا تصريح وهي التي
يستعملها اهل هذه الطريقة فيما بينهم عند ذكرهم لاسرار
التوحيد كما تقدم عند قوله من رايته مجيبا عن كل ما سئل
ومعبرا عن كل ما شهد والمشير الى الله تعالى الحاصل للاشارة
وان وجد الله تعالى اقرب اليه من اشارته غير عارف على التحقيق
لانه محجوب بالمعرفة بشهوده الاغيار بل العارف العلا

في وجوده المنكور في شهوده الخ غاب عن الاشارة والمشير
والمشار اليه قيل الى فلان رضي الله عنه عن العبودية فقال
حقيقة العبودية ان يشير الى الله عز وجل فيه انه مع نفي حس
الاشارة فقيل ذلك يستوعب حاله فقال هو ان يجد الله بلا
سعد... الاشارة وقيل لابي علي الروذباري رضي الله عنه عن الا
شارة فقال الاشارة الابانة عما يتضمنه الوجد من المشار
اليه لا غيره وفي الحقيقة ان الاشارة تصحبها العلل والعلل
بعيدة عن عين الحقائق وقال الشبلي رضي الله عنه كل اشارة
اشار بها الخلق الى الحق فهي مردودة عليهم حتى يشيروا
الى الحق بالحق وليس لهم الى ذلك طريق وقال ابو يزيد رضي الله عنه ا
بعدهم من الله اكثرهم اشارة اليه **الرجاء ما قارنه عمل
والا فهو امنية** الرجاء مقام شريف من مقامات اليقين
وهو يبعث على الاجتهاد في الاعمال كما ذكر ذلك في المنازل
من رجا شيئا طلبه ومن خاف من شيء هرب منه واما
الرجاء الكاذب الذي يفتر صاحبه عن العمل ويجريه على المعاصي
والذنوب فليس هذا برجاء عند العلماء والحكمة امنية
واغتروا بالله تعالى وقد ذم الله تعالى قوما تمنوا مثل
هذا واصروا على حب الدنيا والرضى بها وتمنوا المغفرة

على ذلك

92

على ذلك بسماع ... خلفهم والخلف الردي من الناس فقال عز وجل
من قائل فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض
هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا فقال معروف الكرخي رضي الله عنه
طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وارتجاء الشفاعة بلا سبب
نوع من الغرور وارتجاء رحمة من لا يطاع جهل وحمق وقد قال الوا
... زعمهم ان الرجاء في الاسرار صحيح فيك لا يلبس عليك ان الرجاء في
العفو وقد ... الناس ... صحيح وفي الحديث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت
والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال الحسن
رضي الله عنه ان قوما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا
وليست لهم حسنة يقول احدهم احسن الظن بربي كذب لو احسن
الظن بربه لاحسن العمل وتلى قوله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم
بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين وكان يقول رضي الله عنه
عباد الله اتقوا هذه الاماني فانها اودية النوكى يحلون فيها والله
ما اتى الله عبدا باماني خيرا في الدنيا ولا في الاخرة وكتب ابو عمير
المنصوري رضي الله عنه الى بعض اخوانه اما بعد فانك اصبحت
بطول عمرك وتتمنى على الله الاماني بسوء فعلك وانما تضرب
حديدا باردا **مطلب العارفين من الله الصدق في العبودية والقيام**

بحقوق الربوبية مطلب العارفين من ربهم اعظام مطالب
غيرهم سواء كان عبادة او زهدا او علما لان مطلب العارفين
انما هو الصدق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية في ذلك
من غير مراعاة حظ ولا بقاء مع نفس وكل ما عداهم لم يجعلوا
رفقوا المطلوب والاغراض في مطالبهم وقد تقدم من كلام
المؤلف رحمه الله خير ما طلبته منه ما هو طالبه منك قال
الشيخ ابو مدين رضي الله عنه شتان بين من همته الحور
والقصور وبين من همته رفع الستور ودوام الحضور
بسطك كي لا يبقيك مع القبض وقبضك كي لا يتركك
مع البسط واخرجك عنهما كي لا تكون لشيء دونه
القبض والبسط من حالات التي يتلون فيها العارفون وهما
بمنزلة الخوف والرجاء للمريدين المبتدئين وسببهما
الواردات التي ترد على باطن العبد وقوتهما وضعفهما بحسب
قوة الواردات وضعفها والمقصود هاهنا انهما وان كانا نافعين
بالنسبة الى من يفقههما فانهما يقتضيان بقاء العبد ووجوده
فمن لطف الله بعبده تلوينه فيهما ثم اخراجه عنهما ليفنيه
به عن نفسه ويبقيه بربه قال [illegible] رضي الله عنه القبض اولا
ثم البسط ثم لا قبض ولا بسط لان القبض والبسط انما يقعان

في الوجود

في الوجود واما مع الفناء والبقاء فلا وكان الجنيد رضي الله عنه
يقول الخوف يقبضني والرجاء يبسطني والحقيقة تجمعني
والحق يفرقني اذا قبضني بالخوف افناني عني واذا بسطني بالرجاء
ردني علي واذا جمعني بالحقيقة احضرني واذا فرقني بالحق اشهدني
غيره فغطاني عنه فهو في ذلك كله محركي غير ممسكي وموحشي
غير مؤنسي فحضوري له ذوق طعم وجودي فليته
افناني عني فمتعني او غيبني عني فروحني وقد تكلم صاحب
كتاب عوارف المعارف في القبض والبسط بكلام بديع طويل
تركت نقله هاهنا اختصارا فمن اراده فلينظره هنالك
في محله في الكتاب المذكور **العارفون اذا بسطوا اخوف**
منهم اذا قبضوا ولا يقف على حدود الادب في البسط
الا قليل انما اشتد خوف العارفين في البسط لما يشتد
في العبد من قبل ملايمته الهوى نفوسهم بخلاف القبض
كما سيقوله المؤلف الان فيخافون فيمنعهم من حقوقهم
اليهم ودونهم لطمع نفوسهم وفي ذلك الطرد
والبعد وقد كتب يوسف ابن الحسين الرازي الى الجنيد
رضي الله عنهما لا اذاقك الله طعم نفسك فانك ان ذقتها
لا تذوق بعدها خيرا ابدا ومن ثم تشاكه عليهم في ذلك

ملازمة الادب ودوام الانقباض والانكسار وذلك امر
عسير في هذه الحال ولذلك لا يقف على حدود الادب في
البسط الا قليل كما قال المولى رحمه الله وقفة [illegible]
فقف على البساط واياك والانبساط وقال محمد لابي محمد
الجريري رضي الله عنه كنت على بساط الانس وفتح علي طريق
البسط فزللت زلة فحجبت عن مقامي فكيف السبيل
اليه دلني على الوصول الى ما كنت عليه فبكى ابو محمد
وقال يا اخي الكل في قهر هذه الخطة لكني انشد ابياتا
لبعضهم وانشد يقول

قِفْ بِالدِّيَارِ فَهَذِهِ آثَارُهُمْ تَبْكِي الأَحِبَّةُ حَسْرَةً وَتَشَوُّقَا
كَمْ قَدْ وَقَفْتُ بِرَبْعِهَا مُسْتَخْبِرًا عَنْ أَهْلِهَا أَوْ سَائِلًا أَوْ مُشْفِقَا
فَأَجَابَنِي دَاعِي الْهَوَى فِي رَسْمِهَا فَارَقْتَ مَنْ تَهْوَى فَعَزَّ الْمُلْتَقَى

وسئل بعض المشايخ عن تلك الزلة فقال الانبساط مع الحق
بغير ادب وقال الاستاذ ابو القاسم القشيري رضي الله
عنه ومن هذا اخشى الاكابر والسادات فترة الحجاب
في البسط منزلة اقدام الرجال فهو موجب لمزيد
حذرهم عليهم والقبض اقرب الى وجود السلامة لانه
وطن العبد اذ هو في اسر قبضة الله واحاطة الحق

محيطة

محيطة به ومن اين يكون للعبد البسط وهذا شانه والبسط
خروج عن حكم وقته والقبض هو اللائق بهذه الدار اذ هي
دار التكليف وابهام الخاتمة وعدم العلم بالسابقة
والمطالبة بحقوق الله تعالى قال واخبرني بعض الصوفية قال
رايت شيخنا في المنام بعد موته مقبوضا فقلت له
يا استاذي ما لك مقبوضا فقال له يا بني القبض والبسط مقومان
ثم لم يبق منهما في الدنيا وفاتهما في الآخرة قال وكان هذا الشيخ الغالب
عليه في حياته البسط انتهى البسط تاخذ النفس منه حظها
بوجود الفرح والقبض لا حظ للنفس فيه وهذا الثاني كما تقدم
من ان مراعات الادب في البسط امر عسير وذلك ان البسط
امر عظيم ووجود حظ النفس فيه مستولى عليه الفرح فلذلك قل ما
يتمالك حتى يقع في سوء الادب والقبض ليس فيه حظ للنفس فلذلك
كان اسلم وكان الاستاذ ابو علي الدقاق رضي الله عنه يقول القبض حق
الحق منك والبسط حق العبد منه ولان يكون بحق منه اتم من ان تكون
بحظك منه واما آداب القبض والبسط فلا اعلم الآن من استوفى
الكلام فيها من علماء الصوفية ومشايخهم وانما اخذناها من ذلك
اشارات الى امور جلية كقول الامام ابي القاسم القشيري رضي الله عنه
بعد ان تكلم على حقيقة القبض والبسط وتمييز كل منهما الى ان قال

انظر القبض والب[سط]

وقد يكون قبض يشتمل على صاحبه بسببه يجده في قلبه فيجد
لا يدري ما موجبه وما سببه فسبيل صاحب هذا
القبض التسليم حتى يمضي ذلك الوقت لانه لو تكلف
نفيه او استقبل الوقت قبل هجومه عليه باختياره لزاد
في قبضه ولعله يعد ذلك منه سوء ادب واذا استسلم لحكم
الوقت فعن قريب يزول القبض فان الله سبحانه قال والله يقبض
ويبسط وقد يكون بسط يرد بغتة ويصادف صاحبه فلتة
لا يعرف له سببا يهز صاحبه ويستفزه فسبيل صاحبه السكون
ومراعاة الادب فان في هذا الوقت خطر عظيم فليحذر فيه
صاحبه مكرا خفيا كما قال بعضهم فتح علي باب من البسط
فزللت زلة فحجبت عن مقامي انتهى كلام الامام ابي القاسم
وقد رايت كلاما مستوفى في ادواء القبض والبسط للشيخ
ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه فاحببت ان اذكره هاهنا
لينتفع به العبد في الاحوال التي تعرض فيها وان كان الشيخ ابو الحسن
اعلم ممن هو غيره من ايمة الصوفية قال رحمه الله القبض
والبسط قل ما يخلو العبد منهما فهما يتعاقبان تعاقب الليل
والنهار والحق يقتضي منك العبودية فيهما فمن كان وقته
القبض فلا يخلو ان يعلم سببه او لا يعلمه واسباب القبض

ثلاثة

انظر
اسباب ال...
٩٦

ثلاثة ذنب احدثته او دنيا ذهبت عنك او نقصت لك او ظالم
يؤذيك في نفسك او في عرضك او ينسبك لغير الدين او غير
ذلك فاذا ورد عليك القبض من احد هذه الاسباب فالعبودية
ان ترجع الى العلم مستعملا له كما امرك الله اما في الذنب فبالتوبة
والانابة وطلب الاقالة واما فيما ذهب عنك من الدنيا او نقص
فبالتسليم والرضى والاحتساب واما فيما يؤذيك به ظالم
فبالصبر والاحتمال واحذر ان تظلم نفسك فيجتمع عليك ظلمان
ظلم غيرك لك وظلمك لنفسك فان فعلت ما التزمت به
من الصبر والاحتمال اثابك سعة الصدر حتى تعفو وتصفح
وربما اثابك بنور الرضى ما ترحم به من ظلمك فتدعو له فتجاب
فيه وما احسن ذلك اذا رحم بك من ظلمك فتلك درجات
الصديقين الرحماء والتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين
واما اذا ورد عليك القبض ولم تعلم له سببا فالوقت وقتان
ليل ونهار فالقبض اشبه شيء بالليل والبسط اشبه شيء
بالنهار فاذا ورد القبض بغير سبب نعلمه فالواجب
السكون والسكون عن ثلاثة اشياء على الاقوال والحركات
والارادات فان فعلت فعن قريب يذهب عنك الليل بطلوع
نهارك او نجم تهتدي به او قمر تستضيء به او شمس تبصر بها

والفتوح مجموع العلم والعمل فمن التوحيد والشمس بشمس
المعرفة وان تجد كتب في ظلمة فقل ما تسلم من الهلاك واعتبر
بقوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه
ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ففي هذا حكم العبودية
في القبض جميعا واما من كان وقته البسط فلا يخلوا اما ان يعلم
له سببا او لا يعلم سببا فالاسباب ثلاثة زيادة الطاعة
او نوال من المطاع كالعلم والمعرفة والسبب الثاني
زيادة من دنيا بكسب او كرامة او هبة او صلة والسبب
الثالث في المدح والثناء من الناس واقبالهم عليك وطلب
الدعاء منك وتقبيل يدك فاذا ورد عليك البسط
من احد هذه الاسباب فالعبودية تقتضي ان ترى النعمة والمنة
من الله عليك واحذر ان ترى شيئا من ذلك لنفسك وليكن
فلا يلازمها الخوف خوف السلب مما به انعم عليك فتكون ممقوتا
قد مقتا في جانب الطاعة والنوال من الله تعالى واما الزيادة من الدنيا
فهي نعمة ايضا كالاولى وخوف مما يطرا من افاتها واما مدح الناس
لك وثناؤهم عليك فالعبودية تقتضي شكر النعمة بما ستر
عليك وخوف من الله تعالى ان يظهر ذرة مما بطن منك فيمقتك
اقرب الناس اليك واما البسط الذي لا تعلم له سببا فحق العبودية

فيه

فيه ترك السؤال والادلال والصولة على الرجال في النساء الانفس
الا ان تقول سليم سليم الى الممات فهذه ادب القبض والبسط
في العبودية فمبعد ان علمت والسلام انتهى ما ذكره الشيخ
ابو العباس وكلامه في ذلك حسن والحمد لله الذي بيده لوامع المنن

ربما اعطاك فمنعك وربما منعك فاعطاك منع
الله تعالى عبده من نيل شهواته ولذاته والكون مع شيء عادته
عطاء جزيل منه لانه اتفاق معه وانقطاع عن حقوقه
واغراضه وحوره منها وعكس هذا هو المنع على التحقيق
وان كان عطاء في الظاهر قال الشيخ محي الدين ابن العربي
اذا منعك فذلك عطاؤه واذا اعطاك فذلك منعه فاختار
الترك عن الاخذ فالواجب على العبد ان يترك التدبير والاختيار
لمن بيده ذلك فلن يعدم منه خيرا متى فتح لك باب الفهم
في المنع عاد المنع عين العطاء سياق بيان هذا ان كلام المؤلف في قوله
متى اعطاك اشهدك بره ومتى منعك اشهدك قهره الى ان قال
الاكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة فالنفس تنظر الى ظاهر
غرتها والقلب ينظر الى باطن عبرتها الاكوان ها هنا
كل ما يمكن ان يكون للنفس فيه حظ من متاع الدنيا وزينتها
وزهرتها وهي في حقيقة الظاهر فتنة والباطن كذلك فمثل

على وجه فيه منفعة من ملاحة تؤتمنه أي تثبت الأغيار
لو كانت بادية أي فهي من حيث ظاهرها حلوة خضرة وبا
لنظر إلى باطنها جيفة قذرة فالنفس تنظر إلى زينتها
الظاهر فتغتر بها فتهلك عاجلا والقلب ينظر إلى
ما تحت البواطن فيعتبر بها فيسلم من شرها وقد روي
في الكتب السالفة أن الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام
يا روح الله من هم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
فقال عيسى عليه السلام هم الذين بهم نطق الكتاب وبه
نطقوا هم من الكتاب وبه علموا وبهم قام الكتاب وبه قاموا
نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها وعاينوا
آجل الدنيا حين عاين الناس عاجلها فأماتوا منها ما
خشوا أن يميتهم وتركوا منها ما علموا أن سيتركهم
فصار ذكرهم فيها فوتا وفرحهم بها حزنا ما عرض لهم منها
رفضوه وما ارتفع عليهم بغير الحق وضعوه خلقت الدنيا
عندهم فلم يجددوها وخربت فيما بينهم فلم يعمروها وماتت
في صدورهم فلم يحيوها هدموها وبنوا بها آخرتهم أحيوا ذكر
الموت وأماتوا ذكر الحياة يحبون الله ويحبون ذكره و
يستضيئون بنوره ويستضيء به لهم الخبر العجيب وعندهم
الخبر

الخبر العجيب وكان بعض العلماء يقول ما سمعت لزينة من زخرف
الدنيا إلا كشفها باطنه فيحضره عزوف عنها قال الإمام أبو
طالب المكي رضي الله عنه فهذه عناية من الله تعالى لمن والاه
من أوليائه المقربين منه فمن شهد الدنيا بأول وصفها لم يغتر
بها خيرا ومن عرف باطنها فقد شقيت لم يحتجب بظاهرها ومن كوشف
بها نفسها لم يشته زخرفها وكان عيسى عليه السلام يقول
يا معشر علماء السوء مثلكم مثل قنالة منشر ظاهرها حسن وباطنها
نتن. إن أردت أن يكون لك عز لا يفنى فلا تستعزن بعز يفنى

إن أردت عزا لا يفنى

العز الذي لا يفنى هو الغنى عن الأسباب بوجود مسببها لأنه باق
لا يفنى فالتعلق به عز لا يفنى والعز الذي يفنى هو الغنى بالأسباب
مع الغيبة عن مسببها لأنها فانية فالتعلق بها عز فان يفنى
وليس لك إلا أحدهما لأنهما ضدان لا يجتمعان فإن اخترت
العز الباقي بالله تعالى لم يقدر أحد أن يذلك. يحكى
أن رجلا أمر بالمعروف هارون الرشيد فحنق عليه هارون
وكانت له بغلة سيئة الخلق فقال اربطوه معها لتقتله
بركضها ففعلوا ذلك فلم تضره فقال اطرحوه في بيت
وطينوا عليه الباب ففعلوا ذلك فرئي في بستان وباب
البيت مسدود فأخبر هارون الرشيد بذلك فأتى بالرجل

فقال من اخرجك من البيت فقال الذي ادخلني البستان فقال
ومن ادخلك البستان فقال الذي اخرجني من البيت فقال
اركبوه وابتزوه وطوفوا به في البلد وليقل قايل الا هذا جزاء من اراد
ان يذل عبد العزيز الله فلم يقدر وان اشتريت العز بالاشياء
خولتك واسلمتك احوج ما تكون اليها وكنت في غاية الذل
والهوان وحكي عن بعضهم انه قال رايت رجلا في الطواف
وبين يديه شاكرية يطردون الناس فقعدت له بعد ذلك رايت انسانا
يتكفف الناس على الجسر ويسال شيئا قال وكنت انظر اليه واشبهه
بذلك فقال اين تنظر قلت اشبهك برجل رايته في الطواف
من شانه كذا وكذا فقال انا ذلك اني تكبرت في موضع يتواضع فيه
الناس فوضعني في موضع يرتفع فيه الناس قال القشيري
فان اعتززت بالله دام عزك وان اعتززت بغير الله فلا بقاء
لعزك اذ لا بقاء لمن انت به متعزز قال وانشد بعض
العقلاء ليكن بربك عزك تستقر وتثبت
فان اعتززت بمن يموت فان عزك ميت قال ودخل
انسان على بعض العارفين وهو يبكي فقال وما شانك
قال مات استاذي فقال له ذلك العارف ولم جعلت
استاذك من يموت ويقال كذا اذا اعتززت بغير الله
فقد تم

فقد تم واستفدت الرغبة له فقد هذه انكر الى الهدى الذي
كلفت عليه ما كتب التعرف ثم تمسكت في ايدي نفيسا انما الهي
الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما الطي الحقيقي
ان تنطوي مسافة الدنيا عنك حتى ترى الاخرة اقرب اليك
منك طي مسافة الدنيا انما يكون من العبد اذا اشرق
نور اليقين في قلبه فحينئذ تنعدم الدنيا في نظره وتنطوي
في اعتباره وترى الاخرة حاضرة لديه موجودة عنده بل
يراها اقرب اليه منه اذ ذاته فانية مطوية بهذا الاعتبار
فمن كانت مشاهدته لا ينطوي عنه حب القريب الفاني
وهو الدنيا واستبدله بالحاضر الباقي وهو الاخرة ولذلك
كان اصل الرغبة في الدنيا وايثارها على الاخرة ضعف اليقين
فمن لم يشرق في قلبه نور اليقين لم يشاهد الا الكبير
ومن لم يشاهد احب الدنيا وهي لا شيء فلم تكن
قيمتها عند الله تعالى شيئا فهذا هو الطي الحقيقي
لمسافة الدنيا الذي يكرم به الله اولياءه وبه تحقق
عبودية من ربهم عز وجل لا طي مسافة الارض الذي قد
يكون استدراجا ومكرا ولا طي الليالي والايام بالوصال
وترك الشراب والطعام اذا لم يتضمن طاعة وبرا

وسمياته من كلام المولف رحمه الله لو اشرق نور اليقين في قلبك لرايت الاخرة
اقرب من ان ترحل اليها ولرايت محاسن الدنيا قد ظهرت
كسفة الفنا عليها **العطاء من الخلق حرمان والمنع من الله**
عز وجل احسان عطية الخلق لك حرمان عن التحقيق لما فيه من رؤيتك
لغير الله وتوقفك مع حظوظك وشهواتك ومنع المولى لك احسان
لانه الزمك الوقوف ببابه وعوضك من وجود حجابه وان شئت
قلت العطاء من الخلق حرمان لما فيه من وجود محبتك لهم على ذلك
وتعلق قلبك بهم في اخذ عطاياهم والمنع من الله احسان لانه حبيبك
وكل ما يفعل الحبيب محبوب ولله در القايل فلا افتقر ان بتها
وغيري له ملبس ولا اقبل الدنيا وغيري واهب في ولـيه
علي رضي الله عنه لا تجعل بينك وبين الله منعما واعدد نعمة
غيره عليك مغرما وقال بعض الحكماء حمل المنن اثقل من الصبر
على العدم وقال اخر عز النزاهة اشرف من سرور الفائدة
وقال رضي الله عنه جل ربنا ان يعامله العبد نقدا فيجازيه
نسيئة جزاء المعاملة لا يختص بالدار الاخرة بل منها
المعجل الموعود منه لبعض اوليائه في الدنيا بحملهم
على الاجتهاد في الاعمال ويتحققون به وجود قبولها
في كل الاحوال وذلك لعظيم كرمه وعظيم فضله سبحانه

جل

جل وعلا كفى من جزائه اياك على الطاعة ان رضيك لها اهلا
هذا بيان جزائهم المعجل وهو انه عرفهم من عظمته وجلاله
وكبريائه ما استحقروا معه انفسهم ان يكونوا اهلا لان يكلفهم
القيام بطاعته ويمدحهم بها بتيسيره ومعونته فيستحيي
حينئذ حبه واستولى عليهم قربه فلا تسمعت اذناك تعويضهم
واضمحل وجودهم وذهب بهم الحب كل مذهب وهذا
غاية الجزاء ونهاية العطاء عند العلماء العارفين الذين
ينفعهم وقفة انه عن التطلع الى غيره من الحظوظ الاجلة
كفى العاملين جزاء ما هو فاتحه على قلوبهم في طاعته
وما هو مورده عليهم من وجود مؤانسته هذا بيان
لما للعاملين بعضه به من الجزاء المعجل وهو ان العاملين لربهم
يفتح لهم من المعارف ويورد على قلوبهم من انواع اللطايف
ما يشهدون منه روح الانس ويتمتعون به في حظيرة القدس
وهذا من علامات وجود الرضوان الاكبر الذي يتلاشى دونه كل
جزاء ويستحقر كما يعضه بقول القلوب للحبيب والمناجاة
للقريب في الدنيا ليس من الدنيا هو من الجنة اظهر لاهل الله
تعالى في الدنيا لا يعرفه الا هم ولا يجد له سواهم روحا لقلوبهم
وقال بعض العلماء ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم اهل
الجنة

الجنة الا مد يجده اهل الخلو في قلوبهم من حلاوة المناجات
وقال احمد ابن ابي الحواري رضي الله عنه دخلت على ابي سليمان
الداراني يوما وهو يبكي فقلت له وما يبكيك فقال
يا احمد ولم لا ابكي انه اذا جن الليل ونامت العيون وخلا كل حبيب
بحبيبه وافترش اهل المحبة اقدامهم وجرت دموعهم على
خدودهم وتقطرت في محاريبهم اشرف الجليل سبحانه فنادى
يا جبريل بعيني من تلذذ بكلامي واستراح الى ذكري واني لمطلع
عليهم في خلواتهم اسمع انينهم وارى بكاءهم فلم لا تنادي
فيهم يا جبريل ما هذا البكاء هل رايتم حبيبا يعذب احباءه
ام كيف يجمل بي ان اخذ قوما اذا جنهم الليل تملقوا بي فحلفت
اذا وردوا على القيامة لاكشفن لهم عن وجهي الكريم حتى
ينظروا الي وانظر اليهم من عبد الله لشيء يرجوه منه
او ليدفع بطاعته ورود العقوبة عنه فما قام بحقوق
او صافه عمل العاملين لاجل حصول الجزاء او حذرا من
عقوبة المولى مع قول معلول ليس من شان العارفين
والمحققين لان قيام العبد بواجب مولاه يقتضي الا
يجعل لاجل ذلك من جلب ثواب او دفع عقاب لانه عبد
يستحق عليه مولاه كل شيء ولا يستحق هو شيئا عليه

وهنا

١٠١

وهنا امر اعلام المحبة لله تعالى لان المحب مجتهج الهمة
لا غير محبوبه كما صار له ان لا ارادة فعلى العبد ان يعمل
لربه عز وجل لاجل جلاله وعظمته وما هو عليه من كمال
صفاته التي لا يشاركه فيها احد فمن خالف هذا وعمل على طلب
لم يفهم بعد حقيقة عبوديته لمولاه وكان ذلك نتيجة جهله
انظر وغفلته وعدم حبه لربه ومعرفته قال سهل ابن عبد الله
التستري رضي الله عنه ما طلعت شمس ولا غربت على احد على
وجه الارض الا وهم جهال الا من يوثر الله على نفسه
وروحه ودنياه واخرته وفي اخبار داود عليه السلام ان الله
تعالى اوحى اليه يا داود ان احب عبادي الي من عبدني من غير نوال لكن ليعطي
الربوبية حقها وما نقل وهب بن منبه من الزبور ومن اظلم
ممن عبدني لجنة او نار لو لم اخلق جنة ولا نارا الم اكن اهلا
ان اطاع او كما قال عز وجل وفي اخبار عيسى عليه السلام افرايت
الشقي مشغول في طلب الدنيا فقد الهاه ذلك عما سواه ومر
عيسى عليه السلام على طائفة من العباد قد احترقوا من العبادة
كانهم الشنان البالية فقال ما انتم فقالوا عباد فقال لاي شيء
تعبدتم قالوا خوفنا الله من النار فخفنا منها فقال حق على الله
ان يؤمنكم مما خفتم منه ثم جاوزهم ومر باخرين اشد

عبادة منهم فقال لاى شىء تعبدون قالوا شوقا الى
الجنان وما اعد فيها من النعيم لاوليائه فقال قوم رجوها
فقال حق على الله ان يعطيكم ما رجوتم ثم جاوزهم ومر باخرين
يتعبدون فقال ما انتم قالوا المحبون لله عز وجل لم نعبده
خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته الا حبا له وتعظيما لجلاله فقال
انتم اولياء الله حقا معكم امرت ان اقيم فاقام بين اظهرهم
وفي لفظة اخرى انه قال للاولين مخلوقا خفتم ومخلوقا احببتم
ثم قال للاخرين انتم المقربون قال الشيخ ابو طالب المكي
رضي الله عنه وممن روي عنه هذا القول واقيم في هذا المقام
جماعة من ارباب القلوب والمعاملة منهم ابو حازم المدني رضي
الله عنه كان يقول اني لاستحيي من ربي ان اعبده خوفا من العذاب
فاكون مثل عبد السوء ان لم يخف لم يعمل واستحيي ان اعبده
لاجل الثواب فاكون كالاجير السوء ان لم يعط اجر عمله
لم يعمل ولكن اعبده محبة له قال الشيخ ابو طالب وقد روينا
معنى هذا الكلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكونن
احدكم كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالاجير السوء
ان لم يعط الاجرة لم يعمل وقال بعض اخوان معروف رضي الله عنه
اخبرني هل تدري اي شيء اهاجك على العبادة

والانقطاع

والانقطاع عن الخلق فسكت فقلت ذكر الموت فقال واي شيء
الموت قلت فذكر القبر فقال واي شيء القبر فقلت
خوف النار ورجاء الجنة فقال واي شيء هذا ان ملكا
هذا كله بيده ان احببته انساك جميع هذا قال ابو
طالب وحدثنا عن علي ابن الموفق قال رايت في المنام كاني ادخلت
الجنة فرايت رجلا قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله
يلقمانه من جميع الطيبات وهو ياكل ورايت رجلا قائما
على باب الجنة يتصفح وجوه قوم فيدخل بعضا الجنة ويرد
اخرين ثم جاوزتهما الى حظيرة القدس فرايت في سرادق
العرش رجلا قد شخص ببصره ينظر الى الله تعالى لا يطرف فقلت
لرضوان من هذا فقال هذا معروف الكرخي رضي الله عنه
عبد الله تعالى لا خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته بل حبا له فقد
اباح له النظر اليه الى يوم القيامة وذكر ان الاخرين بشر بن الحارث
واحمد بن حنبل رضي الله عن جميعهم وقال ابو طالب وروينا عن رابعة
العدوية وكانت احد المحبين وكان الثوري يجلس بين يديها
فيقول علمينا مما افادك الله من طرائف الحكمة وكانت تقول
له نعم الرجل انت لولا انك تحب الدنيا يعترف لها ويقبل
قولها وكان عندها زاهدا الا انه يؤثر كتب الحديث

ولا اقبال يطلع الناظر من ابواب الغيب وقال العارف الثوري يوما
لكل عبد شريعة ولكل ابد حقيقة فما حقيقة ايمانك
فقال انت ما عبدت الله خوفا من الله فاكون كالعبد السوء
ان خاف عمل ولا حبا للجنة فاكون كالاجير السوء ان اعطي عمل
ولكن عبدته حبا له وشوقا اليه والاخبار والحكاية في هذا
المعنى كثيرة لا تنحصر فاذا عمل المريد على ما ذكرنا كان عبد
الله حقا فان طلب الثواب واستعاذ به من العقاب فانما
يطلبه ويستعيذ منه انتجازا لموعد ربه وفرارا من دعوى
ربوبية عدم حقه واتباعا لما احبه منه واذن له فيه من
طلبه لفضله واحسانه وكرمه وامتنانه وهذا وما اشبهه
هو المعنى بحديث المروي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل ما تقول في الصلاة
اتشهد ثم اقول اللهم اني اسالك الجنة واعوذ بك من النار
اما والله لا احسن دندنتك ولا دندنة معاذ فقال
حولها ندندن لا ان يكون رجاؤه لحصول ذلك وخوفه من
فقده باعثا له على القيام بطاعته وملازمة عبادته
فيكون عمله اذ ذاك مدخولا لا معلولا هذا هو مذهب
اهل الحق والمحققين وعليه تبتني قواعد الصوفية كلها

متى

١٠٢

متى اعطاك اشهدك بره ومتى منعك اشهدك قهره فهو في كل ذلك متعرف اليك ومقبل بوجود لطفه عليك

المقصود من العباد ان يعرفوا مولاهم بما هو عليه من الصفات
العلية والاسماء الحسنى وكان سبيلهم الى معرفته انما بتعرفه
لهم وتعرفه لهم انما يكون بما ينزله بهم من النوازل ويورده
عليهم من الاحكام شيئا فشيئا فيستشعرون سواقي الهوى والطبع
ويسمى ذلك عطاء من حيث الظاهر ويسمى منعا فبوجود عطائه
يشهد صفات الربوبية من الجود والكرم والاحسان واللطف والعطف
والحلم وغير ذلك وبوجود المنع يشهد صفات القهرية
من الجبروتية والكبرياء والعزة والاستغناء فينبغي لايها
العبد الا تفرق بينهما ان وردتا عليك من ربك ولم يستفزك
خوف فقد اذا انقطعت عنك عطاؤه على التقدير فهو في كلتا
الحالتين متعرف اليك ومقبل بوجود لطفه اليك وهذا
هو بيان ما تقدم من قوله متى فتح لك باب الفهم في المنع هو
عين العطاء والله اعلم قال سفيان الثوري رضي الله عنه
اتيت ابا حبيب البدوي فسلمت عليه فلما رايته فقال له
انت سفيان الثوري الذي يقال فلان فلان نعم سال الله
عز وجل من كشف ما يقال فقال لي يا سفيان ما رايتها

خيرا في الأمر ربنا قلت أجل قال فهذا الذي ذكرت للغناء
من فقر خيرا في الأمنية ثم قال يا سفيان منع الله
إياك عطاء منه لك وذلك أنه لم يمنعك من بخل ولا عدم
وإنما منعه نظرا منه واختيارا يا سفيان إن فيك
لا شيئا ومعه شغل قال ثم أقبل على غنيمته وتركني

إنما يؤلمك المنع لعدم فهمك عن الله فيه إذا كان
منع الله نعمة وعطاء [illegible] كما ذكرناه الآن فينبغي
أن يكون [illegible] فرحه [illegible] بالمنع ولذلك العطاء
[illegible] لعدم فهمه وفهم [illegible] بل الأكمل والأفضل له [illegible]
للعطاء وبكاؤه بالمنع كما قال ابن حبيب الخواص رضي الله عنه
لا يصح [illegible] حتى تكون فيه خصلتان إحداهما الثقة
بالله والأخرى الشكر لله فيما زوي عنه مما ابتلي به غيره من
الدنيا ولا يكمل [illegible] حتى يكون [illegible] المنع أفضل من [illegible]
في العطاء وعلامة [illegible] في ذلك أن [illegible] المنع من [illegible] ما لا يجد
للعطاء [illegible] وإليه فهو لا يرى
[illegible] له [illegible] وكل شيء
له خاضع [illegible] ربما فتح لك باب الطاعة ولم يفتح لك باب
القبول وقضى عليك بالذنب فكان سببا في الوصول ينبغي

ألا ينظر

ألا ينظر العبد إلى وجود الأشياء ولينظر إلى حقائقها فوجود
الطاعات لا تقتضي وجود القبول لما قد تتضمنه من الآفات
القادحة في الإخلاص فيها وذلك مانع من وجود القبول
ووجود صورة الذنب لا يقتضي الإبعاد والطرد بل ربما يكون
ذلك سببا في وصوله إلى ربه وحصوله في حظيرة قربه كما قيل
رب ذنب أدخل صاحبه الجنة وقد جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال والذي نفسي بيده لو
لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون
الله فيغفر لهم وذلك أنه قد يحصل عند العمل بالطاعة أن يعجب
بها ويعتمد عليها ويتكبر بفعلها ويستصغر من لم يفعلها
ويستحضر [illegible] عند وقوعه في الذنب اللجأ إلى الله تعالى فيه والاعتذار
إليه منه واستصغار لنفسه وتعظيم من لم يفعله قال
أبو حازم رضي الله عنه إن العبد ليعمل الحسنة تسره حين يعملها
وما خلق الله من سيئة أضر له منها وإن العبد ليعمل السيئة
تسوءه حين يعملها وما خلق الله من حسنة أنفع له منها
وذلك أن العبد حين يعمل الحسنة تسره فيتبجح بها ويرى أن له
فضلا على غيره ولعل الله أن يحبطها ويحبط معها عملا كثيرا
وإن العبد ليعمل السيئة تسوءه حين يعملها ولعل الله

ان يجعل له بها رجاء حتى يلقى الله وان خوفها في جوفه
لبان فتحه ببيان المؤلف رحمه الله هذا المعنى بقوله **معصية**
أورثت ذلا وافتقارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا
الذل والافتقار من اوصاف العبودية والعز والاستكبار
منافقان لها لانهما من صفات الربوبية ولا خير في الطاعة اذا
لزم عنها شيء مما ينافي صفات العبودية لانها تنبيهها
وتبطلها كما لا مبالات بالمعصية اذا لازمتها صفة
العبودية لانها ايضا تمحوها وتزيلها قال ابو مدين
رضي الله عنه انكسار العاصي خير من صولة المطيع كان
ابو العباس المرسي رضي الله عنه كثير الرجاء لعباد الله
الغالب عليه شهود وسع الرحمة وكان يكرم الناس على نحو
رتبتهم عند الله تعالى حتى انه ربما دخل مطيع فلا يحتفل
به وربما دخل عاص فاكرمه لان ذلك الطائع اتى وهو
مستكبر بعمله ناظر لفعله وذلك العاصي دخل عليه
بكسرة بمعصيته وذلة بمخالفته وقد تقدم مثل هذا
المعنى عند قوله ولا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك
عن حسن الظن بالله تعالى ومن هذا المعنى ما روي عن ابان
ابن ابي عياش انه قال خرجت يوما من عند انس بن مالك

رضي الله

رضي الله عنه بالبصرة فرايت جنازة يحملها اربعة من الزنج
ولم يكن معهم رجل اخر فقلت سبحان الله سوق البصرة
وجنازة مسلم لا يشيعها احد فلاكونن خامسهم فمضيت
معهم فلما وضعوها بالمصلى قالوا لي تقدم فقلت
انتم اولى به فقالوا كلنا سواء فتقدمت فصليت عليه
وقلت لهم ما القصة فقالوا اكترتنا تلك المراة فقال
فقعدت فدفنوا فلما كان بعد ساعة انصرفت تلك المراة
وهي تضحك فدخل قلبي شيء فقلت لا يجيبك الا الصدق
اخبريني ايش القصة فقالت لي ان هذا ابني ما ترك شيئا
من المعاصي الا فعله فمرض منه ثلاثة ايام فقال لي يا اماه
اذا مت فلا تخبري بوفاتي جيرانك فانهم لا يحضرون جنازتي
ويشمتون بموتي واكتبي على خاتمي لا اله الا الله محمد
رسول الله واجعليه في كفني فلعل الله يرحمني وضعي رجلك على
خدي وقولي هذا جزاء من عصى الله فاذا دفنتني فارفعي
يديك الى الله تعالى وقولي اني رضيت عنه فارض عنه فلما مات
فعلت جميع ما اوصى به فلما رفعت يدي الى السماء سمعت
صوته بلسان فصيح انصرفي يا اماه فقد قدمت على رب كريم
رحيم غير غضبان علي فانما ضحكت من هذا ومن المعنى

الآخر ما روي أن رجلا من بني إسرائيل أتى على عابد من بني
إسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال له العابد ارفع
فوالله لا يغفر لك فأوحى الله عز وجل إليها المتألي علي بل أنت
لا يغفر الله لك قال المحاسبي رضي الله عنه لأنه إنما تألى
على الله عز وجل أن لا يغفر له لعظم قدر نفسه عنده وأن
الإساءة إليه عند الله عز وجل عظيمة لا يغفرها الله تعالى
لعباده فهو مسدود لأنه عند نفسه عظيم القدر عند الله
عز وجل فجمع عجبا وكبرا واغترارا بالله عز وجل
ومن المعجبين جميعا ما روي أن عيسى عليه السلام خرج
ومعه صالح من صالحي بني إسرائيل فتبعهما رجل خاطئ
مشهور بالفسق فجاء فقعد منتبذا عنهما منكسرا
فدعا الله سبحانه وقال اللهم اغفر لي ودعا هذا الصالح
وقال اللهم لا تجمع بيني وبين هذا العاصي فأوحى الله
إلى عيسى عليه السلام أني قد استجبت دعاءهما جميعا
رددت عليك ذلك الصالح وغفرت لذلك المجرم وروي
عن الشعبي رضي الله عنه وروي أيضا عن الجلد ابن أيوب
أن رجلا كان من بني إسرائيل كان يقال له خليع بني إسرائيل
لكثرة فساده فمر برجل آخر من بني إسرائيل يقال له
عابد

١٠٦
عابد بني إسرائيل وعلى رأس العابد غمامة تظله فقال الخليع
في نفسه أنا خليع بني إسرائيل وهذا عابد بني إسرائيل فلو
جلست إليه لعل الله عز وجل يرحمني به فجلس إليه فقال العابد
في نفسه أنا عابد بني إسرائيل وهذا خليع بني إسرائيل
يجلس إلي فأنف منه وقال قم عني فأوحى الله عز وجل إلى نبي
ذلك الزمان مرهما فليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع وأحبطت
عمل العابد وفي حديث آخر فتحولت الغمامة على رأس الخليع
قال الحارث المحاسبي وإنما أراد الله عز وجل من عباده قلوبهم
فتكون جوارحهم تبعا لقلوبهم فإذا تكبر العالم والعابد واتضع
وتواضع الجاهل والعاصي وذل هيبة لله عز وجل خوفا منه
فهما أطوع لله عز وجل من العابد
نعمتان ما خرج موجود عنهما ولا بد لكل مكون منهما نعمة
الإيجاد ونعمة الإمداد. نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد نعمتان
لا افتقار لكل مكون موجود إليهما لأنه في ذاته معدوم ومتلاش فنعمة
الإيجاد إزالة العدم السابق ولولا ذلك لم يزل معدوما ونعمة
الإمداد إزالة العدم اللاحق ولولا ذلك لتلاشى والفنا قال
سيدي أبو محمد بن الموتعلي مستمدا الوجود مستمدة والمادة
من غير الوجود فلو انقطعت المادة لانعدم الوجود وهذا توكيد

انتهى [illegible]

لما يوبه بيانه من الغفر العبد انعم عليك اولا بالايجاد
وثانيا بتوالي الامداد هذا احد جزئية كلية المتقدمة
وهو وجودك ودوام وجودك ومما لا ينبغي ان يتغافل
عنه من انواع هذا الجنس نعمة ايجاد الايمان ومحبة الطاعة
في قلبك وامدادهما وكذلك كراهية الكفر والمعصية فان ذلك
من النعم العظيمة التي لا مدخل للعبد فيها ولا له وسيلة
اليها ولولا تولي الله تعالى له بتلك النعمتين لبقي
لتاه في ظلمات الضلالة واغرق في بحر الجهالة وقد نبه الله
عز وجل على هذا المعنى في كتابه الكريم فقال عز وجل من قائل ولكن
الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر
والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون ثم قال فضلا
من الله ونعمة قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه وان
من اعظم فتون الضلال وكثرة طرق الجهال وشدة اغاليط
الناس في البدع والاهواء وما يتشعب بكل قوم من مختلف
النحل والاراء ثم احكم في ضعفه ونقصان عقله وكثرة تحيره
في الامور وشدة جهله وتناقض ما يسره في احواله وشدة
حاجته الى الاستعانة بامثاله في اعماله ثم في اخلاقه
يقينه وقوة استبصاره في دينه ونفاذ وجه توحيده

عن غيرة

١٠٧

من غيرة الشرك وصفاء عيشه عن قبائح عن وهم الشك علم
ان ذلك ليس من طاقته ولا بجهده وكده ووسعه وجده بل
بفضل ربه وسابغ طوله قال تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة
فهو الظاهر بنعمائه وءالائه ونعمه عليكم ظاهرة وباطنة في الآية
والزوائد كرمه لديك متواترة انتهى جعل العبد ان يعرف قدر هذه
النعمة ويتوكل على الله بفضلها وحفظها عليه ولا يعتمد
في ذلك على عقله وعمله قال بعض العارفين من نظر في توحيده
الى عقله لم ينجه توحيده من النار وعن ذي النون المصري رضي الله عنه
ما هو قريب من هذا من كان في توحيده ناظرا الى نفسه لم ينجه
توحيده من النار حتى يكون نظره اليه في توحيده اياه عز وجل فهذا
هو شكر هذه النعمة العظيمة قال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه
بعد ان ذكر ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله احبوا الله
لما اسدى اليكم من نعمه ولما يغذوكم به تصريف الاحوال فهو
اجل ما من به ان اغذانا به نعمة الايمان به والمعرفة له وغذاؤه
لنا منه دوام ذلك ومدده بروح منه وتثبيتنا عليه في تصريف
الاحوال فهو اصل الاعمال التي هي اصل النوال فلو قلب قلوبنا
عن التوحيد كما تقلب جوارحنا في الذنوب ولو قلب قلوبنا
في الشك والاشراك كما يقلب نياتنا في الاعمال اي شيء كنا نصنع

دعوى اني لله ، كنا نقول وباي شيء وكنا نطمع ونرجوا بهذا
كبا بين النعم ومعرفته هو شكر نعمة الايمان والجهل بهذا
غفلة عن نعمة الايمان توجب العقوبة وادعاء الايمان انه من كسب
معقول واستطاعة بقوله وحوله هو كفر نعمة الايمان واخاف على من
توهم ذلك ان يسلبه الايمان لانه بدل شكر نعمة الله كفرا انتهى كلام
الشيخ ابي طالب المكي رضي الله عنه وهو حسن في هذا المعنى فاقتك
لك ذاتية وورود الاسباب مذكرات لك بما خفي عليك منها
والفاقة الذاتية لا ترفعها العوارض اذ انت ابن نعمتين الايجاد
والامداد لا افتقار لك وانك في ذلك عدم لولاهما بالفاقة لازمة لها
الذاتية لك والاضطرار لازم لوجودك وان كنت غنيا بوجود
النعمتين المذكورتين فان ذلك امر عرضي والامور الذاتية
لا ترفعها الامور العرضية وانما ورد عليك الاسباب التي
تقصد وجودك وبقاء وجودك لتذكرك بذلك ما خفي عليك
من وجود الفاقة الذاتية لك والاضطرار اللازم لوجودك
فتلازم مركزك وتقوم بحق عبوديتك ولا تجاوز حدك
وطورك قال بعضهم انما حمل فرعون ان قال انا ربكم الاعلى
طول العوافي والغنا لبث اربعمائة سنة لم يتصدع راسه
ولم يحم جسمه ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية

ولو اخذته

١٠٨

ولو اخذته الشقيقة ساعة واحدة والحمى ليلة لم يعم
لشغله ذلك عن دعوى الربوبية فالحاصل ان المعنى
الاضطرار يعطيك حقيقة العبد اذ هو مفتقر وكل مفتقر
مضطر الى ممد يمده وممد تمده وكمال المولى سبحانه
هو الغني ابدا والعبد مضطر اليه ابدا ولا يزايل العبد هذا
الاضطرار في الدنيا ولا في الاخرة ولو دخل الجنة فهو محتاج
الى الله فيها غير انه قصر اضطراره في الجنة اذ رغدت عيشته
ملابسها وهذا هو حكم الحقائق اذ لا يختلف حكمها في الغيب
ولا في الشهادة ولا في الدنيا ولا في الاخرة فالعبد حيث الكشف
الى علم كان وفي اي وقت كان والارادة صفتها التخصيص اي ارادة
كانت وفي اي وقت كانت ومن انقطعت انواره لم يتوقف
اضطراره وقد عتب الله اقواما اضطروا اليه عند وجود اسباب
المحنة ثم الى الاضطرار فلما زالت زال اضطرارهم فقال سبحانه
واذا مسكم الضر في البحر الاية وقال واذا مس الانسان الضر دعانا
لجنبه الاية وقال قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر الايتين
الى غير ذلك من الايات الواردة في هذا المعنى والعالم تصل عقول
العموم الى ما تعطيه حقائق وجودهم ملك الحق عليهم
الاسباب الموثرة للاضطرار ليعرفوا قهر ربوبيته وسطوة الالوهية انتهى

خير أوقاتك وقتٌ تشهد فيه وجود فاقتك وترد
فيه إلى وجود ذلتك. إنما كان هذا خير الأوقات لأن وجود
حضورك فيه مع ربك وانقطاع نظرك من الوسائط والأ
سباب الموجبة لبعدك وحجبك فهي لا محالة خير أوقاتك
وهو من مواسمك وأعيادك حسبما يقوله المؤلف بعد هذا. يحكى
عن عطاء السلمي رضي الله عنه أنه بقي سبعة أيام لم يذق
شيئا من الطعام ولم يقدر على شيء فسر قلبه بذلك
غاية السرور فقال يا رب إن لم تطعمني ثلاثة أيام أخر
لأصلين لك ألف ركعة. وقيل إن فتح الموصلي رضي الله عنه رجع
ليلة إلى بيته فلم يجد عشاء ولا سراجا ولا حطبا فأخذ
يحمد الله تعالى ويتضرع إليه فيقول إلهي لأي سبب وبأي وسيلة
واستحقاق عاملتني بما تعامل به أولياءك. وقال بشر ابن
الحارث الحافي رضي الله عنه بلغني أن بنتا لفتح الموصلي عريت
فقيل له ألا تطلب من يكسوها قال لا أدعها حتى يرى الله عريها
وصبري عليها فقال إذا كان ليالي الشتاء جمع عياله وقال
بكسائه عليهم ثم قال اللهم أفقرتني وأفقرت عيالي
وجوعتني وجوعت عيالي وأعريتني وأعريت عيالي فبأي
شيء توسلت إليك وإنما تفعل هذا بأوليائك وأحبابك

فهل أنا

فهل أنا منهم حتى أفرح. وقيل إن الفضيل بن عياض رضي الله عنه
بكى في ليلة قرة ثم قال أجعتني وأجعت عيالي وأعريتني
وأعريت عيالي وأقعدتني وأقعدت عيالي في بيت ليس له
مصباح وقديما تفعل هذا بأوليائك وأهل طاعتك إلهي
فبأي عمل استحققت هذا منك حتى أدوم لك عليه. وقيل
للربيع رضي الله عنه قد غلا السعر فقال نحن أهون على الله
من أن يجيعنا إنما يجيع أولياءه. متى أوحشك من خلقه
فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الأنس به. فتح باب الأنس
له قد هو الاستيحاش من الناس ولذلك قيل الاستئناس بالناس
علامة الإفلاس فإذا فتح لك هذا الباب استوحشت من الأغيار
كلها وتحققت بأنسك بربك والتفي الوحشة منها أن تشمئز
منها بقلبك وتنقبض منها بسرك ولا يكون للأشياء وقع
عندك ولا تجد فيها متسعا لك كما جاء عن أبي يزيد رضي
الله عنه حين اطلع على أنواع من العجائب ووجه بمعنى الغرائب
وكشف له عن الملكوت الأعلى فقيل له هل استحسنت منها
شيئا فقال لم أر شيئا استحسنه فقيل له أنت عبد الله
حقا فإذا كان العبد على هذا الوصف كان ذلك علامة على تحققه
بمقام الأنس ونزوله في حضرة القدس وسيأتي هذا المعنى

في قوله في مناجاته ربه انت المونس لهم حيث اوحشتهم
العوالم متى اطلق لسانك بالطلب فاعلم انه يريد
ان يعطيك اطلاق اللسان بالطلب هو ان يحل عنه عقدة
الصمت الذي اوجبه الاستغناء بالاختيار وعدم رؤية
العلاقة والافتقار فاذا حل عنه هذه العقدة بشهود فقره
وفاقته واطلق لسانه بالطلب كان اذ ذاك داعيا بلسان
الاضطرار وكان مجاب الدعوة بصدق الوعد باجابة دعوة
المضطر والله لا يخلف الميعاد وانشدوا

لَوْ لَمْ تُرِدْ نَيْلَ مَا أَرْجُو وَأَطْلُبُهُ ° مِنْ فَيْضِ جُودِكَ مَا عَلَّمْتَنِي الطَّلَبَا

وفي الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من فتح له في الدعاء منكم فتحت له ابواب الرحمة
وما يسئل الله شيئا احب اليه من ان يسئل العفو والعافية
في الدنيا والاخرة وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
من اعطي الدعاء لم يحرم الاجابة قال الشيخ ابو بكر
الشقاق وكيف لا يجيبه وهو يحب صوته ولولا ذلك
ما فتح الدعاء وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا اصب عليه البلاء صبا وسحه
عليه سحا فاذا دعا قالت الملائكة صوت معروف

وقال جبريل

١١٠

وقال جبريل يا رب عبدك فلان اقض حاجته فيقول دعوا عبدي
فاني احب ان اسمع صوته فاذا قال يا رب قال الله لبيك عبدي
وسعديك لا تدعوني بشيء الا استجبت ولا تسألني عن شيء
الا اعطيتك اما ان اعجل لك ما سالت واما ان ادخر لك عندي افضل
منه واما ان ادفع عنك من البلاء اعظم من ذلك المعارف
لا يزال اضطراره ولا يكون مع غير الله قراره معرفة العارفين
هي معرفتهم انفسهم وبما هي عليه من الفاقة والافتقار
الى العزيز الجبار وبعدما يتحققون بذلك في انفسهم
تكون معرفتهم بالله عز وجل كما جاء في الخبر من عرف نفسه
فقد عرف ربه فلذلك كان العارف لا يفارقه الاضطرار قال
سيدي ابو العباس المرسي رضي الله عنه في قوله تعالى امن يجيب
المضطر اذا دعاه الولي لا يزال مضطرا قال ابن عطاء الله
معنى كلام الشيخ هذا ان العامة اضطرارهم بعوارض الاسباب
فاذا زالت زال اضطرارهم وذلك لغلبة دائرة الحس على
مشاهدهم فلو شهدوا حقيقة الله تعالى الشاملة العامة
لعلموا ان اضطرارهم الى الله تعالى دائم وانما لم يكن له
مع غير الله قرار لوجود وحشته من الاشياء ونفور
قلبه عنها كما تقدم وكانه رحمه الله تعالى قد بين

الى ان يعلمك ان ما تقدم له من الاستيحاش من الخلق والميل الى
الاستيناس بالحق من نعوت العارفين انا رأى
الظواهر بانوار الاكوان وانار السرائر بانوار اوصافه
لاجل ذلك افلت انوار الظواهر ولم تافل انوار
القلوب والسرائر ولذلك قيل: ان شمس النهار تغرب
بالليل وشمس القلوب ليست تغيب الظواهر التي بها
انارها الحق تعالى هي الادراكات والاحساسات والحركات التي
اتصف بها ظاهر القلب وانوار السرائر التي بها انارها الحق
تعالى هي المعارف والعلوم واللطائف الادراكات والفهوم التي
اشتمل عليها باطنه وسره فانوار الظواهر متعلقة بانوار
الاثار الحادثات وانوارها معانيها ولطائفها المستكنة
فيها وانوار السرائر متعلقة بانوار الصفات الازليات ح
ولاجل اختلاف المتعلقين في الحدوث والقدم والفناء والبقاء
كان ما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى من افول انوار ما تعلق
بالحادث الجلي وعدم افول انوار ما تعلق بالقديم
الباقي ثم انشد المؤلف البيت المذكور مستشهدا به
على ما ذكره ومعناه بين وقبله: طلعت شمس من احب
بليل فاستضاءت فما لها من غروب

وبها

وفي هذا التنبيه على ان الامور الباقية هي التي ينبغي ان يغتبط
بها ويفرح بحصولها ويعتنى بتربيتها ومراعاة احوالها
بخلاف الامور الفانية الافلة وحينئذ يكون العبد على ملة
ابرهيم حيث قال لا احب الافلين ويروى ان رجلا سال سهل
ابن عبد الله رضي الله عنه عن القوت قال هو الحي الذي لا يموت فقيل
انما سالناك عن القوام فقال القوام هو العلم قيل انما سالناك
عن الغذاء هو الذكر قيل انما سالناك عن طعام الجسد فقال
ما لك وللجسد دع من تولاه اولا يتولاه اخرا اذا دخلت عليه
علة فرده الى صانعه اما رأيت الصنعة اذا عيبت ردوها الى صانعها
حتى يصلحها وفي معنى هذا انشدوا
انظر

كم ذا تخيبك التي لم تكمل :: والجسم دعه في الحضيض الاسفل
اتكمل الفاني وتترك باقيا :: مهملا وانت بامره لم تحفل
فالجسم للنفس النفيسة الة :: ما لم تحصله به لم يحصل
يفنى ويبقى دائما في غبطة :: او شقوة وندامة لم تنجلي
اعطيت جسمك خادما فخدمته :: أنملك المفضول رق الافضل
شركا كثيفا انت في حبالته :: ما دام يمكنك الخلاص فعجل
من يستطيع بلوغ اعلا منزل :: ما باله يرضى بادنى منزل وقيل
في معنا ايضا يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته :: وتطلب الربح مما فيه خسران

عليك بالتصبر فاستقبل وقيل لنا فانت بالنفس تابى الجنيح استاك
وقال رضي الله عنه ليخفف ألم البلاء عليك علمك بانه سبحانه
هو المبلي لك فالذي واجهتك منه الاقدار هو الذي عودك
حسن الاختيار اذا علم العبد ان الله تعالى حليم به ومتعطف
عليه وناظر له فكلما يورده عليه من انواع البلايا والرزايا ينبغي
له ان لا يكترث بذلك ولا يبالي فانه لم يتعود منه الا الخير فليـ
يحسن به الظن وليعتقد ان ذلك اختيار له وان له في ذلك
مصالح خفية لا يعلمها هو كما قال تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا
وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم
لا تعلمون قال ابو طالب المكي رضي الله عنه في هذه الاية فالعبد انظر هنا ما ذكر النفس
يكره العيلة والفقر والخمول والضر وهو خير له في الاخرة وقد
يحب الغنا والعوافي والشهرة وهو شر له عند الله تعالى واسوء
عاقبة وفي معنى قوله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة
قيل ظاهرة العوافي باطنة البلاء لانها نعمة الاخرة فان كل
ما يصيب المومن فهو نعمة كاينا ما كان فله الحمد على نعمه قال
في التنوير انما يقويهم على حمل اقداره شهود حسن اختياره
وانشد فيه لنفسه   وَخَفَّفَ عَنِّي مَا أُلَاقِي مِنَ الْعَنَا :
بِأَنَّكَ أَنْتَ الْمُبْتَلِي وَالْمُقَدِّرُ : وَمَا لِامْرِئٍ عَمَّا قَضَى اللَّهُ مَعْدِلُ

دليس

ولم يبق له منه الذي يتحير وكان الاستاذ ابو علي رضي الله عنه
١١٣ يقول جرحت مرة وكنت في هواني وحشة من ذلك فدخلت
السماع فجلست على نعيمي شيء من الرضى وكنت التي كل واحد من
تلك القروح قد جف ولم يبق منها اثر وقال الاستاذ ابو القاسم
القشيري رضي الله عنه يقول في اخر عمره وقد اشتدت به
العلة فقال من امارة التاييد حفظ التوحيد في اوقات الحكم
ثم فسر ذلك المعنى بقوله مشيرا الى ما كان فيه من حاله هو ان يعرفها بمقادير
القدرة في امضاء الاحكام تقطعه وانت ساكن خامد وقال الجنيد رضي الله
انظر كلام العلماء عنه كنت نايما عند سري السقطي رضي الله عنه فانبهني
وقال في حلمي رايت كاني بين يديه فقال يا سري خلقت الخلق
فكلهم ادعوا محبتي وخلقت الدنيا فهرب مني تسعة اعشارهم
وبقي معي العشر وخلقت الجنة فهرب مني تسعة اعشار
العشر وبقي معي عشر العشر فسلطت عليهم ذرة من البلاء
فهرب منه تسعة اعشار العشر فقلت للباقين معي لا الدنيا
ولا الجنة اخذتم ولا من النار هربتم فماذا تريدون فقالوا انك
تعلم ما نريد فقلت لهم اني مسلط عليكم بعدد انفاسكم
ما تنفر منه الجبال الرواسي اتصبرون فقالوا اذا كنت انت المبتلي
فافعل ما شئت فهولاء عبادي حقا من ظرايف لطيفه

عوقب في ذلك لقصور نظره فقصور النظر في عدم رؤية الالطاف
في القدر انما هو من جهة ضعف اليقين وقلة حسن الظن
لا لمعذر في الحكم اذ لو كمل نظر العبد وقوي نظره لوجد ذلك
من الفوائد والمصالح ما لا يحصى وما غاب عنه اكثر والكل بحمد
وروي عن بعض الصالحين العارفين انه قال لقد مرضت مرضة فما
عهدت الا نزول وكان عمران بن حصين استسقى بطنه فلبث
ملقى على ظهره ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد قد نقب له
في سرير من جريد وكان بموضع تحته نقب لغائطه وبوله فدخل
عليه مطرف او اخوه العلاء بن الشخير فجعل يبكي لما راى من حاله
فقال لم تبكي قال لاني اراك على هذه الحالة العظيمة قال لا تبكي
فان احبه الي احبه الى الله تعالى ثم قال احدثك بشيء لعل
الله تعالى ان ينفعك به واكتم علي حتى اموت ان الملائكة تزورني
فانس بها وتسلم علي فاسمع تسليمها وقال بعضهم
دخلنا على سويد بن شعبة نعوده فرأينا ثوبا ملقى فما ظننا
ان تحته شيئا حتى كشف فقالت له امرأته اهلي فداؤك ما نطعمك
ولا نسقيك فقال طالت الضجعة ودبرت الحراقيف واصبحت
نضوا ما اطعم طعاما ولا اسيغ شرابا منذ كذا فذكر اياما
ثم قال ما يسرني ان نقصت من هذا قلامة ظفر فهؤلاء شهد

في بلاياه

وا في بلاياه عطاياه وفي محنه منته وفي نقمه لطفه فلا وجد لهم
ذلك من الرضى بما هم فيه والتنعم والتلذذ ما يطلع الا يحبوا
زوال ذلك عنهم ولا نقصانه لوجود الالطاف والمنن في البلايا التي
ولا كفا نذكر منها ها هنا ما يزداد به المريد قوة وحسن
ظنه بربه عز وجل ويحمله ذلك على القيام بواجبها فنقول
البلايا التي يبتلي الله تعالى عباده بها مخالفة لاراداتهم ومنغصة
لشهواتهم وكل ما ازعج النفس ونغصها وانكدها فهو محمود
العاقبة من قبل ان ذلك رادها الى الله تعالى وملازمة بابه بصدق
اللجا والافتقار وهذا من اعظم فوائد البلايا ونجد ذلك من نفسه
كل من نزلت به بلية او اصابته رزية وفيها ايضا ضعف النفس وذهاب
قوتها وبطلان صولتها بوجود ذلك يرتفع العبد في الذنوب والمعاصي
وتتباعد عنه الرغبة في الدنيا والحرص على اتباع الهوى وقد قيل
لا يخلو المومن من علة او عيلة او قلة او ذلة وفي الخبر ان الله
تعالى الفقر سجني والمرض قيدي احبس بهذا من احببت
من عبادي وفيها ايضا يحصل له طاعة القلوب واعمالها
وذرة منها خير من امثال الجبال من اعمال الجوارح وذلك
مثل الصبر والرضى والزهد والتوكل وحب لقاء الله تعالى
وقيل لعبد الواحد ابن زيد رضي الله عنه ها هنا رجل قد تعبد

فوائد البلايا

خمسين سنة فقصده فقال حبيبي خبرة عنك هل
قنعت به قال نعم قال انست به قال الا تار قال هل رضيت عنه
قال لا قال انما مزيدك منه الطاعة والعبادة قال نعم قال الولا
انه استحى منك لا خبرتك او معاملتك خمسين سنة
مدخوله قال ابو طالب المكي رضي الله عنه اراد بذلك انه لم يرتفع
بالعاملة الى مقامات المقربين فيوجد مواجد العارفين
فيكون مزيدك منه اعمال القلوب التي يستعمل منها كل محبوب
مطلوب لان القناعة به حال الموقن والانس مقام المحب وا
لرضى وصف المتوكل اي انما عندك طبقة اصحاب اليمين
فمزيدك منه مزيد العموم من اعمال الجوارح وهذه اشارة
الى ما قلناه من افضلية اعمال القلوب على اعمال الجوارح
فمن وفقه الله تعالى الى منازلة هذه المقامات وتوجيه
حقوقها في البلايا النازلة به فقد حصل على كنوز البر ذكر
ابو اسحاق ابرهيم التجيبي القرطبي المالكي رحمه الله
في كتاب الفصاح له ان عروة ابن الزبير رضي الله عنه
امتحن بقرحة حتى بلغت به الى نشر عظم ساقه في
الموضع الصحيح منها فقال له الاطباء نسقيك مرقدا
فلا تحس ما يصنع بك فقال لا ولكن شانكم بها فنشرت

الساق

الساق ثم حسموها بالنار فما حرك عضوا ولا نكر وانفه
حتى مسته النار فما زاد على ان قال حسبي والحبيب حبيبة
باخذه محبة وكان من احب ولده اليه ولما راى القدم بين يديه
قال اما ان الله يعلم اني ما مشيت بها الى معصية قط ثم قال
يا غلام اغسلها وكفنها وادفنها في مقبرة المسلمين
ثم جعل يقول لئن كنت ابتليت لقد ابقيت ولئن ابتليت لقد
عافيت ولئن اخذت لقد اعطيت وذكر ابن قتيبة
في عيون الاخبار له من كلامه اني لقد قدم رجل من عبس ضرير
مشوه الوجه على الوليد فساله عن سبب ضره فقال بت
ليلة في بطن واد ولا اعلم على وجه الارض عبسيا يزيد
ماله على مالي فطرقنا سيل فذهب ما كان لي من مال واهل
وولد الا صبيا رضيعا وبعيرا صعبا فند البعير والصبي
معي فوضعته واتبعت البعير لاحبسه فما جاوزت
الا وراس الذيب في بطنه قد اكله فتركته واتبعت
البعير فاستدار فرمحني رمحة حطم بها وجهي واذهب
عيني فاصبحت لا ذا مال ولا ذا اهل ولا ذا ولد ولا
ذا بصر فقال الوليد اذهبوا به الى عروة ليعلم
ان في الناس من هو اعظم منه بلاء وروي عن عبد الواحد ابن زيد رضي الله عنه

انه خرج مع بعض اخوانه الزناتية من فقراء البصرة فاذا هو
الى كهف فيه رجل قد ذهبت عيناه مقعد مفلوج بالجذام يسيل
جسده قيحا وصديدا فقال له يا هذا لو دخلت البصرة
فتداويت من هذا الذي بك فرفع طرفه الى السماء وقال
يا سيدي ومولاي باي ذنب سلطت علي هؤلاء ليحملوني
عليك ويفرقوني الى سيدي العتبي من ذلك الذنب واستغفرك
منه لا اعود فيه ابدا قال ثم اعرض عنا بوجهه
فلا نعرف فلو تركناه وروي عن بشر ابن الحارث الحافي رضي الله
عنه قال رايت بعبادان رجلا قد قطع البلاء وقد سالت
حدقتاه على خديه وهو مع ذلك كثير الذكر عظيم الشكر
لله تعالى واذا هو قد صرع من جنته فاتيته فرفعت راسه
في حجري وجعلت اسال الله تعالى ان يكشف ما به وادعوا
له فافاق وسمع دعائي فقال من هذا الفضولي الذي يدخل
بيني وبين ربي ويعترض عليه في قضائه علي ويحني راسه
من حجري قال بشر فاعتذرت الاعتراض على عبد في نعمة
ارادها عليه من البلاء وقد روي في بعض الاخبار ان يونس
وجبريل عليهما السلام التقيا فقال يونس لجبريل دلني
على اعبد اهل الارض فاتى به الى رجل قد قطع الجذام يديه

ورجليه

ورجليه قال واذا هو يقول امتعتني بهما حيث شئت وابقيت
١١٥ لي فيك الامل يا بر يا وصول فقال يونس يا جبريل انما
سالتك صواما قواما قال ان هذا كان قبل البلاء هكذا
وامرت ان اسلبه بصره فاشار الى عينيه فسالتا فقال
متعتني بهما حيث شئت وسلبتنيهما حيث شئت
وابقيت لي فيك الامل يا بر يا وصول فقال جبريل هلم تدعوا
ربك عسى ان يرد الله عليك بصرك ورجليك ويديك وتعود
الى العبادة التي كنت فيها فقال ما احب ذلك قال ولم قال
اذا كانت محبته في هذا فمحبته احب الي من ذلك قال يونس
يا جبريل تالله ما رايت احدا اعبد من هذا فقال جبريل يا يونس
ان هذا طريق ليس يوصل الى رضاه بشيء افضل منه وفي الخبر
اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه
وفيها ايضا يجعل الله فيه كفارة الذنوب والخطايا ويستوجب
من الله عز وجل جزيل الحسنات والعطايا وما يعجل به الزوال
الا ما يريد الله عليه من انواع البلايا او العبد قد يعجز
عن القيام بوظائف الطاعات ويتكاسل عن المواظبة على
نوافل العبادات فيكون في جنب محروما من ثوابها غير واصل
له فيجبر بسبب ما منعها وان صبر عليها ولم يتكاسل عنها

من بعد تعجيلها عند الشدائد وتسليتها من الآفات وا
لمصائب وخفيف يثقل عليه ويحجب من اتباعه به اهله
فليمتحن العبد نفسه بسواله وليعلم ان ما يختار له خيرا له
مما يختاره لنفسه بشهوته وهواه فقد روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل اصيب في ماله او جسمه فقال له
لا تتهم الله في شيء قضاه عليك وذكر مسلم رحمه الله حديثا
صهيب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عجبا لامر المؤمن ان امره كله خير وليس ذلك لاحد الا المؤمن
ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له وان اصابته ضراء صبر فكان
خيرا له وذكر البخاري ومسلم في صحيحيهما عن حديث عبد الله
بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من مسلم يصيبه اذى من مرض فما سواه الا حط عنه به
سيئاته كما تحط الشجرة ورقها وذكر البخاري ومسلم ايضا
من حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما من مسلم يشاك بشوكة فما فوقها الا كتبت
له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة وذكر البخاري
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله
به خيرا يصب منه وفي حديث انس ابن مالك رضي الله عنه

قال قال

١١٦

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المريض اذا برئ
وصح من مرضه كمثل البردة تقع من السماء في صفائها ولونها
وروي عن عيسى عليه السلام قال انه لا يكون عالما من لم يفرح
بدخول المصائب والامراض على جسده وماله لما يرجو
بذلك من كفارة خطاياه وروي عن نبينا صلى الله عليه وسلم
اخبار كثيرة في الحمى والحمى وتكفيرها له وذكر البزار من حديث
ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه دخل على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فوضع يده عليه وعليه الحمى فوجد حرها من فوق
اللحاف فقال ما اشدها عليك يا رسول الله قال انا كذلك يشدد
علينا البلايا ويضاعف لنا الاجر فقلت يا رسول الله اي الناس اشد
بلاء قال الانبياء ثم الصالحون ان كان احدهم ليبتلى بالفقر
حتى ما يجد الا العباءة يحوبها وان كان احدهم ليبتلى بالقمل
حتى يقتله وان كان احدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح احدكم
بالرخاء وقيل في معنى قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا
والله يحب المطهرين اي من الآثام والذنوب بالحمى والامراض لما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بما روي عنه الحمى ذهبت الى اهل قبا
وقد روي في بعض الاخبار انه لما مرض اهل قبا الانصار شكوا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وذكروا ما شق عليهم منها فقال ان شئتم

فقالت ام ملدم صورة الحمى فقال عليه السلام اذهبي
الى الانصار فبات لهم عليها حقوقا فاصبح النبي صلى الله عليه
وسلم فلم ير احدا من الانصار حضر الصلاة فجمعهم فقيل
اخذتهم الحمى فقال ما شئتم فقالوا وقال لهم الحمى طهارة
وكفارة فقالوا يا رسول الله ادع الله حتى يرفعها عنا
وذكر مسلم رحمه الله من حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على ام السائب او ام
المسيب فقال ما لك يا ام السائب او ام المسيب تزفزفين
قالت الحمى لا بارك الله فيها فقال لا تسبي الحمى فانها تذهب
خطايا بني ادم كما يذهب الكير خبث الحديد وذكر البخاري
من حديث انس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل قال اذا ابتليت
عبدي المؤمن بحبيبتيه ثم صبر عوضته منهما الجنة
يريد عينيه كما جاء في الحديث في قول احد الروايات الحبيبتا
وهما العينان وهما الكريمتان ايضا وروي ان انس بن مالك
وابا ظلال رضي الله عنهما كانا في بيت ثابت البناني فقال
انس يا ابا ظلال متى فقدت بصرك قال وانا صبي لا اعقل ما
اعدك حديثا حدثنيه حبيب رسول الله صلى الله عليه وسلم

يرويه

117

يرويه عن جبريل ويرويه جبريل عن ربه عز وجل فقال
يا جبريل ما جزاء من سلبته كريمتيه قال سبحانك
لا علم لنا الا ما علمتنا قال جزاؤه الخلود في داري والنظر الى وجهي
ومن حديث هلال ابن يساف وهو ابو ظلال المذكور وهو سمع انسا
رضي الله عنه يقول مر بنا ابن ام مكتوم فسلم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا احدثكم بما حدثني به جبريل
عن هذا او مثله الذين ذهبت ابصارهم قال صلى الله عليه وسلم
حدثني جبريل ان الله عز وجل يقول حق على من اخذت كريمتيه
ليس له جزاء الا الجنة وفي حديث شهر بن حوشب عن النبي صلى الله عليه وسلم
ما لحبيب عندي بعد ذهاب دينه اشد من ذهاب بصره وما ذهب
بصر عبدي فصبر الا لقي الله ولا حساب عليه وذكر البخاري ومسلم
رحمهما الله من حديث ابن عباس رضي الله عنه ان امراة سوداء اتت
النبي صلى الله عليه وسلم فقالت اني اصرع واني اتكشف فادع الله لي قال ان
شئت صبرت ولك الجنة وان شئت دعوت الله ان يعافيك قالت
اصبر قالت فاني اتكشف فادع الله الا اتكشف فدعى لها الى غير
ذلك مما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الباب مما لا يحصى
كثرة ويليها ايضا فضل تجديد التوبة واداء الحقوق والتباعات
والظلامات وكثرة الاستغفار وحسن التذكار وكثرة ذكر الموت

اذ ذاك ابلغ معاينة كربه فقد قيل الحمى بريد الموت وقيل
في قوله تعالى أولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين
ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون اي يختبرون بالمرض وفي حديث
عائشة وانس رضي الله عنهما قيل يا رسول الله هل يكون مع
الشهداء غيرهم يوم القيامة قال نعم من ذكر ذنوبه كل يوم
عشرين مرة وفي لفظ الحديث الآخر يذكر ذنوبه فتحزنه
وقد كان السلف رضي الله عنهم يستوحشون اذا خرج
عنهم عام لم يصابوا فيه بنقص من نفس او مال وقالوا لا يخلو
المومن في كل اربعين يوما ان يروع بروعة او يصاب بنكبة
وكانوا فقد ذلك في هذا العدد من غير ان يصابوا فيه بشيء
وفيها ايضا يقع له خلف ما يفوته من الطاعات ونوافل
العبادات فيكتب له في مرضه مثل ما كان يعمل من ذلك في
صحته وذلك ابلغ في الوصول الى غرضه لانه من اختيار الله
تعالى له وهو خير له مما اختاره لنفسه وفي الخبر يقول
الله تعالى للملائكة اكتبوا لعبدي مثل ما كان يعمله في صحته فانه
في وثاقي ان اطلقته ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما
خيرا من دمه وان توفيته توفيته الى رحمتي وفي الحديث
الصحيح من حديث ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال

قال

١١٨

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض العبد او سافر
كتب له مثل ما يعمل مقيما صحيحا الى غير ذلك من الفوائد
التي لا نعلمها وانما ذكرنا هذه المعاني هاهنا لانها اليق
بكلام المؤلف رحمه الله تعالى لكونها مفسرة له وايضا فان
العبد محتاج اليها غاية الاحتياج لانه اذا نزل البلاء
به يتسخط ويجزع ويضطرب ايمانه ويتزلزل ايقانه
فيحتاج ان يذكر امثال هذه المعاني ليحصل له بذلك الرجاء
وحسن الظن بالله والمحبة له لما يرجاه في ذلك ان مات من
يومه حسن الخاتمة وحب لقاء الله تعالى والاعمال بخواتمها
وهذا الغرض هو الذي اوجب لنا في هذا الفصل الاكثار من الكلمات
والنقول وسعة الكثر الاحاديث فيه الى ورائها الشفا لتطيب
قلوب اهل البلاء بذلك وتسلك الى الله تعالى والصواب تلك
المسالك والله ولي التوفيق **لا يخاف عليك ان تلتبس الطرق
عليك وانما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك** الطرق
الى الله تعالى واضحة لا بهمة لان الحق تعالى هو الذي يتولى ذلك وبه
انزل الكتب وارسل الرسل ونصب عليه الادلة والبراهين
فلا يخاف على العبد من التباسها عليه وانما يخاف عليه
من غلبة الهوى عليه حتى يعميه ذلك عن رؤيتها فقال

احمد بن خضرويه البلخي رضي الله عنه الطريق واضح والحق
لايح والداعي قد اسمع فما التحير بعد هذا الا من العمى
سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية وا
ظهر بعظمة الربوبية في اظهار العبودية سر الخصوصية
هو حقيقة المعرفة التي اختص بها اهل ولايته تعلى بحيث
لا يبقى معها وجود الغير ولا كون وذلك بما جعل فيه من
التهيئ والقابلية فمن لطيف حكمة الله تعلى وستر ذلك
بما اظهره من البشرية التي من لوازمها من وجود الغير
والكون ولولا هذا الستر لكان سر الله مبتذلا بانيهم [illegible]
كما قال في لطايف المنن ولابد للشمس من سحاب وللحسنا
من نقاب ثم ان من حقيقة ظهور البشرية الاتصاف بصفة
الافتقار والاحتياج وغير ذلك من اوصاف الحدوث وذلك هو
حقيقة العبد والتاله فظهرنا من ذلك لزوم وجود الله
تعلى معبود وهذه هي عظمة الربوبية التي ظهرت لنا من
وراء حجاب العبودية ولولا ذلك لكان ما ظهر لا يظهر
كما قال سيدي ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه العبودية
جوهرة ظاهرها الربوبية فسبحان اللطيف الخبير
ومن هو على كل شيء قدير والتسبيح الذي ذكره المولف هاهنا

بغاية

119

في غاية المناسبة لما ذكره من المعنى لا تطالب ربك بتاخر
مطلبك ولكن طالب نفسك بتاخر ادبك اذا دعوت ربك
وسالته شيئا مطلوبا من المطالب ولم تظهر لك الاجابة فيحسن
به ظنك ولا تطالبه بالوفاء بذلك فانه يفعل ما يشاء لا
يسال عما يفعل ولكن طالب نفسك بتاخر ادبك فان المطالبة
وسوء الادب من وجوه احدها انك دعوت لتجاب في عاجلك
فيحصل لك في ذلك غرض وهذا مما يقدح في عبوديتك وسياتي
هذا المعنى عند قوله لا يكن طلبك تسببا الى العطاء منه فيقل
فهمك وليكن طلبك لاظهار العبودية وقياما باحكام الربوبية
والثاني اعتقادك انه لم يستجب لك اذا ظهر لك عدم الاجابة منه
وليس من شرط الاجابة ان تظهر لك بل له ان يخبيها عنده لما في ذلك
من المصالح والاجابة اليه امرها فيجعلها ما يشاء مما تعلمه
او تجهله وقد تقدم هذا المعنى عند قوله لا يكن تاخر امد
العطاء مع الالحاح في الدعاء موجبا ليأسك والثالث
وهو اشدها اعتراضها على ربك في حكمه ومطالبتك له اذا تاخرت
اجابة من دعايك ثم ذكر المولف رحمه الله الحالة التي اذا كان
عليها العبد قام بحق الادب فقال متى جعلك في الظاهر ممتثلا
لامره ورزقك في الباطن الاستسلام لقهره فقد اعظم المنة عليك

هي الاحوال هي التي يلزمك في اقامة العبودية لربك
لا غير فحتى يسرها الله تعلى عليك واقامك في مراعات
احكامها وجدت لذلك فقد اعظم المنة عليك فلما ذا
تتشوف ولما الذي تلتمس بعدهما ان كنت عبدا فقيها
قال سيدي ابو الحسن رضي الله عنه صحبت اخا في الله تعلى في البلادية
واعتزلنا في مغارة نعسى ان نكون من اولياء الله وان يفتح علينا
بما فتح عليهم فاقمنا زمانا نقول لعل في هذه الجمعة لعلي
في هذا الشهر يفتح الله علينا فمر كذلك فاذا الشيخ على باب
المغارة يستاذن فاذنا له فدخل فسلم ووقف فقلنا له
من انت فقال عبد الملك فعلمنا انه من اولياء الله فقلنا
كيف حالك فقال كيف حال لا كيف حالك يرددها كالمنكر
علينا ثم قال كيف حال من يقول في نفسه في هذه الجمعة اكون
وليا في هذا الشهر اكون وليا فلا ولاية ولا فلاح ولا دنيا ولا
في اخرة فيا نفس لم لا تعبد الله تعلى كما امرك مخلصة لوجهه
فقال الله تعلى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ثم انصرف
عنا وانتبهنا لغلطنا وتيقظنا من اين دخل علينا و
علمنا ان الله تعلى حصنا به فرجعت على نفسي باللوم والتوبيخ
وقلت يا نفس ما انت وما عملك وما خطرك افتقلا تنفي ونبنا

واستغفرنا

واستغفرنا فقال ففتح الله علينا بجوده وفضله **ليس كل
من ثبت تخصيصه كمل تخليصه** التخليص هاهنا هو أن
يظهر الحق تعلى على بعض عباده اثار عنايته وتوليه لفضله
ورعايته فمنهم من يستمر له ذلك حتى يتحقق بالعرفان
ويتخلص من رؤية الاغيار والآثار وهولاء هم خواص المقربين
اهل العلم بالله والمحبة لله ومنهم من يوقفه على بلوغ درجة الكمال
ويبقيه في حاله بما يليق به من علوم واعمال وهولاء عامة المقربين
وخاصة اصحاب اليمين العُبّاد والزهاد واهل المجاهدة والاوراد
وهولاء اشتركوا الاولين فيما يتحفهم الحق تعلى من لطائف
الكرامات وفيما يمنحهم اياه من القيام بوظائف الطاعات
والعبادات فلم يتخلصوا من رؤية نفوسهم ولم يتخلوا عن مراعات
حظوظهم بل هم ساكنون الى الاسباب محتجبون بوجود الحجاب
وقد يختص الحق تعلى هولاء باظهار الكرامات على ايديهم
ويسببهم تسكينا لانفسهم وتثبيتا لليقين في قلوبهم
ويمنعها الاولين لانهم لا يحتاجون اليها لما هم فيه
من الرسوخ في اليقين والقوة والتمكين كما قال صاحب
كتاب عوارف المعارف وقد يكون من لا يكاشف بشيء منها
معاني القدرة افضل ممن يكاشف بها اذ كاشف الله تعلى

المعرفة بالقدرة انزمن القادر ومن اهل الفرق القادر لا يستغرق
ولا يستكثر من القدرة فتجلى له من سجنه اجزاء عالم الحكمة
وسئل الشبلي رضي الله عنه وقال ان ابا تراب ذكر انه جاع
في البادية فرأى البادية كلها طعاما فقال عبد رفق به ولو
بلغ الى محل التحقيق لكان كمن قال اظل عند ربي يطعمني ويسقيني
فائدة لطايف المنن واعلم ان الكرامات تارة تظهر للولي في نفسه
وتارة تظهر منه لغيره فان ظهرت للولي في نفسه فالمراد
تعريفه بقدرة الله وتفرده بالوحدانية وان قدرته لا تتوقف
على الاسباب وان العوائد هو حاكم عليها لا يستطيع حاكمة عليه
وانما جعل العوائد والوسائط والاسباب حجب قدرته وستر
شمس احديته فوافق عندها المحذور ولا بد منها اليها
هو بالعناية موصول قال وقال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه
فائدة الكرامات تعريف اليقين من الله بالعلم والقدرة والارادة
والصفات الازلية فجمع لا يفترق وامر لا ينفد كانها صفة واحدة
قائمة بذات الواحد ايستوي من تعرف الله اليه بنوره كمن
تعرف الى الله بعقله ولاجل انها تثبيتا لمن ظهرت له ربما
وجدها اهل البداية في بدايتهم وفقدها اهل النهاية في نهايتهم
لتهم ادعا عليه اهل النهايات في الرسوخ في اليقين والقوة

تنبيه في فائدة الكرامة

والتمكين

والتمكين لا يحتاجون معه الى تثبيت وهكذا كان السلف
رضي الله عنهم لمن يوجه الحق سبحانه وتعالى اليه وجود الكرامات
الحسية لما اعطاهم من المعارف الغيبية والعلوم الشهادية
ولا يحتاج جبل الى من يثبت بالكرامة وانها لزلزلة الشك في
الحقيقة ومعرفة بفضل الله تعالى فمن ظهرت عليه وشاهدته فيه
الاستقامة مع الله سبحانه وتعالى

والناس في الكرامات على ثلاثة اقسام قوم يجعلونها غاية
الامر فلو وجدوها عظموا من ظهرت عليه وان فقدوها لم يتوجهوا
بالتعظيم اليه وقسم قالوا وما هي الكرامات انما هي خدع
يخدع بها اهل الارادة ليقفوا على حدودهم حتى لا يطلبوا فاما
ليس هو لهم حتى قال ابو تراب النخشبي لابي العباس الرقي ما
يقول اصحابك في هذه الامور التي يكرم الله بها على عباده فقال
ما رأيت احدا الا وهو مؤمن بها قال ابو تراب من لم يؤمن بها
فقد كفر انما سألتك من طريق الاحوال فقلت ما اعرف
لهم قولا فقال ابو تراب بل زعم اصحابك انها خدع من الحق
وليس الامر كذلك انما الخدع في حال السكون فاما من لم
يقترح بها ومن يساكنها فتلك مرتبة الربانيين قال
وكان هذا من ابي تراب بعد ان عطش بعض اصحابه فضرب

بعقبه الارض فنبع الماء فقال فتى اريد ان اشربه في قدح
فضرب بيده الى الارض فناوله قدحا من زجاج ابيض فشرب
وسقانا فقال ابو العباس الرقي وما زال القدح معنا
الى مكة قال الشيخ ابو الحسن القول الفصل في ذلك انه لا ينبغي
ان يطلب زيادة مع الله تعالى ومن ظهرت عليه شيء من ذلك
هدات عليه بالاستقامة مع الله تعالى قال والقسم الثاني وهو
ان تظهر الكرامات في الولي لغيره فالمراد بذلك تعريف ذلك
العبد الذي شهدها بمكانة هذا الولي الذي ظهرت عليه
الكرامة اما ان يكون جاحدا فيرجع الى الاعتراف او فاجرا
فيرجع الى الايمان او شاكا في خصوصية هذا العبد فاظهر
عليه ليعرفك انه بطلبه من ودايع الاحسان انتهى كلامه
وقال ابو نصر السراج سالت ابا الحسن بن سالم فقلت له ما
معنى الكرامة وهم قد اكرموا حتى تركوا الدنيا اختيارا وكيف
اكرموا بان تجعل لهم الحجارة ذهبا فما وجه ذلك قال لا يصح
ذلك لقدرها ولكن يصح ذلك حتى يتحققوا بكون ذلك
على نفوسهم عنه اغلظ امرها وشرعها من فوت الرزق الذي
فتح الله لهم فيقولون الذي يقدر ان يصير لك الحجارة ذهبا
كما هو ذا تنظر اليه العين يقدر ان يسوق لك رزقك

من حيث

من حيث لا يحتسب فيحتجوا بذلك على جميع نفوسهم عند
فوت الرزق فيحتجوا بذلك لجميع نفوسهم فيكون ذلك سببا
لرياضة نفوسهم وتاديبا لها قال ابو نصر وقد حكى لنا
ابن سالم في معنى ذلك حكاية عن سهل بن عبد الله رضي الله عنه
قال كان رجل بالبصرة يقال له اسحاق ابن احمد وكان من ابناء الدنيا
فخرج من الدنيا من جميع ماله وتاب وصحب سهلا فقال يوما
لسهل يا ابا محمد ان نفسي هذه ليست تترك الصياح والصراخ
من خوف فوت القوت والقوام فقال له سهل خذ ذا الحجر وسل
ربك ان يصيره لك طعاما تاكله فقال ومن امامي في ذلك حتى افعل
فقال سهل امامك ابراهيم عليه السلام حيث قال رب ارني كيف تحيي
الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي المعنى في ذلك ان
النفس لا تطمئن بالخبر رؤية العين لان من شانها الشك فقال
ابراهيم رب ارني كيف تحيي فانا مؤمن بذلك والنفس لا
تطمئن الا برؤية العين قال فكذلك الاولياء يظهر الله لهم
الكرامات تاديبا لنفوسهم وتهذيبا لها وزيادة لهم انتهى
كلام ابي نصر وقال بعض العلماء ما رايت هذه الكرامات الا
على ايدي البله من الصديقين وكان رجل يصحب زيد بن عبد الله رضي الله عنه
فقال له يوما ربما انتوضأ فيسيل الماء من بين يدي وثقبان

ذهب وقضبان فضة فقال بعض اصحابنا ان الحبيب اذا
خشي ... ليشتغلوا بهم وحكاية جعفر الخلدي عن الجنيد
رضي الله عنه قال جاءنا ابو حفص النيسابوري مرة ومعه عبد
الله الرباطي جماعة وكان فيهم رجل اصلع قليل الكلام فقال
يوما لابي حفص قد كان فيمن مضى لهم الايات الظاهرة ايه
الكرامات وليس لك شيء من ذلك فقال له ابو حفص في الصنعة
فحمل معه الى السوق والحدادين الى كير عظيم فحمي فيه
حديدة عظيمة فادخل يده في الكير فاخذ الحديدة المحماة
فاخرجها فبردت في يده فقال له يجزيك هذا فسئل
جعفر عن معنى اظهار ذلك من نفسه فقال كان مشرفا
على حاله فخشي على حاله ان يتغير عليه ان لم يظهر له ذلك
فحمله ذلك شفقة عليه وصيانة لحاله وزيادة لايمانه
فربما يظهر عنها العارفون ويخاف منها المحققون قال
بعض السلف الصالح ما يظهر به الاولياء الكرامة والمعونات
وذكر عن ابي حفص وغيره انه كان جالسا وحوله اصحابه
فنزل ظبي من الجبل فبرك عنده فبكى ابو حفص
فسئل عن بكائه فقال كنت حوله فوقع في قلبي ان لو كانت
لذبحت لكم فلما برك هذا الظبي عندنا شبهت

نفسي

نفسي بفرعون حين سال الله تعالى ان يجري معه النيل
فاجراه معه فبكيت وسالته الا تكون هذه مما تثبته
بسبب الظبي وحكي ان بعض الابدال قال لتلميذ من
تلاميذ الشيخ ابي مدين رضي الله عنه ما بالنا لا يخفى
علينا شيء وهو تخفى عليه اقل الامور مع انا نتمنى
مقامه ولا يتمنى مقامنا فبلغ ذلك ابا مدين فقال قل
له تركنا مرادنا لمراده وعن ابي حفص انه كان يسير في البادية
فانتهى الى بير فاذا الحبل لم يرجع الى راس البير فقال انا
اعلم انك قادر ولكن ما ارجعه فلو قضيت بعض الاعراب
ليصيح صيحات ويسقيني شربة ماء كان احب الي ثم
لقي ذلك الرجل ليسقي من حينه وقال يحيى بن معاذ رضي
الله عنه اذا رايت الرجل يشير الى الايات والكرامات
فطريقه طريق الابدال واذا رايته يشير الى الالاء والنعماء
فطريقه طريق المحبة وهو على درجة من الله قبله واذا رايته
يشير الى الذكر ويكون قلبه متعلقا بالذكر الذي ذكره فطريقه
طريق العارفين وهو على درجة من جميع الاحوال وقال
ابو مدين رضي الله عنه كنت في بدايتي ارى الايات والكرامات
وما انتفعت بها فلما رايت ذلك جعلت الى معرفته سبيلا

وقال رضي الله عنه لا يستحقر الورد الا جهول الوارد يوجد في الدار الآخرة والورد ينطوي بانطواء هذه الدار واولى ما يعتنى به ما لا يخلف وجوده الورد هو طالبه منك والوارد انت تطلبه منه واين ما هو طالبه منك مما هو مطلبك منه الورد عبارة عما يفعل يكسب العبد من عبادة ظاهرا او باطنا والوارد هو ما يرد على باطن العبد من لطائف وانوار ينشرح بها صدره ويستنير بها قلبه وسرك في الورد ما سر العبد الى الحق تعالى من معاملة وعبودية وما سر لك به سبحانه الى العبد من لطف وكرامة والورد اهو ما يعتني به العبد ومن اعليه من الوارد لوجهين احدهما ان الورد مختص بهذه الدار لا ينفع الا فيها فهو منقطع بانقطاعها وفات بفناتها فينبغي للعبد ان يستكثر من الاوراد قبل فواتها الا يمكنه خلف ما فات منها والثاني ان الورد هو حق الله منك والوارد هو حظك منه وقيامك بحقوقه عليك اولى بالعبودية من طلب حظوظك ووقوفك فاذا ثبتت مزية الورد على الوارد باعتبار العمة كان استحقاره من علامة الجهل وكان مستحقره جهولا كما قال قال في لطائف المنن واعلموا

ان الله

ان الله اودع انوار الملكوت في اصناف الطاعات فمن فاته من الطاعة صنف او اعوزه من الموافقة جنس فقد فاته من النور بمقدار ذلك فلا تهملوا شيئا من الطاعات ولا تستغنوا عن الورد بالوارد ولا ترضوا لانفسكم بما رضي به المدعون من الغافلين عن الله وخلوا انوار ورده من قلوبهم والحق بالحكمة جعل الطاعة الجارية على العباد مستفرعة لباب الغيب فمن قام بالطاعة والمعاملة بشرط الادب لم يحتجب الغيب عنه والنظر من الغيب ينفتح لك باب الغيب ولا تكن ممن يطالب الله لنفسه ولا يطالب نفسه له بذلك حال الجاهلين الذين لم يفهموا عن الله ولا واجههم البدء من الله والمؤمن يسر كذلك بل المؤمن من يطالب نفسه لربه ولا يطالب ربه لنفسه بل ان توقف الوقت عليه استبطأ ادبه ولا يستبطئ مطلبه ثم ذكر كلاما كثيرا في كلامه رحمه الله تنبيه على تأكيد الاوراد وعظم موقعها من الدين وان من اعانتها من حسن سمات العارفين وقد رءا الجنيد رضي الله عنه وبيده سبحة فقال له يا ابا القاسم انت مع رايتك وشرف حالك تاخذ بيدك سبحة فقال نعم سبب وصلنا الى ما وصلنا لا نتركه وكان يدخل كل يوم حانوته ويسبل الستر ويصلي اربعمائة ركعة ثم يعود الى بيته ورده

الجنيد رضي الله عنه بعد وفاته في المنام فقيل له ما فعل الله
بك قال طاحت تلك الاشارات وفنيت تلك العبارات وا
فنيت تلك الرسوم وغربت تلك العلوم وما نفعنا الا ركعات
كنا نركعها في السحر وحكى ابو محمد الجريري رضي الله عنه
قال كنت عند الجنيد رضي الله عنه في حال نزعه وكان يوم جمعة
ويوم نيروز وهو يقرأ القرآن فختم فقلت في هذه الحالة
يا ابا القاسم فقال ومن اولى مني بذلك وهو ذا تطوى صحيفتي
وقال ابو الحسن العمراني رضي الله عنه ذكر الجنيد اهل المعرفة
بالله وما يراعون من الاوراد والعبادات بعد ما الطفهم
الله به من الكرامات فقال الجنيد رضي الله عنه العبادة
على العارفين احسن من التيجان على رؤوس الملوك وقال ابو بكر
العطار حضرت الجنيد عند الموت في جماعة من اصحابنا
قال فكان قاعدا يصلي ويثني رجليه اذا اراد ان يسجد
فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجليه فثقل عليه
حركتهما فمد رجليه فرآه بعض اصحابه ممن حضره
ذلك الوقت وكانت رجلا ابي القاسم قد ورمتا فقال ما هذا
يا ابا القاسم فقال هذه نعم الله الله اكبر فلما فرغ من صلاته
قال له ابو محمد الجريري يا ابا القاسم لو اضطجعت فقال يا ابا محمد

هذا اوقت

هذا اوقت منه الله اكبر فلم يزل كذلك حتى مات رحمة الله
عليه ورضوانه وقال الحصري رضي الله عنه الناس يقولون الحصري
لا يرى بالنوافل وعلي اوراد من حال الشباب لو تركت منها ركعة
لعوتبت وقال محمد بن ثابت البناني رضي الله عنهما لما حضرت
ابي الوفاة جعلت القنه الشهادة فقال يا بني دعني فاني في حزبي
السادس وقال ابو طالب المكي رضي الله عنه مداومة الاوراد من اخلاق
المؤمنين وطريق العابدين وفيه مزيد الايمان وعلامة الايقان و
في خبر عن عائشة رضي الله عنها انها سئلت عن عمل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالت كان عمله ديمة وفي لفظ آخر كان اذا عمل عملا
اثقله واثبته وفي الخبر المشهور احب الاعمال الى الله تعالى
ادومها وان قل وجاء في الاثر كلام تارة يروى عن الحسن بن علي
رضي الله عنه وتارة عن الحسن البصري ومرة عن عائشة رضي
الله عنها وبعضهم يحكيه عن النبي صلى الله عليه وسلم في المنام
من استوى يوماه فهو مغبون ومن انقص من امسه فهو محروم
ومن لم يكن في مزيد فهو في النقصان ومن كان في النقصان فالموت
خير له وقد يكون استثقال الورد من المكر والاستدراج
للعبد ويكون سبب ذلك ان تلوح له خيالات وتظهر كرامات
توجب له استحسان حاله والتخبط في حاله وفي ذلك يقف

العبودية بالكلية وهي امارة لوجود الطرد والبعد والعياذ
بالله وصاحب هذا يقع في الجهالة الشديدة والضلالة وقد
قال الجنيد رضي الله عنه ان جماعة من المعرفة يقولون اهل المعرفة
بالله يصلون الى ترك الحركات من باب البر والتقرب الى الله فقال
الجنيد ان هذا قول قوم تكلموا باسقاط الاعمال وهذا عندي عظيمة
والذي يسرق ويزني احسن حالا من الذي يقول هذا ان العارفين بالله
اخذوا الاعمال عن الله واليه رجعوا فيها ولو بقيت الف عام لم
انقص من اعمال البر ذرة الا ان يحال بي دونها وانه لاوكد في معرفتي
واقوى في حالتي قال السهروردي رضي الله عنه في كتاب عوارف المعارف
رب جاهل من يعول بشيا ان فتح بمعالم ولم يقم باسباب خلوته بالا
[illegible] فيه قبل الخلوة [illegible] الغرور ويهون نفس العبادة و
يستحقرها ويسلبه الله لذة المعاملة ويذهب عن قلبه
هيبة الشريعة وينقطع [illegible] فيصح الصادق في الخلوة
بالخلوة التشوف الى الله تعالى بعمارة الاوقات وكف الجوارح عن الحركات
ويصلح لقوم من ارباب الخلوة ملازمة الاوراد وتوزيعها
على الاوقات ويصلح لقوم ملازمة ذكر واحد ويصلح لقوم دوام
المراقبة ويصلح لقوم الانتقال من الاذكار الى الاوراد ولقوم الانتقال
من الاوراد الى الذكر انتهى ما نقلوه بغرضنا من السهروردي [illegible]

[illegible]

126

رضي الله عنه وهو مناسب لما ذكره المؤلف رحمه الله وليس هذا المعنى
ما روي عن ابي سليمان الداراني رضي الله عنه [illegible] الانطاكي
رضي الله عنهما انهما قالا اذا صارت المعاملة الى القلوب استراحت
الجوارح وان كان ظاهره موهما كما قال ابو نصر السراج رضي الله عنه بعد
ان حكاه عن ابي سليمان الداراني رضي الله عنه فقال وهذا الذي ذكر
ابو سليمان يحتمل معنيين احدهما انه اراد بذلك استراحة الجوارح
من المجاهدات والمكابدات من الاعمال اذا اشتغل بحفظ قلبه و
مراعاة سره من الخواطر المشغلة والعوارض المذمومة التي
تشغل عن ذكر الله قلبه ويحتمل ايضا انه اراد به لكان يتكلف من المجاهدة
والاعمال والعبادة ويطهر ظاهره ويستلذ بقلبه ويجد حلاوتها
ويسقط عنه التعب ووجود الالم الذي كان يجدها قبل ذلك انتهى
كلامه ومعناه صحيح والله اعلم وبه التوفيق ورود الامداد
بحسب الاستعداد شروق الانوار على حسب صفاء الاسرار
ورود المواهب الامدادية من الله تعالى على عبده بحسب قوة الاستعدادية
المجعولة فيه وشروق الانوار اليقينية على حسب صفاء سره من
التعلق بالاغيار [illegible] الغافل اذا اصبح نظر ماذا يفعل
والعاقل اذا اصبح ينظر ماذا يفعل الله به اول [illegible] على العبد
هو [illegible] توحيده فالغافل اذا اصبح [illegible] عليه [illegible]

الفعل الى نفسه فيقول اذا الفعل اليوم فهو مشتغل بتدبير
مصروف عن النظر الى مولاه وذلك لوجود غفلته عنه فهو
حقيق بان يكله الله تعالى الى نفسه فيتشتت عليه قلبه
وينغص عليه من ذلك والاقتصار او اخذ من يرد عليه نسبة
الفعل الى الله تعالى فيقول ان شا الله فهو ناظر الى الله والى
ما يرد عليه منه وذلك لوجود عقله ودوام يقظته فلاجرم
يكفيه الله تعالى تعلقات الامل ويفرغه من جميع الاشغال ويفرغ
قلبه بما يقيم فيه من اعمال او يورده عليه من احوال وهذه
معاملة عظيمة ومنة من الله تعالى لمن والاه من عباده فهذه
قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اصبحت وما لي سرور الا
في مواقع القدر وقال ابو عثمان رضي الله عنه منذ اربعين سنة ما
اقامني الله تعالى في حال فكرهته ولا نقلني الى غيره فسخطته
ومن اعجب ما رايته في صحة المعنى الذي ذكرته اولا وما يدل [illegible]
على مثله من الاحوال فهو ما ذكر الشيخ ابو القاسم عبد الرحمن
الصقلي رضي الله عنه في كتاب صحبة الاولياء ومراقبة الاحوال الاخيار
فيسنده الى ربيعة ابن ابي شبيب الطالقاني قال حدثنا رجل من اصحابنا
قال رايت رجلا بمرج الديباج ليس معه شي فدنوت منه
فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت من رحمك الله اين تريد

قال

قال لا ادري قلت هل رايت احدا يريد مكانا لا يدري اين يذهب قال انا
١٢٧ واحد قلت فمن تتبع من الرحلة قلت تتوجه ولا تدري اين
تذهب قال نعم وذلك اني كم مرة اردت ان اذهب الى مكة فيردني
الى طرسوس وكم مرة اريد طرسوس فيردني الى بغداد او يقيمني الى مكة
ولا ادري قلت فمن ايش العمل قال لا ادري فقلت اخبرني باشياء ان ذلك
قال من حيث يريد فيجيعني مرة ويشبعني مرة ويعريني مرة يقول لي ما
على الارض احد مثلك ومرة يقول لي [illegible] ومرة ينومني على الفراش
ويطعمني الطيب [illegible] ويطعمني مرة [illegible] ومرة يجردني
المرة [illegible] ولا يوهمني الا عند النوم فقلت يرحمك الله من يفعل
ذلك بك قال الله عز وجل [illegible] فقلت [illegible]
كيف هذا فقال [illegible]
بلاد [illegible] فاذا نظر الى اهلها قال بعضهم لبعض هذا الرجل
[illegible] القرية فاذا علينا العشاء [illegible]
يدخل المسجد [illegible] فيقولون [illegible] فيقول [illegible]
فمن ههنا [illegible] موضع [illegible] وكراهة [illegible]
البيت الليلة فيقول [illegible] القبو [illegible]
ولا يكون [illegible] الليلة فاذا اصبحت
سرت فيلاقني البلد الاخرى فاذا [illegible] اهلها قال بعضهم لبعض

قد ورد عليهم الليلة رجل واحد فقير جائع فيقول هذا عندي فيبيت
فاذا جلسنا للعشاء للآخرة فيقول الرجل منهم قم بنا الى البيت
فلا فرائح وكرامة بالسفه معه الى المنزل فياتيني بالطعام الطيب
ويدعو لي الله ويغسل يدي وياتيني بالفراش اللين فننام عليه
ولا يدع شيء من البر الا فعله حتى اصبح فيعتذر الي ويمضي
فقلت رضي الله عنه متى قدرت ان تدخل بغداد قال منذ ثلاث بموضع
كذا وكذا قال فلما نابوا قصدته فاذا باسطوانه والباب مفتوحة
فاذا انا بصاحب يصلي بيتي و دخلت البيت فقلت احترمته بك
من اين جاءك هذا قال اسبوعا بعد ان قربت قوتا فقلت بعد ان قال يا ابا الوقت
ان الله اعطاني بهذا اثر الفقر عليه فقلت ايش الخبر قال اهلي فرحوا
شيعة اجلها لبعث الاخبار ... من مقتساتي لا تبكي بيوم القعود
واسر بعض ... ذكر ابنه يشير به صاحب المفتاح فاقبل الي رجل له
فجعل يضرب ظهري ويقول يا لص ما اخرج مثلي من خرج او عدو
حتى وقعت عليك قال واذا بالرجل قد اقبل ... ما قلب
السود بين راسه وقال نعمه الى رجل واحد يتقدم ويقال المثل
هذا ابو الوكيل بما كان ... كنت ... له لما اذا ... اهله
الا ... قال وانصرف صاحب المفتاح فذهب بي الى
منزله فما ابقى من الكرامة شيئا واستعملني بخدمته وجئت

اليك

١٢٨

اليك وقد يكون في معنى الرغبة الى ما يفعل الله به ان يتكثر
ان يكون ... على قلبه من الاشارة من قلبه فيكون الفداء والغنائم
بوجود بصيرة وحسن توفيق وهذا اعتبار التوبة الشفاه
دواع الغيابه وصدوا بتقصير فسال سيدي ابو محمد بن رضي الله عنه
اهو عن ان تصبح وتمسي مستسلما لعل الله يتكفل لك بخير حال
وقال بعضهم من اعتمد الوكيل لم تقطعه النعمة ومن انتهى
الى نعمته لم تقطعه الى الله فالتفكر اذا انقلب فتفكر بان علم دفعه
فاول وهلة الى وكيله وفوضه فان نسبت النعمة عنه وان عاد فليعد
الى الله فانه الوكيل الى الله وكل الاحوال في فطنته وتصحيح اهل
الوصلة ... لا يطلع الى غيره واعتبر هذا الى
بحديث الحديبية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صده المشركون
بينها عن مكة ... من ان ... بين ... رجع في الحال
عن تلك العمرة ولم يشترط لهم بما يحصل له من الظاهر ... او
نصرة بعد ما كان دعى اليه من بيعة الرضوان تحت الشجرة وما
عزم عليه من ... جزاه من جاد له من الصحبة واعطاه فتحا على
ظهور ... الحكم عند ورود ... لما ارادت
توجهها الى البيت ... وقال حبيبه مظهر ...
مظهر ما ... لا ... من الغيل ...

فمن يشق الرحلة فيها جملة الا وهم الا جنبتهم اليها فكان
كما قال صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم لما حكم على وضع الحرب
فيما بينهم عشر سنين يتقلب في الأرض عن ضيق فلما
استقر بينهم الصلح وانزل الله تعالى سورة الفتح ظهرت
الفوائد التي تضمنها ذلك التدبير الحسن وقرت أعين الصحابة
رضي الله عنهم بما ابرزه اليهم من لطائف ومنن وقد صح
بمعنى جميع ما ذكرناه الخبر ونقله الينا علماء الحديث والسير
والبين من دعاء صاحب هذا الكتاب ومناجاته ما يتوافق معه له
وقوله في جميع تصرفاته **اللهم** إني أصبحت لا أملك لنفسي ضرا
ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا أستطيع أن آخذ
إلا ما أعطيتني ولا أتقي إلا ما وقيتني **اللهم** فوفقني لما تحبه
وترضاه من القول والعمل في عافية إنك على كل شيء قدير
والمنقول ايضا من دعاء الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه
اللهم إن الأمر عندك وهو محجوب عني ولا أعلم أمرا اخترته لنفسي
فكن أنت المختار لي واحملني على أجمل الأمور عندك وأحمدها
عاقبة في الدين والدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير **إنما استوحش**
العباد والزهاد من كل شيء لغيبتهم عن الله في كل شيء فلو
شهدوه في كل شيء لم يستوحشوا من شيء العباد والزهاد

في حجبة

في حجبة عن ربهم وبقيتهم لنفوسهم ومراعاتهم لحظوظهم
فهم يفرون من الأشياء ويستوحشون منها لأنها موجودة
في نظرهم والزهد في الشيء فرع عن شهوده هنا وهذا له بالوجود كما قال الشيخ
أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه والله لقد عظمتها إذ زهدت
فيها فهم يهربون منها أن تعود عليهم بأغراضهم وتفوتهم
مقاصدهم فيشغلهم البعد وابتغاء ... ولو كانوا من أهل
العلم بالله والمعرفة له لرأوا ظاهر الأشياء كالهواء
فكان لهم في ذلك من قرة أعينهم ما يشغلهم عن رؤيتهم لنفوسهم
فلا يغيبون لعدم من الأشياء وحقيقة ولا يستوحشون منها البتة
لا تهايا لانبه متعالية بعده الاستثبات **أمرك في هذه الدار**
بالنظر في مكوناته وسيكشف لك في تلك الدار عن كمال ذاته
رؤية العباد لربهم عز وجل على حسب تجليه لهم في هذه
الدار يرونه خلف حجاب المكونات بأنوار بصائرهم لما تجلى
لهم من وراء حجابها ولذلك أمرهم بالنظر فيها وفي الدار
الآخرة يرونه معاينة بأنوار أبصارهم من غير حجاب ولا مانع
وهذا غاية الظهور والكشف **علم منك أنك لا تصبر عنه**
فأشهدك ما برز منه عدم الصبر عن الله من وجود الاقتضاء
بمعرفته وهو حال شريف يقتضي وجود المحبة والانقطاعية

والمعية الاختصاصية تقتضي دوام المشاهدة والحضور
والمشاهدة الحقيقية غير متصورة في هذه الدار لما هي عليه
من الكثافة والنقص والفناء والذهاب فأكرم الله تعالى عبده له
لعلمه بعدم صبره عنه بأن أشهده ما أبرزه منه من الآثار إذا
كان تسلية له في الآثار عن المؤثر فحصلت له في هذه المعية الاختصا
صية اللائقة بحاله حتى إذا أقعده في مقعد الصدق وحصلت له
عندية الحق خلع عليه خلع التقريب والتكريم ووجهه بوجهة القوم
فحصلت له في هذه المعية الحقيقية والمشاهدة السرمدية وما
ذلك على الله بعزيز **لما علم الحق منك وجود الملل لون لك الطاعات**
وعلم ما فيك من وجود الشره فحجرها عليك في بعض الأوقات
ليكون همك إقامة الصلاة لا وجود الصلاة فما كل مصل
مقيم تلوين الطاعات لوجود الملل وتحجيرها في الأوقات
لوجود الشره نعمتان عظيمتان أنعم الله بهما على عبده
فالملل النفرة من عمل تلحقه فيه مشقة فيصبر عليه
ويتحمل التعب فيه حتى يضجر ويسأم ويترك ذلك العمل بحقه
إلا استثقالا له وهو شيء يعرض للطبع بعد إيثار الشيء ومحبته له
والشره مجاوزة الحد في التنازع إلى العمل والحرص عليه والذي يوجب
وجود الملل المداومة على نوع واحد من العبادات أن تسأمه

النفس

النفس وتستثقلها فإذا الوقت عليها استحلتها واستخفتها
وقد قال بعض الشعراء: لا يصلح النفس إذ كانت مدبرة ١٣٠
إلا التنقل من حال إلى حال والموجب لوجود الشره صلاحية الأوقات
كلها لإيقاع العبادة فيها والتقصير فيها فلذلك عين لها أوقات
توقع فيها وأوقات لا توقع فيها وذلك معنى تحجيرها في الأوقات فإن
الملل والشره واقعين في الصلاة لم يكن الآتي بها مقيما لها لوقوع التقصير
منه فيها ولم يومر إلا بإقامة الصلاة لا بوجود صورة الصلاة قال
شيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه كل موضع ذكر فيه المصلون في معرض
المدح جاء إخبارا لمن أقام الصلاة إما بلفظ الإقامة أو بمعنى يرجع
إليها قال الله سبحانه الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ورب
اجعلني مقيم الصلوة أقم الصلاة لذكري وأقام الصلاة والمقيمي الصلاة
ولما ذكر المصلين بالغفلة قال فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون
ولم يقل فويل للمقيمين الصلاة والإقامة أنه إذا كان المؤمن على هذه
فقبلت منه ظاهرا وباطنا قال ابن عطاء الله رضي الله عنه إقامة
الصلاة حفظ حدودها مع حفظ السر مع الله عز وجل لا يختلج بسره
سواه قال الإمام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه هو القيام بأركانها
وسننها ثم الغيبة عن شهودها برؤية من تصلي به فيحفظ عليه
أحكام الأمر فيما يجري عليه منه وهو [illegible] لا يلتفت نحو نفسه

منه مستقبلة الى القبلة وقلوبهم مستغرقة في حقايق الوصلة و
تفضيل المولف رحمه الله بالصلاة دون ساير العبادات فسره ذلك
اكثر ما يقع فيها وقد يكون استطرادا للكلام على الصلاة حسب
ما يقوله باثر هذا **الصلاة طهارة للقلوب** من ادناس الذنوب
كما روي في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله ان
مثل الصلاة كمثل نهر غمر عذب على باب احدكم يقتحم فيه كل يوم
خمس مرات فما ترون ذلك يبقي من ذنوبه **واستفتاح لباب**
الغيوب لان القلوب اذا تطهرت وتزكت رفع عنها الحجاب والاستار
فرايت ما غاب عنها من الاسرار **الصلاة محل المناجاة** لان فيها
يكون الثناء والدعاء والمناجاة مخاطبة الاسرار عند صفاء
الاذكار للملك الجبار **ومعدن المصافاة** وهي زوال الاكدار الكونية
بينك وبين ربك حتى يلجوا قلبك وسرك فيصيرا له حينئذ
شهوده ويمحوا ذاته وجوده **تتسع فيها ميادين الاسرار**
حتى تكون عليك في الظهور **وتشرق فيها شوارق الانوار** فيكون
قلبك نور على نور وهذه العبارة البينة معانيها منفهمة ولعل كان
هذه الاحوال التي ذكر المولف من فوايد الصلاة وان المقصود منها انما هو
تحصيلها كان ذكر المولف لها كالدليل على ما قاله من ان المامور به انما هو
اقامة الصلاة لا وجود صورة الصلاة وان الصلاة المعتبرة انما هي

صلاة

131

صلاة الخاشعين في صلاتهم الذين لا اشتغل لهم الا بلوغ هذا
المقاصد السنية ولذلك كانت الصلاة ام العبادة واسا الخيرات
قال تعالى اقم الصلاة لذكري فاخبر ان الصلاة المراد بها الذكر وقد
روي معنى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما فرضت واُمر بالحج والطواف
واشعرت المناسك لاقامة ذكر الله وان كانت قرة عين نبيه
صلى الله عليه وسلم على ما سيأتي الكلام عليه حيث تعرض المولف له
وفي بعض الاخبار ان العبد اذا قام الى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبينه وواجهه
بوجهه وقامت الملايكة من لدن منكبيه الى الهواء يصلون بصلاته ويامنون
على دعايه وان المصلي لينتشر عليه البر من عنان السماء الى مفرق راسه
وينادي مناد لو يعلم المناجي من يناجي ما انفتل وان ابواب السماء تفتح
للمصلي وان الله يباهي ملايكته بصفوف المصلين وفي التفسير ان البيع ادم
لا تعجز ان تقوم بين يدي مصليا بالحيا ... الساعة التي اقتربتا من قلبك بالغيب
رايت نوري ... ايها ان ... الرقة والبكاء وتلك الفتوح التي يجدها
المصلي في قلبه من نور ... من الغيب وقال محمد بن علي الترمذي رضي الله عنه
دعا الله الموحدين الى هذه الصلاة ... رحمة منه عليهم وهيأ لهم
فيها الوان الضيافة ... ينال العبد من كل قول وفعل شيئا من عطاياه جلاله
جعل ... الاطعمة من الالوان كالاشربة وهي عرس الموحدين هيأها رب العالمين
... في كل يوم خمس مرات حتى لا يبقى عليهم دنس ولا غبار

الحضور في الحرم

وقال ابو طالب المكي رضي الله عنه حدثت ان المومن اذا توضا
للصلاة تباعدت عنه الشياطين في اقطار الارض خوفا منه لانه
يتاهب للدخول على الملك فاذا كبر حجب عنه ابليس وضرب بينه
وبينه سرادق لا ينظر اليه وواجهه الجبار بوجهه فاذا قال
الله اكبر اطلع الملك في قلبه فاذا ليس في قلبه اكبر من الله يقول الملك
صدقت هو في قلبك كما تقول قال فيتشعشع في قلبه نور يلحق
بملكوت العرش فينكشف له بذلك النور ملكوت السموات والارض
ويكتب له حشو ذلك النور حسنات قال وان الغافل الجاهل اذا قام
الى الوضوء احتوشته الشياطين كما تحتوش الذباب على قطرة
العسل فاذا كبر اطلع الملك في قلبه فاذا كل شيء في قلبه اكبر من الله
عنده فيقول الملك كذبت ليس الله في قلبك كما تقول فيثور في قلبه
دخان يلحق بعنان السماء فيكون حجابا لقلبه عن الملكوت قال
فيزيد ذلك الحجاب ظلمة ويلتقم الشيطان قلبه ولا يزال ينفخ فيه وينفث
ويوسوس اليه ويزين له حتى ينصرف من صلاته لا يعقل ما كان فيه ومحمل هذه
الاخبار والاثار موافقة لما ذكر المولف رحمه الله وادلة عليه فلذا اوردتها
ها هنا والله ولي التوفيق برحمته **على وجود الفعل منك فقل**
اعدادها وعلى احتياجك الى فضله فكثر امدادها هذا من فضل
الله تعالى الذي عود عبده فقليل اعدادها بان جعل الخمسين خمسة

وذلك

وذلك تخفيف منه عنه لما علم من وجود ضعفه وتكثير امدادها
بان جعل الخمسة ثواب خمسين وذلك فضل منه عليه اذ كان محتاجا
اليه فله الحمد والشكر على ذلك وهذه الشعبة مذكورة في حديث الاسراء
متى طلبت عوضا عن عمل طولبت بوجود الصدق فيه ويكفي المريب
وجدان السلامة فقد ... العمل لاجل حصول الجزاء معتبرا وجلبنا هنالك
من الاثار والحكايات عن العارفين وارباب القلوب ما فيه مقنع وقد ذكر المولف
رحمه الله هذا المعنى في مواضع متفرقة من هذا الكتاب وما ذكرها هنا
تقبيح بحال طالب الجزاء على العمل ومعنى ما ذكر ان العامل على هذا الوجه
معرض للبطلان لانه اذا طالب ربه بالجزاء على عمله طالبه ربه بوجود الصدق
فيه وانصاف الوصف بحقه في العمل وانا لا توجد فيه ذلك مع كونه طالبا
الجزاء من ربه وهو لا محالة مريب فيكفيه وجدان السلامة من غير مزيد
عليها قال الواسطي رضي الله عنه العبادة الى طلب العفو عنها اقرب
منها الى طلب العوض عليها وقريب من هذا ما قال الحسن البصري رضي الله عنه
العبادة الى طلب الصفح والعفو عن تقصيرها اقرب الى طلب الاعواض
والجزاء عليها وقال خير النساج رضي الله عنه ميراث عملك
ما يليق بك فلا تطلب ميراث فعله فانه اتم واشمل فان الله
تعالى قد جعل العمل من جهته جنة لك فلا تبرح ما هو خير مما يحبون
لا تطلب عوضا عن عمل لست له فاعلا يكفي من الجزاء لك

على العمل ان كان لك قابلا المنفرد بخلق اعمال العباد واختراعها
هو الله عز وجل وكيف يطلب العبد الجزاء على عمل لا اثر له فيه
على الحقيقة ومعنى كون القبول جزاء قد تقدم اذا اراد ان يظهر
فضله عليك خلق ونسب اليك يقول الله تعالى [illegible] اذا اراد
ان يظهر عليك فضله خلق الطاعة لك وحلاك بها ونسبها اليك وقال له
يا عبدي انت مطيع ومتق ومجتهد وعامل ونحو ذلك يثنيك عن ذلك
جلا فاذا شهد العبد هذا الفضل العظيم واستوى عليه الخجل والحيا
من سيده الكريم وانطلق لسانه مع هذا الحال بالدعاء والسؤال
وقال يا رب كما تفضلت بخلق الطاعة لي وحليتني بها ووهبتني
نعمات [illegible] انا خلي عنها في الحقيقة ووعدتني مع ذلك جزيل
الثواب والنجاة من العذاب فتقبل مني عملي واجزني ما وعدتني ولا
يكون ذلك تعجبا ولا [illegible] العبد ان ينسب الى نفسه شيئا
من محاسن الصفات ومحاسن الاعمال حقيقة ولا ادعاء اذ لا اهلية فيه
لذلك واما مذام الصفات والاعمال ومساويها فمتعلق الادب ان
يضيف ذلك الى نفسه وان يعترف ان ذلك من ظلمه وجهله قال
سهل بن عبد الله رضي الله عنه اذا عمل العبد حسنة وقال يا رب انت
بفضلك استعملتني وانت اعنتني وانت سهلت شكر الله تعالى ذلك
[illegible] يا عبدي بل انت اطعت وانت تقربت واذا نظر بنفسه وقال انا

عملك

عملت وانت قدرت وانت قضيت وانت خلقت غلب المولى
جلت قدرته عليه وقال له يا عبدي بل انت اسات وانت جهلت وانت عصيت
واذا قال يا رب انا ظلمت وانا اسات وانا جهلت قال المولى جلت قدرته
وقال له يا عبدي انا قضيت وانا قدرت وانا خلقت وقد غفرنا وقد محونا وقد سترت
لا نهاية لمذامك ان ارجعك اليك ولا تفرغ مدائحك ان اظهر جوده
عليك من رده الحق تعالى الى نفسه ووكله الى عقله وحسه فقد ابعده
عن بابه وابعده عن جانبه وكانت احواله مدخولة معلولة واعماله مستقبحة
مرذولة ومن اخذه اليه واظهر جوده عليه فقد اخذه من نفسه وقربه
الى حضرة قدسه وكانت احواله حسنة جليلة واعماله كلها ممدوحة
مقبولة كما قيل لما انتسبت الى جنابك تعريت ذات [illegible]
وقال رضي الله عنه كن باوصاف ربوبيته متعلقا وباوصاف عبوديتك
متحققا التعلق باوصاف الربوبية ان تشهد وجودك ولوازم وجودك
لا شيء منه لك ولا منك وانما هي عوار عندك فلا ترى وجودك الا بوجوده
ولا بقاءك الا ببقائه ولا عزك الا بعزته ولا قدرتك الا بقدرته ولا غناك
الا بغناه الى غير ذلك من الاوصاف ولا يتم لك ذلك الا ان تحقق باوصاف
عبوديتك من عدمك وفقرك وذلك وعجزك والتعلق والتحقق
المذكوران متلازمان وهما شيء واحد لا تفرقة بينهما على التحقيق
منعك ان تدعي ما ليس لك مما للمخلوقين افيبيح لك ان تدعي

[illegible] العبد [illegible] التعلق

وحبه وهو رب العالمين أورد هذا كالدليل على ما ذكرناه آنفا
من أنه لا حظ للعبد من صفات مولاه إلا التعلق بها فقط ولا اعتقاد
شيء منها مركبا من معاني القلب ومن مشاركة المربوب للرب
ومن مقتضى الغيرة التي اتصف بها وأعلمنا بشأنها على لسان
رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ما أحد أغير من الله تعالى
ومن غيرته أنه حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن تحريم ذلك
على العبد والتسجيل عليه باستحقاق البعد والطرد ومن الفحش
الفواحش عند العارفين أجود شيء من الشركة في قلب
العبد بادعاء شيء من أوصاف الربوبية لنفسه عقدا أو
قولا ذلك منازعة له وتكبرا عليه وفي حديث ابن عباس
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل
الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني في واحد منهما
ألقيته في النار ومعنى المنازعة الدعوى جهلا وعبارة وإلا
ضمارا فعلا واشارة ومعنى الغيرة في حقه تعالى أنه لا يرضى بمشاركة
غيره له فيما اختص به من صفات الربوبية وفيما هو حق له من الأ
عمال الدينية وإذا كان الحق تعالى بهذا النعت ومن حاله أن
تدعي ما ليس لك مما أعطى المخلوقين من الأحوال ومنحهم إياه ذلك
فضلا وجودا منه فكيف يصح لك أن تدعي وحده رب العالمين

لا شريك له

لا شريك له أنت ولا غيرك فهو إذا من أعظم الظلم وأشد العدوان
١٢٤ عصمنا الله من ذلك قلت وهذا المعنى الذي ذكره المؤلف رحمه الله في
هذه المسألة هو الغرض الأقصى الذي هو من نكر الصوفية
وكل ما عنوه ورمزوا له وأشاروا به وفهموا عنه من أفعال وأقوال
وأحوال إنما هي وسائل إلى هذه النفحة الشريفة والمقام المنيف
بشأنهم فيه إنما هو العمل على موت نفوسهم وإسقاط حظوظها
بالكلية كما قيل الصوفي دمه هدر وملكه مباح وليس
ذلك المقصود لهم بالذات وإنما غرضهم من ذلك ما يلزم عنه
من إفراد الله تعالى بالوجود ولوازم الوجود انفرادا لا يشركونه
في شيء منها البتة كما ذكرناه آنفا وهذا هو كيمياء
السعادة التي أعوزت أكثر الناس ولم يحظوا منها إلا بالإفلاس
إذ به لا يستحق المرء عبودية الله عز وجل إلا بالمقام العبد
المتبرئ منه كما قال الشاعر [illegible]
[illegible] ولهذا المعنى كانت عندهم ذنوب
خطرات الحظوظ وخفيات هواجس الهوى وكلما ينتج بقاء
النفس وتنويعها من رؤية المقامات وإيثار الأحوال والكرامات
ذنوبا عظيمة وإخلالا شديدا فلا جاء ضمن العبودية والافتقار
الربوبية يتوبون من جميع ذلك إلى ربهم ويتعوذون به من شره

وتجلبوني من مسكناته وملاحظته غاية البعد ونهاية المكر
والطرد كما قيل إِذَا قُلْتُ مَا أَذْنَبْتُ قَالَتْ مُجِيبَةً
وُجُودُكَ ذَنْبٌ لَا يُقَاسُ بِهِ ذَنْبُ ذكر ان بعض الملوك عبدا
يقدمه على اشكاله واقرانه فشكى اهل الاقليم ما صنع الى الملك
فقال تخيروا من شئتم او ابيه عليكم فاختاروا ذاك العبد
لما راوا ميل الملك اليه فقال الملك واجعلوه في اختيار الولاية وليفشا
عليكم فمن عقب ايام الولاية فهو ممن يكتب المنشور وامر استعماله
اذا وفى عمل ولا يتم والمبالغة في القابه بانواع الكرامات والمبار
ودنش من يرتش عليه ما ورد فيه سمع ثم امر من يقول الا اشرف
على الموت هذه اجزاء من يختار الولاية على خدمة مولاه ففي
هذا عبرة لاولي الابصار وتبصرة لارباب الاعتبار والى هذا
المعنى الجليل العوذ الى سوق المسبل تشير الحكاية
المشهورة المروية عن ابي يزيد رضي الله عنه حدث ابو معاذ
رضي الله عنه انه رءاه في بعض مشاهداته من بعد صلاة
العشاء الى طلوع الفجر مستوفزا على صدور قدميه رافعا
اخمصيهما مع عقبيه عن الارض ضاربا بذقنه على صدره
شاخصا بعينيه لا يطرف قال ثم سجد عند السحر فاطال
ثم قعد فقال اللهم ان قوما طلبوك فاعطيتهم المشي

على الماء

على الماء والمشي في الهواء فرضوا منك بذلك واني اعوذ بك
من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم طي الارض فرضوا بذلك
واني اعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم كنوز الارض
فانقلبت لهم الاعيان فرضوا بذلك واني اعوذ بك من ذلك وان قوما
طلبوك فاعطيتهم عينك خضراء فرضوا به واني اعوذ بك
من ذلك حتى عد نيفا وعشرين مقاما من كرامات الاولياء
ثم التفت فرءاني فقال ابو معاذ قلت نعم يا سيدي قال منذ متى انت
هاهنا قلت منذ حين فسكت فقلت يا سيدي حدثني بشيء فقال
احدثك بشيء يصلح لك ادخلني في الفلك الاسفل فدورني في الملكوت
السفلي واراني الارضين وما تحتها الى الثرى ثم ادخلني في الفلك
العلوي فطوف بي في السماوات واراني ما فيها من الجنان الى العرش
ثم اوقفني بين يديه فقال سلني اي شيء رايت حتى اهبه لك فقلت
يا سيدي ما رايت شيئا استحسنه فاسالك اياه فقال انت
عبدي حقا تعبدني لاجلي صدقا لافعلن بك ولافعلن وذكر اشياء
وقال يحيى ابن معاذ فهالني ذلك فامتلات به وعجبت منه
فقلت يا سيدي لو لم تسأله المعرفة به اذ قال لك ملك
الملوك سلني ما شئت فصاح بي صيحة وقال اسكت ويلك
غرت عليه مني لا احب ان يعرفه سواه قال الشيخ ابو طالب المكي

رضي الله عنه بعد ان ذكر هذه الحكاية فهكذا حال عبد في نفسه
ماخوذ اذا كان ربه عز وجل موجودا بكمال صفاته في المقامات
وقصرت عن ونعته الصفات وحوله اذا نظر الى الحسن الذي حسنت
المحاسن كلها من حسنه وشانت الزينة كلها بعد النظر الى
زينته وشهد الجمال الذي تمل الجمال والمتجملون بجماله الا يستحيي
سواه وكيف يحب غيره ما استحسن او يزيد في عينه الا اياه ام كيف
ينظر غير اياه ام كيف يطلب غير ما احب او يطمع في غير ما طلب
او كيف يقنع بغير ما طلب فهذا نعت عبد مطلوب بمعنى ما طلب
ووصف شغل محبوب بغير ما احبه الله يخفى من الخليقة وسنا
ومن القاسم انتهى وفي الاشارات عن الله سبحانه يا عبدي اعزل نفسك
فيعزل معها الملك والملكوت فتعلو الداري بالملك وتعلو
العلوم بالملكوت فتكون عبدي من وراء ما ابدي فلا يستطيعك
ما ابدي لانه عني واذا كنت عندي كنت عبدي كان عليك نور
فلا يستطيعك ما ابدي ولو ان علته اليك لا نور عليك وليس
نور عليه فاذا جاءك لم يحقد فاذكر به فتنادر ابتة والعبا
رات عنهم في هذا المعنى خارجة عن الحصر وفيما اوسمناه منها
كفاية وانما ذكرنا هذه المعاني وان لم تنتب الظاهر الذي اظلامي
ارينا وليس كلام المولف رحمه الله تعالى لان مرجع امره الينا اذا

فقد

١٢٦

فقد فيه النظر وتطهر قتابيه بوجود العجز وكانت باطنه
هو المقصود المعتبر وكلام الصوفية رضي الله عنهم امثال هذا كثير
المجرد والله تعالى يجازيهم عنا خيرا ويمن علينا بالجمع عنهم
وحسن القبول منهم ويفتح اسماعنا للاصغاء اليهم ويشرح
صدورنا للاذواق العوائد بانكشاف علم القدرة للاستمساك بما
يرد منهم او يبدوا عليهم بمنه وفضله **كيف تخرق لك العوائد**
وانت لم تخرق من نفسك العوائد خرق العوائد بانكشاف علم القدرة
لا يكرم الله تعالى به الا من خرق عوائد نفسه وفنا عن ارادته وحظوظه
فمن لم يصل الى هذا المقام فلا يطمع فيها وان ظهرت له صورته
صورة الكرامة فينبغي له ان يعتقد ان ذلك استدراج والمكر
ولا يعجب ذلك ولا يطلبه فان احبه او طلبه فهو دليل على ارادته بقاء مع
وحظوظه وعاداته فكيف تخرق العوائد لمن هذا نعته على سبيل
الكرامة وهل هذا الا محال لا يستطيع **قال** ابو طالب المكي رضي الله عنه
وجميع الاسرار من الغيوب التي تكنها الحجب والاستار
لا يظهر عليها الا مطلوب والمطلوب لا يكون محجوبا وهو عن نفسه
مسلوب فمن بقيت عليه من نفسه بقية ونظر الى حركته وسكونه
بعينه نظرة خفية فيستتر عليه رحمة الله لانه لو كوشف بها
هلك في حيرة الهوى وغرق في بحر الدنيا ونفسه وهيي

طلبه اياها هو حجابه عنها واستتارها عنه حتى يكون
كارها للظهور بها كراهيته لظهور الخلق على معصيته وخائفا
منها كخوفه على نفسه في ظهورها عليه بعلة بعمله بين
يستلذ بها ويحتسب لمظهر كيف يعمل وكذلك الشيخ ابو عبد الله
القرشي رضي الله عنه قال من لم يكن كارها لظهور الآيات وخوارق
العادات له بل تكون نفسه عنده اقل واحقر من ذلك فاذا اجتاحت
اراداته جملة وكان لم تخف عن رؤية نفسه بعين الحقارة والذلة فليست
له اهلية ورود الالطاف ووجود الاسعاف ونيل الى مرتبة الصديقية
الصحيح النافع والقرب مع اهل الارادات بالفتح العاجل. **قال**
الشيخ ابو العباس ابن العريف رضي الله عنه اجتمعت يوما مع قوما
وقلت للشيخ ابي القاسم ابن ونبيل حدثني بحكاية عسى الله ان يفرج
عني فقال نعم وصل رجل بعض السواحل يعرف بابي الخيار فقصدته
فوجدته على ساحل البحر فسلمت عليه وجلست ولم يتكلم ولم
اكلمه حتى اذا كان وقت الصلاة اقبل نفر من بعض الاودية متفرقون
فاجتمعوا اليه وتقدم منهم واحد فصلى بهم ثم افترقوا ولم يتكلم
واحد منهم احدا وقام الشيخ مكانه وجلست عنده حتى اذا
كان وقت الصلاة اقبل النفر وصلوا ثم انصرفوا حتى كان وقت
صلاة العصر اجتمعوا وصلوا ثم جلسوا بعد ذلك وتذاكروا

في سير

في سير الصالحين ومقامات الاولياء الى قرب الاصفرار ثم تفرقوا
واجتمعوا المغرب ثم تفرقوا وجلست عنده ثلاثة ايام وهم
على ذلك ثم وقع في نفسي ان اسئله عن مسئلة استفيدها ثم تقدمت
اليه فقلت ايها الشيخ مسئلة اسئلك عنها فقال قد فهم الجماعة
اني كالمنكر فجزعت وقلت له ايها الشيخ متى يعلم المريد انه
مريد قال فاعرض عني حتى يئست فجمعت امري ولو ان اعقبته فقمت عنه
فلما كان في اليوم الثاني قلت لابد ان اسئله عن المسئلة وعزمت
على ذلك فتقدمت اليه وقلت ايها الشيخ متى يعلم المريد انه مريد
فاعرض عني كالاول ولم يجاوبني فقمت ووجدت في الثالث وسالته عن
المسئلة بعينها فاجتمع وقال لي تقل هكذا اظنك تريد ان تسال
عن اول قدم يضعه المريد في الارادة فقلت نعم فقال لي اذا اجتمع
فيه اربع خصال احدها ان تطوى له الارض وتكون له كقدم واحد
وان يمشي على الماء وان ياكل من الكون متى اراد وان لا ترد له
دعوة فعند ذلك يضع اول قدم في الارادة واما متى يعلم
المريد عنه انه مريد سقط من قدم الارادة. **قال** الشيخ ابو
العباس رضي الله عنه بن العريف فبهت صيحة كادت نفسي تذهب
معها ثم قلت له ايا سقطنا من الارادة يا ابا القاسم وتعجبت
من علو همة هذا الشيخ انتهى **و**اعلم ان اهل ما تحوله من مادة

تسميته باسم مريد مع كونه مسلوب الارادة وما احسن ما
قال الشاعر: فتكون مريدا ان ترى في ارادة اذا لم ترد
شيئا فانت مريد، والتحقيق في هذا ان حقيقة ارادته
لعبودية الله عز وجل ومراعات حقوقه لاجلها وجب عليه من ذلك
الشوق به الى نيل حظ ما هو الذي سمي مريدا فلم يصح بذلك الا انه
متصف بالارادة الحقيقية المتعلقة باشرف المطالب ونهاية الاعلام
المشارب وذلك امر وجودي يجب ان يشتق منه اسم لمن قام به ذلك الامر
لاجل ما سلب عنه من الارادة المجازية المتعلقة بحظوظه لان لما كان
سلب احدهما يقتضي وجود الاخر من الاقتضاء الواجب صح الاشا
عن ان يطلق اسم الارادة على من سلبت منه وتعبيره على موجب تنبيه
رشاقة وملاحة ونعمة وبهذا تبين لك صحة كلام ابي يزيد رضي الله عنه
واستقامته حيث قيل له ما تريد فقال اريد ان لا اريد وانه ليس بمحال ولا
متناقض كما توهم بعضهم **قال** في التنوير واعلم انه قد قال بعضهم
ان ابا يزيد لما اراد ان لا يريد لان الله تعالى اختار له والعباد اجمع عدم
الارادة معه فهو في ارادته لا يريد موافق لارادة الله تعالى له ولذلك
قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه فكل مختارات الشرع وترتيبا
ته هو مختار الله ليس لك منه شيء واسمع واطع وهذا
موضع الفقه الرباني والعلم اللدني وهو ارض لتنزل علم الحقيقة

المأخوذ

المأخوذ عن الله **قال** فاراد الشيخ بهذا الكلام ان مختار الشرع
لا ينافي اختياره مقام العبودية الذي على ترك الاختيار
ليلا يتوهم عقل قاصر من ترك الحقيقة في ذلك فيترك الوظائف
والاوراد ورواتب السنن ارادتها يخرج بها العبد عن صريح العبودية
لانه قد اختار فبين الشيخ ان كل مختارات الشرع وترتيباته
ليس لك منه شيء فلانما انت مطالب ان تخرج عن تدبيرك ونفسك
واختيارك لها لا من تدبير الله ورسوله لك فانهم قال وقد علمت
اذا ان ابا يزيد لما اراد ان لا يريد الا لان الله اراد منه ذلك فلم تخرجه
هذه الارادة عن العبودية المقتضات منه انتهى وقد طال بنا الكلام
في هذا المعنى حتى ءال الى بعد المناسبة بينه وبين المسألة المنبه عليها
من الكتاب والحديث مجهول يخرج بعضه الى بعض لكن لما كان قصدي في
هذا التنبيه اغتنام ذكر الفوائد في محالها ومكانها
لتقرب مسائل هذا الفن الغريب اسماع من اراد الله تعالى توفيقه
فقصر بينه وبينه بعد المشرقين مع مثل ذلك وكنا نسايرهم
فيه على احسن المسالك وبالله تعالى التوفيق **ما اشار وجود**
الطلب السائل من ترك حسن الادب اذا التزم العبد طلب
حوائجه وحظوظه من مولاه ولم يطلب ذلك من غيره ولا
يفتقر الا اليه واتى بما يجب عليه من حق الربوبية فليس ذلك بالشطط

المعتبر عند المحققين وانما الشأن ان يتأدب العبد بين يدي مولاه
أدبا حسنا بأن يفوض أمره إليه ويرضى بما قسم له ولا يطلب
منه كما سيقول المؤلف بعد هذا او يطلب منه عبودية منه
لولا القصد فيل حكمه في هاذين الوجهين بحسب ادبه وجمع
سؤاله ويطلبه وذلك هو الوجه على التحقيق **ما طلب لك شيء**
مثل الاضطرار ولا أسرع بالمواهب لك مثل الذلة والافتقار
اضطرار العبد هو اخص عبوديته ولذلك لم يطلب من العبد شيء اجل
منه قال ابو محمد عبد الله بن منازل رضي الله عنه العبودية الرجوع
في كل شيء الى الله تعالى على حد الاضطرار وحيث ايضا فاتحة الدعاء
قال الله عز وجل امن يجيب المضطر اذا دعاه ولولا اضطرار الملهوف منه الا
يتوهم العبد من نفسه شيئا من الحول والقوة ولا يرى لنفسه شيئا من الا
سباب يعتمد عليه او يستند اليه ويكون بمنزلة الغريق في
البحر والضال في التيه القفر لا يرى لغايته الا مولاه ولا يرجو
للنجاة من هلكته احدا سواه وقال بعض العارفين المضطر الذي يقف
بين يدي مولاه فيرجع بحيث اليه بالمسئلة فلا يرى بينه وبين الله وسيلة
يستجيب بها فيقول هيا لي يا مولاي بالشيء والذلة والافتقار امران
لازمان له وهما موجبان لاسراع مواهب الحق تعالى الى العبد
المتصف بهما واليه الاشارة بقوله عز من قائل ولقد نصركم

الله

الله ببدر وانتم اذلة فذلتهم اوجبت لهم عز ظفرهم ونصرهم
كما قيل **وإذا تذللت الرقاب تقربا منها اليك فعزها**
في ذلها وقيل حبس السلطنة في الاذلال والايام الفقير يحبس
وراء **قال** في لطائف المنن واعلم ان الجالب للتوفيق وسلامة
من الرجوع الى الله دائما في كل فعل وترك وتحقيق الفقر اليه
اليه والافتقار مع تحقق الذلة والمسكنة بين يديه واستصحاب
ذلك الى الفراغ من ذلك ابدا وقد قال فيه سبحانه وتعالى ولقد
نصركم الله ببدر وانتم اذلة وقال الله سبحانه انما الصدقات للفقراء
والمساكين فلا تدخل جنتك عملك وعلمك وما انتقيته
من نور وفتح فتقول كما قال من قدل فأقسم الله عنه ودخل
جنته وهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا ولكن
ادخلها كما بين لك وقل كما رضي لك ولولا اذ دخلت جنتك
قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله وابطح ههنا قوله **صلى الله**
عليه وسلم لا حول ولا قوة الا بالله فانها من كنوز الجنة وفي رواية
اخرى كنز من كنوز تحت العرش فالترجمة فما هو الكنز والكنوز
فيما هذه التبري من الحول والقوة والرجوع الى الله
تعالى وقوته **لولا انك لا تصل اليه الا بعد فناء مساويك**
ومحو دعاويك لم تصل اليه ابدا ولكن اذا اراد ان يوصلك

اليه غطى وصفك بوصفه ونعتك بنعته فوصلك اليه
بما منه اليك لا بما منك اليه الوصول الى الله لا يكون الا
بمحو صفات النفس وقطع علائق القلب وذلك امر لا
لا يتصور من العبد من حيث هو لان ذلك طبعه وجبلته
ولو لم يكن الا ارادته وعمله في تحصيل هذا الغرض بنفسه
وهما من جملة المساوي والعلل المحتاج الى محوها قال
شيخ ابو العباس رضي الله عنه لن يصل الولي الى الله حتى تنقطع
عنه شهوة الوصول الى الله يعني انقطاع ادب لا انقطاع ملل وقال
شيخ ابو الحسن رضي الله عنه ولن يصل الولي الى الله ومعه شهوة
من شهواته ونصيب يتبرا من تدبيراته واختياره الى اختياراته
فلو قضى الله تعالى بمحو ذلك لم يصل اليه ابدا ولكن اذا اراد الله
تعالى ان يوصل عبده اليه تولى ذلك له بان يظهر له من صفاته
العلية ونعوته القدسية ما يغيب بذلك عن صفاته ونعوته
عنه ويكون ذلك علامة لمحبته له كما اشار اليه بقوله في الحديث
الصحيح فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي
يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها وعند
ذلك لا يكون له ارادة ولا اختيار الا ما اختار مولاه واراده
فيكون حينئذ واصلا الى الله بما من الله اليه من الفضل والكرم

بما من

بما من العبد اليه من الاجتهاد والعمل فسبحان المتفضل على من
يشاء بما يشاء. وقال رضي الله عنه لولا جميل ستره لم يكن
عمل اهلا للقبول العبد مبتلى بنظره الى نفسه وفرحه
بعمله من حيث نسبته اليه وشهوده حوله وقوته عليه وهذا مانع له
عن الاخلاص لربه وقد يكتمه صاحبه فيراه ويطلب له الاجر وهذا
كله من الشرك الخفي القادح في الاخلاص الحقيقي والاخلاص شرط في قبول الاعمال
كما تقدم فلا يخلص من هذا رضي الله عنه مسكين ابن ادم جسم معيب
وقلب معيب يريد ان يخرج من معيبين عملا غير معيب فعمل العبد بهذه
المثابة لم يكن فيه اهلية لوجود القبول لولا جميل ستر الله تعالى وجميل
حلمه وبره فليعتمد العبد على فضل الله تعالى وكرمه لا على اجتهاده وعمله
قال الشيخ ابو عبد الله القرشي رضي الله عنه اذا طالبهم بالاخلاص تلاشت
اعمالهم فاذا تلاشت اعمالهم زاد فقرهم وفاقتهم فتبرءوا من كل شيء
ومن كل شيء لهم ومنهم. انت الى حلمه اذا اطعته احوج منك الى
حلمه اذا عصيته. شهود العبد ورؤيته قدره انما يكون بنظره الى ربه
عز وجل واقباله اليه وسكونه عليه واعتماده عليه ودلالته وخشيته
وسقوطه من عين الله تعالى انما يكون بنظره واقباله على غيره واستناده
الى سواه فالعبد عند عمله بالطاعة معرض لهذه الاخطار من نظره الى نفسه
واستعظام عمله وعجبه بطاعته وسكونه الى مطالعته وابتهاجه

يسلم فيه من دقائق الرياء والتصنع فلان المعصية وجميع هذه
الاشياء فانها تحمله على العذر والخوف من ربه وتوجب له الاستكا
نة والخضوع وشدة الافتقار اليه فلذلك كان العبد العاصي احب الى الله
اذا اطاع احوج منه الى الطاعة اذا اعطاه وفي الخبر عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال اوحى الله تعالى الى نبي من الانبياء
قل لعبادي الصديقين لا يغتروا فاني ان اقيم عليهم عدلي وقسطي
اعذبهم غير ظالم لهم وقل لعبادي الخاطئين لا ييأسوا
من رحمتي فانه لا يكبر علي ذنب اغفره ولهذا المعنى قال ابو بكر
رضي الله عنه توبة المعصية واحدة وتوبة الطاعة الف توبة
الستر على قسمين ستر على المعصية وستر فيها
فالعامة يطلبون الستر من الله فيها خشية سقوط
مرتبتهم عند الخلق والخاصة يطلبون الستر عنها
خشية سقوطهم من نظر الحق العامة يغلب عليهم
شهود الخلق والتصنع والتزين لهم ومحبة حمدهم
وكراهة ذمهم فهم يعملون المعصية ويستخفون بها
ويطلبون الستر من الله فيها اي في حال كونهم عاملين
بها لئلا تراهم الخلق فيسقطوا من اعينهم وفي امثالهم
قال الله عز وجل يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله

وهو معهم

وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول قال الامام ابو القاسم
القشيري رضي الله عنه في هذه الاية الغالب على قلوبهم رؤية
الخلق ولا يشعرون ان الحق مطلع عليهم اولئك الخيب وسم الله قلوبهم
بوسم الفرقة وروي عن عدي ابن حاتم رضي الله عنه عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال يؤمر يوم القيمة بناس من الناس الى الجنة
حتى اذا دنوا منها واستنشقوا الجنة وما اعد الله لاهلها
نودوا ان اصرفوهم فلا نصيب لهم فيها قال فيرجعون بحسرة ما
رجع الاولون بمثلها فيقولون ربنا لو ادخلتنا النار قبل ان تريننا ما اريتنا
من ثوابك وما اعددت فيها لاوليائك كان اهون علينا قال ذلك
اردت بكم كنتم اذا خلوتم بارزتموني بالعظائم واذا لقيتم
لقيتموهم مخبتين تراءون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم
الناس ولم تهابوني اجللتم الناس ولم تجلوني وتركتم للناس ولم
تتركوا لي فاليوم اذيقكم اليم العذاب مع ما حرمتكم من الثواب وفي بعض
الكتب ان لم تعلموا اني اراكم فالخلل في ايمانكم وان علمتم اني اراكم
فلم جعلتموني اهون الناظرين اليكم وقال ابن عباس رضي الله عنه
في قوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور هو الرجل
تمر به المرأة فيرى القوم انه يغض بصره فاذا غفلوا نظر اليها
ويريهم انه يغض بصره ودّ لو انه يطلع على عورتها ويقدر عليها

وقال ايضا في رواية اخرى هو الرجل يكون في القوم فتمر بهم المرأة
فيريهم انه يغض بصره عنها فاذا راى من القوم غفلة لحظ اليها
ونظر فاذا خاف ان يفطنوا غض بصره وقد اطلع الله عز وجل من قلبه
يود انه لو نظر الى عورتها وهذا كله شأن المرائين الذين يستخفون
بنظر الجبار ويخافون الناس ان يطلعوا عليهم فيما يرتكبونه من الاوزار
والخاصة من اهل الابرار واليقين برآء من هذا الوصف القبيح لا التفات
لهم الى الخلق مدحا ولا ذما وهمتهم مصروفة عن الفكر فيهم والاعتماد
عليهم في نفع او دفع وحالهم انما هو القناعة بعلم الله تعالى
ومراقبة نظره فيهم فيطلبون الستر من الله عنها ان يغيبها
عن نظرهم ولا يخطرها بقلوبهم فتميل اليها نفوسهم فيعملون بها
فيقعوا في مخالفة ربهم والتعرض لسخطه والسقوط من عينه وشتان
ما بين الحالتين والى هذا المعنى اشار سيدي ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه
في دعائه بقوله اللهم انا نسألك التوبة ودوامها ونعوذ بك
من المعصية واسبابها وذكرنا بالخوف منك قبل هجوم خطراتها
واحملنا على النجاة منها ومن التفكر في طرائقها وامح من قلوبنا
حلاوة ما اجتنيناه منها واستبدلها بالكراهة والطعم لما هو
بضدها من اكرمك فانما اكرم فيك جميل ستره فالحمد
لمن سترك ليس الحمد لمن اكرمك وشكرك العبد محل الآفات
والعيوب

والعيوب وستر الله الجميل هو الذي يحبب الناس الى الناس فاذا اكرمك
احد فلا يذهبن ذلك بك الى ان ترى لنفسك فضلا يوجب استحقاقك به
الاكرام فتكون جاهلا بنفسك ولا يحملنك ايضا رؤية اكرام الخلق
لك لوجود جهلهم بحالك على ان تمدحهم عليه دون ربك الذي اضطرهم
الى اكرامك وستر عنهم عيوبك واظهر لهم محاسنك فتكون بذلك كافرا
لنعمة ربك كالبا بوضع الحمد في غير موضعه ما صحبك الا من صحبك
وهو بعيبك عليم وليس ذلك الا مولاك الكريم خير من تصحب
من يطلبك لا لشيء يعود منك اليه الصاحب على الحقيقة هو
من بدأ بالاحسان اليك واسبغ نعمه عليك ولم يمنعه من ذلك ما
اعتنى بك وما اقترفت واراد من غير منفعة تنالها منك وليس ذلك
ايضا الا مولاك فاتخذه صاحبا ودع الناس جانبا لو اشرق نور اليقين
لرأيت الآخرة اقرب اليك من ان ترحل اليها ولرأيت محاسن الدنيا
قد ظهرت كسفة الفناء عليها نور اليقين تتراءى به حقائق
الامور على ما هي عليه فيحق به الحق ويبطل الباطل والآخرة حق والدنيا
باطل فاذا اشرق نور اليقين في قلب العبد ابصر به الآخرة التي
كانت غائبة عنه حاضرة لديه حتى كأنها لم تزل فكانت اقرب
اليه من ان يرتحل اليها الفناء والذهاب وغابت عن نظره بعد ان
كانت حاضرة فظهر له بطلانها حتى كأنها لم تكن فوجب له هذا النظر

اليقين الزهادة في الدنيا والتجافي عن زهرتها والاقبال على الآخرة والتهيؤ
لنزول حفرتها ووجدان الحب لهذا علامة انشراح صدره بذلك النور
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر
وانفتح قيل يا رسول الله هل لذلك من علامة يعرف بها قال نعم التجافي
عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله
او كما قال صلى الله عليه وسلم وعند ذلك تموت شهواته وتذهب دواعي
نفسه فلا تأمره بسوء ولا تطالبه بارتكاب منهي ولا تكون له همة
الا المسارعة في الخيرات والمبادرة لاغتنام الساعات والاوقات
وذلك لاستشعاره حلول الآجال وفوات صالح العمل والى هذا المعنى
الاشارة بحديث حارثة ومعاذ رضي الله عنهما روى انس بن مالك
رضي الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي
اذ استقبله شاب من الانصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كيف
اصبحت يا حارثة فقال اصبحت مومنا بالله حقا قال انظر ما تقول
فان لكل قول حقيقة فقال يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا
واسهرت ليلي واظمأت نهاري فكأني بعرش ربي بارزا وكأني
انظر الى اهل الجنة يتزاورون فيها وكأني انظر الى اهل النار يتعاوون
فيها فقال ابصرت فالزم عبد نور الله الايمان في قلبه فقال يا رسول
الله ادع الله لي بالشهادة فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم

فنودي

فنودي يوما في الخيل يا خيل الله اركبي فكان اول فارس ركب واول فارس استشهد
فبلغ ذلك امه فجاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول
الله اخبرني عن ابني فان يك في الجنة فلن ابكي ولن اجزع وان يك غير ذلك
بكيت ما عشت في الدنيا فقال يا ام حارثة انها ليست بجنة
ولكنها جنة في جنان وحارثة في الفردوس الاعلى فرجعت وهي
تضحك وتقول بخ بخ لك يا حارثة وروى انس رضي الله عنه ايضا
عن معاذ ابن جبل رضي الله عنه دخل على النبي صلى الله عليه وهو يبكي
فقال له كيف اصبحت يا معاذ فقال اصبحت بالله مومنا قال النبي صلى الله
عليه وسلم ان لكل قول مصداقا ولكل حق حقيقة فما مصداق ما تقول
قال يا نبي الله ما اصبحت قط صباحا الا ظننت اني لا امسي وما امسيت
مساء قط الا ظننت اني لا اصبح ولا خطوت خطوة قط الا ظننت
اني لا اتبعها اخرى وكأني انظر الى كل امة جاثية تدعى الى كتابها معها
نبيها واوثانها التي كانت تعبد من دون الله وكأني انظر الى عقوبة
اهل النار وثواب اهل الجنة فقال صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم
فهذان الرجلان الفاضلان حارثة ومعاذ ابن جبل الانصاريان رضي الله
عنهما لما اشرقت عليهما انوار اليقين وتمكن من قلوبهما ايمانهما
صدر منهما ما صدر مما ذكراه من خوف الغيب وشاهدا امور الدارين
لمنزلة رأي العين فسلمت لهما احوالهما من العيوب والآفات وحققا

من الصفات والسيئات وظهرت منهم الاسرار والقلوب وسارعوا
في كل امر محبوب وطابت ارواحهما اشتياقا الى الواحد الفرد وكانتا
انفسهما بالموت حتى صارت عندهما احلا من الشهد حبيبا
جاء على فاقة لا افلح من ندم وكذلك غيرهما من الصحابة وكبار
التابعين والائمة الدين رضي الله عنهم اجمعين

وَلَقَدْ اَتَى مُخْبِرٌ عَنْ حَالِهِمْ ... فَاسْمَعْ مَقَالًا مَا اَرَاهُ مَقْبُولَا
اِنَّ الاُلَى مَاتُوا عَلَى دِينِ الهُدَى ... وَجَدُوا المَنِيَّةَ مَنْهَلًا مَعْسُولَا

وروى انس ابن مالك رضي الله عنه ان حرام بن ملحان رضي الله عنه
وهو خال انس طعن يوم بير معونة في راسه فتلقى دمه بكفيه
ثم نضحه على راسه ووجهه وقال فزت ورب الكعبة وكان رايا
سليمان فيمن حضر بير معونة مع عامر ابن الطفيل ثم اسلم
بعد ذلك فكان يقول مما دعاني الى الاسلام اني طعنت رجلا منهم بحربته
يقول فزت والله فقلت في نفسي والله ما فاز اليس قد قتلته حتى سالت
بعد ذلك عن قوله فقالوا الشهادة فقلت فاز لعمر الله والمطعون
هاهنا والله اعلم هو عامر ابن فهيرة رضي الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم
في شان الامراء الثلاثة يوم موتة اخذ الراية زيد فاصيب ثم اخذها
جعفر فاصيب ثم اخذها ابن رواحة فاصيب ثم اخذها خالد ابن
الوليد من غير امرة ففتح الله عليه اطفنه قال صلى الله عليه وسلم

والله

والله ما يسرنا انهم عندنا وقال ما يسرهم انهم عندنا وعيناه
تذرفان جعلهم الله ذخرا لغد ما وردوا من رتبة شريفة ومنزلة عالية منيفة
ونيالي مثالنا الغير عميت بصائرهم واظلمت سرائرهم فحجبت
عنا شموس المعارف ووقعنا في اودية المهالك والمتالف واغتررنا
بهذه الدار الغرارة الفانية السحارة فتقيدنا في حبائلها بشباكها
وارتكبنا في مطالبها واشراكها من غير شعور منا بحالها وتزوير
محالها فكنا في قصدنا اليها وتعويلنا عليها بمنزلة ظمآن لا
حال من سراب حسبه ماء فلما جاءه لم يجد فيه هناء ولا غناء ثم مع هذا
كله ننتسب الى الدين وندعي كمال المعرفة واليقين والعثور على
غمرات اولياء الله المتقين مع ان احدنا لو خير بين حلول الحين
او البقاء في الدنيا متعلقا باشفار العيش لاختار البقاء فيها على
هذه الحال مع كونه لا يحدث نفسه في طاعة بازدياد ولا عن معصية
بانتفاء وهذه كلها اخلاق يهودية لا تليق بمن ينتسب الى الدين
الملة المحمدية قال الله عز وجل مخبرا عن حال اليهود وكاشفا
لاسرارهم وهاتكا لاستارهم ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن
الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه
من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون جلوتم بنيه الغافل
عن محبة البقاء في هذه الدار وعامرة بايثار دار الغرار

لا تشبهه بالبهود الناطقين للعهود المنتهاة وتبرا لاوامر
المعبود لكان ذلك ابلغ الغفلة وفي امر يفعل عما ورد في ذلك
من مواعظ وزواجر نزع الله من قلوبنا حجاب الغفلة والغرور وحمانا
عن مشاهدة كل مخلوق ومحجوب وحبب الينا لقاءه ورزقنا ما رزق اصفياءه
واحبابه بمنه وكرمه ما حجبك عن الله وجود موجود معه اذ لا شيء
معه ولكن حجبك عنه توهم وجود معه نعم ان لا موجود سوى الله
تعالى على التحقيق وان وجود ما سواه انما هو مجرد مجاز لكن الله
تعالى وقد استوفى المؤلف ذكر جميع انواع اعتبارات هذا المعنى قبل
فسائل في لطائف المنن واشبه شيء بوجود الكائنات اذا نظرت
اليها بعين البصيرة وجود الظلال والظل لا موجود باعتبار مراتب الوجود
ولا معدوم باعتبار جميع مراتب العدم واذا نفيت ظلية الاثر لم تنفي
احدية المؤثر اذ الشيء انما يشفع بمثله ويضمه الى شكله كذا
ايضا شهد ظلية الاثر لا تعوقه عن الله عز وجل بل ظلال الاشجار
في الانهار لا تعوق السفن عن التسيار ومن هنا تبين لك ان الحجاب
ليس امرا وجوديا بينك وبين الله ولو كان بينك وبينه حجاب وجودي
للزم ان يكون اقرب اليك منه ولا شيء اقرب اليك من الله فرجعت حقيقة
الى توهم الحجاب فما حجبك عن الله وجود موجود معه وذلك
كمن هو ليلة في مكان واراد البراز فسمع صوت الريح من كوة

هناك

هناك فظنه زئير اسد فمنعه ذلك من البراز فلما اصبح فلم يجد
هناك اسد وانما هو الريح انكفت في تلك الكوة فما حجبه
وجود اسد وانما حجبه توهم اسد لولا ظهوره في المكونات
ما وقع عليها وجود ابصار لو ظهرت صفته اضمحلت مكوناته
ظهور الحق تعالى من وراء حجاب المكونات هو الذي اوجب ظهورها و
وقوع الابصار عليها ولولا حجاب وجود حجابيتها لم يقع عليها بصر
ولا انكشف لوجود التجلي الحقيقي كما قال لو ظهرت صفاته اضمحلت
مكوناته بل لم يبق هناك بصر ولا ابصار ولا مبصر كما جاء في الحديث
حجابه النار وفي رواية النور لو كشفه عنها لاحرقت سبحات وجهه
كل شيء ادركه بصره الظاهر كل شيء بانه الباطن وهو من وجود
كل شيء لانه الظاهر من اسمائه تعالى الظاهر الباطن فاسمه
الظاهر يقتضي وجود كل شيء حتى لا ظاهر معه فيبطن حينئذ
وجود كل شيء واسمه الباطن يقتضي ظهور كل شيء حتى لا باطن
معه فيتكثر اذ ذاك وجود كل شيء فالله تعالى هو الموجود بكل
اعتبار والحمد لله اباح لك ان تنظر ما في المكونات وما اذن
لك ان تقف مع ذوات المكونات قل انظروا ماذا في السموات
ولم يقل انظروا السموات قل انظروا ماذا في السموات فتح لك
باب الافهام ولم يقل انظروا السموات لئلا يدلك على وجود الاجرام

امر الله تعلى بالنظر في المكونات ليس في ذاتها لان في ذلك الحجب
عن الله تعلى في النظر الى ما سواه ولم يبح هذا وانما امرهم بذلك
ليتوصلوا بنظرهم فيها اليه لوجود ظهوره فيها والاشارة
الى هذا المعنى في قوله تعلى قل انظروا ماذا في السموات بل المعنى
المقصود بوجود الظرفية ومنها ما يستفاد وهو معنى قوله
فتح لك باب الافهام فلو اسقطها وقال انظروا السموات لكان فيه
دليل على وجود الاجرام وهي اغيار له وفيها البعد عنه وفيها يدل على ذلك
وهو لم ياذن فيه قال في لطايف المنن فما نصبت الكاينات
لتراها ولكن لترى فيها مولاها فمراده منك ان تراها بعين من لا
يراها تراها من حيث ظهوره فيها ولا تراها من حيث كونيتها فلال
ولنا في هذا المعنى ما تجلت لك العوالم الا لتراها بعين من لا يراها
فاز في عقلها وفي من لم يتبصر حالة لو لم يرى مولاها

الاكوان ثابتة باثباته وممحوة باحدية ذاته الاكوان من ذاتها
العدم المحض كما تقدم وانما حصل لها وصف الثبوت باثبات الله تعلى
لها وجعلها اكوانا في الثبوت لها امر عرضي والعدم لازم هو وجود
احديته اسم والاحدية مبالغة في الوحدة ولا تكون الا اذا كانت الوحدة
بحيث لا يمكن ان يكون له شبه ولا اقل منها بمرتقى حقيقتها
محو الاكوان وبطلانها بحيث لا توجد ولو وجدت لم تكن احدية ولهذا

في ذلك

١٤٧

في ذلك تعدد واثنينية كما قيل رب وعبد وتجلي جمع
فلت لم ليس ذلك يصح : فقال ما عندي فعلنا وجود
فقد ونقد وجوع توحيد هو شرك حق **وانشدوا**
يسر سراج جانب الفهم افناني لمن في اذى الفنا غنى فما حيلتي
ودعني للبقاء حتى اغيبوا عن جمال حضرته لكل هيبة لي
دخلت في الملكوت من جانبيه بالم الوغير وجود مآله ثاني
وانشد المولف لنفسه في لطايف المنن يوصي رجلا من اخوانه اسمه حسن
حسن بل رتع في الوجود باسره فحسن ولا يشغلك عنه شاغل
ولم تفهم لتعلمن بانه لا تراك الا للغير هو فاصل
ومتى شهدت سواه فاعلم انه من وهمك الادنى وقلبك ذاهل
حسب الاله شهود الوجود له والله يعلم ما يقول القايل
ولقد اشرت الى التميز في الهوى دلت عليه لمن فهمت دلائل
وحديث كان الله ليس شيء غيره يقضي به لا الى اللبيب العاقل
لا غرو الاشياء مهشوته ليرجع وترى وجه فاعل
**وقال رضي الله عنه الناس يمدحونك بما يظنون فيك فكن
انت ذاما لنفسك بما تعلم منها** ذم العبد لنفسه
واحتقاره لها انما يتحقق من عيوبها وافاتها مطلوب
منه لان ذلك يؤديه الى الحذر من غرورها وشرورها فيطلع

بسبب ذلك لعماله وتعدد لاحواله وانما بفرحة عليه
واعتقاده لدخول الآفات عليها ولا يهدفه عن ذلك ثناء
الناس عليه ومدحهم له لانه يعلم من عيوب نفسه ما لا
يعلمه غيره ثم انهم لما قاموا بحق ما يجب عليهم من المدح له
وحسن الظن به ينبغي ايضا ان يقوم هو بحق ما يجب عليه من
اتهام نفسه وسوء اعتقاده فيها قال بعضهم من فرح بمدح
فقد امكن الشيطان ان يدخل بطنه وقال اخر اذا قيل لك نعم
الرجل انت فكان احب اليك ان يقال بئس الرجل انت فانت والله
بئس الرجل وقيل لبعض الصحابة رضي الله عنهم لم يزل الناس
بخير ما ابقاك الله فغضب وقال اني لاحسبك عراقيا
وقال بعضهم لما مدح اللهم ان عبدك تقرب الي بمقتك فاشهدك
على مقته وقال اخر اللهم اجعلنا خيرا مما يظنون ولا تؤاخذنا
بما يقولون واغفر لنا ما لا يعلمون وقال الامام ابو حامد الغزالي
رضي الله عنه وانما كره المدح خيفة ان يفرحوا بمدح الخلق
وهم ممقوتون عند الخالق فكان اشتغالهم بحالهم عند الله تعالى
ينغص عليهم مدح الخلق لان الممدوح هو المقرب الى الله تعالى والمذموم
على الحقيقة هو المبعد عن الله تعالى الملقى في النار مع الاشرار
فهذا الممدوح ان كان عند الله تعالى من اهل النار فما اعظم جهله

لا يفرح

لان يفرح بمدح غيره وان كان من اهل الجنة فلا ينبغي ان يفرح الا بفضل
الله تعالى وثنائه عليه اذ ليس امره بيد الخلق ومهما علم ان الارزاق
والآجال بيد الله قل التفاته الى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه
حب المدح واشتغل بما يهمه من امر دينه انتهى كلام ابي حامد الغزالي
رضي الله عنه **المومن اذا مدح استحيا من الله ان يثني عليه**
بوصف لا يشهده من نفسه المومن الحقيقي هو الذي لا يشهد
من نفسه صفة محمودة يستحق بها ان يمدح او يثني عليه وانما
يشهد ذلك من ربه عز وجل فاذا اثنى الناس عليه وذكروا محاسنه
استحيا من الله تعالى استحياء لعظيم اجلال الذي يثني عليه بما ليس
في نفسه ان بذلك مقتا لنفسه واحتقارا لها وتبرؤا عنها وبقوة
عند رؤية احسان الله تعالى اليه وشهود فضله في اظهار المحاسن عليه
وهذا هو الشكر الذي به ينال المزيد مع ما فيه من الشكر لثناء العبيد
اجهل الناس من يترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس
الاغترار بمدح الناس وثنائهم غاية الجهل والغباوة
وذلك من علامة المقت لان المغتر يترك يقينه بنفسه
لظن غيره به وهو على كل احوال اعلم بنفسه وفي قصة الحارث
المحاسبي رضي الله عنه الراضي بالمدح بالباطل كمن يستهزئ به

ويقال لو ان العذرة التي تخرج من جوفك لها رائحة كرائحة المسك
وهو يفرح بذلك ويرضى بالسخرية به فلما ولاشك
ان الذنوب والعيوب التي يعلمها العبد من نفسه انتن وافضح من
العذرة التي تخرج من جوفه ولا فرق بين الحالتين الا انه يجهل المدح
يعلم ان المادح لم يشترك في معرفة ذنوبه منطلعا على ذلك
المستهزئ للمستهزئ به في معرفة حال ما يخرج من جوفه فهو
بجهله وغباوته قد رضي بان يكون له في قلوب العبيد الجاهلين
بحاله قدر وجاه من غير مبالاة بسقوطه من عين مولاه الذي يعلم
من حاله ما لا يعلمه هو ولا غيره من حيث رضي بالمدحة وفرح
بها ولم يقابل ذلك بالاباء والكراهية هذا اذا كان المادح
من اهل العلم والدين واما ان كان جاهلا او فاسقا فالغباوة
اعظم من الرضى بمدحه والفرح به قال يحيى ابن معاذ
رضي الله عنه تزكية الاشرار هجنة بك وحبهم لك عيب
وقيل لبعض الحكماء ان العامة يثنون عليك بالخير الموحشة
من ذلك لعلهم راوا شيئا منه اعجبهم والخير في شيء
يسوءهم ويعجبهم ويروى عن بعض الحكماء انه مدحه
بعض العوام فبكى فقال له تلميذه اتبكي وقد مدحك
فقال انه لم يمدحني حتى وافق بعض خلقي خلقه فلذلك

بكيت

١٤٨

بكيت فانظر رحمك الله فيما ذكر هذا الحكيم من العلة في ذلك
اذا اطلق الثناء عليك ولست باهل فلا اثر عليه بما
هو اهله والمؤمن هو الذي لا يرى لنفسه اهلا لان يمدح
او يثنى عليه لا من موجبات ذلك فيسوله منها شيء كما تقدم
فان الحق الله تعالى على الناس بالثناء عليه ولا اهلية فيه لذلك
فينبغي ان يعرف الحق لاهله فيستحي لنفسه على الله بما هو اهله
ليكون ذلك شكرا لنعمة اطلاق الالسنة بالثناء عليه من غير استحقاق
لذلك ولا ثبوت اهلية الزهاد اذا مدحوا انقبضوا لشهودهم
الثناء من الخلق والعارفون اذا مدحوا انبسطوا لشهودهم
ذلك من الملك الحق فقد عد ان الزهاد في غيبة عن الله تعالى فهم
لا يشهدون الا الخلق فاذا مدحوا او اثني عليهم شهدوا ذلك
من الخلق فانقبضوا عند ذلك لانهم يخافون من فوات تقريبهم
من ربهم لاجل ما يتوقعون من الاغترار بذلك والعارفون
حاضرون مع ربهم فهم لا يشاهدون معه غيره فاذا مدحوا
شهدوا الثناء من ربهم فانبسطوا لذلك وكان ذلك مزيدا
في حالهم ومقامهم لغيبتهم عن انفسهم كان بعضهم
يمدح وهو ساكت فقيل له في ذلك فقال وما علي من ذلك ولست
اعلمه في نفسي بل لست في البين والمجرى والمنشي هو الله

عز وجل وقيل هذا المعنى في الخبر المروي وهو اذا مدح المومن
ربا الايمان في قلبه قال ابو طالب المكي رضي الله عنه وفيه طريق
للعلم فيمن ان يعلو الايمان بالعلم الى المولى الاعلى فيخرج بذلك لمولاه و
يضيفه الى سيده الغني تولاه فيرد الصنعة الى صانعها ويشهد من العطا
في الموهب فيكون مدحا للصانع ووصفا للجاعل لا يفتخر لوصفه ولا يعجب
بنفسه انتهى قلت وللمولف رحمه الله فصل في مدح شيخه
ابي العباس المرسي رضي الله عنه وكان ينشدها بين يديه ويقع ذلك
منه موقعا عظيما وكان يستحسن منه بعضها ويقول فيه بعضها
ايدك الله بروح القدس نحو ما كان يقول صلى الله عليه وسلم لشاعره
حسان ابن ثابت رضي الله عنه مع ان حب المدح عندهم من الرذائل
التي تشبه الفضائل ولكن النظر والشهود الجمعي استفاد
لهم من مدحهم لانفسهم وثنائهم عليها ما لم يستفد
لغيرهم كما وقع لجماعة منهم وقد وقع ذلك من سيد
عبد القادر الجيلاني وسيدي ابو الحسن الشاذلي وسيدي
ابو العباس المرسي رضي الله عنهم وغيرهم في غير شيء مما ذلك
معدود عندهم من الحمد والقبيح وما ذلك الا لما ذكرنا ولا
يتاول لما وقع لهم ذلك بما تاول به علماء الظاهر
مدح يوسف عليه السلام لنفسه وثناؤه عليها بالكفاية
الحفظ

الحفظ والعلم لعدم الحاجة اليه في هذا المقام والله تعالى
اعلم وعلامة الصادق في حب المدح ان كان صاحب هذا المقام
لا يحتاج الى علامة الا ما ذكرناه من الفاسد من حيث نسبة ذلك
الى انهم لانهم مطروحون في قبضة القدرة فيسمع لهم ويقع
عنهم ولا يقع في قلبه عليهم ولا يجد شيء من الاذى اليهم كما قيل
رُبَّ رَامٍ لِي بِأَحْجَارِ الْأَذَى ... لَمْ اجِدْ بُدًّا مِنَ الْعَطْفِ عَلَيْهِ
فَعَسَى يَطَّلِعُ اللهُ عَلَى ... فَرَحِ الْقَوْمِ فَيُدْنِينِي الَيْهِ
متى كنت اذا اعطيت بسطك العطاء واذا منعت
قبضك المنع فاستدل بذلك على ثبوت طفوليتك في عبوديتك
القبض عند المنع والبسط عند العطاء من علامات بقاء الحظ
والعمل على نيله وهو منافي للعبودية عند العارفين ومن
وجد ذلك فليعرف به عدم الرسوخ في عبودية مولاه الجيلي
بين اهل الله تعالى في دعاوي مقاماتهم وهو لم يوهله و
الطفيلي هو الذي ياتي الولائم والضيافات فيدخل مع اهلها
من غير دعوة وهو منسوب الى رجل من اهل الكوفة من بني
عبد الله بن غطفان يقال له طفيل الاعراس وطفيل العرائس
وكان ياتي الولائم من غير ان يدعى اليها فشبه صاحب هذا
الكتاب هذا به قال ابو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه

اكثر الخلق مع الله في احوالهم واذا دقق على الظنون ما تحقق
منهم له الا قليل الا تراه سبحانه يقول وما يتبع اكثرهم
الا ظنا فمن تحقق مع الله تعالى في حاله غاب عن كل ما منه وله
من الاحوال والافعال نظرا الى ما اليه من رعاية الحق وحبا له وتولية
وكان للحق من حيث الحق له لا من حيث هو الحق ولكن اكثر العبيد
يتبجحون بالمعرفة ويظهرون حالة الحكمة فاذا ورد عليهم
وارد بلاء او خلاف مراد من جهة نفوسهم الى حد الانشغال عليها
وبالاهتمام بها ونسوا ما ادعوا فيه وما اشاروا اليه ولو كان الحق
من حيث الاستغناء لنفسه في جنب ما اشاروا اليه جميع
الموارد سواء ام سر لان من حصل في ميدان الوصول لا تعرض عليه
عارضة خلاف واجهله حاله عما سواه وقال رضي الله عنه اذا
وقع منك ذنب فلا يكن سببا ليأسك من حصول الاستقا
مة مع ربك فقد يكون ذلك اخر ذنب قدر عليك الاستقامة
على العبودية لا ينافيها فعل الذنب على سبيل الفلتة والهفوة
اذا اجرى القدر عليه بذلك وانما ينافيه الاصرار عليه فاذا وقع
من العبد ذنب فينبغي له ان يبادر الى التوبة منه ولا ييأس
بسبب وقوعه فيه من الاستقامة مع ربه ويرى انه طرده
وابعده رؤية توجب له القنوط من رحمة الله تعالى واليأس

كروح الله

كروح الله لانه قد يكون ذلك الذنب اخر ذنب قدر عليه وقد وقع
ذلك وفرغ منه اذا اردت ان يفتح لك باب الحزن فاشهد
ما منه اليه الرجاء والحزن حالان عن مشاهدتين فمن اراد ان يفتح
باب الرجاء فليشهد ما من الله اليه من الفضل والكرم والاسعاف والا
لطاف فسيغلب عليه حينئذ حال الرجاء ومن اراد ان يفتح له باب الحزن
فليشهد ما منه الى الله من المخالفة والعصيان وسوء الادب بين
يديه فسيغلب عليه حينئذ حال الحزن ربما افادك في ليل القبض ما لم يستفده
في اشراق نهار البسط لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا نفع القبض
يوثر للعارفين من علم البسط لما فيه من عدم حظ النفس ووجود
قدرتهم على الوفاء فاذا فتح دون البسط وقد ينفتح لهم فيه من
ابواب المعارف ما لا ينفتح لهم في البسط فينبغي للعبد ان يعرف نعمة
الله عليه في ليل القبض كما يعرفه في اشراق نهار البسط كما يعلم
في الليل من المنافع ما لا يبصر في النهار فليتكل على ذلك ربه ولا يحبس
نفسه فيه فانه لا يدري ايهما اقرب اليه نفعا كما اشار اليه بالاية الكريمة
وتشبيهه القبض بالليل والبسط بالنهار مجاز بديع وقد تقدم نحوه
في كلام ابي الحسن رضي الله عنه مطالع الانوار القلوب الاسرار
نجوم العلم واقمار المعرفة وشموس التوحيد مطالعها
وموضع شروقها قلوب العارفين واسرارهم هذه هي الانوار

الحقيقية من المطالع الروحانية بخلاف الانوار المحسوسة
قال في لطايف المنن واعلم ان الله سبحانه اذا تولى وليا حاط قلبه
من الاغيار وحرسه بدوام الانوار حتى لقد قال بعض العارفين
اذا كان الله سبحانه قد حرس السماء بالكواكب والشهوب كي
لا يسترق السمع منها فقلب المومن اولى بذلك يقول الله تعالى
فيما يحكيه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسعني ارضي
ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المومن فانظر رحمك الله تعالى
هذا الامر الاكبر الذي اعطيه هذا القلب حتى صار لهذه الرتبة
اهلا ولهذا قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه لو كشف عن نور المومن
العاصي لطبق ما بين السماء والارض فما ظنك بنور المومن المطيع
قال ولقد سمعت شيخنا ابا العباس رضي الله عنه يقول لو
كشف عن حقيقة الولي لعبد لان اوصافه من اوصافه ونعوته
من نعوته قال ولقد اخبرني بعض المريدين قال دخلت على شيخ
صلاة فشهدت ما ابهر عقلي وذلك باني شهدت بدن الشيخ
والانوار قد ملاته وانبثت الانوار من وجوده حتى اني لم استطع
النظر اليه قال فلو كشف الحق تعالى عن مشرقات انوار قلوبهم
واين نور الشمس والقمر من انوارهم الشمس يكر عليهما
الكسوف والغروب وانوار قلوب اولياء الله تعالى لا كسوف لها

والغروب

والغروب كذلك قال قائلهم ان شمس النهار تغرب بالليل
وشمس القلوب ليست تغيب نور مستودع في القلب
مدده الوارد من خزائن الغيوب نور اليقين المستودع في
القلوب يستمد ويتزايد ضياؤه من النور الوارد من خزائن
الغيوب وهو نور الاوصاف الازلية كما ذكرناه عن الشيخ ابي العباس
المرسي رضي الله عنه قبل هذا وقد تقدم من كلام المولف رحمه الله
تعالى انار الظواهر بانوار اثاره وانار السرائر بانوار اوصافه نور
يكشف لك به عن اثاره ونور يكشف لك به عن اوصافه النور
المدرك بالحواس يكشف لك به عن اثاره وهي الاكوان المحدثة
وليس للسالك كبير حاجة الا من حيث تستدل به على المومن والنور
المستودع في القلوب يكشف لك به عن اوصافه الازلية حتى تراها عيانا
وفي هذا غاية بغيتك وبه تشرف قدرك ومنزلتك اذ بذلك تتحقق
في المعرفة وترتفع المشاهدة ولا تحتاج الى دليل بعد ذلك وهذا فرقان
بين النورين قال في لطايف المنن نور الشمس يشهد به الاثر ونور
اليقين يشهد به الموثر قال والى هذا المعنى هذي الشموس قابلتنا
بنورها وشمس اليقين اظهر نورا فرايناها بفعلها النور لكن بهاتيك قد
راينا المنيرا ربما وقفت القلوب مع الانوار كما حجبت النفوس
بكثائف الاغيار القلوب نورانية فتحجب بوقوفها مع لطايف الانوار

النورانية من العلوم والمعارف والنفوس ظلمانية فتحجب
بصحبتها لكثايف الأغيار الظلمانية من العادات والشهوات
فالقلوب محجوبة بالأنوار كما النفوس محجوبة بالظلمات و
الحق وراء ذلك كله قال ابو الحسن الششتري في قصيدته
النونية : تَقَيَّدْتَ بالأوهام لمّا تداخلت ... عليك ونور
العقل أورثك السجنا ... وهِمْتَ بأنوارٍ فهِمْنا أصولها
ومنبعها من أين كان فما همنا ... وقد تحجب الأنوار للعبد
مثلما ... تُبعّد من إظلام نفس حوت طعنا ستر انوار السرا
ير بكثايف الظواهر اجلالا لها ان تبتذل بوجود الاظهار وان
ينادى عليها بلسان الاشتهار انوار السراير انما خبيت عن العيان
بما سترها به من كثايف الظواهر مع ان الظهور التام لا ينبغي ان يكون
الا لها لانها رفيعة القدر جليلة الخطر فلاجلها عن الابتذال لها بوجود
اظهارها وصانها من ان ينادى عليها بلسان الاشتهار بين الاعيان فيكون
ذلك نوعا من الاهانة بها وقد تقدم مثل هذا الستر في قوله سبحان
من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية وقال رضي الله عنه سبحان
من لم يجعل الدليل على اوليايه الا من حيث الدليل عليه ولم يوصل
اليهم الا من اراد ان يوصله اليه لا دليل على الله سواه ولا وصول اليه
بغيره وكذلك اولياؤه ولما كان الوصول الى الله تعالى لا يكون الا بالعناية

والخصوصية

والخصوصية فيستحيل ان يكون بطلب او سبب كان الاولياء
المخصوصون بالقرب منه كذلك لما خلع عليهم الخلع الحقية
وتولاهم بمننه الجسيمة واصطفاهم لنفسه واختصهم بمحبته
وانسه وطهر اسرارهم من مجالسة الاغيار وملأ قلوبهم بما
اودع فيها من الانوار والاسرار جعلهم لذلك خزاينه وعرايس
خبايا في بلاده كما قال بعض العارفين عنه سبحانه اوليائي
تحت قبابي لا يعرفهم احد غيري وهذا من غيرته عليهم
لان الحق تعالى اغير على اوليايه من ان يظهرهم حتى لا يعرفهم فلم يجعل
لاحد دليلا عليهم الا من حيث الدليل عليه ولم يوصل اليهم الا من اراد
ان يوصله اليه لانه يلبسهم لباس التلبيس بين الانام ويظهرهم
بما يحقرهم في اعين الخواص والعوام فاني يكون لاحد دليل والوصول
بسبب اليهم فان في طابقة الصفى فاولياء الله اهل كهف
لا يعرفهم الا قليل من عرفهم قال وقد سمعته يعني شيخه ابا
العباس المرسي رضي الله عنه يقول معرفة الولي اصعب من معرفة
الله فان الله معروف بكماله وجماله وحتى متى تعرف مخلوقا مثلك
ياكل ويشرب كما تشرب قال فيه واذا اراد الله ان يعرفك بولي
من اوليايه طوى عنك وجود بشريته واشهدك وجود خصوصيته
وقال صاحب كتاب انوار القلوب الله سبحانه عباد ضن بهم

انظر الاوليا

عن العامة والظهور ثم الخاصة فلا يعرفهم الا شكل وامثالهم
ولله عباد ظهورهم عن الخاصة والعامة ولله عباد اظهرهم
للخاصة والعامة ولله عباد يظهرهم في البداية ويسترهم في
النهاية ولله عباد يسترهم في البداية ويظهرهم في النهاية ولله
عباد لا يظهرهم حقيقة ما بينه وبينهم الا الحفظة من سوالهم
حتى يلحقونه بما اودعهم منه في قلوبهم وهم شهداء الملكوت
الاعلى والصفح الايمن من العرش الذي تولى الله قبض ارواحهم بيده
فتطيب اجسادهم به فلا يعدوا عليها التراب حتى يبعثوا بها
مشرقة بنور البقاء الذي جعلوا فيه بفنائهم في الفناء الاحد
عز وجل انتهى قال ابو يزيد رضي الله عنه اولياء الله تعالى عرائس
ولا يرى العرائس الا من كان محرما لهم واما غيرهم فلا وهم مخدرون
لديه ستره في حجال الانس لا يراهم احد في الدنيا ولا في الاخرة وقال
ابو علي الجرجاني رضي الله عنه الولي هو الفاني في حاله الباقي في مشاهدة
الحق تولى الله سبحانه سياسته فتوالت عليه انوار التولي لم يكن
له عن نفسه اخبار ولا مع غير الله عز وجل قرار وفي الاشارة عن الله سبحانه
انما سميناه الولي لانه يليني دون سواي فهم منزهون بتنزيه الحق
تعالى لهم من يوصل اليهم بخبر ولذا قال صدر المولف رحمه الله كلامه
بالتسبيح وربما اطلعك على غيب ملكوته وحجب عنك الاستشراف طلعك

على اسرار

على اسرار العباد من لطف الله اخفاء اسرار الناس بعضهم على بعض
لا سيما اسرار فيظن وجود عيب وهو الظاهر مما ذكره المولف هنا
بدليل الكلام الذي عقبه به وقد يظهر لبعض الناس ما سوى ذلك
من الاسرار الملكوتيات وفي العرف بينهم فيما يذكره المولف الآن
ويحتمل ان يريد ما هو اعم لما ذكرناه فيدخل في ذلك اسرار الولاية
اذ قد اختص الحق تعالى بها بعض عباده ويكون في ذلك تنبيها على العلة
الموجبة لخفاء الولي حسبما ذكره المولف رحمه الله في المسئلة
التي فرغنا عنها حتى يمتنع الوصول اليه بالطلب او بسبب والخفاء
ذلك ايضا عن عامة المومنين من النعم العظيمة اذ لو ظهرت
اسرار الولاية على احد لوجبت على من ظهرت له حقوق لا يقدر على
القيام بها فلا يخرج من حرج في ذلك ترك القيام بتلك الحقوق والاساءة بسبب
ذلك في معذورات لا يقوم لها شيء وقد وجدت هذا المعنى في
من كلام سهل ابن عبد الله رضي الله عنه سالته بعض تلامذته
كيف يعرف اولياء الله تعالى فقال ان الله تعالى لا يعرفهم الا اشكالهم
ومن اراد الله تعالى ان ينفعه بهم ولو عرفهم حتى يعرفهم الناس لكانوا
حجة عليهم ومن خالفهم بعد علمه بهم كفر ومن قعد عنهم حرج
ولكن الله تعالى جعل الاختبار في تغطية امورهم رحمة منه لخلقه
وراحة ولكن الله قد اخبر بكونهم فقال عز وجل الله ولي الذين امنوا

والله ولي المومنين بما يردعهم به ولو حتى يبرزهم لكلية الفقر
اليهم محبة وكان لا يستطيع منه بشيء من الفضل كلام
سهل ابن عبد الله رضي الله عنه والمعنى الذي ذكرته في هذه
المسألة وجهته من كلام الذي ذكره الشيخ ابو طالب المكي
رضي الله عنه في كتابه الشكر فان فيه ثم بعد ذلك من الكلام
اليهم شمول ما شرك لهم بعضهم من حقوقهم ويستترهم عند
العلماء والصالحين منهم ولولا ذلك لاجل الفقر واليهم ثم حجبهم
الصالحين منهم ولو ظهر عليهم علامة يعرفون بها حتى يكون العباد
هلون على بغير من ولاية الله تعالى لهم وعزته منهم لبطل ثواب
المحسنين اليهم ولكرم قبول احسانهم عليهم ولكون الاعمال
المسيئين اليهم فيه حجب ذلك وستر ما عل العالم ملومان
في المخبرون الشر عن الرجاء وقصر الكفر من وراء حجاب اليقين
وقد اخرت عقوبة المؤذين لهم عن المعاجلة لما ستر
عليهم من علائم شانهم عند الله عز وجل وجليل قدرهم فيه
ستر هذا انعم عليهم على الصالحين في نحو منهم من سلامة دينهم
وقلة فتنتهم ونعم جليلة على المتعالين لهم من تعظيم الخطرين
لشعائر الله تعالى من اجلهم اذا كانوا اسناء واليهم من وراء
حجاب بهذا هو لطف خفي من لطف الله العفو كما جاء

في الخبر

في الخبر من اذى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ثم ان الثاني لو لم يفعل
يكون مثل ذلك من اذى نبيا وهو لا يعلم بنبوته فلا يعتبر انه
نبي الله وان الله عز وجل يناله ولا يكون وزرك وزر من اشفك من
كان يعلمه انه نبي الله عز وجل العظيم حرمة النبوة انتهى ما ذكر
الشيخ ابو طالب والوجه الاول الذي فيه تقريب معنى ما ذكر المولف والله تعالى
اعلم من اطلع على اسرار العباد ولم يتخلق اليهم بالرحمة الالهية
كان اطلاعه فتنة عليه وسببا لاجل الوبال اليه المطلع على اسرار
التي تقتضي وجود العيب اذا لم يتخلق صاحبه بالرحمة الالهية
فيرحم ويحلم على الظالمين ويعطف على الجاهلين ويحسن الى
المسيئين ويدعو بعباد الله اجمعين فانه يكون ذلك الاطلاع
فتنة عليه لان ذلك يؤدي به الى رؤية نفسه واستعظام امرها والعجب
بحاله والتكبر على غيره وهذا هو اعظم الفتنة ويكون ايضا
سببا الى جر الوبال وغاية الخزي والنكال وفي بعض الاخبار المروية
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تنزع الرحمة الا من شقي
وفي حديث عبد الله ابن عمرو بن العاصي رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا اهل
الارض يرحمكم من في السماء وفي الاشارة عن الله سبحانه عبدي
ان استعطفتك شغفت لعل الرحمانية تشفعا فيك ان ارحم

فالمرء من نفسه وقد ادب الله سبحانه خليله ابراهيم عليه السلام
في بعض مواطنه العظيمة المقدار وعلمه كيف يفعل وهذا
الخلق الكريم عند اطلاعه على الاسرار روي عن قسامة بن زهير
رضي الله عنه انه قال بلغني ان ابراهيم عليه السلام حدث نفسه
انه ارحم الخلق فلما رفعه الله تعالى حتى اشرف على اهل الارض فا
بصر اعمالهم وما يعملون فقال يا رب دمر عليهم فقال الله تعالى
انا ارحم بعبادي منك يا ابراهيم اهبط فلعلهم يتوبون ويرجعون
وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما اري الله
ابراهيم ملكوت السماوات والارض اشرف على رجل على المعصية
من معاصي الله عز وجل فدعا الله عليه فهلك وكذلك على اخر واخر
فهلكوا فاوحى الله تعالى اليه ان يا ابراهيم انك رجل مستجاب الدعوة
فلا تدعون على عبادي فانهم مني على ثلاثة خصال اما ان يتوب على
فاتوب عليه واما ان اخرج منه نسمة تسبحني واما ان يبعث الي
فان شئت عفوت عنه وان شئت عاقبته وقيل ان سبب امر الله
تعالى له بذلك لاجل هو هذا المعنى الذي ظهر منه من غلظته على
العصاة وقلة رحمته لهم ذكر في بعض التفاسير انه عليه السلام
كان يعرج به كل ليلة الى السماء وهو قوله وكذلك نري ابراهيم
ملكوت السماوات والارض فعرج به ذات ليلة فاطلع على

عذب

من عذب على فاحشة فقال اللهم اهلكه فنودي كف عن عبادي
رويدا او رويدا فيأكل رزقك ويمشي على ارضك وفي الله امرك
فاهلكه الله تعالى فاطلع على اخر فقال اللهم اهلكه فنودي
كف عن عبادي رويدا او رويدا فلما كان ما رايتهم على عاصين فلما اهبط
اراه في المقام ما ذكر الله تعالى عنه فقال اني ارى في المنام اني اذبحك
فانظر ماذا ترى فلما تعشم لذلك واخذ السكين بيده قال
والله وثمرة فؤادي واحب الناس الي فقيل يا له اما
تذكر الليلة التي سالت اهلاك عبادي او ما تعلم ان في عبيد
عبادي كما انت شفيق بولدك فاذا سالتني اهلاك عبادي اسالك
ذبح ولدك واحد بواحد والبادي اظلم فهذا التغيير في المعصية كما هو
جلي وحقها في الطاعة بامر خفي وهذا وانما يختبر صعب
علاجه التغيير من شانها ان اطلب الحظوظ والعوائد من الحظوظ
فهي لا تسعى الا في ذلك ولو في عملها بالطاعات فقلة المطاع
ومن حاسب نفسه وراقب خواطره تبين له ما قلناه وهذا وقد تجد من
الفضلاء والقلة في انواع من العبادة ما لا تجده في نوع اخر وان كان النوع
الاخر اتم فضيلة منه وما ذلك الا لاجل ان حظها فيه اكثر من الاخر
في اهل الخبرة والبصيرة يتهمون انفسهم اذا اتفق لها ميل الى باب من ابواب العبادة
لمعرفتهم بخدعها ومكايدها فيفتشون ذلك عليها ويشغلون بها

وقد حكي عن ابي محمد المرتعش رضي الله عنه انه قال
حججت كذا وكذا حجة على التجريد فبان لي ان جميع ذلك كان
مشوبا بحظي وذلك ان امي سالتني يوما ان استقي لها
جرة ماء فثقل ذلك على نفسي فعلمت ان مطاوعة نفسي بالحجات
كانت بحظ وشوب من نفسي اذ لو كانت فانية لم يصعب عليها
ما هو حق في الشرع فهذا يبين لك ان حظ النفس في الطاعة
موجود ولكنه خفي على العامل ولذلك تعسر مداواته لانه
يحتاج الى دقة فهم ونفوذ ادراك ليطلب بذلك في ابتغاء نفسه
والطايف خدعها وخفايا حظوظها فيعمل على تنقية اعماله
من ذلك فلا جرم اذا كان ذلك متعذرا يجب عليه اتهام نفسه
ومعاتبتها في كل ما تدعوه اليه كائنا ما كان قال الشيخ ابو
بكر الخواف رضي الله عنه سمعت بعض مشايخنا يقول عن احمد
ابن ارقم البلخي قال حدثتني نفسي الى الخروج الى السبيل
للغزو فقلت سبحان الله ان الله تعالى يقول ان النفس لامارة
بالسوء وهذه تامرني بالخير لا يكون هذا ابدا ولكنها استوحشت
فتريد لقي الناس فتستروح اليهم ويتسامع الناس بها
فيستقبلونها بالبر والتعظيم والاكرام فقلت لها لا انزلك
العمران ولا انزل على معرفة فاجابت فبطلت ظني بها وقلت

الله اعلم

١٥٦

الله اعلم فوقها فقلت لها اقاتل العدو حاسرا فتقتلوه اول
قتيل فاجابت وعد اشياء مما اذهابه فاجابت الى ذلك
وقلت بلى فبحثت لها فاذا لها انطق لقوله صدق في الصمت
كانها تقول لي انك تقتلني كل يوم مرة بخلاف الشهوة ابدا ومنع
الشهوات ولا يشعر بي احد فان قاتلت فقتلت كانت قتلة واحدة
فنجوت ويتسامع الناس فيقولون استشهد فلان فيكون شرفا
لي وذكرا في الناس قال فقعدت ولم اخرج ذلك العام فهكذا خدع
النفس وغرورها اعاذنا الله من شرها وسيأتي من كلام المولف
رحمه الله اذا التبس عليك امران فانظر اثقلهما على النفس فاتبعه
فانه لا يثقل عليها الا ما كان حقا وربما دخل الرياء عليك حيث
لا ينظر الخلق اليك رياء العبد بالعمل حيث يكون خفيا من الناس ظاهر
لا يحتاج الاطلاع عليه ورياؤه بعمله حيث لا يراه احد من خفي لا يعرف
الا بالامارات والعلامات بل هو اخفى من دبيب النمل ومن اماراته ان
يلتمس بقلبه توقير الناس له وتعظيمه وتقديمه في المحافل والمجالس
ومسارعتهم الى قضاء حوائجه واذا قصر احد في حقه انه يستعظمه
عند نفسه استبعد ذلك واستنكره ويجد تفرقة بين اكرامه واكرام
غيره واهانته واهانة سواه حتى ربما يظهر بعض سخفاء العقول
ذلك عن انفسهم فيتوعدون من قصر في حقهم بمعاجلة الله له

العقوبة وان الله تعالى لا يدعهم حتى ينتصر لبعضهم ويأخذ
بثارهم فاذا وجد العبد هذه الامارات في نفسه فليعلم انه من اهل
بعلمه وان اجهل من اجهل الناس **وقد** روي عن علي بن ابي طالب رضي الله
عنه انه قال ان الله تعالى يقول للقراء يوم القيامة الم تكونوا
يرخص عليكم السعر الم تكونوا تبتدرون بالسلام الم تكونوا
تقضى الحوائج لكم وفي الحديث لا اجر لكم قد استوفيتم
وقال عبد الله بن المبارك روي عن وهب بن منبه رضي الله عنه
ان رجلا من العباد قال لاصحابه انا انما فارقنا الاموال والاولاد
مخافة الطغيان فنخاف ان نكون قد دخل علينا في امرنا هذا
من الطغيان اكثر مما دخل على اهل الاموال في اموالهم ان احدنا
اذا لقي احب ان يعظم لمكان دينه وان سال حاجة احب ان تقضى
له لمكان دينه وان اشترى شيئا احب ان يرخص عليه لمكان
دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب في موكبه من الناس فاذا السهل
والجبل قد امتلا من الناس فقال السائح ما هذا قيل هذا الملك
قد اظلك فقال للغلام ايتني بطعام فاتاه ببقل وزيت وقلوب
الشجر فجعل يحشو شدقه ويأكل اكلا عنيفا فقال
الملك اين صاحبكم قالوا هذا قال كيف انت قال كالناس وفي
حديث اخر بخير فقال الملك ما عند هذا من خير فانصرف عنه

وقال السابع

انظر [illegible]

وقال السابع الحمد لله الذي عرفك عيب وانتهى الى ذم من هذا
النوع من الرياء خاف الخيلاء ودعا والتصنع بسببه
من الاشتهار كما روي عن الفضيل بن عياض رضي الله عنه قال من
اراد ان ينظر الى مراء فلينظر الي وسمع مالك بن دينار
رضي الله عنه امراة وهي تقول له يا مرائي فقال لها يا هذه وجدت
اسمي الذي اضله اهل البصرة وقال رجل لداود الطائي رضي
الله عنه فقال ما حاجتك فقال زرتك اما انت فقد علمت خيرا
حين زرت ولكن انظر ماذا ينزل بي اذا قيل من انت فتزاور الزهاد
انت لا والله امن العباد انت لا والله امن الصالحين انت لا والله ثم
اقبل يوبخ نفسه ويقول كنت في الشبيبة فاسقا فلما
كبرت صرت مرائيا والله للمرائي شر من الفاسق الى غير هذا
مما يروى عنهم في هذا المعنى وقد يسلم من الرياء الجلي والخفي الا
العارفون الموحدون وان الله تعالى طهرهم من دقائق الشرك وغيبهم
عن نفوسهم ورؤية الخلق بما اشرق على قلوبهم من انوار اليقين
والمعرفة فلم يرجوا منهم حصول المنفعة ولم يخافوا من قلوبهم
وجود مضرة فاعمال هؤلاء خالصة وان عملوها بين اظهر الناس
ومن منهم ومن لم يكن بهذا وشهد الخلق وتوقع منهم
حصول المنافع ودفع المضار فهو مراء في عمله وان عبد الله

[illegible]

في وقته جبل [?] لا يراه احد ولا يسمع به وقد تقدم قول
يوسف ابن الحسين الرازي رضي الله عنه اعز شيء في الدنيا
الاخلاص وكم اجتهدت في اسقاط الرياء عن قلبي فكانه
ينبت فيه على لون آخر استشرافك ان يعلم الخلق خصو
صيتك دليل على عدم صدقك في عبوديتك الخصوصية هاهنا
ما اختص الحق تعالى به بعض عباده من علم نافع او عمل صالح والصدق
العبودية فيه ان يقنع بعلم الله تعالى بحاله ولا يتطلع الى ان
يعرف بذلك احد من الخلق فيشغله حينئذ الحياء من ربه و
الشكر به على الاستشراف الى معرفة الخلق بذلك ويغار على
حاله من رؤية الاغيار له ولهذا فضل عمل السر على العلانية صح
بسبعين ضعفا كما ورد في الخبر عن نبينا صلى الله عليه وسلم
وقال عيسى عليه السلام اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن
راسه وليمسح شفتيه فاذا خرج الى الناس راوا انه لم يطعم
واذا اعطى احدكم فليعطه بيمينه وليخفه عن شماله
واذا صلى احدكم فليدل عليه ستر بابه فان الله تعالى يقسم
الثناء كما يقسم الرزق وقد سئل حكيم من الحكماء عن علامة
الصدق فقال كتمان الطاعة وقال احمد ابن ابي الحواري رضي
الله عنه من احب ان يعرف بشيء من الخير او يذكر به فقد اشرك

في عبادته

في عبادته لان من عبد الله على المحبة لا يحب ان يرى خدمته
سوى محبوبه وقال الشيخ ابو عبد الله القرشي رضي الله عنه
كل من لم يقنع في افعاله واقواله بسمع الله ونظره دخل الرياء
لا محالة وقال بعضهم ما الخلق احد فيه الادب ان يكون في جيب
لا يعرف وقال سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه من احب
ان يطلع الخلق على ما بينه وبين الله فهو غافل وقال ابو الخير
الاقطع رضي الله عنه من احب ان يطلع الناس على عمله فهو مراءي
ومن احب ان يطلع الناس على حاله فهو كذاب وقال بعضهم
المراء يستوي حاله لا تحب ان تعرف ولا تحب ان يعرف انك ممن لا يحب
ان يعرف وقال الحكيم اخفاء حاله جهده وان يبالغ في كتمانه اقصى
ما عنده قال الحسن رضي الله عنه ادركت قوما ما من احد منهم
يستطيع ان يسر شيئا من عمله الا اسره وان كان الرجل ليجلس
مع القوم وانه لفقيه وما يعلم به حتى يقوم ولقد ادركت
اقواما ياتي احدهم الزور فيقوم فيصلي وما يشعر به الزور
ولقد ادركت اقواما وما من عمل يقدرون ان يعملوه لله سرا
فيكون علانية ابدا ولقد ادركت اقواما يجمع احدهم القرآن
وما يعرف به جاره ولقد ادركت اقواما يجتهدون
في الدعاء وما يسمع منهم احد وقال محمد بن واسع رضي الله عنه

ادركت رجالا كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة
واحدة قد بل ما تحت خده من دموعه على خده ولا تشعر
به امرأته ولقد ادركت رجالا يقوم احدهم في الصف فتسيل
دموعه على خده ولا يشعر بذلك الذي الى جنبه وفي رواية
عنه ان كان الرجل ليبكي عشرين سنة وامرأته معه وان وقع منه
اعلان واظهار في وقت ما فليشتغل بمراقبة قلبه وعمومه
عن ان يجد فيه الفرح باطلاع الناس على حاله ولينكر ذلك على نفسه
وليكرههم ولا يفرح منها وليجاهد نفسه في ذلك اشد المجاهدة
بان خالف هذا واستشرف الى معرفة غير الله بحاله وغفل
عن مجاهدة نفسه في حال ظهور ذلك منه ولو لحظة خيف
عليه ان يحصل الفرح في قلبه فيقع عند ذلك في الفتنة فان كان
ضعيف الارادة لم يسلم من الوقوع في الرياء الجلي والخفي لانه
سببه قد استتب له وان كان قوي الارادة وسالك سبيل
المعرفة لم يسلم من السكون والركون فيقف حينئذ الغيرة
على الحال ويحط بذلك عن درجة الكمال ولهذا كان اسقاط المنزلة
عند الناس من ضروريات سالك هذه الطريقة كما تقدم
عند قوله ادفن وجودك في ارض الخمول فان تحقق العبد في المعرفة
ومشاهدة الوحدانية الصرفة جاز له الاخبار باعماله

والاظهار

والاظهار لمحاسن اعماله بناء منه على نفي الغير وارادة لوجه
الشكر كما كان بعض السلف يصبح فيقول صلينا البارحة
كذا وكذا وتلوت كذا وكذا سورة فيقال له اما تخشى من الرياء
فيقول ويحكم هل رايتم من يرائي بفعل غيره وكان اخر يفعل
ذلك فيقال له مثل الاول فيقول الم يقل الله سبحانه واما بنعمة
ربك فحدث وانتم تقولون لا تحدث فان قصد من هذا حاله الى
هداية عباد الله ودعايتهم الى الله فاظهر احواله واعماله
للاقتداء والاهتداء بهدايته فهذا خارج عن القسم الاول كله وداخل
في حكم هذا النوع الثاني وعلانية هذا افضل من سره لانه سلم
من الآفات التي تعرض لها غيره وحصلت منه الفوائد التي تضمنها
الاظهار وجهره وقد جاء في الخبر السر افضل من العلانية
والعلانية افضل لمن اراد الاقتداء وهذا ارجح الوجوه عند العلماء
في قوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي سأله عن فرحه باطلاع الناس
على بعض اعماله لك اجران اجر السر واجر العلانية وبعض ما ذكرناه
من الاظهار جماعة من الصحابة والتابعين فقد علمت ما ذكر وقد بقي
حقيقة الاطالة وكان ذلك منهم لاجل هذا الغرض ومقام هذا
العبد مقام النصحاء لعباد الله والدعاة لهم الى الله فلا جرم كان
له الدرجات العلى عند الله لانه من ائمة المتقين الله وقد اخبر

الله تعالى بجزائهم وذكره عقيب دعائهم بذلك فقال عز وجل
من قائل أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها
تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما
قال في لطائف المنن اعلم ان مبنى امر الولي على الاكتفاء بالله
والقناعة بعلمه والاغتناء بشهوده قال الله سبحانه ومن
يتوكل على الله فهو حسبه وقال الله سبحانه أليس الله بكاف عبده
وقال الم يعلم بان الله يرى وقال اولم يكف بربك انه على كل شيء
شهيد فمقتضى امرهم وبدايتهم على الفرار من الخلق والانفراد
بالملك واخفاء الاعمال وكتم الاحوال تحقيقا لفنائهم وتثبيتا
لزهدهم وعملا على سلامة قلوبهم وحبا في الاخلاص اعمالهم
لعبيدهم حتى اذا تمكن اليقين وايدوا بالرسوخ والتمكين وحققوا
حقيقة الفنا وردوا الى وجود البقاء فهنا ان شاء اظهرهم
وان شاء سترهم وان شاء اظهرهم هادين لعباده اليه وان سترهم
فقطعهم عن كل شيء اليه وظهور الولي ليس بارادته لكن بارادة الله
تعالى له بل مطلبه ان كان له مطلب الخفاء لا الجلاء كما قدمنه
فلما لم يكن الظهور مطلبهم واراد الله سبحانه اظهارهم
فاظهرهم تولاهم في ذلك بتأييده وامدهم بمزيده لقوله
صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن بن سمرة لا تطلب الامارة

فانك

فانك ان اعطيتها من غير مسئلة اعنت عليها وان اعطيتها عن مسئلة
وكلت اليها ومن تحقق منهم بعبودية الله تعالى لم يطلب
ظهورا ولا خفاء بل ارادته وقف على اختيار سيده له وقال
الشيخ ابو العباس رضي الله عنه من احب الظهور فهو عبد الظهور الظهر
ومن احب الخفاء فهو عبد الخفاء ومن كان عبد الله فسواء عليه
اظهره او اخفاه انتهى غيب نظر الخلق بنظر الله اليك وغب
عن اقبالهم عليك بشهود اقباله عليك هذا المعنى هو
حقيقة عبودية العبد التي اشار اليه في المسئلة التي قبل هذا
وهو الا يكون له شعور بما من الخلق اليه من ذكر واقبال ولا تشوف اليه
ولا طلب له وانما يكون شعوره وتشوفه وطلبه بما من الله
اليه من نظره اليه واقباله عليه فيغيب ادنى الحالين باعلاهما وذلك
بان يعلم ان ما من الخلق اليه امور وهمية لا ينقاد اليه كل ذي عقل
قاصر فوجب له هذا الانقياد انواع من الكبائر والرذائل من الانحطاط
في اهواء الناس وتحسين مواقع نظرهم منه بالتصنع والتزيين
لهم وترتيب الحالة الحسنة لديهم تكبرا وتعظيما عليهم ومعاشرتهم
بالتملق والادهان وتخالف الاسرار والاعلان وهذا عذاب اليم
استعجلوا في دنياه يفوته في ذلك راحة قلبه وطيب عيشه ويسلبه
ثواب الغناء والعزة ويلبسه لباس الطمع والذلة فترى ذلك

همه وشغل قلبه ولعذاب الآخرة اكبر وقد قال الشاعر
من راقب الناس مات غمًا وفاز بالراحة الجسور
وروا سهل بن عبد الله رضي الله عنه وجلس الفقراء بمكة فقال
له شيخ يا استاذ لا اقدر على هذا من اجل الناس والتفت
سهل الى اصحابه فقال لا ينال العبد حقيقة من هذا الامر حتى يكون
باحد وصفين حتى يسقط الناس من عينه فلا يرى في الدارين الا
هو وخالقه وان احدا لا يقدر ان يضره ولا ينفعه او يسقط
نفسه عن قلبه فلا يبالي على حال يرونه انتهى ثم من له
حصول ما اراد منهم واغراضهم مختلفة وطباعهم
متباينة فربما استحسن من نفسه شيئا لم يستحسنه
غيره وربما ارضى شخصا من لا يرضى آخر فهو يعمل بزعمه
فيما ينفعه عند الناس وهو ساع فيما يضره عندهم
وعند الله تعالى مع مقاساة التعب والنصب في نفسه
وفي الحكاية المذكورة عن لقمان وابنه تنبيه على هذا المعنى
ذكروا ان لقمان دخل ذات يوم السوق وهو راكب حمارا وابنه
يسوقه فقال الناس شيخ قليل الشفقة لم يشفق على صبي وراكبه
خلفه فقال اشار على حماره وادفع الى ابنه فنزل لقمان وركب الولد
فقالوا شيخ ماش وصبي راكب فنزل يمشي مع ولده وساقا
جميعا

وساقا جميعا الحمار فقالوا حمار فارغ وهذان يسوقانه
وكان غرض لقمان بهذا ان يرى ابنه شأن الناس مع من يراعي
تكرههم وانه لا يسلم لهم على اي حالة يكون فرضى الناس غاية
لا تدرك واحمق الناس من طلب ما لا يدرك فهذا حال من انقاد
الى الاوهام من ضعفاء العقول وسخفاء الاحلام واما من كان له
عقل راجح وحلم راسخ فلا يميل الا الى ما هو حق وموجود وهو
ما شرع الله اليه من تكرم واقبال وجزيل عطاء وعظيم نوال فهو يعمل فيما
يؤديه الى هذا المطالب من اعمال الطاعات بلا ذام او عيب عليه
ويقول بلسان حاله ان الذين تكرهون منه ذلك الا يستحيه قلبي ويقول
ايضا ما قاله محمد بن اسلم رضي الله عنه ما لي وللخلق كنت في صلب
ابي وحدي ثم صرت في بطن امي وحدي ثم دخلت الدنيا وحدي ثم ينفخ روحي
وحدي فادخل قبري وحدي ويأتيني منكر ونكير يسألاني وحدي فان صرت
الى خير صرت وحدي وان صرت الى شر كنت وحدي ثم اوقف بين
يدي الله تعالى وحدي ثم يوضع عملي وذنوبي في الميزان وحدي فان
بعثت الى الجنة بعثت وحدي وان بعثت الى النار بعثت وحدي
فما لي وللناس وقد سئل الحارث ابن اسد رضي الله عنه عن علامة
الصادق فقال هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له من قلوب الخلق من اجل صلاح
قلبه ولا يحب ان يطلع الناس على مثاقيل الذر من حسن عمله ولا يكره

ان يطلع الناس على الشيء من عمله فان كراهته لذلك دليل
على انه يحب الزيادة عندهم وليس هذا من اخلاق الصادقين
من عرف الحق شهده في كل شيء فلا يتوحش من شيء و
يستانس به في كل شيء كما تقدم من تعجب العارفين ومن فنا
به غاب عن كل شيء فلا يكون منه على الاشياء اعتماد ولا
له اليها استناد ومن احبه لم يوثر عليه شيئا من مراداته و
شهواته وهذه الامور التي ذكرها المولف رحمه الله هي علامات
بلوغ هذه المقامات العلية وبها تتضح وتكمل فمن لم يجدها
في نفسه فلا ينبغي له ان يدعي تلك المقامات العلية وليعمل
على مجاهدة نفسه فيما يحصلها ويكملها انما حجب الحق عنك
شدة قربه منك شدة القرب حجاب كما ان شدة البعد
حجاب لان شدة قربه منك موجبة لاضمحلالك وذهابك وا
لمضمحل الذاهب لا مناسبة بينه وبين الثابت الموجود فكيف
يراه قال في لطائف المنن وعظيم القرب ان تغيب في القرب
عن القرب لعظيم القرب كمن يشم رائحة المسك فلا يزال يدنوا
وكلما دنا منها تزايد ريحها فلما دخل البيت الذي هو فيه
انقطعت رائحته عنه وانشد بعض العارفين
تحير ذو التقريب بالتغيير والعلم * والامر اوضح من نار على علم

اراك

أراك تسأل عن نجد وانت بها * وعن تهامة هذا فعل متهم
انما احتجب بشدة ظهوره وخفي عن الابصار لعظيم نوره
هذه عبارة تداولها الناس ضربوا لمعناها مثالا بالشمس نورها
اقوى من ساير الانوار المحسوسة وقوة نورها هي التي حجبت
الابصار الضعيفة عن ادراك كنهها فقد صار ظهورها الذي اوجبه
وجود نورها حجابا لها وليس الحجاب على الحقيقة منها وان الظاهر
لذاته لا يحتجب من ذاته وانما الحجاب عليه من غيره والحجاب هاهنا
ضعف البصر عن مقاومة فيضان النور فالحق تعالى احتجب عن الخلق
بشدة ظهوره وخفي عن الابصار لعظيم نوره وانشد في هذا المعنى
لقد ظهرت فلا تخفى على احد * الا على اكمه لا يعرف القمرا
لكن بطنت بما اظهرت محتجبا * وكيف يعرف من بالعزة استترا
بالنور يظهر ما ترى من صور * وبه وجود الكائنات بلا امترا
لكنه يخفى لفرط ظهوره * ويدركه البصير من الورا
فاذا نظرت بعين عقلك لم تجد * شيئا سواه على الذوات ظهورا
واذا طلبت حقيقة من غيره * فبذيل جهدك لا تزال معثرا
وقال رضي الله عنه لا يكن طلبك تسببا الى العطاء منه فيقل
فهمك عنه وليكن طلبك لاظهار العبودية وقياما بحقوق
الربوبية لم يامر الله تعالى عباده بالطلب له والسؤال منه

الا ليظهر افتقارهم اليه ومثواهم بالتذلل والخضوع بين
يديه لكون ذلك اظهار العبودية له وقياما بحقوق ربو
بيته لا لان يتسببوا به الى حصول ما طلبوه وقيل جاز غيبوه
مما لهم فيه منفعة وحظ هذا هو وجه الدعاء فيما عن الله تعالى
ويدل على هذا المعنى ما ذكره المولف قال ابو نصر السراج رضي الله عنه
سالت بعض المشايخ عن الدعاء ما وجهه لاهل التسليم فقال
قد دعا الله لوجهين احدهما ان يريد بذلك تزيين الجوارح الظاهرة لان الدعاء
ضرب من الخدمة فيريد ان يزين جوارحه بهذه الخدمة والوجه
الثاني ان يدعوا ائتمارا لما امر الله تعالى من الدعاء انتهى وقد قيل
فايدة الدعاء اظهار الفاقة بين يديه والا فالرب يفعل ما يشاء
ومقتضى هذا ان لا ينقطع سؤاله ولا رغبته وان اعطاه كل مطلوب واناله
كل سؤال ومأرب ولا يفرق بين العدم والوجود والعطاء فيما
يرجع الى اظهار الفاقة والفقر فيكون عبدا لله في الاحوال كلها
وقبيح بالعبد ان يصرفه عن باب مولاه ما ينيله من
شهوته وهواه قال سيدي ابو الحسن رضي الله عنه لا يكن
همك في دعايك الظفر بقضاء حاجتك فتكون محجوبا وليكن
همك مناجاة مولاك قال الامام ابو القاسم القشيري رضي
الله عنه شر الناس من يبتهل الى الله تعالى عند هجوم البلاء [illegible]

الدعاء

الدعاء وشدة التضرع والبكاء فاذا زالت شكايته ورفعت
عنه اجابته ضيع الوفاء ونسي البلاء وقابل الرخاء ونقض
العهد وابدل العقد برفض الود اولئك الذين ابعدهم الله
في سابق الحكم وخرطهم في سلك اهل الرد وقد قيل بلاء يلجئك الى الا
فتقار بين يدي معبودك خير لك من عطاء ينسيك اياه ويغنيك عنه
كيف يكون طلبك اللاحق سببا في عطائه السابق هذا دليل على نفي
السببية المذكورة لان ما طلبه امر سابق في الازل تقديره وطلبه
امر لاحق فيما لا يزال وكيف يكون اللاحق سببا في وجود السابق وهل
السبب ابدا الا متقدم على المسبب جل حكم الازل ان ينضاف الى العلل
هذا دليل اخر على ما ذكره وهو ان حصول ما طلبه الداعي حكم من الله
تعالى في الازل فلا يكون سببه الدعاء والسؤال لان احكام الله تعالى تجل
عن ان تضاف الى علة او سبب من قبل انه الارادة المطلقة والمشيئة النافذة بصنعه
علة لكل شيء ولا علة لصنعه كما قال العارفون المحققون عنايته فيك
لا لشيء منك واين كنت حين واجهتك عنايته وقابلتك رعايته
لم يكن في ازله اخلاص اعمال ولا وجود احوال بل لم يكن هناك الا
محض الافضال وعظيم النوال عناية الله بك في الازل حين لم تكن فيه لا حين
معللة بشيء كان منك من اخلاص اعمال او وجود احوال تتوسل بجميع
ذلك اليه واين كنت اذ ذاك وانت عدم محض بل لم يكن هناك الا محض

كريم بفضله وعظيم احسانه ونواله لا لغير قال الواسطي
رضي الله عنه اقسام قسمت ونعوت اجريت كيف تستجلب
بحركات او تنال بسعايات علم ان العباد يتشوفون الى
ظهور سر العناية فقال تعالى يختص برحمته من يشاء وعلم
انه لو خلاهم وذلك لتركوا العمل اعتمادا على الازل فقال
ان رحمت الله قريب من المحسنين ظهور سر العناية التي
مقتضاها الرحمة هو تخصيص المشيئة في قوله عز من قائل يختص
برحمته من يشاء ولا علة للعبد والاحسان المنسوب اليه في قوله
تعالى ان رحمت الله قريب من المحسنين امارة وعناية على تلك
العناية وليس بعلة موجبة وانما اسند الرحمة اليه وعلقها به لئلا
يتكل العبد على السابقة ويترك العمل الذي هو مقتضى العبودية الواجبة
لله عليهم ان المشيئة مستندة لكل شيء لان وقوع ما لم يشا الحق
تعالى محال ولا تستند هي الى شيء لاستحالة وجود النقص فيما
يجب له الكمال وهذه العبارات التي ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى
مراد الفصل الى هنا بلغت الغاية في الحسن واستغنت بترددها
وتكرارها من البيان والشرح وفيها اشارة الى احكام الازل وفقد الاسباب
والعلل فيحسبها على العبد ان يبني عليها اعماله واحواله فيلتزم
العبودية والاشتغال ويدع التدبير والاختيار لمن بيده ذلك

وهذا

وهذا هو ادب التوجه جعلنا الله من اهله بمنه وفضله
قال ابو بكر محمد بن موسى الواسطي رضي الله عنه ان الله تعالى لا
يقرب بفقير لاجل فقره ولا يبعد غنيا لاجل غناه وليس للاعراض
عنده خطر حتى بها يصل وبها يقطع ولو بذلت له الدنيا والا
خرة ما اوصلك اليه بها ولو اخذتها كلها ما قطعك بها قرب
من قرب من غير علة وقطع من قطع من غير علة كما قال تعالى ومن
لم يجعل الله له نورا فما له من نور وقال ايضا رضي الله عنه ما خالفه
احد ولا وافقه وكلهم مستعملون بمشيئته وقدرته انى
يكون الوفاق والخلاف وهو يقلب الليل والنهار بما فيهما وهو
القائم على الاشياء وبالاشياء في بقائها وفنائها لا يونسه
وجد ولا يوحشه فقد ولا وجد انما هي رسوم تحت الرسوم
وقال رضي الله عنه ربما دلهم الادب على ترك الطلب اعتمادا على
قسمته واشتغالا بذكره عن مسئلته قد يكون من الادب ترك
السؤال والطلب بمن هو مستغرق في الاذكار راض بما يجري
عليه من تصاريف الاقدار وهو احد مذاهب القوم قال الامام
ابو القاسم القشيري رضي الله عنه واختلفوا في اي شيء افضل
الدعاء ام السكوت والرضى فمنهم من قال الدعاء في نفسه عبادة
قال صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ العبادة فالاتيان بما هو عبادة

أولى من تركها ثم هو حق الحق سبحانه وتعالى فإن لم يستجب
للعبد ولم يصل إلى حظ نفسه فلقد قام بحق ربه لأن الدعاء
إظهار فاقة العبودية وقد قال الإمام أبو حازم الأعرج
لأن أحرم الدعاء أشد علي من أن أحرم الإجابة وطائفة قالوا السكوت
والخمود تحت جريان الحكم أتم والرضى بما سبق من اختيار الحق
أولى ولهذا قال الواسطي اختيار ما جرى لك في الأزل خير لك من معارضة
الوقت وقد قال صلى الله عليه وسلم خبرا عن الله تعالى من اشتغله
ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين وقال قوم
يجب أن يكون العبد صاحب دعاء بلسانه وصاحب رضاء بقلبه
ليأتي بالأمرين جميعا قال الإمام أبو القاسم الأولى أن يقال إن
الأوقات مختلفة ففي بعض الأحوال الدعاء أفضل من السكوت
وهو الأدب وفي بعض الأحوال السكوت أفضل من الدعاء وهو الأدب
وإنما يعرف ذلك في الوقت لأن علم الوقت يحصل في الوقت فإذا
وجد بقلبه إشارة إلى الدعاء فالدعاء له أولى وإذا وجد إشارة
إلى السكوت فالسكوت له أولى ويصح أن يقال ينبغي للعبد أن لا يكون
ساهيا عن شهود ربه تعالى في حال دعائه ثم يجب أن يراعي حاله
فإن وجد من الدعاء زيادة بسط في وقته فالدعاء له أولى وإن عاد
إلى قلبه في وقت الدعاء وارد شبه زجر ومثل قبض فيه فالأولى

ترك الدعاء

ترك الدعاء في هذا الوقت وإن لم يجد في قلبه زيادة بسط ولا حصول
زجر فالدعاء وتركه هاهنا سيان وإن كان الغالب عليه في هذا الوقت
العلم فالدعاء أولى لكونه عبادة وإن كان الغالب في هذا الوقت المعرفة
والحال فالسكوت والسكون أولى ويصح أن يقال ما كان للمسلمين فيه
نصيب أو للحق سبحانه فيه حق فالدعاء أولى وما كان لنفسه فيه
حظ فالسكوت أتم وفي الخبر إن العبد ليدعو والله تعالى يحبه فيقول
يا جبريل أخر حاجة عبدي فإني أحب أن أسمع صوته وإن العبد ليدعو الله
وهو يبغضه فيقول يا جبريل اقض لعبدي حاجته فإني أكره أن أسمع
صوته انتهى كلام الإمام أبي القاسم القشيري وهو حسن بديع وهو
أولى مما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى فلذلك أوردته هاهنا بكماله
إنما يذكر من يجوز عليه الإغفال وإنما ينبه من يمكن منه الإهمال
أورد هذا الكلام على ما ذكر من أن ترك الطلب قد يكون من الأدب
وذلك لأن الدعاء إشعار بتجويز الإغفال عليه فيقع في ذلك
التذكير له والتنبيه باحتمال وجود الإهمال منه فيكون ذلك تنبيها
له وجميع ذلك محال على الحق تعالى عن ذلك علوا كبيرا فلأجل
هذه العلة كان ترك الطلب عند هؤلاء أدبا وقد سئل الواسطي
رضي الله عنه أن يدعو فقال أخشى إن دعوت أن يقال لي إن سألت
ما لك عندنا فقد اتهمتنا وإن سألت ما ليس لك عندنا فقد

اساءات الشتاء علينا وان رضيت اجرينا الكل من الامور ففيها
لك في الدهور وروي عن عبد الله ابن منازل رضي الله عنه انه قال
ما اعوذت الله منذ خمسين سنة وما اريد ان يدعو الي احد لانه موافق
على ما سبق وورود الفاقة اعياد المريدين الاعياد عبارة عن
الاوقات العائدة على الناس بالمسرات والافراح وهم يتقلبون في ذلك
فمنهم من مسرته وفرحه بوجود حظه ونيل شهوته وغرضه وهذا
هو حال عامة المسلمين ومنهم من مسرته وفرحه بفقدان حظوظه واعراض
امانيه واغراضه وهذا هو حال الخاصة من المريدين لان مدار امرهم
انما هو على مراعاة قلوبهم وتصفية اسرارهم من كدرات الاغيار
والاثار ولا يتاتى لهم ذلك الا بوجدانهم لما يبعثهم من ضروب الفاقة
وانواع الحاجة والضرورات فتراهم يؤثرون الفقر على الغنا والشدة
على الرخا والذل على العز والمرض على الصحة اذ يحصل لهم بذلك رقة
وحلاوة لا يعرف قدرها الا هم لانها من وجود القرب بهم ور
ويتم لهم حال بفقدان حظهم وكلما ازدادوا فاقة وبلاء
ازدادهم مولاهم قربة وولاء كان بعضهم يطوف حول الكعبة
وهو يقول : منزل يشتملني كما ترى ، وصبية باكية
كما تراه : وامرأتي عريانة كما ترى : يا من يرى الغنى بنا
ولا يرى : اما ترى ما حل بي اما ترى : قال في التنوير في البلايا

والفاقة

١٦٦

والفاقة من اسرار الالطاف ما لا يفهمه الا اولوا الابصار ثم
ان البلايا تمحو النفس وتذيبها وتدهشها عن طلب حظوظها
ويجمع مع البلايا وجود الذلة ومع الذلة تكون النصرة ولقد نصركم
الله ببدر وانتم اذلة وقال ابو سعيد ابراهيم الهروي رضي الله عنه
من اراد ان يبلغ الشرف كل الشرف فليختر سبعا عن سبع فان
الصالحين اختاروها حتى بلغوا سنام الخير ان يختار الفقر
على الغنا والجوع عن الشبع والدون على المرتفع والذل على العز
والتواضع على الكبر والحزن على الفرح والموت على الحياة وقد تقدم
عند قول المولف رحمه الله من تحر انعكاك لطبعه عن قدره فذاك
لقصور تكون الشيء بهذا المعنى من واجب اذا ان يكون
ورود الفاقات اعياد المريدين كما قال فاذا فقدوا ذلك
فيما تاتي الاسباب استشعروا وجود الحجاب وبعدهم
عن محل الاقتراب فحزنوا لذلك وتاسفوا ودوا لو عاد عليهم
الحال الاول ومن هذا المعنى ما حكي عن خير النساج رضي الله عنه
قال دخلت بعض المساجد فاذا فيه فقير فلما رءاني تعلق بي
فقال الشيخ تعطف علي فان محنتي عظيمة فقلت وما هي
فقال فقدت البلاء وقرنت العافية فنظرت فاذا هو قد فتح
عليه بشيء من الدنيا وقال بعضهم ان الفقير الصادق ليتحرز

من الغنا حذرا ان يدخله الغنى فيفسد عليه فقره كما
ان الغنا يتحرز من الفقر حذرا ان يدخل عليه فيفسد عليه غناه
وقد تقدم من حكايات عطاء السلمي في تقنع الموصلي والفضيل
ابن عياض والربيع ابن خثيم رضي الله عنهم ما يوافق ما ذكرناه
وانشدوا في ذكر اعياد المريدين والعارفين وقيل انها لابي علي الر
وذباري رضي الله عنه اربعة ابيات قالوا غدا العيد ماذا
أنت لابسه فقلت خلعة ساق حبه جرعا
أحرى الملابس أن تلقى الحبيب به فقر وصبر هما ثوباي تحتهما
قلب يرى إلفه الأعياد والجمعا أحرى الملابس أن تلقى الحبيب به
يوم التزاور في الثوب الذي خلعا الدهر لي مأتم إن غبت يا أملي
والعيد ما كنت لي مرأى ومستمعا ربما وجدت من المزيد
في الفاقات ما لم تجده في الصوم والصلاة ورود الفاقة
يحصل للمريد بها مزيد كثير من صفاء القلب وطهارة
السر وقد لا يحصل له ذلك بالصوم والصلاة لأن الصوم والصلاة
قد تكون له فيهما شهوة وهوى كما تقدم ومن كان هذا سبيله
لا يؤمن عليه من دخول الآفات في عبادته قلبية ولا تركية بخلاف
ورود الفاقات فإنها مباينة للهوى والشهوة على كل حال وقد
تقدم نحو من هذا المعنى عند قوله إذا فتح لك وجهة من التعرف

فلا تبال

فلا تبال معها ان قل عملك الى آخره الفاقة بسط المواهب
٦٦٧ الفاقات تحضر مع الحق فيلقيه على بساط الصدق فنا
هيك فما يكون في تلك المحاضرة والمجالسة من المواهب الربانية
والنفحات الروحانية ان اردت ورود المواهب عليك صحح
الفقر والفاقة لديك إنما الصدقات للفقراء هذا امتثال ما ذكر
الامر في ذكر الآيات عقبه إشارة في نكتة وتصحيح الفاقة والفقر هو
التحقق بأوصاف العبودية المذكورة في المسألة التي تأتي بأثر هذه
وما يتعلق بظاهر الآية التي استشهد بها المؤلف رحمه الله تعالى
على طريقة القوم قال بعضهم رحمه الله والفقير اخذ الصدقة ممن يعطيه
لا ممن يقبل اليه على يديه بالحق تعالى هو المعطي على الحقيقة
لأنه جعلها لهم فإن قبلها من الحق فهو العالي وفي فقره العلي
همته ومن قبلها من الوسائط فهو المتوسم بالفقر مع دناءة
همته تحقق بأوصافك يمدك بأوصافه تحقق بذلك يمدك
بعزه تحقق بعجزك يمدك بقدرته تحقق بضعفك يمدك
بحوله وقوته هذا مناسب لما ذكره المؤلف من الفاقات والمواهب
وقد تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله كن بأوصاف الربوبية
متعلقا وبأوصاف عبوديتك متحققا قال الشيخ سيدي أبو الحسن الشاذلي
رضي الله عنه بعد كلام ذكره وتصحيح العبودية بملازمة الفقر والعجز

والضعف والذل لله تعالى واضدادها اوصاف الربوبية فمالك ولها
فلازم اوصافك وتعلق باوصافه وقل من بساط الفقر الحقيقي
يا غني من للفقير غيرك ومن بساط الضعف يا قوي من للضعيف
غيرك ومن بساط العجز يا قادر من للعاجز غيرك ومن بساط الذل يا
عزيز من للذليل غيرك تجد الاجابة كانها طوع يدك واستعينوا بالله
واصبروا ان الله مع الصابرين انتهى كلام ابي الحسن وهو معنى ما ذكر المولف
هنا هنا واكثر كلام المولف جار على منهاج كلام ابي الحسن رضي الله عنهما
ونفع بهما وقال رضي الله عنه ربما رزق الكرامة من لم تكمل له
الاستقامة حقيقة الكرامة الحقيقية انما هي حصول الاستقامة
والوصول الى كمالها ومرجعها الى امرين صحة الايمان بالله عز وجل
واتباع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا فالواجب
على العبد الا يحرص الا عليهما ولا يكون له همة الا في الوصول اليهما واما
الكرامة بمعنى خرق العادة فلا عبرة بها عند المحققين اذ قد
يرزق ذلك من لم تكمل له الاستقامة قال شيخ ابو الحسن
الشاذلي رضي الله عنه انما هما كرامتان جامعتان محيطتان
كرامة الايمان بمزيد الايقان وشهود العيان وكرامة العمل
على الاقتداء والمتابعة والمجانبة للدعاوي والمخادعة فمن
اعطيهما ثم جعل يشتاق الى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب ذو خطا

في العلم

في العلم والعمل بالصواب كمن اكرم بشهود الملك على نعت الرضى
ثم جعل يشتاق الى سياسة الدواب وخلع الرضى وكل كرامة
لا يصحبها الرضى عن الله ومن الله فصاحبها مستدرج مغرور
او ناقص او هالك مثبور وقال شيخ ابو العباس المرسي رضي الله عنه
ليس الشان من تطوى له الارض فاذا هو بمكة او غيرها من البلدان
انما الشان من تطوى عنه اوصاف نفسه فاذا هو عند ربه وذكر
عند سهل بن عبد الله رضي الله عنه الكرامات فقال وما الايات
وما الكرامات هي شيء تنقضي لوقتها ولكن اكبر الكرامات ان
تبدل خلقا مذموما من اخلاق نفسك بخلق محمود وقال بعض
المشايخ لا تتعجبوا ممن لم يضع في جيبه شيئا فيدخل
يده في جيبه فيخرج منه ما يريد ولكن تعجبوا ممن يضع
في جيبه شيئا فيدخل يده في جيبه فلا يجد فلا يتغير وقيل
لابي محمد المرتعش رضي الله عنه ان فلانا يمشي على الماء فقال عندي
ان من مكنه الله تعالى من مخالفة هواه اعظم من المشي على الماء وفي الهواء
وقال ابو يزيد رضي الله عنه لو ان رجلا بسط مصلاه على الماء وتربع في الهواء
فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه في الامر والنهي وقيل له فلان
يقول انه يمر في ليلة الى مكة فقال الشيطان يمر في لحظة من
المشرق الى المغرب وهو في لعنة الله وغضبه وقيل له ان فلانا

يمشي على الماء فقال الحبتاري في الماء والطير في الهواء اعجب
من ذلك وقال الجنيد رضي الله عنه حجاب قلوب الخاصة الغفلة
برؤية النفع والتلذذ بالعطاء والسكون الى الكرامات وقد تقدم
نحو هذا عند قوله ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه
من علامة اقامة الحق لك في الشيء اذ اقامته اياك فيه مع
حصول النتائج لا اعتبار بما يقوم به العبد بنفسه من عمل او حال
وانما العبرة بما يقيمه فيه ربه وعلامة اقامة الله تعالى عبده
في الشيء ان يديمه عليه ويحصل له ثمرته ونتيجته وينبغي
على هذا اداب ومعاملات وقد اشرنا الى نحو من هذا عند قول المولف
رحمه الله ارادتك التجريد مع اقامة الله اياك في الاسباب الى اخره من عبّر
من بساط احسانه اصمتته الاساءة ومن عبّر من بساط
احسان الله اليه لم يصمت اذا اساء من شاهد احسان نفسه
من طاعة ربه وانبسط لسانه بالنصيحة والموعظة لعباد الله
فاذا وقعت منه اساءة ومخالفة انقبض عن ذلك وصمت لما
يعتريه من الخجل والحياء وهذه طريقة اهل التكليف الذين ينظرون
الى ما منهم الى الله تعالى من عمل صالح وطالح ومن شاهد احسان
الله اليه وغاب عن رؤية احسانه هو انبسط لسانه في الحالين
من غير فرق لان مشاهدته لوحدانية ربه وقيوميته اوجبت جرأته

على ذلك

على ذلك وقد قيل جرأة الجنان تطلق اللسان وتطلق العنان
وهذه طريقة اهل التعريف الذين ينظرون الى ما من الله اليهم
فلتعلم وما ذكرته هاهنا من طريقة التعريف والتكليف وما نبهت
به عليهما من الكلام اللطيف اشرت بذلك الى مسألة عظيمة مهمة
وينبني عليها اداب واحكام جمة وهي مسألة اختلاف احوال الناس مع
معاملتهم لربهم بحسب تباينهم في مراتب قربهم ومن احكامها مسألة
التعبير التي اقتصر المولف عليها في هذا الفصل ولم يذكر معها سواها مما
ينبني على ذلك الاصل وقد نبهت عليها في لطائف المنن وانا اجيء بكلام مستوعب
حسن من اثنائه ننقله هاهنا بكماله ليتبين به مقصدنا في تفصيله واجماله
قال فيه وقال رضي الله عنه يعني شيخه ابا العباس الناس على ثلاثة اقسام
عبد يشهود ما منه الى الله وعبد هو يشهود ما من الله اليه وعبد
يشهود ما من الله الى الله قال ومعنى كلام الشيخ هذا ان من الناس
من كون الغالب عليه شهود تقصيره واساءته فيقوم مقام
الخجلة بين يدي الله تعالى وتلازمه الاحزان وتتابعه الاشجان
ويستولي عليه الكمد كلما بدت له سيئة او كشفت له عن
اوصاف للسوء وعبد اخر الغالب عليه شهود ما من الله اليه
من الفضل والاحسان والجود والامتنان فهذا يلزمه المسرة
بالله والفرح بنعمة الله قال الله سبحانه قل بفضل الله وبرحمته

فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون فالاول حال العباد
والزهاد والثاني حال اهل المعرفة فلذلك قال الشيخ ابو الحسن
رضي الله عنه من عرف شدائد الزمان في الالطاف الجارية من الله
عليه وغفر اساءته في احسان الله اليه فاذكروا آلاء الله لعلكم
تفلحون وقال رضي الله عنه قليل العمل مع شهود المنة من الله
خير من كثير العمل مع رؤية التقصير من النفس وقال بعض اهل
المعرفة لا تجعلوا شهود التقصير من الشرك في التفكير وقال ابو الحسن
رضي الله عنه قرأت ليلة من الليالي قل اعوذ برب الناس الى ان انتهيت
الى قوله تعالى من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس
من الجنة والناس فقيل لي شر الوسواس يدخل بينك وبين حبيبك ينسيك
الطافه الحسنة يذكرك افعالك السيئة ويقلل عندك ذات
ويكثر عندك ذات الشمال ليعدل بك عن حسن الظن بالله ورسوله
الى سوء الظن بالله ورسوله فاحذر هذا الباب فقد اخذ منه
كثير من العباد والزهاد واهل الجد والاجتهاد ولذلك قل
ارفع الزاهد والعابد الا مكمودا حزينا لانه علم ان الله طالبه
بالعبودية وحمله اعباءها والزمه ما استصعبت السموات
والارض والجبال من حمله قال الله سبحانه انا عرضنا الامانة على
السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها

وحملها

وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا فعاين الزهاد ثقل ما
حملوا ولم ينفذوا الى شهود لطف الحامل للاثقال عن عباده
المتوكلين عليه فلذلك لزمهم الكمد واستولى عليهم
الحزن واهل المعرفة بالله علموا انهم حملوا من التكليف امرا
عظيما وعلموا ضعفهم عن حمله والقيام متى وكلوا الى انفسهم
قال الله عز وجل وخلق الانسان ضعيفا وعلموا انهم اذا رجعوا الى الله
تعالى حمل عنهم ما حملهم قال الله سبحانه وتعالى ومن يتوكل على الله
فهو حسبه فرجعوا اليه بصدق الرجعى فحمل عنهم الاثقال التكاليف
فساروا الى الله محمولين في محفات المنن مروحا عنهم بنفحات اللطف
والاخرون ساروا الى الله حاملين لاثقال التكاليف فتلازمهم المشاقة وتطال
بهم المسافات فان شاء ادركهم بلطفه فاخذ بايديهم من شهود
معاملتهم الى شهود سابق توفيقه لهم فطابت لهم الاوقات واشرقت
فيهم العنايات واما القسم الثالث وهم الذين هم مع الله تعالى بشهود
ما من الله الى الله هؤلاء هم اهل القوة فيه والداخلون في مذاهب التجريد
واهل القسم الاول هم الذين غلبت عليهم شهود ما منهم
الى الله لم يخرجوا عن باطن الشرك وان خرجوا عن ظاهره لانهم اقبلوا
على انفسهم موبخين لها شاهدين لتقصيرهم واساءتهم
فلو لم يشهدوا الفعل لها او منها ما توجهوا لها بالتوبيخ

اذا قصرت بذلك قال ذلك العارف الخ سبق قوله لا تجعلوا
لشهودك التقصير من الشرك في التقدير فاذا قلت اذا كان توبيخ النفس
يلزم دقيقة الشرك فكيف يصنع والله تعالى قد ذم النفس وامرنا
بتوبيخها اذا قصرت ووبخها هو اذا كانت كذلك فالجواب ان ذمها
لان الله امرك بذمها من غير ان تشهد لها قوة او تضيف اليها فعلا
تراها هي الفاعلة له واما القسم الثاني وهو الذي يشهد ما من الله
اليه فهو وان كان خيرا من القسم الاول لكنه ما سلم من اثبات شيء
لنفسه اذ ادعى انه نفسه مهدى اليها هدايا المحو فلولا اثباته لنفسه
ما شهد ذلك فالحاصل ان هذين المعيبين في اثار اهل الله القسم الثالث
ان يكون بشهود ما من الله الى الله فافهم انتهى كلامه رحمه الله ولجل
ما تضمنه من الفوائد الجليلة والمقاصد النبيلة دعانا قرب
المناسبة الى ذكره على ما هو عليه في هذا الموضع والله الموفق ولا رب غيره
تسبق انوار الحكماء اقوالهم فحيث صار التنوير وصل التعبير الحكماء
هم العارفون بالله تعالى العاملون به والانوار المنصوبة اليهم هي انوار
معرفتهم وهي قوة يقينهم بان الامور كلها بيد الله تعالى لا شريك له
فيها فاذا اراد ارشاد عباد الله تعالى ونصيحتهم باذن من الله تعالى
سبقت انوار قلوبهم الى الله تعالى بالالتجاء والافتقار اليه ان يتولى لهم
امر قلوب عباده بان يجعل فيها اهلية واستعدادا لقبول ما يريدون

ايرادا

ايرادا عليهم من كلام الحكمة فيجيبهم الى ذلك فاذا تكلموا به تلقته
١٧١ قلوبهم اليه ووصل اليها اثار انوار اسرار الحكماء كما تقبل الارض الميتة
وابل المطر فينتفعون بذلك اتم انتفاع وقد اوصى لقمان الحكيم ابنه فقال
يا بني ما بلغت من حكمتك قال لا اتكلف ما لا يعنيني قال يا بني انه قد بقي
شيء اخر جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله يحيي القلوب الميتة
بوابل السماء وانما قلنا ان الحكماء هم العارفون بالله تعالى العاملون به
لانهم خائفون من الله وفي تعظيم الاثر راس الحكمة مخافة الله عز وجل والخوف
من ثمرات العلم بالله قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء والعلم
الموجب للخشية هو العلم بالله تعالى فقط والحكماء هم العالمون بالله تعالى
وان كانوا ضعفاء في سائر العلوم الرسمية كالبلية المستحق في البيان عنها
كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز اللسان ترجمان القلب
فاذا صفا من الاكدار وتزكى من الاغيار واشرقت فيه الانوار كانت
ترجمانية لمعانيه بحسب ذلك فيتكلم بالكلام النوراني الذي يلج
في اذان السامعين فتنفتح به اقفال قلوبهم ويستجيبون بسببه لنداء
حبيبهم روى الحافظ ابو نعيم رحمه الله عن سعيد بن عامر كان قاصا
يجلس قريبا من مسجد محمد بن واسع فقال له يوما وهو يرى جلساءه
ما لي ارى القلوب لا تخشع والعيون لا تدمع وما لي ارى الجلود لا تقشعر فقال
محمد بن واسع يا عبد الله ما ارى القوم اوتوا الا من قبلك ان الذكر اذا خرج

من القلب وقع على القلب **قلت** وقد حاز المؤلف رحمه الله
نصيب السبق في هذا المعنى الذي ذكره ومن تأمل كلامه في هذا
الكتاب وفي غيره وحصل له التأثير المعهود يسلم ما قلناه وكفى
شهادة شيخه أبي العباس المرسي رضي الله عنه على عظم قدره ودعائه
له برهانا على ذلك **قال** في لطائف المنن وكنت قد قلت لبعض أصحاب الشيخ
في أبا العباس أريد أن ننظر إليّ الشيخ بعنايته ويجعلني في خاطره فقال
ذلك للشيخ فلما دخلت على الشيخ قال رضي الله عنه لا تطالبوا الشيخ
بأن تكونوا في خاطره بل طالبوا أنفسكم أن يكون الشيخ في خاطركم فعلى قدر ما
يكون عندكم تكونوا عنده ثم قال أي شيء تريد أن تكون والله ليكونن لك
كذا ألم أتحقق منه الا قوله ليكونن لك شأن عظيم قال فكان من فضل الله سبحانه
ما لا أنكره قال وأخبرني سيدنا جمال الدين ولد الشيخ قال قلت للشيخ
هم يريدون أن يجعلوا ابن عطاء في الفقه فقال هم يريدونه في الفقه
وأنا أريده في التصوف قال ودخلنا عليه فقال إذا جاء الفقيه ناصر
الدين فاجلسه في موضع جدي ويجلس الفقيه من ناحية وأنا من ناحية
وتتكلم إن شاء الله في العالمين ويكون ما أخبر به رضي الله عنه قال وسمعته
يقول أريد أن تنسخ كتاب التهذيب لو لا حجة الدين فذهبت أنا فما
استنسخته من غير أن علم الشيخ وأتيته بالجزء الأول فقال ما هذا
قلت كتاب التهذيب استنسختها لكي تأخذه فلما نظر ليقوم

قال

قال اجعل بالك الولي لا يتفضل عليه أحد تجد هذا إن شاء الله في حيز إتيانك
فلما أتيته بالجزء الثاني لقيني بعض أصحابه عند نزولي من عنده فقال قال الشيخ
عنك والله لأجعلنه عينا من عيون الله يقتدى به في علم الظاهر فلما أتيته
بالجزء الثالث ونزلت من عنده لقيني بعض أصحابه وقال أطلعت عند الشيخ
وجدت عنده مجلدا مما أحضر فقال هذا الكتاب استنسخه لابن عطاء الله
والله ما أرضى له بمجالسة جده ولكن بزيادة التصوف قال وأخبرني بعض أصحابه
قال قال الشيخ يوما إذا جاء ابن فقيه الإسكندرية فأعلموني به فلما أتيت
أعلمنا الشيخ بك فقال تقدم فتقدمت بين يديه ثم قال جاء جبريل عليه السلام
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ملك الجبال حين كذبته قريش فقال له
هذا ملك الجبال قد أمره الله أن يطيع أمرك في قريش فسلم عليه
ملك الجبال فقال يا محمد إن شئت أطبق عليهم الأخشبين فعلت
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ولكن أرجو أن يخرج الله من أصلابهم
من يوحد الله ولا يشرك به شيئا فصبر عليهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم رجاء أن يخرج الله من أصلابهم من يوحد الله كذلك
صبرنا على جد هذا الفقيه قال وخرجت يوما من عند الفقيه المكين
الأسمر وخرج معه أبو الحسن الحريري وكان من أصحاب الشيخ أبي
الحسن فسلمت عليه وسلم بهشاشة وإقبال فقلت له
من أين تعرفني وكيف لا أعرفك كنت يوما جالسا عند الشيخ

أبا العباس وكنت أنت عندي فلما نزلت قلت له يا سيدي
إنه ليعجبني هذا الشاب انقطع فلان وفلان من ملازمة وهذا
الشاب عازم فقال الشيخ لن يموت هذا الشاب حتى يكون
داعيا في عوالم الله فكان ما قال الشيخ رحمه الله قال وكنت
كثير ما يكرا على الوسواس في الطهارة فبلغ ذلك الشيخ فقال
بلغني أن بك وسواسا في الوضوء قلت نعم فقال هذه الطايفة
تلعب بالشيطان لا الشيطان يلعب بها ثم مكثت أياما ودخلت
عليه فقال وما حال ذلك الوسواس قلت على حاله قال إن كنت لا تترك
الوسوسة لا تعود تاتينا فشق ذلك علي وقطع الله الوسواس عني
قال وكان رضي الله عنه يلقى الوسواس فيستعمل الملاذ الخلاق
إن يشا يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز قال
وعملت قصيدة في امدحه بها فقال حين انشدت أيدك الله
بروح القدس قال عملت به قصيدة أخرى جوابا إلى القصيدة مدحه
بها انسان من بلاد الخليج فلما قرأت عليه قال رضي الله عنه
هذا الفقيه صحيح وبه مرضان وقد عافاه الله منهما ولا بد
أن يلقى وحده في العالمين فيشفيه الشيخ المرض الوسواسة
قال فلقد انقطع عني ببركته حتى صرت أخاف أن أكون اشتد
التوسع التي اجدها قد تساهلت في بعض الأمور الأخر

وكان في العلم

173

وكان في ألم براسي فشكوت ذلك إليه فدعا لي فعافاني الله وشفا
قال وبت ليلة من الليالي مهموما فرأيت الشيخ في المنام فشكوت
إليه ما أنا فيه قال اسكت والله لأعلمنك علما عظيما قال
فلما استيقظت جئت إلى الشيخ رضي الله عنه فقصصت عليه
الرؤيا فقال هكذا أتكون إن شاء الله تعالى قال وجاء يوما من السفر
فحضرت للقايه فلما سلمت عليه قال يا أحمد كان الله لك ولطف بك
وسلك بك سبيل أوليائه وبهاك بين خلقه قال فلقد وجدت
بركة هذا الدعاء وعلمت أنه لا يمكنني الانقطاع عن الخلق
وأن مراده في قوله وبهاك بين خلقه قال وكنت أنا من أمري من
المنكرين وعليه من المعترضين لا لشيء سمعته منه ولا لشيء
رأيته نقله منه حتى صرت بيني مقاولة وبين بعض أصحابه وذلك
قبل صحبتي إياه وقلت لذلك الرجل ليس في أهل العلم الظاهر هؤلاء
تدعون أمورا عظاما وظاهر الشرع يأباها فقال ذلك الرجل في
أن صحبت الشيخ تجد ما قال لي الشيخ يوم تخاصمنا قلت لا قال
دخلت عليه فلو أمنا قال لي هؤلاء كالحجر ما أخطاك منه خير مما
أصابك فعلمت أن الشيخ كوشف بأمرنا الخبر لقد صحبت الشيخ
اثنا عشر عاما فما سمعته شيئا ينكره ظاهر العلم من الذي
كان ينقل عنه من يقصد الأذى قال وكان سبب اجتماعي أن قلت في نفسي

بعد ان جرت المفاتحة بيني وبين ذلك الرجل حتى اذهب لي
هذا الرجل بصاحب الحوله امارة شانه قال فاتيت الى
مجلسه فوجدته يتكلم في الانفاس التي امر الشاب فيها
فقال الاول اسلام والثاني ايمان والثالث احسان وان شئت
قلت الاول عبادة والثاني عبودية والثالث عبودة وان
شئت قلت الاول شريعة والثاني حقيقة والثالث تحقق
ونحو هذا فما زال يقول وان شئت قلت الى ان بهر عقلي و
علمت ان الرجل انما يغرف من بحر فياض ومدد رباني فذ
ذهب الهم ما كان عندي ثم اتيت تلك الليلة الى المنزل فلم اجد
شيئا يقبل الاجتماع بالاهل على عادتي ووجدت معنا غريبا
لا ادري ما هو فانبعثت في مكان انظر الى السماء والى كواكبها
وما خلق الله فيهما من عجائب قدرته فحملني ذلك الى العود اليه
مرة اخرى فاتيته في سنوذ قلي فلما دخلت عليه
وتلقاني ببشاشة واقبال حتى دهشت فجلا و
استصغرت نفسي ان اكون اهلا لذلك فكان اول ما قلت
له يا سيدي انا والله احبك فقال احبك الله كما احببتني
ثم شكوت اليه ما اجده من هموم واحزان وفقد الحوال
نهر ان العبد في اربعة لا خامس لها النعمة والبلية والطاعة والمعصية

فان كنت

فان كنت بالنعمة فمقتضى الحق منك الشكر وان كنت بالبلية
فمقتضى الحق منك الصبر وان كنت بالطاعة فمقتضى الحق منك
شهود المنة عليك وان كنت بالمعصية فمقتضى الحق منك
وجود الاستغفار قال فخرجت من عنده وكانما كانت تلك
الهموم والاحزان ثوب نزعته قال ثم سألني بعد ذلك بمدة
كيف حالك فقلت افتش على الهم فلا اجده فقال

لَيْلِي مِنْ وَجْهِكَ مُشْرِقٌ وَظَلَامُهُ فِي النَّاسِ سَارِ
وَالنَّاسُ فِي سَدَفِ الظَّلَامِ وَنَحْنُ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ

الزم فوالله ان لزمت لتكونن من متتبعي المذهبين مذهب
اهل الشريعة اهل العلم الظاهر ومذهب اهل الحقيقة اهل
العلم الباطن انتهى ما نقلنا من كتاب المنن وانما اوردت ذلك
ها هنا على طوله ليعرف به قدر المولى وليقع بوضح برهانه
على الطاعن وتعسف المتعسف والتعرض بذلك لتنزل الرحمة
من الله تعالى علينا وموالاة نفحه لدينا وقد قيل عند ذكر
الصالحين تنزل الرحمة مع ما في ذلك من قرب المناسبة بينه
وبين ما اورد المولى رحمه الله من الكلام الجاري به قلم السبق
بين من ها هنا من ايمة الاعلام وامام شيخه ابو العباس
شيخ شيخه ابو الحسن قال ما اوضح من نار على علم وقد

ظهرت بكلامهما الكتب والدفاتر وزينت بمآثرهما
وعلومهما الألسنة والأقلام والصحف والمنابر ولولا
خشية الإطالة وكراهة الملالة لذكرنا من ذلك ما
يبهر عقول السامعين والمطالعين ويزعج أرباب الجا
حدين والمعاندين فيتبكتوا من ذلك أنفسهم أشرة
ودعهم مطوقاً بأذيال خيبتهم من أذن له في التعبير فهمت
في مسامع الخلق عبارته وجليت إليهم إشارته
المأذون له في التعبير هو الذي يتكلم لله وبالله وفي الله ولذلك
كان كلامه صوابا قال الجنيد رضي الله عنه الصواب كل
نطق عن إذن إشارة بهذا والله أعلم إلى قوله تعالى لا يتكلمون إلا من أذن
له الرحمن وقال صوابا فإذا فرغ أسماع السامعين فهمت في
مسامعهم عبارته فلم ينفروا ولم يعاندوا ولا نكروا وجليت
إليهم إشارته فلم يحتاجوا معها إلى الخطاب ولا كذلك حال
غير المأذون له في ذلك قيل لحمدون بن أحمد بن عمارة القصار
رضي الله عنه ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا قال لأنهم تكلموا
لعز الإسلام ونجاة النفوس ورضى الرحمن ونحن نتكلم لعز
النفس وطلب الدنيا وقبول الخلق وربما برزت الحقائق
مكسوفة الأنوار إذا لم يؤذن لك فيها بالإظهار

من

من لم يستكمل الأوصاف المذكورة لم يؤذن له في إظهار الحقائق
الربانية فإن أظهرها برزت مكسوفة الأنوار لما تشبعها من ظلمة
رؤية الأغيار فتمجها آذان السامعين وأنكرتها قلوبهم
وعلامة استكمال الأوصاف المذكورة أن يفتح له باب التعبير مع
وجود السلامة من آفات النطق قال في لطائف المنن من أجل مواهب
الله لأوليائه وجود العبارة قال وسمعت شيخنا أبا العباس
يقول الولي يكون مشحونا بالعلوم والمعارف والحقائق لديه مشهودة
حتى إذا أعطي العبارة كان كالإذن من الله له في الكلام قال وسمعت شيخنا
أبا العباس يقول كلام المأذون له يخرج وعليه كسوة وطلاوة وكلام الذي
لم يؤذن له يخرج مكسوف الأنوار حتى إن الرجلين ليتكلمان بالحقيقة
فيقبل من أحدهما ويرد على الآخر عبارتهم إما لفيضان وجد أو لقصد
هداية مريد فالأول حال السالكين والثاني حال أرباب المكنة والمحققين
إنما يقع التعبير منهم عما يطالعون به من الأمور الغيبية
والعلوم الاستشهادية لأحد معنيين إما حال غلبة الوجد عليهم
وفيضانه وهم معذورون في ذلك لوجود الغلبة وهذا حال السا
لكين من أهل البداية وإما لقصد هداية مريد فيلزمهم ذلك
لما فيه من فائدة الإرشاد والهداية وهذا حال أهل التمكين
والمتحققين من أهل النهاية فإن عبر السالك لا من غلبة وجد

كان في ذلك نوع من الدعوى وان عبر المتمكن من غير قصد
هذه اية مزيد كان فيه افشاء السر لم يؤذن له فيه و
ايضا فحاله يقتضي وجود الصمت وعدم النطق لانه
في حضرة الحق تعالى يلتقي ما يرد على سمع قلبه من عجايب
العلوم وغرايب الفهوم فكيف يصدر منه نطق
او تعبير على غير الوجه المذكور والصمت من ادب الحضرة
قال الله عز وجل وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا
همسا **فرق العبارة لعايلة المستمعين ولمن سلك الا**
انت لهؤلاء كل المستمعون موسومون بالفقر والحاجة
الى معنى ما يستمعون اليه من المواعظ والحكم وهو قوت
قلوبهم وغذاء ارواحهم كما ان المستطعمين والسؤال
موسومون بالفقر والحاجة الى اقوات ابدانهم وكما
ان اقوات هؤلاء مختلفة فلا يصلح للواحد من هؤلاء ما
يصلح للاخر من الاطعمة والاشربة لاختلاف طبايعهم وامز
جتهم فكذلك اقوات الاخرين مختلفة فلا يصلح لواحد
منهم من العبارات التي تتضمن وجود القوت المعنوي ما يصلح
للاخر لاختلاف مذاهبهم وتباين مطالبهم فاذا سمعت
عبارة من عالم او عارف او واحد من اهل هذه الطريقة

ومقط

١٧٧

وسمع تحط شعرا بشيء فيها على انها لا تصلح لقولها وغدا بك وهي لائقة
لقوم اخرين ومما يتضمن في هذا السلك ان يقرع اسماع
بعض الناس العبارة من بعض الاشخاص فيفهم منها معنى
لم يقصده المتكلم فيتاثر باطنه بذلك تاثيرا عجيبا وقد
يقع ذلك لجماعة من الناس فيفهم كل واحد منهم ما لا يفهمه الاخر
ويحصل لهم بذلك التاثير مع ان المتكلم لم يرد شيئا من ذلك
وربما كان مضادا له وقد يسمع ارباب القلوب من الجمادات و
يستمتعون به لصفي الحالات **قال** في لطايف المنن مما وقع
من اللفظ ما قصد واقع كما اخبرنا الشيخ الامام مفتي
الانام تقي الدين محمد بن علي القشيري رحمه الله تعالى كان
ببغداد فقيه يقال له الجوزي يقرأ اثنا عشر علما
فخرج يوما قاصدا المدرسة فسمع منشدا يقول
إذا العشرون من شعبان ولت فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب بأقداح صغار فقد ضاق الزمان على الصغار
فخرج هايما على وجهه حتى اتى مكة ولم يزل بها مجاورا حتى مات
وقرئ على الشيخ مكين الدين الاسمر فقال القايل يقول
لو كان لي مسعد بالراح يسعدني لما انتظرت لشرب الراح افطارا
الراح شيء شريف انت شاربه فاشرب ولو حملتك الراح اوزارا

يا من يلوم على هيفاء فاتنة خذ الجنان ودعني اصطلي النار
فقال انسان هناك لا تجوز قراءة هذه الابيات فقال الشيخ
مكين الدين الاسمر للقارئ اقرأ هذا رجل محجوب والشيخ
مكين الدين هذا هو الذي شهد له الشيخ ابو الحسن الشاذ
لي رضي الله عنهما بانه من السبعة الابدال قال ويشبه
في هذا ان ثلاثة سمعوا منادي ينادي يا سعتر بري فبعضهم
كل منهم مخاطبة من الله تعالى بمطالب بها في سره فسمع
الواحد اسع ترى بري وسمع الاخر الساعة ترى بره
وسمع الاخر ما اوسع بري فالمسموع واحد واختلفت
افهام السامعين كما قال سبحانه تسقى بماء واحد ونفضل
بعضها على بعض في الاكل وقال سبحانه قد علم كل اناس مشربهم
فاما الذي سمع اسع ترى بري فهو مريد دل على النهوض الى الله
بالاعمال فيستقبل الطريق بالجد وقيل له اسع الى الله
بحسن المعاملة ترى برنا بوجود المواصلة واما الثاني
فرجل سالك الى الله طاولته الاوقات فخاف ان تفوته الوصلة
فقيل له ترى [illegible] على قلبه لما احرقه نار الشوق الساعة
ترى بري واما الاخر فعارف كشف له عن سعة الكرم
فخوطب من حيث اشهده فسمع ما اوسع بري قال وقال
الشيخ

الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه دعانا بعض
الفقراء الى دعوة بين قناطر القناديل بمصر فاجتمع فيها جماعة
من المشايخ فقدم الطعام وثم اواني [illegible] والاوعية وهناك وعاء
زجاج قد اتخذ للبول ولم يستعمل فغرف فيه رب المنزل
الطعام والجماعة يأكلون واذا الوعاء يقول مذ اكرمني الله
بأكل هؤلاء السادة مني لا ارضى لنفسي ان اكون بعد ذلك محلا
للاذى ثم انكسر نصفين فقال الشيخ محيي الدين وقلت
للجمع سمعتم ما قال الوعاء قالوا نعم قلت ما سمعتم
فاعادوا القول الذي تقدم فقال قلت قال قولا غير ذا قالوا
وما هو قلت قال كذا قلوبكم قد اكرمها الله بالايمان
فلا ترضوا بعد ذلك ان تكونوا محلا لنجاسة المعصية وحب
الدنيا جعلنا الله واياكم ممن اوعى الحكم عنه والتلقي منه قلت
وهذه المنازع كلها مما يستملح ويستظرف وتتأثر بها
القلوب السليمة وتنقاد لها النفوس الكريمة وقد جرت عادة
ائمة هذا الطريق باستعمالها وايرادها في محلها فلا حرج
علينا اذا في ذكر بعض ذلك اذا كانت له مناسبة بما نحن وجدت
فيه فائدة لطافة او علامة وبالله التوفيق لا رب غيره وربما
عبر عن المقام من استشرف عليه وربما عبر عنه من حل

اليه وذلك ملتبس الا على صاحب بصيرة كما ان الواصل
الى مقام من مقامات اليقين يعبر عنه كذلك فيعبر عنه
من استشرف عليه ولم يتحقق فيه بالمنازلة والوصول
والتباس ذلك على من ليس له بصيرة ظاهرة واما ذو البصيرة
فلا يخفى عليه ذلك لانه يرى في الكلام صورة المتكلم البالغة
واما عليه من كمال او نقص وقد قيل تكلموا تعرفوا
لا ينبغي للسالك ان يعبر عن وارداته فان ذلك يقل عملها
في قلبه ويمنعه من وجود الصدق الواردات الالهية لا ينبغي
للسالك ان يعبر عنها اختيارا منه بل يخفيها ويصونها ولا
يطلع عليها احدا الا شيخا مرشدا الا ان يغلبه في ذلك لذة
وانشراحا تستغني به صفاتها فيقل بسبب ذلك عمل الواردات
في قلبه من التاثير المعهود ولاجل غلبة احكام نفسه و
ايثار حظه يمنعه ذلك من وجود صدقه مع ربه وقد
تقدم هذا المعنى في قوله استشرافك ان يعلم الخلق
بخصوصيتك دليل على عدم صدقك في عبوديتك لا تمدن يدك
الى الاخذ من الخلائق الا ان ترى ان المعطي فيهم مولاك فاذا كنت
كذلك فخذ ما وافقك العلم هذه قاعدة عظيمة يحتاج
اليها السالكون المتجردون ليبنوا عليها احوالهم

فيما يصل

فيما يصل اليه من الرزق على ايدي الخلق وقد ذكرها المؤلف
رحمه الله بعبارة بديعة وجيزة موجزة جمع فيها جملة
المعاني التي يحتاج اليها من ذكرناه فلنبسطه كلاما يليق به
على حسب عادتنا معه وعلى الوجه الذي ذكرناه في مقدمة هذا
التنبيه وهذا فصل تاتي جميع ما تكلمنا عليه من مسائل
كتابه ونقول على حسب ذلك ان الرزق المعتاد لهم — انظره
ينقسم الى قسمين احدهما رزق يصلون اليه باسباب من اعمال و
تصرفات كالتجارة والصناعة وغيرها وهذا حال اهل الاسباب
والثاني رزق يصل اليهم على ايدي الخلق من غير عمل ولا سعي وهذا
حال اهل التجريد ولكل واحد من القسمين اداب واحكام تخصه
فاحكام القسم الاول وادابه لم يتعرض لها المؤلف رحمه الله
وهي مذكورة في كتب الفقه وغيرها واجبة على كل من دخل في شيء
من الاسباب تحصيل علمه وعمله من حيث هو واحكام القسم
الثاني وادابه هي التي تعرض لها المؤلف واجمل رحمه الله جميع
ذلك في مراعاة شرطين وجعلهما من شرط صحة الاخذ الشرط
الاول ان يرى العطاء من مولاه عز وجل وهذا هو الاول وانما
اشترط في الاخذ لانه مقتضى حاله من تحقيق التوحيد وتحقيق
التجريد به يصح له مقام القناعة والتوكل ويسقط عن قلبه

همّ الرزق وتزول به عنه علاقة الخلق وان لم يكن على هذا
الوجه كان عند الناس مولها قلبه اليهم فيكثر طمعه فيهم
ومن عنده فيما في ايديهم واستشرافه اليهم فيقع بسبب ذلك
في كبائر الذنوب من معاصي القلب والجوارح مثل المداهنة والنفاق والرياء
والتصنع والتلبيس والغش وعدم النصيحة وقلة
الشفقة وغير ذلك من الصفات المذمومة المنافية للعبودية
لله عز وجل قال يحيى ابن معاذ رضي الله عنه من استفتح باب
المعاش بغير مفاتيح الاقدار وكل الى المخلوقين ولا ينفع في
تلك الرؤية المذكورة ان تكون علما وايمانا فقط بل لا بد ان يكون
حالا وذوقا ادعى بعض الناس شقيقا البلخي رضي الله عنه وكان
في جماعة من اصحابه نحو خمسين رجلا فوضع الرجل طعاما
واسعا وانفق نفقة كثيرة فلما قعدوا قال لهم شقيق
ان هذا الرجل يقول من لم ير اني صنعت هذا الطعام وقدمته
اليه فطعامي عليه حرام قال فقاموا كلهم وخرجوا الا شابا
كان فيهم قد نقصت مشاهدته عنهم فقال صاحب المنزل
لشقيق رحمه الله ما اردت بهذا قال اردت ان اختبر توحيد
اصحابي اي كلهم يرونه فيما صنع ولا ينظرون اليه فيما قدم
الا ذلك الرجل وحده وانما اشترطنا رؤية العطاء من الله
تعالى

تعالى ان تكون حالا وذوقا لان ذلك هو اللائق بحال المتسبب فيما ذكرناه
لان التسبب حال شريف لا يدخل فيه الا بالاختيار والتعمل لا لذلك من
اتباع هوى النفس وطلب الحظ والراحة وانما يقيم الحق تعالى فيه من
اراده به من اهل التقوى والمراقبة بعد كمال شغله بالله تعالى
وجد في الغرب من كان لا يقطعه عن الله فيفيئه فيسلبه الحق تعالى
من تدبيره واختياره ويكاشفه بوحدانيته في ايراده واصداره ويكون تركه
للاسباب بحكم الوقت واشارة الحال كما روي ان ابا حفص النيسابوري رضي
الله عنه كان حدادا فكان غلامه يوما ينفخ عليه الكير فادخل يده في النار
واخرج الحديد من النار فغشي على غلامه وترك ابو حفص الحانوت واقبل
على امره وكان يقول رضي الله عنه تركت العمل فرجعت اليه فتركني
العمل فلم ارجع اليه وقال ابراهيم الخواص رضي الله عنه لا ينبغي للصوفي
ان يتعرض للقعود عن الكسب الا ان يكون رجلا مغلوبا فاذا غلبته
الحال عن المكاسب واما من كانت الحاجة به قائمة ولم يقع له عزوف
يحول بينه وبين التكليف فالعمل اولى به والكسب بسببه حلال له
وابلغ لان القعود لا يصلح لمن لم يستغن عن التكليف وقال الشيخ
ابو عبد الله القرشي رضي الله عنه ما دامت الاسباب قائمة في النفس
فالاكتساب اولى قال بعض المنقطعين كانت لي صنعة جليلة
فاريد حتى تركتها فحالك في حد من ابن المعاش فهتف بي هاتف

بما اراد فقطع الرزق تستهنه في رزقه على ان اخذ منك ولي من اوليائه
ومنعاه من اعدائه وقد اشترط رسول الله صلى الله عليه وسلم
في صحة قبول العطاء عدم الاستشراف الى الناس وانما يصلح
هذا الشرط لمن ذكرناه من اهل التجربة لا لاحد من الوهبية المذكورة
روى زيد ابن خالد الجهني رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال من وجه اليه شيء من هذا الرزق من غير مسئلة
ولا اشراف فليأخذه وليوسع في رزقه فان كان عنده غنى فليدفعه الى
من هو احوج منه وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعطيني العطاء فاقول له اعطه يا رسول الله
افقر اليه مني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذه فتموله
او تصدق به وما جاءك من هذا المال وانت غير مشرف ولا
سائل فخذه وما لا فلا تتبعه نفسك فقال سالم فمن اجل ذلك
كان ابن عمر لا يسأل احدا شيئا ولا يرد شيئا اعطيه والاست
ستشراف الى الناس مذموم قادح في التوحيد لا ينبغي ان يأخذ
المريد عطاء على هذا الوجه وروي ان احمد بن حنبل رضي الله عنه
خرج ذات يوم الى شارع باب الشام فاشترى دقيقا ولم يجد
في الموضع من يحمله فوجد ابو بكر الحمال فحمله ودفع اليه
احمد اجرته فلما دخل الدار بعد اذنه له انقلب اهل الدار

قد خبزوا

قد خبزوا اما عندهم من الدقيق وتركوا الخبز على السرير ينشف
١٦١ فرءاه ابو بكر وكان يصوم الدهر فقال احمد لابنه صالح ادفع
الى ابي بكر من الخبز فدفع اليه رغيفين فردهما فقال احمد
ضعهما ثم صبر قليلا ثم قال خذهما فقبضهما فلحقه صالح فاعطاهما
فرجع صالح متعجبا فقال لاحمد عجبت من رده واخذه قال نعم يا
صالح لما رأى الخبز فاستشرفت نفسه فلما اعطيته اياهما مع
الاستشراف رد ثم بعد ما يئس دفعناه اليه بعد الاياس فقبله
واما الاستشراف الى الرزق مع قطع نظره عن الخلق فلا يخلو ذلك
لانه خلق ضعيفا ذا فاقة ورزقه معلوم لا بد منه فاستشرافه للرزق
في الحقيقة استشرافه الى الرازق ولا ينافي ذلك حقيقة العبودية
والمريد يكثر من الاستشراف الى الرزق وشغلت خاطره عن دوام
اعمال حضرة والمعاملات للمولى فليطرح ذلك عن قلبه جميعا
وليشتغل بما هو من التعلق والتوثق بالله سبحانه قال الشيخ
ابو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه كنت في بدايتي واقفا
بين العشاءين بين اصحابي وانا فارغ بلا سبب حتى جاءتني النفس
فقالت لي السلام عليكم قلت لها وعليك السلام فقالت لي العشا
يا دهقي فذاهبة فتوقفت لها ثم الهمني الله تعالى ان قلت
لها انت لها موضع قالت لا قلت لها اشر هو ومتى

هو قالت لا قلت انا رجل او عبد قالت عبد قلت لها ان العبد لا يقدر
على شيء ما هذا الكفر والشرك الذي انت تتقي به اهربي الى خالقك
فاطلبي منه العشاء لانه خالقك والقادر على كل شيء فيعطيك ويجيبك
لك ما طلبت فتطعمي وتاكلي انت وابي وما هذه الحيرة قال
فهربت الى خالقك فجاء عشاء متمكن كثير فاكلنا انا وكذا
فتح علينا ومن هنا تثبت الاقدام وذكر ايضا مسألة عجيبة مفيدة
تتضمن كيف يكون حال الفقير بالنسبة الى الرزق وما هو يحتاج اليه
فيتضمن الرجوع وجعلها من قواعد الفقر والارادة فرأينا ذكرها في هذا
الموضع من الواجب المتعين ليتحقق في العمل بها كل من يقف
عليها من مريد متجرد قال رضي الله عنه اعلم ان الفقير لا يخلو
اما ان يكون جالسا او ماشيا اما فاعدة الجالس ان
جلسته موضع البيت وهو مكانه وزمانه طرفا عبادته
ولا يتعداها ولا يكون التفاته لوقت ولا الى سبب معلوم
لانه لا يدري الاوقات ما هي ولا يحدها ولا يدري متى كان وقتها واعلم
ان جميع الاشياء تطلبه وتحتاج اليه لانها خلقت من اجله وهو
خليفة فيها وقد فرغ من جميعها فالالتفات والعمل فيها
دايل يكون هدفا للاقدار تجري عليه ولا كسب له ولا سببا
في التعطيل واما الماشي من الفقراء يكون في سفر او غيره

فلا يجوز

فلا يجوز لمنه شهوته مثاله ان يكون ماشيا فيخطر له الخفيف
والالتفات اليه من بلد او شيخ او مطعم او مشرب فيهلك و
١٨٦ يفتقر به العدو وتزل قدمه فان تمادى في التعلق بشيء من هذا
القواطع والشواغل او مشى الى شيء منها وقفه ومات قاتل نفسه
وذلك انه يكون في يوم صايف وهج وقد اصابه العطش الشديد
فيعرض له خيال الماء فيمشي في العدو فيروح عليه ان اسرع تلحق ذلك
الماء فيفتقد منه فيزول عطشك فان مشى اليها لهذا الخاطر
فيمشي في الموضع فيجده سرابا فيهلك بكثرة ويقول له الان
تموت فيقتل من ساعته فيموت قاتل نفسه اذا كان
جاهلا بربه وبآياته ولم يعرف دواء امراضه ولا تعلم العلم
ولا سأل العلماء ليقابله مع نفسه قال فحكمه اذا
جاءه هذا الخاطر ان لا يتزحزح من العدو في سفره من السرعة
الى الماء والركون الى الاعتبار من مفاز او اشتمال او غير ذلك
عن العدو وان الله يحلي بعد ان يوصل قبل الحاجة في الضرورة
يطعمه في ذلك ويسلمه له ايضا لقول النبي صلى الله عليه وسلم
من تأنى اصاب او كاد وقال من مشى الى الطمع فليمش رويدا
العجلة من الشيطان ومن عجل اخطأ او كاد ووجدنا في المولع
من مشى الى الطمع فليمش رويدا وقال من تأنى اصاب او كاد ومن عجل

اقتضاه كذلك والعجلة من الشيطان وهو من هذا الكثير فلا يشتغل
بشكراته كما يحتاج المتعبد والمتشكك بهذه القواعد من
العلم انهم ينقطعون ولا حجة عندهم غير الاستعانة بالله
تعالى والتعلق به ثم يقول ايضا اتنكر ان الله تعالى قادر على ان يطعمني
ويسقيني ان شاء يشبع في عينها الساعة فيقول هو الخالق
العليم فيقول له الشيطان بالضرورة نعم فاذا كان هذا كذلك فالله
سبحانه اعلم بمصالحي ومنافعي من كل مخلوق فاذا حصل هذا
العلم رجع بهيئة متأنيا بهمته مع خلوته ناظرا لما يرد
عليه من ربه فان وصل الى ما خطر له او لا او وصله من يعطيه ولم يجد له
ملاذا ولم يجد ما تعلق به خاطرا ولا من صاحب او طعام بقي على حاله
لا تغير عنده ولا تردادا ولا تردد في طمعه بالغد وقلة كما جعل
ايضا الشيطان بتغير الشيء وهذا انتهى ما اردنا ذكره من كلام
هذا الامام وهو عندي من تبسيط الكلام المغرب غاية المرام لما
تضمنه من المعاني البديعة والانفاس الرفيعة لما فيه من
تجريد التوحيد والادب المرضية من العبيد فهو جدير بان
يكتب ويدرس ويكمل به الغرض الذي نقصد والله تعالى اعلم
واما الشرط الثاني الا يأخذ الا ما يوافق العلم وهذا الشرط
لازم للتجريد ايضا قال الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه

وينبغي

وينبغي لمن لا تعلق له من الاسباب ان يتورع في اخذها
ويتخير المعطين لها كما يتخير اهل المكاسب في الاكتساب
لان الله تعالى في كل شيء حكما والقعود عن المكاسب لا يسقط
احكامها والقاعد عن الطلب لا يسقطه احكام الطلب ولان
ترك العمل عمل يحتاج الى علم ولم تكن سيرة الفقراء الصالحين
ان يأخذ من كل احد ولا في كل وقت ولا يأخذ اكثر ما يعطون
ما يزيد على كفايتهم الا ان يكونوا ممن يخرجون على غيرهم
انتهى فموافقة العلم التي ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى على قسمين
موافقة العلم الظاهر وموافقة العلم الباطن اما موافقة العلم
العلم الظاهر فلا يأخذ الا من يد بالغ عاقل تقي وفي الحديث
لا تأكل الا طعام تقي ولا يأكل طعامك الا تقي فلا يأخذ من يد
ظالم ولا عامل بالربا ولا جاهل بما يحل ويحرم من وجوه المكاسب
ولا يأخذ من يد صبي ولا عبد غير مأذون لهما ولا محتو واما
موافقة العلم الباطن فلا يأخذ الا ما كان على وجه الرجوع المعونة
فلا يأخذ الا ما هو محتاج اليه في الحال ولا غنى له عنه من ضروريات
وحاجته من غير اسراف ولا اقتار ولا بأس ان يأخذ ما يزيد على ذلك
ان كان في خلقه سخاء وبذلا وايثارا عنه النفس ولا يأخذ
ما يعطاه على جهة الابتلاء والاختبار اما الابتلاء فان

بل ان ياتيه قبل وقته او زايد على حاجته بل ان اخذ فالخروج
في اليسير ليلا يعريه ذلك من فتنة الاظهار واما الاختبار
فلا ياخذ شيئا كان فيه نوايا تركه لله من شهوة كان
مبتلا بها في طعمته او سرته ومتعته الفيام فقويه
فليبو به فعهد الله تعالى وليحذر مع ذلك من نفسه ان يخاف
انحلال عزمه وفساد نيته والميل الى ذلك فلياخذه وليخرجه
الى غيره وهذا اشد شيء على النفس وهو من اعلى درجات
الزهد ولا ياخذ من مكاس ولا مخمور ولا مظهر العطية ولا ياخذ
من يثقل على قلبه قبول عطيته وقد قيل لا تاكل الا من طعام من
يرى الفضل عليه في اكله ولا تاكل الا طعاما يرى صاحبه افضل
من الطعام وقد روي انه اهدي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
سمن واقط وكبش فقبل السمن والاقط ورد الكبش وكان
يقبل من بعض الناس ويرد على بعض وقال لقد هممت الا اقبل
الا من قرشي او انصاري او ثقفي او دوسي قال ابو طالب المكي
رضي الله عنه وفعل هذا جماعة من التابعين جاءت الى فتح الموصلي
رضي الله عنه صرة فيها خمسون درهما فقال حدثنا عطاء ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال من اتاه الله عز وجل رزقا من غير مسئلة
فرده فانما يرده على الله عز وجل ففتح الصرة واخذ منها

درهما

١٨٤

درهما ورد سائرها وكان الحسن يروي هذا الحديث عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وحدثنا عنه ان رجلا اهدى اليه كيسا فيه
الوف ورزمة فيها دقيق خراسان فرد ذلك وقال له بعض اصحابه
في ذلك فقال من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس شيئا
مثل هذا لقي الله تعالى يوم القيامة وماله عند الله من خلاق
وكان الحسن رضي الله عنه يقبل من اصحابه وكان ابراهيم التيمي
رضي الله عنه يسأل اصحابه الدرهم والدرهمين ويعرض عليه
غيرهم المئين فلا ياخذ وكان بعض العباد اذا دفع اليه بعض
اهل الدنيا الشيء فقال ضعه عندك وانظر في قلبك حالي كيف
انا عندك بعد الاخذ افضل او دون ذلك واصدقني فان قال انت عندي
الان افضل منك قبل ذلك او قال له انت عندي بعد الاخذ مثل كنت
قبل ذلك قبل منه وان اخبره بنقصان في قلبه لم يقبل منه وكان
بعضهم يرد على اكثر الناس صلاتهم ويتوقى في ذلك فقال ما ارد
عليهم الا اشفاقا عليهم ونصحا لهم يذكرون ذلك ويحبون
ان يعلم به فتذهب اموالهم وتحبط اجورهم وروي عن الاعمش انه
قال جاء شاب من العرب الى ابراهيم النخعي بالفي درهم فقال
يا ابا عمران خذ هذه الدراهم والله ما هي من سلطان ولا من
كذا ولا من كذا فقال ابراهيم بارك الله لك وجزاك خيرا فلما ولى

قلت يا ابا عمران وما منعك ان تاخذها والله ما لامراتي
قميص فقال سمعت ابا سليمان يقول كره هذا الشيخ من العرب
لم يحتمله النفس ولم يحتمله الادب فكره هذا ان يجلس في حبه فيقول
اعطيت ابرهيم الفي درهم فيحبط الله اجري وتذهب دراهمه
وممن ذهب الى هذا سفيان الثوري رضي الله عنه عليه كان
يشترط على بعض من كان ياخذ منه الا يذكر لا تشفقه
عليه لامر اجله بل من ذهاب اجره لانه تاول معنى قوله تعالى
لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى قال الحسن الذين يذكرون والاذى الذي ينكرون
وقال الجنيد رضي الله عنه للرجل الخراساني الذي جاءه بالمال وسأله
ان ياكله فقال الجنيد افرقه على الفقراء فقال الرجل انا اعلم
بالفقراء منك ولم اختر هذا فقال الجنيد وانا امل ان اعيش حتى
اكل هذا فقال اني لم اقل لك ان تنفقه في الخل والبقل انما قلت لك
ان تنفقه في الطيبات والالوان والحلاوة فكل ما تحب اسرع فكان احب الي
فقال له الجنيد ومثلك لا يجوز ان يرد عليه فقال فقال الرجل ما ببغداد
اعظم منة علي منك قال الجنيد وما ينبغي ان يقبل
الا من مثلك وكان السري السقطي رضي الله عنه
يوصل الى احمد بن حنبل رضي الله عنه الشيء فيرده فقال السري
يا احمد احذر افات الرد فانها اشد من افات الاخذ

فقال

فقال احمد اعد علي ما قلت فاعاده فقال احمد ما رددت عليك
الا وعندي قوت شهر فاحبسه لي عندك فان كان بعد شهر
فانفذه الي وعن الجماعة فلا ينبغي للمريد ان ياخذ الا من يد زاهد عارف
فبذلك يسلم من الافات ويكفى من جميع المؤونات قال ابو بكر
الزقاق رضي الله عنه منذ اربعين سنة اطلب هؤلاء فما رايت
ورعا الا صاحبا لهذا الامر بعضهم او ممن يحبهم ومن لم يحبه التقوى
والورع في هذا الامر اكل الحرام النص وان اراد ان يسال فليسال مثل هؤلاء
فليعمل قال ابو طالب المكي رضي الله عنه كان بشر بن الحارث رضي
الله عنه لا يقبل من الناس شيئا وكان بعضهم يقول احب ان اعلم من اين
ياكل فقال له من يخبر امره انا ادري من اين ياكل كان له صديق عاقل
يبعث اليه في العقل ولا يدري كان بعضهم لا يقبل الامر النكراء ولا يقبل
من الاتباع وهذا الصديق هو العاقل الذي كان يقوم بكفايته ولم يكن
يظهر امره ولا يلتقي معه هو السري مغلس السقطي رضي الله عنه
قال بشر ما سالت احدا قط شيئا من الدنيا الا السري لانه صح عندي
زهده في الدنيا فهو يفرح بخروج الشيء من يده ويتبرم
ببقائه عنده فاكون قد اعنته على ما يحب وكان السري
يوجه الى احمد بن حنبل رضي الله عنه في حاجته فيقبل منه
وكان اذا ذكر عنده احمد رضي الله عنه يقول ذاك المفتي المعروف

فطبيب الغدا انه ليعجبني امرا وان بلغت به الحاجة كل
مبلغ واشرف على الضعف وتحققت الضرورة وسال
مولاه جلم يقدر له بشيء ووقته يضيق عن الكسب لشغل
حاله فعند ذلك يقرع باب السبب ويسال عن دون هولاء
ممن جهل حاله جاء في الاثر من جاع ولم يسال فمات دخل
النار وقد سال الناس عند الحاجة والفاقة نبي الله موسى
والخضر عليهما السلام لقوله تعلى استطعما اهلها وكان
ابو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد رضي الله عنهما يسال
من باب او بابين بين العشاءين ويكون ذلك معلومه الى بعد
حاجته من يوم او يومين وكان له مقام في الزهد والتوكل
قال ابو طالب المكي ولم يعب هذا عليه عموم ولا خصوص ونقل عن
ابي سعيد الخرازي رضي الله عنه انه كان معتكفا بجامع البصرة
مدة وكان يفطر في كل ثلاثة ايام ليلة وليلة افطاره يطلب
من الابواب وكان الثوري يسال في البوادي من الحجاز الى صنعاء
اليمن وقال كنت اذكرهم حديثا في الضيافة قال فيخرجون الي
طعاما فاتناول حاجتي واترك ما بقي وليجتنب المريد
الاكل بالعين وقبول الربا والنسوان على قبيل كما يرد ما يعطاه
في الوجوه التي حكمنه بعدم الاخذ فيها وهو ايضا ياخذ من يده

كما تقدم

كما تقدم وهل الواد لذلك الا راد على الله تعلى فكيف يصح
ذلك فالجواب ان القيام بحق الشريعة والطريقة لا ينافيه ١٨٦
والتوحيد لا ينافي ذلك وقد قيل الكامل من لا يطفي نور
معرفته نور ورعه وكل باطن من العلم يخالفه ظاهر من الحكم
فهو مردود ووجه صحة الرد للعطاء عند مشاهدة التوحيد
كما هو اذ لا فرق في ذلك بين يد المعطي وبين الاخذ بكم ايشاه
الاخذ في الله تعلى في العطاء عند يد المعطي فياخذ ما يعطاه عند
موافقة العلم اتباعا لاذن الله تعلى وامره فيشهد فيه الله تعلى المنع
عند يده فيصمم بالرد عند مخالفة العلم فلا ياخذ لما لا يقبله اتباعا لما
نهي الله تعلى عن ذلك وعدم اذنه فيه كما فعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الكبش الذي اهدي اليه مع السمن والاقط وكما فعله
فتح الموصلي والحسن البصري رضي الله عنهما مع روايتهما الحديث
التي ذكر فيه ارد الهبة رد على الله تعلى وقد تقدم ذكرنا بلفظه
فبهذا يقع جمع ذلك الخيال والله تعلى الموفق لصالح الاعمال وانما اطلت
الكلام في هذه المسئلة لان الحاجة ماست اليها وليعلم من ذلك
ان جميع تفاريعها ومسائلها داخلة في كلام المولف رحمه الله
تعلى على حال ايجازه واختصاره وكلامه فيه من بديع الكلام
ومستحسنه ولشيخه ابي العباس المرسي رضي الله عنهم

في طاعته المنن قال رضي الله عنه للغنا اسباب وسببنا
نحن الايمان والتقوى قال الله سبحانه ولو ان اهل القرى امنوا
واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقد جود
المؤلف رحمه الله صياغته واحسن سياقته في مقصد الارشاد
والهداية وبما استحيا العارف ان يرفع حاجته الى مولاه
اكتفاء بمشيئته فكيف لا يستحيي ان يرفعها الى
خليفته تقدم ان من الادب ترك الطلب والسؤال من الله تعالى
اكتفاء بمشيئته ورضى بما هو قسمته ولكن العا
رفين المحققين يستحيون من الله تعالى في ذلك فكيف لا يستحيون
من مولاهم عز وجل عند سؤالهم للمخلوقين وهل ادبهم
في ذلك واستحياؤهم من رفعهم الاواجب عليهم فلا يسئلون منهم
شيئا ولا يرفعون اليهم حاجة لافتقارهم محتاجين ومولاهم
هو الغني الحميد وقد تقدم هذا المعنى عند قوله لا تتعدى نية
همتك الى غيره فالكريم لا تتخطاه الامال قال سهل بن عبد الله
رضي الله عنه ما من قلب ولا نفس الا والله مطلع عليه في ساعة
الليل والنهار فايما نفس او قلب راى فيه حاجة الى سواه سلط
عليه ابليس وقال الاستاذ ابو علي الدقاق رضي الله عنه من علامة
المعرفة ان لا تسئل حوائجك قلت او كثرت الا من الله سبحانه مثل موسى

عليه السلام

عليه السلام اشتاق الى الرؤية فقال رب ارني انظر اليك واحتاج
مرة الى رغيف فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير وحكى
الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه ان بعض الفقراء كان
في كل يوم يقف حذاء الكعبة بعد ما يطوف ما شاء الله
تعالى ويخرج من جيبه رقعة ينظر فيها فلما كان بعد ايام فعل
مثل ذلك ثم تباعد ومات فجاء من يرفعه ويتكلم في الرقعة
فاذا فيها واصبر لحكم ربك فانك باعيننا قال كان الرجل اصابته
الفاقة فصبر ولم يظهر حاله للمخلوق حتى مات قال ابو بكر الجوهري
رضي الله عنه كنت بعسقلان على برج من سورها فمر بي رجل عليه جبة
صوف متخرقة فقمت اليه مسلما وعلى الفقه وعلى السمة وبانت
معه في فنون من العلم وكان قد مال الى بيتين فقلت له لم
لا تسئل احدا ابتاع نعل يقيك الحفا فقال يا اخي لو دامت
بالجبال وحبس عين الشمس بالعقال ونقل ماء البحر بالغربال لهون
من موقف السؤال وان ترجى من المخلوقين النوال ثم اخرج لنا من
الحقيبة فانتهيا به الى صخرة منقورة فاذا عليها مكتوبة كاس
يعيشك وعري جيبك فان ضعف يقينك فاسئل المولى يكفيك
قال في التنوير واعلم رحمك الله ان من الهمة لسالكي طريق
الاخرة عن الخلق عدم التعرض لهم ان يبين لهم من الخلق العروض

وسلم احوج اليه من الماء فيا ايها المتجرد ومن خلعت
عليه خلعة الملك فحفظها وما فيها يجري بارادته ام له
ولا تسلب عنه والمدنس تخلع المواهب عن الافتقار له
فلا تدنس ايها الاخ ايمانك بطمعك في المخلوقين ولا
تجعل استمدادك الا من رب العالمين وكن ايها الاخ ابراهيميا
فقد قال ابوك ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه لا احب الافلين
وما سوى الله عز وجل آفل اما وجودا واما امكانا وقد قال سبحانه ملة
ابيكم ابراهيم فاتبعوا ملته فواجب على المومن ان يتبع ملة ابراهيم
ومن ملته رفع الهمة عن الخلق فانه يوم زج به في المنجنيق تعرض
له جبريل فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا واما الى الله فبلى
قال فسله قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فانظر كيف رفع
همته عن الخلق ووجهها الى الملك الحق فلم يستغث بجبريل
ولا احتال على السؤال من الله بل رأى ان ربه اقرب اليه من جبريل عليه
السلام ومن سؤاله فلذلك سلمه من نمرود ونكاله وانعم عليه
بنواله وافضاله وخصه بوجود اقباله ومن ملة ابراهيم معاداة
كل ما شغل عن الله وصرف الهمة بالود الى الله لقوله فانهم عدو
لي الا رب العالمين والعداوة وردت الدلالة عليه فخصوص اليأس
من الناس ولقد قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه ايست من

نفع

من نفع نفسي لنفسي فكيف لا ايأس من نفع غيري لنفسي ورجوت
الله لغيري فكيف لا ارجوه لنفسي وهذا هو الكيميا والاكسير
الذي من حصل له حصل له غنى لا فاقة فيه وعز لا ذل معه وانفاق
لا نفاد له وهي كيميا اهل الفهم عن الله قال الشيخ ابو الحسن
رضي الله عنه صحبني انسان وكان ثقيلا علي فباسطته يوما فانبسط
فقلت يا ولدي ما حاجتك ولم صحبتني قال يا سيدي قيل لي انك تعلم
الكيمياء فصحبتك لاتعلم منك فقلت له صدقت وصدق من حدثك ولكن
اخالك لا تقبل فقال بل اقبل فقلت له نظرت الى الخلق فوجدتهم
على قسمين اعداء واحباء فنظرت الى الاعداء فعلمت انهم
لا يستطيعون ان يشوكوني بشوكة لم يردها الله بي فقطعت
نظري عنهم ثم تعلقت بالاحباء فوجدتهم لا يستطيعون ان ينفعوني
بشيء لم يرده الله بي فقطعت ياسي منهم وتعلقت بالله
فقيل لي انك لا تصل الى حقيقة هذا الامر حتى تقطع ياسك منا
كما قطعته من غيرنا ان يعطيك غير ما قسمنا لك في الازل
وقال مرة اخرى لما سئل عن الكيمياء فقال اخرج الخلق من قلبك
واقطع ياسك من ربك ان يعطيك غير ما قسم لك فلا وليس
يدل على فهم العبد كثرة عمله ولا مداومته على ورده انما يدل
على نوره وفهمه غناه بربه وانحياشه اليه بقلبه وتحرره

عن الطمع وتحليه بتحلية الورع وبذلك تحسن الاعمال و
تزكوا الاحوال قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة
لها لنبلوهم ايهم احسن عملا فحسن الاعمال انما هو بالفهم
عن الله والفهم هو ما ذكرناه من الاعتناء بالله والاكتفاء به و
الاعتماد عليه ورفع الحوائج اليه والدوام بين يديه وكل ذلك
من ثمرة الفهم عن الله تعالى انتهى ما تعلق بغرضنا من كلام
صاحب كتاب التنوير وهو من كلام التفسير الخطير وانت رحمك
الله اذا تاملته بعين بصيرتك تاما لربك في علانيتك وسريرتك
علمت منه ان ما تقدمه على هذا الموضع وانه مستحسن هنا ابرازه
في هذا الموضع اذ هو متوقف بالايمان والتوحيد محتاج اليه
كل سالك ومريد لمن اراد حسن عاقبته وصرف الى العمل بمقتضاه
عقال عقابيه فقد تحقق بحقايق الايمان وكان من ولاية الله تعالى
بمكان ومن اهمله وضيعه وجهل قدره وموقعه فيخشى عليه
من الوقوع في الشرك الخفي والجلي وان يستحق ان يطرد عن باب
مولاه العلي فيقوى طمعه في الخلق ويضيق عليه متسعات
ابواب الرزق كما قال بعض العارفين المكاشفين رضي الله عنه
قيل لي في نوم كاليقظة او يقظة كالنوم لا تبدين فاقة
الى غيري فاضاعفها عليك مكافاة لك بسوء ادبك

وجوه خروجك عن حدك في عبوديتك انما ابتليتك بالفاقة
لتفزع الى منها وتتضرع بها لدي وتتوكل فيها علي
سبكتك بالفاقة لتصير ذهبا خالصا فلا تزيفن بعد السبك
وسمتك بالفاقة وحكمت لنفسي بالغنا فان وصلتها
بي وصلتك الرزق على ايد الخلق ومن تقطع همته عن الخلق ابكن
سؤال ولا طلب يحكى عن حماد بن سلمة رحمه الله انه قال
كان في جوار امرأة ارملة لها ايتام وكانت ليلة ذات مطر
فسمعت صوتها تقول يا رفيق ارفق قال فنظرت ما لها انها
اصابتها فاقة فصبرت حتى احتبس المطر فحملت معي عشرة
دنانير ودققت عليها الباب فقالت حماد بن سلمة فقلت
نعم فقلت كيف الحال فقالت بخير وعافية احتبس المطر
ودفي الصبيان فقلت خذي هذه الدنانير واصلحي بها
بعض شانك قال فصاحت بنية لها خماسية اتريد يا حماد
ان تكون بيننا وبين محبوبنا واسطة ثم قالت لامها انما
رفعت صوتك باظهار السر علمنا ان الله يؤدبنا باظهار
الرفق على يد مخلوق وذكر ان الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي
عن عباس ابن دهاق قال كنت عند بشر بن الحارث رضي الله عنه
وهو يتكلم في الرضى والتسليم فاذا هو برجل من المتصوفة

فقال له يا با نصر انقبضت عن اخذ البر من الخلق فاقم
الحال فان كنت متحققا بالزهد منصرفا عن الدنيا فخذ
من ايديهم لينتفي جاهك عنهم واخرج بما يعطونك الى الفقراء
وكن بعقد التوكل تاخذ قوتك من الغيب فاشتد ذلك
على اصحاب بشر فقال بشر اسمع ايها الرجل الجواب الفقراء
ثلاثة فقير لا يسأل وان اعطي لا ياخذ فذلك من الروحانيين
اذا سال الله تعالى اعطاه وان اقسم على الله ابر قسمه
وفقير لا يسأل وان اعطي قبل فذلك من اوسط القوم عقده
التوكل والسكون الى الله تعالى وهو ممن توضع له الموائد
في حظيرة القدس وفقير اعتقد الصبر ومدافعة الوقت فاذا
طرقته الحاجة خرج الى عبيد الله وقلبه الى الله بالسؤال
فكفارة مسألته صدقه فقال الرجل رضيت رضي الله عنك

وقال رضي الله عنه اذا التبس لك امران فانظر اثقلهما
على النفس فاتبعه فانه لا يثقل عليها الا ما كان حقا
هذا ميزان صحيح باعتبار غالب الانفس لانها مجبولة على
الجهل والشره وشان النفس ابدا انما هو طلب الحظوظ والفرار
من الحقوق كما تقدم عند قوله حظ النفس في المعصية ظاهر
وحظها في الطاعة باطن خفي فاذا وجد المريد مثلا وظيفة

عند

عند بعض الاعمال دون البعض اتهمها وترك ما مالت اليه
ووقف عليها وعمل ما استثقلته قال بعض العارفين منذ
عشرين سنة ما سكن قلبي الى نفسي ساعة وسكون القلب
الى النفس هو اتباعه لما خف عليها دون الاثقل وهو معدود عندهم
من تعلق القلب ومن خفي عليه شيء من دواعي الهوى واشكل لا يوصل
عليه من مثل هذا اذ آفة العمل على النفس انما تكون لاجل موافقة
هواها وهواها لا يميل ابدا الا الى الباطل فاذا التبس عليك امران
واجبان او مندوبان ولم تعلم ايهما اوجب او افضل لتقدمه
على الاخر فانظر اثقلهما على نفسك فاعمل به وانما قلنا
باعتبار غالب الانفس لان النفس المطمئنة لا توصف بالجهل
ولا بالشره فقد يخف عليها الحق ولا يدل ذلك على انه باطل
فليكن نظر العبد حينئذ الى ما هو اكثر فائدة واعظم مزيدا
فليقدمه على غيره وقد ذكر الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه
حكاية عجيبة في شره النفس عن كونها لا تميل الا الى الباطل
قال حدثني بعض اخواني عن بعض هذه الطائفة قال قدم علينا
بعض الفقراء فاشترينا من جارنا جملا مشويا ودعونا اليه
جماعة من اصحابنا فلما مد يده اخذ لقمة وجعلها في
فيه ثم لفظها ثم اعتزل وقال كلوا انتم فانه قد عرض لي عارض

فيستغني من الاكل وقلنا لا ناكل الا شيئا اكلو فقال انتم اعلم
اسالنا فغيره اكل ثم انصرف قال وكرهنا ان ناكل دونه
فقلنا الود بعوتنا الشواء فسالناه عن اصل هذا الحال فلعل
له سببا مكروها فدعوناه فلم نزل به نسئله حتى ذكر انه
كان فتنة وان نفسه تشوقت الى بيعه فرحا على ثمنه فسوا
ودا بي انفكم اشتقر فقولوا قال فعرفنا الكلاب قال ثم اني
لقيت الرجل بعد وقت فسالته لاي معنى ترك اكله ولاي عارض
فقال اخبرك ما شرهت نفسي الى نفسي منذ عشرين فهمنة
للرياضة التي رضتها به فلما قدم الي هذا شرهت نفسي
اليه شرها ما عهدته قبل ذلك فعلمت ان الطعام علة فتركت
اكله لاجل شرة النفس اليه قال الشيخ ابو طالب المكي رحمه
الله كيف انتفع بشرة النفس المراقبة عرفته وحدها
ثم استطاع التوقيف والحذر لان فهم العالم بالورع وترك
الجاهل مع شرة النفس بالحرص وترك المراقبة فعن البايع
للجهل وعن الاخرون للتوقيف فحسن الادب وهو قمع شرة
النفس عن الاكل بعد طاحنهم ثم تدورك البايع وقوعه
بعدو المشتري وحبسه نيته انتهى وثم ميزان اخر
اصح واكثر تحقيقا من الاول وهو ان يقدر نزول الموت به

فاي عمل

فاي عمل يحضره او يكون مشتغلا به اذ ذاك فهو هو وما
عداه باطل قال في اللطايف الفقر والموت ميزان على الافعال
والاحوال كما هو ميزان في دايرة الرتب احال الرتب فحكما تقدم
انه علامة صحة مرتبة الولاية وليعلم الافعال والاحوال فاذا
التبس عليك امر لا تدري هل يرضي الله تعالى تركه او فعله
او حالة انت فيها لا تدري هل قمت فيه بحق او قمت فيها بهوى
فاردد الموت على حالة انت فيه من افعال او احوال فكل حال وعمل
يثبت مع تقدير الموت عليها ولم تنهزم فهو حق وكل حالة
وعمل تهزم مع الموت فهي باطل اذ الموت حق والحق يهزم الباطل
ويدمغه لقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق
قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب قل جاء الحق وزهق الباطل ان
الباطل كان زهوقا وما كنت فيه فانما حق ولم يهزمه الموت
اذ هو حق والموت حق والحق لا يهزم الحق قال وقد تجاريت الكلام
انا وبعض من يشتغل بالعلم في انه ينبغي اخلاص النية فيه ولو
لا يشتغل به الا لله فقلت الذي يقرر العلم لله هو الذي اذا قلت
له غدا تموت لا يضع الكتاب من يده انتهى قلت وهذا الميزان
فصل الخطاب ونهاية الصواب فان العبد في هذه الحالة لا يصدر منه
الا العمل الصالح الخالص من شوايب الرياء ومعارضة حظ النفس

واتباع الهوى وهذا هو المطلوب من العبد ولا يستتب
له ذلك الا ان يتحقق بما يقدر من حلول الموت وحصول
الفوت وهذا هو معنى قصر الامل الذي هو اصل حسن العمل
وهو الا يقدر لنفسه وقتا ثانيا يكون فيه حيا وعند هذا
يخلو عمله من الآفات ويتطهر من انواع الرعونات لان توقع الموت
في كل نفس ولحظة يهدم عليه جميع ذلك كما ذكر المؤلف رحمه الله
تعالى وكل عمل استرسل فيه صاحبه غافلا عن تقدير وقوع ذلك
ان لم يكن متحققا به لا يسلم مما ذكرناه فاذا يجيد من الاخلاص من
ياخذ في علم غيره متعين عليه الاخذ فيه لا يحقق ثمرته الا في ثاني
حال ويكون في حالة الراهنة متمكنا من ايقاع طاعة تربية
مصلحتها على مصلحة ما اخذ فيه من العلم فيفوت ثوابها ويتجز
له حصول التقرب بها الا في ذلك فوت نفسه ووقوع حقه ونهاية
ذلك انه قد يعرض له في حال الاخذ فيه غرض دنياوي فيكون
احتظ نفسه به اكثر فيفقده على ما كان اخذ فيه
ويشتغل فيه من غير مبالات بما يفوته من ذلك وانما
هو نابغة الاخذ ليعمل فيه تعلم المتعلم وتعليم المعلم
جار الامر فيهما واحد وكل عمل لا اخلاص فيه ليس بالله
ولا لله مردود على صاحبه مضروب به وجهه وبهذا

يتبين

يتبين لك غرور اكثر الخلق في علومهم واعمالهم الا من رحمه
الله تعالى ولهذا نشاهد اكثر الناس عند نزول الموت
بهم يندمون على ما اسلفوه من عمل ويودون لو انسي لهم
في الاجل وهيهات هيهات فنعوذ بالله من الغفلة في زمان
المهلة فانها مبدا كل عمل فاسد ومنشا وجود الضرة والجهالة
لكل عالم وجاهل ومما ذكرناه من معرفة اختلاف درجات المصالح
ليقدم الفاضل منها على المفضول لا يصح الا لمن ايده الله بنور اليقين
وحمله على التطبيق له في الدين وكان له حظ وافر من الخوف والحذر
ومواقفة الرفيق مولاه في كل ورد وصدر ولا شك ان هذه الرتبة
عزيزة المنال معتمد ادراكها على الاحاد من الرجال وسبيل من لم يصل
اليها مما ذكرناه اذا كان منقبضا ان يستعين بنظر من هو افع
منه حالا واصوب مقالا وفعالا ويفوض جميع امره اليه ويجعله
استشارته في كل ما يشير به عليه وعلامة انتفاعه وجود اتهامه
لنفسه وعدم اعتماده على عقله وحدسه ومن لم يكن منطبعا
في الكلام معه باسد وضرب في حديد بارد وسياتي مزيد تنبيه
على غرور الاخذين في العلم في موضع اليق من هذا والله ولي التوفيق
من علامة اتباع الهوى المسارعة الى نوافل الخيرات و
التكاسل عن القيام بالواجبات هذا من الصور التي يتبين

فيها خفت الباطل وثقل الحق على النفس وما ذكره هو حال
اكثر الناس ترى الواحد منهم اذا اعتقد التوبة لا همة
له الا في نوافل الصيام والقيام وتكرار المشي الى بيت الله الحرام
وما اشبه هذا من النوافل وهو مع ذلك غير منتبه لما فرط
فيه من الواجبات ولا متحلل مما لزم ذمته من الظلامات والتبا
عات وما ذلك الا لانهم لم يشتغلوا برياضة انفسهم
التي خدعتهم ولم يجاهدوا اهواءهم التي استرقتهم
وملكتهم ولو انهم فعلوا ذلك لكان لهم فيه اعظم شغل ولم يجدوا
سعة لشيء من التطوعات والنفل قال بعض العلماء من
كانت الفضائل اهم اليه من اداء الفرائض فهو مخدوع وقال
محمد بن ابي الورد رضي الله عنه هلاك الناس في حرفين
اشتغال بالنافلة وتضييع فريضة وعمل بالجوارح بلا مواطأة
القلب عليه وانما حرموا الوصول لتضييعهم الاصول وقال
الخواص رضي الله عنه انقطع الخلق عن الله بخصلتين احداهما
انهم طلبوا النوافل وضيعوا الفرائض والثانية انهم عملوا اعمالا بالظا
هر ولم ياخذوا انفسهم بالصدق فيها والنصح لها وابا ان يقبل
من عامل عملا الا بالصدق واصابة الحق قال الشيخ ابو طالب المكي
رضي الله عنه ولا يفضل شيء العبد معرفته بنفسه وخوفه

على حدا

على حدا والمكاسبة بحاله التي اقيم فيها وابتداؤه بالعمل بما
افترض عليه بعد اجتنابه وما نهى عنه يحكم بهذين جميع
ذلك وورع يحجزه عن الهوى في ذلك ولا يشتغل بطلب فضل
حتى يفرغ من فرض لان الفضل لا يصح الا بعد حوز السلامة كما لا يحصل
الربح للتاجر الا بعد حصول راس المال فمن تعذرت عليه السلامة كان
من الفضل ابعد والى الاغترار اقرب اليه قيد الطاعات باعيان الاوقات
كي لا يمنعك عنها وجود التسويف ووسع عليك الوقت
كي تبقى لك حصة الاختيار انعم عليك بما امرك به من الطا
عات الموقتة بالاوقات لتوقعها فيها فتحوز ثوابها
ولو لم يجعل ذلك لسوفت عنها ولم تعملها حتى تفوت فيفوتك
ثوابها والنعمة الثانية توسيع اوقاتها عليك ليبقى لك نصيب
من الاختيار حتى تاتي بالطاعات بحال الشكور وتعملها من غير حرج
ولا ضيق فله الحمد على نعمه علم قلة نهوض العباد الى معاملته
فاوجب عليهم وجود طاعته فساقهم اليه بسلاسل الايجاب
عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل لما علم الله تعالى
قلة نهوض العباد الى معاملته الواجبة له عليهم من اقامة العبودية
لمشاهدة الربوبية بحال طوعية منهم اذ في ذلك قرة اعينهم
وغاية نعيمهم وجب عليهم وجود طاعته على حال كراهية منهم

كما جبل بالخوفهم به ان لم يفعلوا جميعا فهم بسلاسل اجتذابه و
تحذيرهم اليه واستدرجهم بذلك الى ما فيه نعيمهم ومالا
علم لهم به ويفعل بهم ما يفعل بالصبي الاعرابي كيف يؤدب
ويضرب على استمرار سواله على مقتضى طبعه وجبلته ويلزم
امورا شاقة عليه يفعلها وهو كاره لذلك والغرض انما
هو حصوله على منافعه التي هو جاهل بها ابتداء اكبر وعقل عرف
ذلك عيانا وقد عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل اي
يعلم باسارى الكفار حيث يمنعهم الدخول في الاسلام فيقادون
الى الجنة بالسلاسل رفقا بهم وهذا حديث يروى عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهذا في عجب الصحيح قوله فيقادون الى الجنة بالسلاسل فلنيت
وتعبير المولف رحمه الله بالسلاسل والسوابها واستعاله ذلك في التكاليف
الواجبة التي الزم العباد القيام بها من بديع الاستعارات الحسان
قال الشاعر وهو ابو خراش الهذلي وَلَيْسَ كَعَهْدِ الدَّارِ يَا أُمَّ مَالِكٍ
وَلَكِنْ أَحَاطَتْ بِالرِّقَابِ السَّلَاسِلُ وذلك تمثيله بالحديث المذكور
وفيه ذلك الاشارة به اي مقصوده بغاية الحسن قال بعض
العلماء يجوز ان يكون معنى التعجب المنسوب الى الله فيه
المقصود عجب هذا الامر لخلقه لانه بديع الشان وهو ان الجنة
التي اخبر الله تعالى بما فيها من النعيم المقيم والعيش الدائم فيه

والخلود

والخلود فيه الذي من حكم من سمع به من ذوي العقول يسارع
اليها ويبذل مجهوده في الوصول اليها ويتحمل المكاره والمشا
قات لينالها يتقاعسون عن ذلك ويبرمون عنها ويزهدون
فيها حتى يقادون اليها بالسلاسل كما يقاد الى المكروه العظيم
الذي تنفر منه الطباع وتالم منه الابدان وتكرهه النفوس وقد
قرا جماعة من القراء بل عجبت ويسخرون بضم التاء وفي حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله من فلان وفلانة في قصة
الانصاري الذي قال لامراته اكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو حديث صحيح مشهور بالتعجب منسوب الى الله قد
ورد في الكتاب والسنة فهو اذا من الصفات السمعية اوجب
عليك وجود خدمته وما اوجب عليك الا دخول جنته هذه
عبارة حسنة موافقة لمعنى ما تقدم والمقصود من هذا
كله الاعلام بان الله تعالى غني عن خلقه لا تنفعه طاعتهم
ولا تضره معصيتهم وان التكاليف كلها انما اوجبها عليهم
لما يرجع اليهم من مصالحهم لا غير فلقف وما ذكره المولف رحمه الله
هو حال عامة الناس الذين من شانهم التاخر وعدم الانقياد
للاوامر والنواهي ولذلك احتاجوا الى التخويف والتحذير والموا
لات للحكمة المبالغة في التذكير واما الخاصة منهم فلم يحتاجوا الى ذلك

من ذلك لان الله تعالى شرح صدورهم ونور بصائرهم وكتب
في قلوبهم الايمان وحبب اليهم الطاعة وبغض اليهم
العصيان فلم يقتصروا على ما اقتصر عليه المذكورون من فعل
الواجبات واجتناب المحظورات فقط بل اضافوا الى ذلك المبادرة
الى امتثال الطاعات والمسارعة الى نوافل الخيرات وبالجملة صارت اعمالهم
قربات وذلك لتمام حريتهم وصحة عبوديتهم نعم العبد صهيب
لو لم يخف الله لم يعصه قال الشيخ وانما جعل سبحانه الايجاب
على العباد علما منه بما هم عليه من وجود القصور وبما نفوسهم
منطبعة به من وجود الكسل فاوجب عليهم ما اوجب لانه لو خيرهم
فيما اوجب عليهم لم يقوموا به فلم يبق لهم خطبا وقليل ما هم
فاوجب عليهم وجود طاعته وفي التحقيق ما اوجب عليهم الا دخول
جنته فساقهم اليه بسلاسل الايجاب عجب ربك من قوم يساقون
الى الجنة بالسلاسل قال واعلم رحمك الله ان معظم الواجبات جزائيا
المولى سبحانه جعل في كل ما اوجبه تطوعا من جنسه في الانواع
كان يكون ذلك التطوع من ذلك الجنس جابرا لما عساه ان يقع من الخلل
في قيام العبد بالواجبات وكذلك جاء في الحديث انه ينظر الى فروض
صلاة العبد فان نقص منها شيء كمل من النوافل في قيم رحمه الله
هذا ولا تكن مقتصرا على ما اوجب الله عليك بل اكثر فيك ما خففه حب

توجب

توجب التكاليف على معاملة الله بما يجب عليك ولو كان العباد
لا يجدون في موازينهم الا ثواب فعل الواجبات وثواب ترك المحرمات
لكان فيهم من الخير والمنة ما لا يحصره حاصر ولا يحوزه حائز فسبحان
الفتاح للعباد باب المعاملة والمهيئ لهم اسباب المواصلة قال
واعلم ان المولى سبحانه علم ان عباده ضعفاء واقوياء فاوجب
الواجبات وبين المحرمات فالضعفاء اقتصروا على الاتيان بما اوجب
والترك لما حرم والبعض قلوبهم من سلطان الحب ووجود الشوق عما
يحملهم على المعاملة من غير ايجاب فمثلهم كمثل العبد يعلم السيد
منه انه ان لم يختبره لم يصل اليه شيء فلذلك وقت سبحانه الاوراد
ووظف وظائف العبودية وعرفها بذلك الطالع والغارب والزوال والغروب
فصل لكل شيء مثله في الصلاة وبالحول في الاموال النامية للعين والماشية
وبوقته حصول المنفعة في الزرع وفي اتيانه حقه يوم حصاده وبالعشر
ذي الحجة في الحج وبشهر رمضان في الصيام فوظف الوظائف ووقتها
وجعل للنفوس مرتعا سواها في فسحة الحظوظ والسعي في الاسباب
واهل الله اهل الفهم عن الله جعلوا الاوقات كلها وقتا واحدا والعمر
كله نفسا الى الله واحدا فجعلوا الوقت كله له فلم يجعلوا شيئا
منه لغيره ولذلك قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه عليك بورد واحد
وهو اسقاط الهوى ومحبة المولى ابت المحبة ان تستعمل محبا

الا فتحوا ابواب محبوبه وعلموا ان الانفصال من اهانة الحق عندهم ووفوا
بقه لديهم فعلموا انهم مطالبون برعايتها فوجب رجوعهم
لذلك وكما ان له الربوبية الدائمة كذلك حقوقية ربوبيته
عليك دائمة فربوبيته غير موقتة بالاوقات فحقوقية ربوبيته
ينبغي ايضا ان تكون كذلك قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه ان لكل
وقت سهما في العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية انتهى
من استغرب ان ينقذه الله من شهوته وان يخرجه من وجود غفلته
فقد استعجز قدرة الالهية وكان الله على كل شيء مقتدرا متى
استغرقته الشهوات واستولت عليه الغفلة فلا ينبغي له ان يستغرب
ان ينقذه الله من اسر شهوته وان يخرجه من وجود غفلته لما يشاهد
من استحكام ذلك فيه فان في ذلك نسبة العجز للقدرة الالهية والله تعالى
متصف بالاقتدار على كل شيء وهذا من الاشياء وليعلم العبد ان قلوب العباد
ونواصيهم بيده فلا يقنط ولا ييأس وليقصد باب مولاه بالذلة والافتقار
فعساه يسهل عليه ما استصعبه ويقصر ما استغربه وما ذلك على
الله بعزيز ويعتبر هذا المعنى بالحكايات التي تروى عن الطائفين الذين
تقدمت لهم في بدايتهم الزلات ووقعت منهم قبل توبتهم الهفوات
فقد ارتقاهم الله تعالى بلطفه واستنقذهم بجوده وعطفه فاصلح
اعمالهم وصفا احوالهم وابدل سيئاتهم حسنات وجعلهم من السبل

سبيلا

سبيلا الى اعلا الدرجات وكذلك في اي وقت وزمان وافق وعدا
واوان والحكاية في هذا المعنى عن الفضيل ابن عياض وعبد الله بن المبارك
وابي عقال بن غلبون رضي الله عنهم مشهورة ومن اغرب ما رايته في هذا المنزع
ما رواه عبد الصمد بن معقل عن عمه وهب بن منبه رضي الله عنه
ان رجلا قتل تسعا وتسعين فجاء الى سائح من سياح بني اسرائيل فسأله هل له
فرفع اليه السائح من الارض عرجونا قد يبس ثم قال له اذا اخضر هذا
العرجون قبلت توبتك وازداد السائح بذلك تيئيسه من التوبة لعظم
ذنبه فاخذ الرجل العرجون وهو يطمع في التوبة والحديث ما اخرجه
مسلم في صحيحه من حديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين
نفسا فسال عن اعلم اهل الارض فدل على راهب فاتاه فقال انه قتل
تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة
ثم سال عن اعلم اهل الارض فدل على رجل عالم فقال انه قد قتل مائة نفس
فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينك وبين التوبة انطلق الى ارض كذا
وكذا فان بها اناسا يعبدون الله عز وجل فاعبد الله معهم ولا ترجع
الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق حتى اذا انتصف الطريق اتاه الموت
فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة
جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيرا قط

في تراهم ملك على صورة في احسن فجعلوا بينهم فقال فقيسوا ما بين
الارضين فالتي ارتضيتها كان ادنى فهو له فقاسوه فوجدوه ادنى
الى الارض التي اراد فقبضته ملائكة الرحمة قال قتادة قال الحسن ذكر لنا
انه لما اتاه الموت ناء بصدره وقال عيسى ابن دينار كان يقال ما اجو الله
عبد العمل الا وهو يريد ان يقبله منه ولا اجو الله عبد التوبة من ذنب
الا وهو يريد ان يغفره له وذكر القاضي يونس ابن عبد الله المعروف
بابن الصفار رحمه الله في كتاب التسبيب والتيسير لصالح اعمال له
اخبرني ثقة من اهل العلم قال كان رجل من اهل الادب له صلاة يرحمه
بعض مجالس مكروهة فدعوه ذات يوم فلم يجبهم فقالوا له
ما منعك من اجابتنا فقال دخلت البارحة الاربعين وانا استحي
من ذنب ثم لزم الخير والعبادة قال وروي عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
انه قال وجبت حجة الله على ابن الاربعين وذكر فيه ايضا عن مغيث
ابن سمي رضي الله عنه قال كان رجل من بني اسرائيل يعمل بالخطايا
فبينما هو يسير ذات يوم ذكر ما سلف من عمله فقال اللهم غفرانك
فمات على تلك الحال فغفر له وذكر فيه ايضا عن رجل من العلماء انه
راى في منامه شيخا وجماعة من الشعراء قد احدقوا به يسئلونه فقالوا له
ايها الشيخ اخبرنا باحسن بيت قالته العرب فانشد حسبا ما حسبا
حتى علا الشيب راسه فلما علاه قال للباطل ابعد قال والله قد نفعني

الله

الله عز وجل بهذا البيت ما ذكرته بعد ذلك عند شهوة او قضية
الا ارتدعت منها وارجوا الا يحرمني الانتفاع به ما بقيت ان شاء الله تعالى
وفي الكتاب المذكور حكاية مستحسنات في هذا المعنى فطالع ذلك فيه
والله الموفق لا رب غيره وربما **وجدا ووردت الظلم عليك ليعرفك قدر**
ما من به عليك الظلم اضداد الانوار فما من نور الا وجعل بلائه ظلمة وكل
ظلمة على قدر نورها والشيء يجري بضده كما قيل وبضدها تتبين الاشياء
فما ورد عليك من ظلمات الحجبة والغيبة في ليال الهجر والفرقة فانما ذلك
ليعرفك قدر ما من به عليك من انوار التجلي والحظوة في نهار القربة
والوصلة وجميع ذلك نعم سابغة عليك من غير علم منك بذلك
من لم يعرف قدر النعم بوجدانها عرفها بوجود فقدانها
اكثر الناس لا يعرفون قدر النعم الا اذا فقدوها وذلك لاجل غلبة
الغفلة عليهم حين وجودها عندهم قال سري السقطي رضي الله عنه
من لم يعرف قدر النعم سلبها من حيث لا يعلم وقال الفضيل رضي الله عنه
عليكم بمداومة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت اليهم وقال
بعض البلغاء اذا كانت النعمة وسيمة فاجعل الشكر لها تميمة وقال اخر
شكر النعمة عصمة من حلول النقمة وفي معنى هذا قيل انما يعرف
قدر الماء من بلي بعطش البادية لا من كان على شاطئ الاودية
الجارية وقيل ايضا الولد العاق المصر على ابيه انما يعرف قدر الاب

يوم وفاة ابيه وقيل نعم الله تعالى مجهولة وتعرف اذا فقدت
ومن دعاء بعض الصالحين اللهم عرفنا نعمك بدوامها
ولا تعرفها لنا بزوالها قلت ولاجل غلبة الجهل بالنعم الا عند
الفقد وتضييع الشكر عليها من الصبر امرنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالنظر الى من هو اسفل منا لئلا نزدري نعمة الله علينا
والسعيد من وعظ بغيره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه
ابو هريرة رضي الله عنه انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو
فوقكم فهو اجدر الا تزدروا نعمة الله عليكم وروي ايضا عنه صلى الله
عليه وسلم انه قال اذا نظر احدكم الى من فضل عليه في المال والخلق
فلينظر الى من هو اسفل منه ممن فضل عليه قال ابو حامد الغزالي رضي
الله عنه وكان بعض الصوفية وظف على نفسه كل يوم ان يحضر دار
المرضى فيشاهد ضعفهم ويشاهد عللهم ومحنهم ويحضر حبس
السلطان فيشاهد ارباب الجنايات ومحنهم في التعريض
لاقامة العقوبات ويحضر المقابر احداث القبور وتاسفهم على
ما لا ينفع مع اشتغال الموتى بما هم فيه وكان يعود الى بيته
ويشتغل بالشكر طول النهار على نعم الله عليه من تخليصه
من تلك البلايا انتهى وكان الربيع بن خيثم رضي الله عنه حفر
في داره قبرا وكان يضع في عنقه غلا وينام في اللحد ثم يقول

رب ارجعون

رب ارجعون لعلي اعمل صالحا ثم يقوم ويقول يا ربيع قد اعطيت
ما سالت فاعمل قبل ان تسال الرجوع فلا ترد وهذا كله موافق لامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الحديث تنبيه لمن كوشف ولا طرف العبد
العاقل الى ما تعرف الى النعم الموجودة لديه ابلغ منه فاذا عرف نعم
الله تعالى اشتغل بالشكر عليها من قبل ان تزال عنه ولا يكون له سبيل
اليها وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها
ومن شكرها فقد قيدها بعقالها لا تدهشك واردات النعم عن القيام
بحقوق شكرك فان ذلك مما يحط من وجود قدرك اذا اوردت
نعم الله تعالى عليك فلا ينبغي ان تدهشك عن القيام بشكرها
من حيث ترى عجز نفسك عن توفية ذلك والا قابلك به فتشكر
فان الله تعالى رفع قدرك واعلى امرك وجعل القليل منك كثيرا واشهدك
من نفسك تولية لك ونسبة افعالك اليه ما يؤدي الى مقتضى
سيادتك ورفعة قدرك فلم تبخس نفسك حقها وتحطها
عن قدرها فتبقى بها عاجزة عن الشكر والقيام بمقتضى الامر
على وجه الادب والاتيان من الشكر بما وجب كان [illegible] الامر في ذلك
اليها قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه ما من نعمة الا والحمد
افضل منها والنعمة التي انعم بها الحمد افضل من الاولى لان بالشكر
يستوجب المزيد وفي اخبار داود عليه السلام الهي ابن ادم

لبس فيه شعرة الا وتحتها نعمة او فوقها نعمة فمن ابى
يكلا فيشهد فاوحى الله تعالى اليه فلو ورد لذا اعطي الكثير
وارض باليسير وان تشكر ذلك ان تعلم ان ما اعطيك من نعمة
مني وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز اليه انه بارض كثرت
فيه النعم حتى لقد اشفقت على من قبلي ضعف الشكر فكتب اليه
عمر لقد كنت اراك اعلم بالله مما انت ان الله تعالى لم ينعم على
عبد نعمة فحمد الله تعالى عليها الا كان حمده عليها افضل من نعمته
لو كنت لا تعرف ذلك الا في كتاب الله المنزل قال الله تعالى ولقد اتينا
داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده
المومنين وقال الله تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا
حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم
طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واي نعمة
افضل من دخول الجنة **تمكن حلاوة الهوى من القلب هو الداء
العضال** القلب محل الايمان والمعرفة واليقين وهذه هي الادوية
لامراضه التي اوجبها وجود الهوى والشهوة فاذا تمكن الداء منها
القلب لم يبق للدواء محل فلذلك اعضل امره وتعذر برؤه **لا يخرج
الشهوة من القلب الا خوف مزعج او شوق مقلق** الشهوة
المتمكنة لا يخرجها الا وارد قوي فما هو غالب يرد عليه وذلك

اما قوة

اما قوة مزعج او شوق مقلق وما عدا هذين لا مطمع لا استقلال
له بذلك **كما لا يحب العمل المشترك كذلك لا يحب القلب
المشترك العمل المشترك لا يقبله والقلب المشترك
لا يقبل عليه** العمل المشترك هو المشوب بالرياء والتصنع والقلب
المشترك هو الذي فيه محبة غير الله تعالى والسكون اليه والاعتماد
عليه فالعمل المشترك محتمل بنظر صاحبه الى الناس والقلب المشترك
بنظر صاحبه الى نفسه فالعمل المشترك لا يحبه ولا يقبله لا يثيب اليه
لفقد الاخلاص فيه والقلب المشترك لا يحبه ولا يقبل عليه ولا يرضى
لعدم وجود الصدق فيمن يجمع اعماله بالاخلاص واحواله بالصدق وكان
مصحوبا بالله تعالى مثابا مرضيا عنه والا فلا **وقال رضي الله عنه انوار
اذن لها في الوصول وانوار اذن لها في الدخول** الانوار الواردة على القلوب
من خزائن الغيوب تنقسم الى قسمين انوار اذن لها في الوصول الى ظاهر
القلب فقط وانوار اذن لها في الدخول الى صميم القلب وسويدائه فالانوار
الواصلة الى ظاهر القلب يشاهد العبد معها نفسه وربه ودنياه
واخرته فيكون تارة مع نفسه وتارة مع ربه وطورا يسعى في العمل
لاخرته وطورا يشتغل في امور دنياه والانوار الداخلة الى صميم
القلب وسويدائه لا يبقى فيه الا وجود الله عز وجل فلذلك
لا يرى سواه ولا يحب الا اياه قال بعض العارفين ذوي الايمان

بظاهر القلب كان العبد محبا للآخرة والدنيا وكان مرة مع الله تعالى
ومرة مع نفسه فإذا دخل الإيمان باطن القلب أبغض العبد الدنيا
وهجر هواه وفي بعض الأخبار إذا كان الإيمان في ظاهر القلب يعني على
الفؤاد كان المؤمن يحب حبا متوسطا فإذا دخل الإيمان باطن القلب وكان
في سويدائه أحبه الحب البالغ قال الشيخ أبو طالب المكي رضي الله عنه
وعلامة ذلك أن ينظر فإن كان يؤثر الله تعالى على جميع هواه ويغلب محبته
على هواه حتى تصير محبة الله هي محبة العبد من كل شيء فهو محب لله
تعالى حقا كما أنه به مؤمن حقا وإن رأيت قلبك دون ذلك فلعدم المحبة
بقدر ذلك قال بعض العلماء وظاهر القلب محل الإسلام وباطنه مكان
الإيمان فمن هاهنا تفاوت المحبون في المحبة لفضل الإيمان على الإسلام
وفضل الباطن على الظاهر ربما وردت الأنوار فوجدت القلب
محشوا بصور الآثار فارتحلت من حيث نزلت فرغ قلبك
من الأغيار تملأه من المعارف والأسرار الأنوار الإلهية قد ترد
على قلبك فلا تجد فيه موضعا لاستغراقه لما غلب عليه من عوائد
البشرية واستحكم فيه من صور الآثار الكونية فترحل من حيث تنزل
لأنها مقدسة مطهرة فإن أردت حلول الأنوار فيه وتجلي المعارف
والأسرار له ففرغه من الأغيار وامح عنه صور الآثار قال الله
تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين

وقد تقدم

وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة
في مرآته لا تستبطئ منه النوال ولكن استبطئ من نفسك
وجود الإقبال تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله لا تطالب
ربك بتأخر مطلبك ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك والعبارتان
متفقتان معنى وإن اختلفتا لفظا حقوق في الأوقات يمكن قضاؤها
وحقوق في الأوقات لا يمكن قضاؤها إذ ما من وقت يرد إلا
ولله عليك فيه حق جديد وأمر أكيد فكيف تقضي فيه حق غيره
وأنت لم تقض حق الله فيه الحقوق التي في الأوقات هي وظائف
للعبادات الظاهرة من صلاة وصيام وغيرها فمن فاته شيء منها
في وقته المعين له أمكنه قضاؤه في وقت آخر فقد جعل الله له
في ذلك مجالا رحبا يستدرك فيه ما يفوته من تلك الحقوق وأما
الحقوق المضافة إلى الأوقات فهي المعاملة الباطنة التي يقتضيها
أحوال العبد وواردات قلبه المتلونة عليه ووقت كل عبد ما
هو عليه من ذلك فالعبد مطالب بحقوق جميع ذلك عند وارده
عليه إذ لله تعالى على كل عبد عند كل حال يجري به ووارد يرد عليه
حق جديد وأمر أكيد ولا يسعه إلا أن يوفيه إذ ذاك فإن فاته
لم يجد مجالا لقضائه ولا يمكنه ذلك فعلى العبد أن يكون مراقبا
لقلبه حتى يوفي بحسن آدابه تلك الحقوق التي لا يمكنه قضاؤها

لمن جاءت. قال سيدي ابو العباس المرسي رضي الله اوقات العبد
اربعة لا خامس لها النعمة والبلية والطاعة والمعصية
ولله عليك في كل وقت سهم من العبودية يقتضيه الحق منك بحكم
الربوبية. فمن وقته الطاعة فسبيله شهود المنة من الله
عليه ان هداه لها ووفقه للقيام بها ومن كان وقته النعمة
فسبيله الشكر وهو فرح القلب بالله ومن كان وقته البلية
فسبيله الرضى بالقضاء والصبر والرضى في رضى النفس عن الله والصبر
هو مشتق من الاصبار وهو الغرض للسهام وكذا الصابر
ينصب نفسه غرضا لسهام القضاء فان ثبت لها فهو صابر
والصبر ثبات القلب بين يدي الرب وفي الحديث عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اعطي فشكر وابتلي فصبر وظلم فغفر وظلم
فاستغفر ثم سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا وما
ذاك يا رسول الله فقال اولئك لهم الامن وهم مهتدون لهم الامن
في الاخرة وهم مهتدون في الدنيا ما فات من عمرك لا عوض له
وما حصل لك منه لا قيمة له عمر العبد ميدان لاعماله من الطاعات
والموجبات له مزيد الثواب في الدار الاخرة وهذا هي السعادة التي
لها يكدح العبد ويسعى من اجلها وليس له منها الا ما سعى له
كما قال تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى فكل جزء يفوته من العمر

خاليا

خاليا عن عمل صالح يفوته من السعادة بقدره ولا عوض له منه قال الجنيد
رضي الله عنه الوقت اذا فات لا يستدرك وليس شيء اعز من الوقت
وكل جزء يحصله من العمر غير خال من ذلك يتوصل به الى ملك كبير
لا يفنى ولا قيمة لما يوصل الى ذلك لانه في غاية الشرف والنفاسة ولاجل
هذا عظمت مراعاة السلف الصالح رضي الله عنهم لانفاسهم ولحظاتهم
وبادروا الى اغتنام ساعاتهم واوقاتهم ولم يضيعوا اعمارهم في
البطالة والتقصير ولم يقنعوا من انفسهم لمولاهم الا بالجد و
التشمير وقد قال امير المؤمنين علي ابن ابي طالب رضي الله عنه بقية
عمر المؤمن ما لها ثمن يدرك فيها ما فات ويحيي ما مات وقد
نظمه بعض الشعراء فقال بَقِيَّةُ الْعُمْرِ عِنْدِي مَا لَهُ ثَمَنٌ
وَإِنْ غَدَا غَيْرَ مَحْسُوبٍ مِنَ الثَّمَنِ يَسْتَدْرِكُ الْمَرْءُ فِيهِ مَا أَفَاتَ
وَيُحْيِي مَا أَمَاتَ وَيَمْحُو السُّوءَ بِالْحَسَنِ قال رجل لعامر ابن عبد الله
ابن قيس رضي الله عنه وهو في الجمعة قف حتى اكلمك فقال لولا اني
ابادر لوقفت عليك قال له وما تبادر قال ابادر خروج روحي
وقال الحسن البصري رضي الله عنه ادركت اقواما كانوا على
ساعاتهم اشفق منكم على دنانيركم ودراهمكم يقول كما لا يخرج
احدكم دينارا ولا درهما الا فيما يعود عليه نفعه فكذلك
لا يحبون ان تخرج ساعة من اعمارهم الا فيما يعود عليهم نفعه

وقال السري السقطي رضي الله عنه خرجت يوما من بغداد اريد
الرباط الى عبادان لاصوم بها رجب وشعبان فاتفق مروري
على الجرجاني وكان من الزهاد الكبار فجاء وقت افطاري وكان معي ملح
مدقوق واقراص فقال لي كل مدقوق ومعك الوان من الطعام لن تفلح
ولن تدخل من المحبين فنظرت الى مزود كان معه فيه سويق
الشعير فيسف منه فقلت ما دعاك الى هذا فقال اني حسبت ما بين
المضغ والسف سبعين تسبيحا فما مضغت الخبز منذ اربعين سنة
وفي الخبر ما من ساعة تاتي على العبد لا يذكر الله فيها الا كانت عليه
حسرة وقيل ان العبد تعرض عليه ساعات اليوم والليلة فيريها خزائن
مصفوفة اربع وعشرين خزانة فيرى في كل خزانة نعيما ولذات
وملكا وجزاء لما كان اودع خزانته من ساعاته في الدنيا من الحسنات
فيسره ذلك ويغتبط به فاذا مرت به في الدنيا ساعة لم يذكر الله
تعالى فيها رءاها في الاخرة خزانة فارغة لا عطاء فيها ولا مدخورا
ولا جزاء فيها فيسوءه ذلك ويغتم بسببها فانه فاته خير لم يدخر
فيها شيئا فيرى جزاءه مدخورا ثم يلقى في نفسه الرضى
والسكون والسكون وجاء في الخبر ان اهل الجنة فيما هم
في نعيمهم اذ سطع لهم نور من فوقهم اضاءت منه منازلهم
كما تضيء الشمس لاهل الدنيا فينظرون الى رجال من فوقهم

اهل عليين

تفكر

اهل عليين يرونهم كما يرون الكواكب الدري في افق السماء وقد
فضلوا عليهم في الانوار والجمال والنعيم كما فضل القمر على سائر النجوم
فينظرون اليهم فيصيرون على نجب تسرح بهم في الهواء يزورون ذا الجلال
والاكرام فينادون هؤلاء يا اخواننا ما انصفتمونا كنا نصلي كما تصلون
ونصوم كما تصومون فما هذا الذي فضلتم علينا فاذا النداء من قبل الله
تعالى انهم كانوا يجوعون حين تشبعون ويعطشون حين تروون ويعرون حين تكسون
ويذكرون حين تسكتون ويبكون حين تضحكون ويقومون حين تنامون
ويخافون حين تامنون فلاجل ذلك فضلوا عليكم اليوم فذلك قوله تعالى
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون وقال
الاستاذ ابو علي الدقاق رضي الله عنه رؤي معقف مجتهدا فقيل له في ذلك
فقال ومن اولى منه بالجهد وانا اطمع ان الحق الابرار والعبيد من السلف
قال الله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وفي معناه انشدوا

انظر حذر النفس حسرة المسبوق ... السبق والسباق قولا وفعلا

ما احببت شيئا الا كنت له عبدا وهو لا يحب ان تكون لغيره عبدا
المحبة للشيء تقتضي الانقياد له وتفتح باب العلاقة فلا ولا يليق
به بعد لا كما قيل حبك الشيء يعمي ويصم وذلك معنى استعباد
المحبوب له فمن احب غير الله عز وجل فقد استعبده ذلك الغير كائنا
ما كان والله تعالى لا يحب ان تكون لغيره عبدا ولا يرضى بذلك فتعس عبد الدنيا
وتعس عبد الدرهم والخميصة والقطيفة والزوجة قال محمد بن السماك

رضي الله عنه كتب الي اخ ان استطعت ان لا تكون لغير
الله عبدا فما وجدت من العبودية بدا فافعل فقال
الجنيد رضي الله عنه انك لن تكن على الحقيقة عبده وبقية
وسبيل من لم يبق عليه من الدنيا الا مقدار مص من النوات
فقال المكاتب عبد ما بقي عليه درهم ومن الحكايات في هذا
المعنى ما ذكر عن ابي عبد الله الغزالي تحويل فيها بوى قال كنا في
ايام الانباري صوفيا ورايت على راس الشبلي قلنسوة طرجية تليق
بذلك الكون فتمنيت في نفسي ان يكون لي جميعا فلما قام
الشبلي من مجلسه التفت الي فتبعته وكانت عادتي اذا
اراد ان اتبعه التفت الي فلما دخل داره دخلت قال انزع
القميص فنزعته فلبسه وطرح القلنسوة عليه ودعا بنار
فاحرقهما جميعا ومثل هذا انما كان يتكرر عليه من لم
يعرف مقصوده في ذلك شيء كثير وقوله لا تنفعه
طاعتك ولا تضره معصيتك فانما امرك بهذا ونهاك
عن هذا لما يعود عليك المولى تعالى غني عن اعمال
العاملين لانه منزه عن الاعراض والاغراض فلا تنفعه طاعتك
ولا تضره معصيتك وانما امرك ونهاك لما يعود عليك
من المصالح والمنافع في الدارين لا لغيره وذلك على سبيل التفضل
منه من غير ايجاب عليه وقد تقدم التنبيه على هذا المعنى

عنه قوله اعجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل
٢٠٢ قال في لطايف المنن اعلم رحمك الله ان الله لم يامر العباد بشيء
وجوبا او يقتضي منهم ندبا الا لما هو المصلحة لهم في ذلك الامر ولم ينه
منهم ترك شيء تحريما او كراهة الا لما هو المصلحة لهم في تركه امرهم بتركه
وجوبا وندبا ولسنا نقول كما قال من عدل عن طريق الهدى وانه
يجب على الله تعالى رعاية مصالح عباده بل انما نقول ذلك عادة الحق
وشرعته المستمرة فعلها وجعلها مع عباده على سبيل التفضل فليت
شعري اذ قالوا يجب على الله رعاية مصالح عباده فمن هو الموجب عليه
ثم انا نظرنا فوجدنا كل ما هو مامور به او مندوب اليه يستلزم الجمع
على الله وكل منهي عنه او مكروه يقتضي التفرقة عنه فاذا حكم الله
من عباده وجود الجمع عليه امر بالطاعة فهي اسباب الجمع ووسايله
فلذلك امر به والمعصية فهي اسباب التفرقة ووسايلها فلذلك
نهى عنها لا يزيد في عزه اقبال من اقبل عليه ولا ينقص من عزه
ادبار من ادبر عنه عزة الله تعالى صفة من صفات ذاته وصفاته
في غاية الكمال والتمام فهي منزهة عن الزيادة والنقصان وصفة
العلل وقال رضي الله عنه وصولك الى الله وصولك الى العلم به والا
فجل ربنا ان يتصل به شيء او يتصل بشيء الوصول الى الله تعالى الذي
يشير اليه اهل هذه الطريقة هو الوصول الى العلم الحقيقي
بالله تعالى وهذا هو غاية السالكين ومنتهى سير السايرين

وأما الوصول المفهوم بين الذوات فهو محال عنه قال
الجنيد رضي الله عنه متى يتصل من لا شبيه له ولا نظير له
بما له شبيه ونظير هيهات هذا الظن عجيب الا بما لطف
اللطيف من حيث لا ادراك ولا وهم ولا احاطة الا اشارة اليقين
وتحقيق الايمان قال الشيخ ابو حفص عمر ابن محمد ابو عبد الله السهروردي
صاحب كتاب عوارف المعارف رحمه الله واعلم ان الاتصال
والمواصلة اشار اليها الشيوخ وكل من وصل الى صفو اليقين بطريق
الذوق والوجدان فهو رتبة في الوصول ثم يتفاوتون فمنهم من يجد الله
بطريق الافعال وهو رتبة في التجلي فيفنى فعله وفعل غيره
لوقوفه مع فعل الله تعالى ويخرج في هذه الحالة من التدبير والاختيار
وهذه رتبة في الوصول ومنهم من يوقف في مقام الهيبة والانس
بما يكاشف قلبه من مطالعة الجمال والجلال وهذا تجلي بطريق
الصفات وهو رتبة في الوصول ومنهم من يرقى الى مقام الفناء
مشتملا على باطنه انوار اليقين والمشاهدة مغيبا عليه
في شهوده عن وجوده وهذا ضرب من تجلي الذات لخواص المقربين
وهذه رتبة في الوصول وفوق هذه رتبة هو حق اليقين ويكون ذلك
في الدنيا لمح وهو سريان نور المشاهدة في كلية العبد
حتى يحظى به روحه وقلبه ونفسه حتى قالبه وهذا من اعلى
رتب الوصول فاذا تحققت الحقائق يعلم العبد مع هذه الاحوال

العشرية

العشرية انه اول المنزل وأين الوصول هيهات منازل الطريق
الوصول لا تنقطع ابد الاباد في عمر الآخرة الابدي فكيف في العمر
القصير الدنيوي قريب منه ان تكون شاهد القرب والاجرابي
انت ووجود قربه القرب الحقيقي قرب الله منك قال تعالى
واذا سألك عبادي عني فاني قريب قال تعالى ونحن اقرب اليه منكم
ولكن لا تبصرون وقال عز من قائل ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وحظك من ذلك
انما هو مشاهدة تلك القربة وفيها تستجيب فهذه المشاهدة
شرح المراقبة وعلية الهيبة والتأدب بآداب الحضرة واما انت
فلا يليق بك الا اوصاف العبد وشهودك من نفسك كما يقول المولى
بعد هذا الهي ما اقربك مني وما ابعدني عنك الحقايق
ترد في حال التجلي مجملة وبعد الوعي يكون البيان فاذا
قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه حقايق العلوم
اللدنية التي يقذفها الحق تعالى في اسرار العارفين عند براءتهم
من الدعوى وتبريهم من رؤية الاشياء وتحققهم بالفناء والافتقار
لما يفتح عليهم المولى بكرم الحق تعالى فهي تقبل الوعي لها
من غير تعلم ولا دراسة وعند ورودها عليهم وتجليها لهم
تكون مجملة لا تتبين لهم معانيها ولا يدركون جهة تحقيقها
فاذا وعوها وظهرت فيهم الانوار بالاعتبار والتأمل تبين لهم
معناها وظهر لهم مواقفها لما بايديهم من العلوم العقلية

والتعلية من غير مخالفة حتى ان بعضهم ربما يجري على لسانه
وبيانه كلام كثير من غير ان يلقى اليه بالا فاذا فرغ من ذكره
وراسه ينطقه ويتامله يجده صحيحا بحسب فيهما
وقد اخبرني بذلك من له قدم صدق في هذه الطريقة عن نفسه
قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه واصحاب الحقائق
يجري بحكم التصرف عليهم شيء لا علم لهم به على التفصيل
وبعد ذلك يكشف لهم وجهه فربما يجري على لسانهم شيء
لا يدرون وجهه ثم بعد فراغهم من النطق به يظهر لهم وجه
برهان ما قالوه من شواهد العلم اذ تحقيق ذلك يجري بان الحال
جريان الوقت انتهى كلام الامام ابي القاسم وهو موافق لما
ذكره المولف والله تعالى اعلم وكانه اشار بذلك الى المسألة
المتعارفة بينهم موافقة الحقيقة للشريعة وقد عبروا
عن ذلك بعبارات فقد سئل عبد الله بن طاهر الابهري رضي الله
عنه عن الحقيقة فقال الحقيقة كلها علم فسئل عن العلم فقال
العلم كله حقيقة وقال الشبلي رضي الله عنه الالسنة ثلاثة
لسان علم ولسان حقيقة ولسان حق فلسان العلم ما ادى الينا بالوسائط
ولسان الحقيقة ما اوصله الله الى الاسرار بلا واسطة ولسان الحق ليس
اليه طريق وقال رويم رضي الله عنه اهل الحقائق صادروا العلم وقال
ابو بكر الزقاق رضي الله عنه كنت في تيه بني اسرائيل فوقع في قلبي

ان علم

ان علم الحقيقة مباين لعلم الشريعة فاذا انا تحت شجرة ام غيلان
هاتف وقال يا ابا بكر كل حقيقة تخالفها الشريعة فهي كفر واشار المولف
رحمه الله بالابيات التي ذكرها الى هذا المعنى بقوله حتى وردت الواردات
الالهية اليك هدمت العوائد عليك ان الملوك اذا دخلوا
قرية افسدوها الواردات الالهية على العبد تهدم عنه جميع
رعوناته وتهجم عليه فتمنع عاداته ولها سلطانة عظيمة
عن ذلك فاذا وردت على قلب محشو بانواع الخبائث والرذائل ازالت
ذلك بمرة وابدلت عوضا من ذلك احوالا عالية واوصافا رضية
انشد ابو العباس المرسي رضي الله عنه هذا المعنى

لَوْ عَايَنَتْ عَيْنَاكَ يَوْمَ تَزَلْزَلَتْ   أَرْضُ النُّفُوسِ وَدُكَّتِ الأَجْبَالُ
لَرَأَيْتَ شَمْسَ الحَقِّ يَسْطَعُ نُورُهَا   حِينَ التَّزَلْزُلِ وَالرِّجَالُ رِجَالُ

الارض ارض النفوس والجبال جبال العقل والشمس شمس المعرفة والاشارة
بالاية الى هذا المعنى بقوله الوارد ياتي من حضرة قهار لاجل ذلك
لا يصادمه شيء الا دمغه بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو
زاهق الوارد موصوف بصفة القهر والغلبة لوروده من حضرة القهار
والغالب على امره لاجل ذلك لا يصادمه شيء من رعونة البشرية الا دمغه
وازاله ايضا هو وارد على باطل والباطل لا ثبات له مع الحق والاشارة بالاية
الى هذا المعنى بقوله فكيف يحتجب الحق بشيء والذي يحتجب به هو فيه

ظاهر وموجود حاضر قد اشبع المولف الكلام على هذا المعنى
في اول الكتاب واتى فيه بالعجب العجاب وقد نبهنا عليه
هنالك لا تيأسن من قبول عمل لم تجد فيه وجود الحضور
فربما قبل من العمل ما لم تدرك ثمرته عاجلا العمل الخ لا يجد صاحبه
حضورا فيه فينبغي ان لا ييأس من قبوله فان ذلك الى الله تعالى وقد
يقبل من العمل ما لم تدرك ثمرته عاجلا من وجدان حضور او حلاوة
او غير ذلك ولو لم يكن الا قصد التقرب به وصرفه عن غيره و
قد تقدم التنبيه على هذا المعنى عند قوله لا عمل ارجى للقلوب
لا تزكين واردا لا تعلم ثمرته فليس المراد من السحابة الامطار
وانما المراد وجود الاثمار الوارد مراد لثمرته لا لوجدانه فلا تعتبر
فيه كما ان السحابة مرادة لوجود الاثمار التي اقتضاها وجود
امطارها وثمرة الوارد انما هو تاثر القلب به وتبدل صفاته المذمومة
بصفات محمودة كما تقدم فان لم تعلم وجود هذا فيك فلا تزكي
الوارد ولا تفرح به فان ذلك نوع من الاغترار والخدع فليس الا الاظهار
ويكن على حذر منه لا تطلبن بقاء الواردات بعد ان بسطت
انوارها واودعت اسرارها فلك في الله سبحانه غنى
عن كل شيء وليس يغنيك عنه شيء انوار الواردات المبسوطة
على العبد هي توجيهه ظاهره وباطنه بكيفية العبودية
واسرارها المودعة فيه هي الاحكام له من عظمة الربوبية

فاذا ادى

فاذا ادى ذلك الوارد هذه الفوائد فلا تطلبن بقاءه في كل الوقت
ولا تاسف على فقده اذا فقدته فان لك في الله غنى عنه وعن غيره
وليس لك غنى عن الله تعالى في شيء من الاشياء كما قال الشاعر
لِكُلِّ شَيْءٍ اِذَا فَارَقْتَهُ عِوَضٌ ... وَلَيْسَ لِلهِ اِنْ فَارَقْتَ مِنْ عِوَضِ
قال ابو العباس بن عطاء الله رضي الله عنه فاذا كنت تلاحظ مخلوقا
وانت تجد الى ملاحظة الحق سبيلا ويدخل في هذا المعنى الذي ذكره
ابن عطاء الله رضي الله عنه جميع الاغيار والانوار والمقامات والا
حوال والدنيا والاخرة والنعم الباطنة والظاهرة والطاعة شيئا
من ذلك ولا تركن اليه ولا تعتمد عليه بقي او ذهب فان ذلك قادح
في اخلاص التوحيد قال في التنوير واعلم ان الباري سبحانه ما يذيقك في الحال
لتاخذ منها لا لتاخذ منك وانما جاءتك تحمل هدية التعريف من الله
اليك فيها فتوجه اليها باسمه المبتدي فابداها وابقاها
حتى اذا وصلت اليك ما كان لك فيها فلما ادت الامانة توجه اليها
باسمه المعيد فارجعها او نقلها فلا تطلبن بقاء رسول فيك
ان بلغ رسالته ولا امين بعد ان بلغ امانته انما يقتضي المدعون
بزوال الاحوال وبعدهم عن مراتب الانزال هنالك تبدوا العوار وتنهتك
الاستار فكم من مدعي الغنى بالله وانما غناه بطاعته او بنوره
او بقيمته وكم من مدعي العز بالله وانما اعتزازه بمنزلته وجاهه

من الخلق مخصصة اعراضا ثبتت عندهم من معرفته فصار
عبد الله لا عبد العلل وكما كان الله لك ربا ولا علة فكن له عبدا
ولا علة لتكون له كما كان لك انتهى وقال سيدي ابو العباس
المرسي رضي الله عنه عبد هو في الحال مع الحال وعبد هو في الحال
بالمحول فالذي هو في الحال مع الحال عبد الحال والذي هو في الحال بالمحول
عبد المحول وامارة من هو مع الحال ان يأسف عليها اذا فقدها ويفرح
بها اذا وجدها والذي هو في الحال بالمحول لا يفرح بها اذا وجدت
وفي الاشارة عن الله سبحانه لا تركن الى شيء دوننا فانه وبال عليك
وقاتل لك فان ركنت الى العلم تتبعناه عليك وان ركنت الى العمل
رددناه عليك وان وثقت بالحال وقفناك معه وان انست با
لوجد استدرجناك فيه وان لحظت الى الخلق وكلناك اليهم
وان اغتررت بالمعرفة نكرناها عليك فاي حيلة لك واي قوة
معك فارضنا لك ربا حتى نرضاك لنا عبدا تطلعك الى بقاء
غيره دليل على عدم وجدانك له واستيحاشك بفقدان
ما سواه دليل على عدم وصلتك به وجود العبد لربه ووصوله
اليه هو غاية مطالبه ومنتهى اماله ومآربه وبه يفوز بالنعيم
ويحظى بالملك العظيم عند ذلك ينسى كل محبوب ويلهى عن كل مرغوب
به ومطلوب وهذه هي صفة اهل التجريد كما استحقوه وا
في ذكر

في ذكر الله المجيد كما روي عن ابي عبيد البسري رضي الله عنه
قال سالت رجلا بالكلام الذي اجلسك في هذا الموضع
فقال لي وما سؤالك عن شيء ان طلبته فلم تدركه وان عرفته
لم تقنع عليه فقلت تخبرني ما هو فقال علمي بان محبة الله تستغرق
نعيم الجنان ثم قال والله قد كنت الحق فيهم ضجرت ومن الخلق هربت
فاذا انا بكذاب في مغالبتي لو كنت محبا لله ما دفعك الطمع على بعد فقلت
اما علمت ان المحبين خلفاء الله في ارضه ومستانسين بخلقه يحثونهم
على طاعته فصاح صيحة وقال لي يا مخدوع لو شممت رائحة الحب
وعاينت قلبك ما وراء قلبك من القرب ما احتجت ان ترى دون
ما رايت ثم قال يا سماء ويا ارض اشهدا انه ما خطر على قلبي ذكر
الجنة والنار فيه ان كنت صادقا فلا فتنته جو الله ما سمعت له كلاما
بعدها وخفت ان يسبق الى الظن من الناس بقتله فتركته ومضيت
فبينما انا على ذلك اذا انا بالجماعة فقالوا ما فعل الفتى فكنيت
عن ذلك فقالوا ارجع فان الله قد قبضه فصليت عليه معهم
فقلت لهم ما هذا الرجل ومن انتم قالوا ويحك هذا رجل كان
يحكم المطر قلبه على قلب ابرهيم الخليل عليه السلام اما رايته
يخبر عن نفسه ان ذكر الجنة ما خطر على قلبه فهل كان احد هكذا
الا ابرهيم الخليل فقلت من انتم قالوا نحن السبعة الابدال انشد وا

كانت لقلبي أهواء مفرقة فاستجمعت إذ رأتك العين أهوائي
فصار يحسدني من كنت أحسده وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي
تركت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي

وقد سئل أبو سليمان الداراني رضي الله عنه عن أقرب ما يتقرب إلى الله تبارك وتعالى فقال أقرب ما يتقرب به إليه أن يطلع الله على قلبه وهو لا يريد من الدنيا والآخرة غيره فهذه هي العلامة الصادقة والدلالة القاطعة على التحقيق بهذا المقام العظيم فإن كان له شعور بشيء من الأشياء المحبوبة يتطلع إلى بقائها واستوحش لفقدها فذلك دليل على عدم تحققه بذلك فليعرف منزلته وحده وليجتهد في تصحيح هذا المقام فجهة النعيم وإن تنوعت مظاهرها إنما هو لشهوده واقترابه والعذاب وإن تنوعت مظاهره إنما هو لوجود حجابه بسبب العذاب وجود الحجاب وإتمام النعيم بالنظر إلى وجهه الكريم فمظاهر النعيم المتنوعة هي ما ورد من أنواع الثواب في الدار الآخرة من الحور والقصور والولدان والغلمان والمآكل والمشارب والملابس إلى غير ذلك من أنواع المسرات واللذات ومظاهر العذاب المتنوعة هي ما ورد من أنواع العذاب فيها من الجحيم والحميم والزقوم والحيات والعقارب والسلاسل والأغلال

والانكال

والأنكال وغير ذلك من أنواع الآلام والعقوبات وليس وجود
٢٠٨ العذاب بسبب وجود ذوات هذه الأشياء ومباشرتها للمنعم والمعذب وإنما ذلك لما تضمنته وظهر بسببه من وجود قرب الحق تعالى وشهوده للمنعم أو وجود حجابه وإعراضه عن المعذب فهذان الأمران هما يقع النعيم والعذاب على التحقيق ما تجد القلوب من الهموم والأحزان فلأجل ما منعت من وجود العيان ووجدان الهموم والأحزان الدنياوية من نتائج رؤية الغير واعتبارها وفقد حظها وهو إنما منع العبد من وجود العيان فلو قد فني عن رؤية نفسه وذهب عن مراعاة حظه لظفر بوجود العيان ولم يكن له هم ولا حزن البتة بل يكون متصل السرور دائم الفرح والسرور كما قال تعالى لا تحزن إن الله معنا فالمعية المذكورة لا يجتمع معها حزن وهي ما قلناه من وجود العيان والعيان والله أعلم درجة فوق درجة اليقين كما قال الشاعر

كبر العيان علي حتى إنه صار اليقين من العيان توهما

قال الشبلي رضي الله عنه من عرف الله لا يكون له غم أبدا وقيل أوحى الله إلى داود عليه السلام أن عظ خلقي أن يكونوا روحانيين والروحانية علم لا شهوة يغتنموا وإنما مصباح قلوبهم يا داود لا تمزج الهم قلبك فينقص ميراث حلاوة الروحانيين وسيأتي من كلام المؤلف

رحمه الله اوحى الله الى داود عليه السلام ان لا تفرح بالدنيا
فتنقطع حبل استنارة القلب بنور المعرفة واحتظائه
بوجود العيان والرؤية فيخرج منه الهم ويحل محل الروحانية
على ان في وجود الهموم والاحزان لمن لم يبلغ هذا المقام
اذ لم يقدر على دفعها عن نفسه جوائز جزيلة لا ينبغي
ان يستحقر من قبيل انها موجبة لخمود النفس وجلاء القلب
وزوال الاشر والبطر والفرح بالدنيا ثم هي كفارات ان كانت
في الامور الدنياوية ودرجات لو كانت في الامور الاخراوية والهم
متعلق بما يكون في المستقبل والحزن متعلق بما يكون في الماضي
من تمام النعمة عليك ان يرزقك ما يكفيك ويمنعك
ما يطغيك وجدان الكفاية من الرزق وعدم الزيادة عليها
والنقصان منها من نعم الله تعالى التامة الكاملة على العبد
لما له في ذلك من حصول جميع المصالح الدينية والدنياوية اما
مصالح الدينية في عدم الزيادة على الكفاية فظاهر اذ لو
وجدها ربما اوجب له ذلك طغيانا كما قال تعالى كلا ان الانسان
ليطغى ان راه استغنى فالاستغناء هو وجود الزيادة على
الكفاية وهو سبب الطغيان والطغيان اصل كل معصية لله عز
وجل وقصة ثعلبة بن حاطب حين طلب الدعاء من النبي
صلى

٢٠٩

انظر الكفاية

صلى الله عليه وسلم ان يرزقه مالا وما آل اليه امره امر مشهور
وقال ابو سعيد بن وقاص رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي وفي حديث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما طلعت شمس ولا غربت
الا بجنبيها ملكان يناديان يا ايها الناس هلموا الى ربكم ما قل
وكفى خير مما كثر والهى واما مصالح الدنيا في ذلك فبسياق التنبيه
عليها في قول المؤلف رحمه الله ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن عليه
واما مصالح الدين عند وجود الكفاية وعدم النقصان منها فمن
اجل توصله بذلك الى الاستعانة بها على طاعة الله تعالى ولاجل ذلك
عظمت النعمة بها على العبد قال تعالى وابتغ فيما آتاك الله الدار
الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا اي لا تنس نصيبك في الاخرة
ان تتوصل اليه بما آتاك الله من الدنيا واما مصالح الدنيا في ذلك
فظاهر لا يحتاج الى تنبيه اذ فيه له تحصيل طيب العيش وراحة
القلب والبدن وصيانة الوجه من ذل المسألة عند وجود الحاجة
والفاقة فعلى العبد ان يشكر الله تعالى على هذه النعمة العظيمة
ويفرح بما اتاح له من هذه المنة الجسيمة فيستعجل بذلك
راحة نفسه والاستغناء عن ابناء جنسه ويحصل له بذلك
حلاوة الزهد في الامور العاجلة وتخلي القلب عن زهراتها
فان طلب الزيادة من الدنيا ولم يقنع بما قسم الله منها

خيف عليه من اقتحام المهالك اذ يجري الحرص والكلف
الى ذلك قال بعض العارفين كل من لا يعرف قدر ما زوى عنه
من الدنيا ابتلي بلاء وجعلهن اما بحرص حرج وفقر يتقطع به
حسرات ورغبة في غنى تشغله شكر ما انعم به عليه وقد
ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس الغنا عن كثرة العرض
انما الغنا غنا النفس وغنا النفس في الدنيا شعار الاولياء
المختارين وعز اهل التقوى من المومنين الذين يستغنون وقد
صدق الشاعر في قوله غِنَى النَّفْسِ مَا يَكْفِيكَ عَنْ سَدِّ خَلَّةٍ
فَإِنْ زَادَ شَيْئاً عَادَ ذَاكَ الْغِنَا فَقْراً يحكى عن بنان
الحمال رضي الله عنه انه قال كنت مطروحا طاويا على باب بني
شيبة سبعة ايام لم اذق شيئا فنوديت في سري ان من اتخذ
من الدنيا فوق ما يكفيه اعمى الله عين قلبه وقال عبد الواحد
ابن زيد رضي الله عنه ذكر لي ان في خراب الابلة جارية مجنونة
تنطق بالحكمة فلم ازل اطلبها حتى وجدتها في خربة جالسة
على حجر وعليها جبة صوف وهي محلوقة الراس فلما نظرت
الي قالت من غير ان اكلمها مرحبا بك يا عبد الواحد قلت
لها رحب الله بك وعجبت من معرفتها لي ولم تره قبل ذلك
فقالت ما الذي جاء بك هاهنا قلت لتعظيني قالت وا عجبا
لواعظ يوعظ ثم قالت يا عبد الواحد اعلم ان العبد اذا كان

في كفاية

في كفاية ثم مال الى الدنيا سلبه الله سبحانه حلاوة الزهد
فيظل حيران والها فان كان له عند الله تعالى نصيبا عاتبه
وحيا في سره فقال عبدي اردت ان ارفع قدرك عند ملائكتي
وحملة عرشي واجعلك دليلا لاوليائي واهل طاعتي في ارضي
فملت الى عرض من اعراض الدنيا وتركتني فورثتك بعد ذلك
الوحشة بعد الانس والذل بعد العز والفقر بعد الغنا عبدي
ارجع الى ما كنت عليه ارجعك الى ما كنت تعرفه من نفسك قال
ثم تركتني ووليتني عنه بلا نظر ثبت وبقلبي حسرة منها وفي بعض
الكتب ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا مال الى الدنيا ان اسلبه حلاوة
مناجاتي وذكر ابو اسحاق ابراهيم بن ابراهيم التجيبي القرطبي
المالكي رضي الله عنه في كتب النصائح له عن ابن حبيب الشامي
ثم الدمشقي انه كان اكثر اهل دمشق مالا فخرج مسافرا
فمشى الى جانب نهر ومرعى فنزل به قال فسمعت صوتا
يكثر حمد الله تعالى في ناحية المرج واتبعته فوافيت رجلا
ملفوفا في حصير فسلمت عليه فقلت من انت يا عبد الله
فقال رجل من المسلمين فقلت فما حالك هذه قال حال نعمة
يجب علي حمد الله عليها قال فقلت وكيف وانما انت في حصير
قال وما لي لا احمد الله وقد خلقني فاحسن خلقي وجعل منشاي
ومولدي في الاسلام والبسني العافية في اركاني وستر علي ما اكره

ذكره او نشره فحضر اعظم حقه من العيسى في مثل ما انا فيه
فقلت له ارايت رحمك الله ان تقوم معي الى المنزل فانا
نزول على النهر هاهنا قال ولم قلت لتصيب من الطعام
ونعطيك ما يغنيك عن بيع الحطب قال ما لي فيه حاجة
فاودته على ان يتبعني فابى فانصرفت وقد تقاصرت في نفسي
ومقتتها اذ لم اخلفه بدمشق رجل فكاشفني بعيوب انا
التمس الزيادة فقلت اللهم اني اتوب اليك من سوء ما
انا فيه فبت لا يصح اعواله ما اجتمعت عليه فلما كان من السحر
حلوا عمور حلتهم فيها معي وقدموا الى الدابة فسرت بها الى
دمشق فقلت ما انا هاد في التوبة ان مضيت الى منزلي فسا
لوني القوم فاخبرتهم وعاتبوني على المضي فابيت فلما
قدم دمشق وضع يده يتصدق بماله فما زال في سبيل الخير
حتى احضر ما وجد واعتدى الاخر ثمن الكعبين زاد غيره فا
ابن جهم وكان يقول يعني اباعبيد وبه المذكور والله لو ان نهر
يعني نهر دمشق سال ذهبا ما خرجت اليه ولا اخذت منه
شيئا ولو قيل لي من مس هذا العمود مات لقمت اليه و
عانقته شوقا الى الله ورسوله **ليقل ما تفرح به يقل ما**
تحزن عليه درء المفاسد عند العقلاء اهم من جلب المصالح
فمن زوى الله تعالى عنه فضول الدنيا فرضي بذلك وقنع منها
باليسير

ولم يتطلع الى زيادة من مال وجاه فهو كامل العقل حسن
النظر لنفسه لانه دفع عن نفسه مفسدة وجود الحزن بتركه
لما يفنيه فحصول مصلحة الفرح الذي يزول عن قريب واكتسب من ذلك
الراحة الدائمة كما قيل

وَمَنْ يَسُرُّهُ أَلَّا يَرَى مَا يَسُوءُهُ ... فَلَا يَتَّخِذْ شَيْئًا يَخَافُ لَهُ فَقْدَا
فَإِنَّ صَلَاحَ الْمَرْءِ يَرْجِعُ كُلُّهُ ... فَسَادًا إِذَا الْإِنْسَانُ جَازَ بِهِ الْحَدَّ

وقيل لبعضهم لم لا تغتم فقال لاني لا اقتني ما يغمني فقده فالمرد
بالمفروح به هو المحزون عليه ان قليلا فقليل وان كثيرا فكثير
كما قيل عَلَى قَدْرِ الْغِنَى بِالشَّيْءِ حُزْنُهُ ... وَتَصْعُبُ نَزْعُ الشَّيْءِ
مِنْ مُتَمَكِّنِ. يحكى انه اهدي لبعض الملوك قدح من فيروزج
مرصع بالجوهر لم ير مثله ففرح الملك به فرحا شديدا فقال
لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا قال اراه مصيبة وفقرا قال
وكيف ذلك قال ان انكسر كانت مصيبة لا جبر لها وان سرق
صرت فقيرا اليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل ان يحمل اليك
في امن من المصيبة والفقر فاتفق ان انكسر القدح
يوما فعظمت مصيبة الملك فيه وقال صدق الحكيم ليته
لم يصل الينا وامثال هذه المصيبة واعظم منها نازلة بكل
من له علقة بشيء من الدنيا فانها ان لم تؤخذ منه بغصب
او سرقة او جائحة نازلة فلا بد ان يؤخذ هو عنها بالموت

الهادم للذات المنغص بالشهوات فان كان له الا محبوب منها
نزل به عند الموت الا مصيبة في وقت واحد لانه كان يحبها
كلها وقد سلبت منه بكرة واحدة ولذلك كان الزهد في الدنيا
من فضائل العقل قال معقل بن عبد الله رضي الله عنه للعقل
الف اسم ولكل اسم منه الف اسم واول كل اسم منه ترك
الدنيا وقال الحسن رضي الله عنه كيف يسمى عاقلا وهو يمسي
ويصبح في الدنيا وهيامه في اهلها في المطاعم والمشارب
والملابس والمراكب اولئك هم الخاسرون اولئك هم الغافلون
اولئك هم الجاهلون وانشدوا

أَيُّهَا المَرْءُ إِنَّ دُنْيَاكَ بَحْرٌ ... طَافِحٌ مَوْجُهُ فَلَا تَغْرَقَنْهَا
وَسَبِيلُ النَّجَاةِ فِيهَا مُبِينٌ ... وَهْوَ أَخْذُ الكَفَافِ وَالقُوتِ مِنْهَا

وقال ابو علي الثقفي رضي الله عنه ان من اشتغل بالدنيا اذا اقبلت
وافى من حسراتها اذا ادبرت والعاقل من لا يركن الى شيء
اذا اقبل كان شغلا واذا ادبر كان حسرة وقد قيل في معناه

وَمَنْ يَحْمَدِ الدُّنْيَا لِشَيْءٍ يَسُرُّهُ ... فَسَوْفَ لَعَمْرِي عَنْ قَرِيبٍ يَلُومُهَا
إِذَا أَدْبَرَتْ كَانَتْ عَلَى المَرْءِ حَسْرَةً ... وَإِنْ أَقْبَلَتْ كَانَتْ كَثِيرًا هُمُومُهَا

وقيل لابي القاسم الجنيد رضي الله عنه متى يكون الرجل موصوفا بالعقل
فقال اذا كان للامور مميزا ولها متتبعا وبما يوجبه عليه العقل
بالحقائق ملتمسا بذلك طلب الذي هو اولى ليعمل به ويؤثره على سواه

فاذا

٢١٢

فاذا كان كذلك فمن صفته ان لا يتكلف احواله بعد احكام العمل
بما فرض عليه وليس من صفة العقلاء اغفال الفكر فيما هو اولى
اولى وليس من صفته الرضى بالنقص والتقصير فمن كانت هذه صفته
بعد احكامه لما يجب عليه من عمله ترك الاشتغال بما يزول وترك
العمل بما يفنى وينقضي وذلك صفة كل ما حوت عليه الدنيا
وكذلك لا يرضى ان يشغل نفسه بقليل زائل ويسير حائل بل يجهد في القضا
غايته والعمل له من امور الاخرة التي يدوم نعيمها ونفعها ويتأبد
سرورها ولا ينقطع بقاؤها وذلك ان الخبير يدرك بفهمه ويقضي
على العامل له حقه وما سوى ذلك زائل متروك مجازى موروث
بما ينفع تركه سوء العاقبة ومحاسبة الله تعالى عليه وكذلك
صفة العاقل التفهم للامور بعقله والاخذ منها بالاولى قال
الله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين
هداهم الله واولئك هم اولوا الالباب فلذلك وصفهم الله تعالى
بذوي الالباب هم ذوو العقول وانما وقع مع الثناء عليهم بما وصفهم
الله به للاخذ باحسن الامور وعند استماعها واحسن الامور
هو ابقاها وانفعها على اهلها نفعا في العاجل والاجل والى ذلك
ندب الله عز وجل من عقل في كتابه انتهى كلام الجنيد رضي الله عنه
وهو في غاية الحسن ونهاية التحقيق وفيه مناسبة لما كنا
بصدده من التنبيه على كلام المولى فرأيت ذكرها هاهنا ليف

والله تعالى الموافق للعمل به بمنه. ان اردت الا تعزل فلا تتول
ولاية لا تدوم لك. هذا من امثلة ما تقدم لان الولاية مآلها
الى الحزن بسبب وقوع العزل عنها فالمتقي نظر العقل
ترك الولاية المفروح بها لئلا يقع في العزل المحزون به
ان رغبتك البدايات زهدتك النهايات ان دعاك اليها
ظاهر نهاك عنها باطن. بدايات الامور وظواهرها ترغب
الجاهل فيها وتدعوه اليها لانها رائقة الحسن مليحة الظاهر
فيغتر الجاهل بها فتقوده الى ما فيه ضرره وهلكه ونهاية
الامور وباطنها تزهد العاقل فتنهاه عنها لما شهدته
من سما جنتها وقبح باطنها فيعتبر العاقل بذلك فيهرب منها
ويسلم من شرها. وقد تقدم هذا المعنى عند قوله الاكوان ظا
هرها غرة وباطنها عبرة. قال وهب ابن منبه رضي الله عنه صحب
رجل بعض الرهبان سبعة ايام ليستفيد منه شيئا فوجده
مشغولا عنه بذكر الله تعالى والفكر لا يفتر ثم التفت في اليوم
السابع وقال يا هذا قد علمت ما تريد حب الدنيا راس
كل خطيئة والزهد في الدنيا راس كل خير والتوفيق نتاج كل
بر فاحذر راس كل خطيئة وارغب في راس كل خير وتضرع الى ربك
ان يهب لك نتاج كل بر قال وكيف اعرف ذلك قال كان جدي رجلا
من الحكماء قد شبه الدنيا بسبعة اشياء شبهها بالماء

المالح

المالح يغر ولا يروي ويضر ولا ينفع وبظل الغمام يغر ويخذل وبالبرق
الخلب يغر ولا ينفع وبسحاب الصيف يغر ولا ينفع وبزهر
الربيع يغر بنضرته ثم يصفر فتراه هشيما وباحلام النائم
يرى السرور في منامه فاذا استيقظ لم يجد في يده شيئا الا
الحسرة وبالعسل المشوب بالسم الذعاف يغر ويقتل فتدبرت
هذه الحروف سبعين سنة ثم زدت فيها حرفا واحدا
فشبهتها بالغول التي تهلك من اجابها وتترك من اعرض عنها فرايت
جدي في المنام فقال لي يا بني انت مني وانا منك فقلت فبأي شيء يكون
الزهد في الدنيا قال باليقين واليقين بالصبر والصبر بالفكر والفكر بالعلم
ثم وقف الراهب فقال خذها ولا اراك تفلح الا ان تجد ابعد عن قول فكان
ذلك اخر العهد به. وقال محمد بن علي الترمذي رضي الله عنه لم تزل الدنيا
مذمومة في الامم السالفة عند العقلاء منهم وطلبوها معانيهم عند
الحكماء الماضين وما قام داع في امة الا حذر متابعة الدنيا وجمعها
والحب لها الا ترى مومن ال فرعون كيف قال اتبعون اهدكم سبيل
الرشاد قال انما هذه الحيوة الدنيا متاع ان سبيل الرشاد
في قلبك محبة الدنيا وطلب لها. والحكايات في احوال الدنيا
وغرورها وشرورها اكثر من ان تحصى ولا شيء ابين في ذلك من قول
الله تعالى في كتابه اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة
وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار

نيا ثم ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الاخرة عذاب
شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور

انما جعلها محلا للاغيار ومعدنا لوجود الاكدار تزهيدا لك فيها

ووجود الاغيار والاكدار الدنيوية على العبد نعم من الله تعالى عليه
لان ذلك لا محالة يدعوه الى الزهادة في الدنيا والتجافي عنها ويصرف
عنها وجوه الغباوة والجهالة لاجل تمسكه بالخيال وما يشتغل
به من الحال والمال لان الموجب لرغبته فيها وحرصه على نيلها
انما هو ما يتوهمه فيها من الحصول على منيته وبغيته وقضاء غرضه
وشهوته ونهمته من غير مكدر ولا منغص ولو تصور ~~له~~ على هذا
الاشياء على ما هي به وهو الكائن فيها لان يغلب عنها عوضا من الرغبة
فيها لكون عاقلا لان مآل امرها الى الفناء والزوال والانقضاء والا
رتحال وقد قالوا شر لا يدوم خير من خير لا يدوم وقال الشاعر
أشد الغم عندي في سرور ... تيقن عنه صاحبه انتقالا
أرى الدنيا على من كان فيها ... تزول بلا تدوم عليه حالا
ثم هي مانعة له من سعادة الاخرة والقرب من الله عز وجل الذي هو
غاية طلب الطالبين ونهاية رغبة الراغبين فكيف وهو معرض فيها
لانواع المصائب والعجائب ووقوع الاغيار والاكدار فما من احد
فيها الا هو في كل حال ووقت عرض لاسهم ثلاثة سهم بلية
وسهم رزية وسهم منية فاذا تم له ذلك علامة النعمة نقمة

والتقلبت

وانقلبت الحبرة عبرة وصارت الفرحة ترحة وهكذا شان الدنيا
214 ابدا فلا يبقى مرجوها ولا يدوم خيرها فبشرها
واعدها قول الشاعر في قوله ... ان الليالي لم تحسن الى احد
الا اساءت اليه بعد احسان ... فلا تم خيركيا زمان يشركه
او لا بكرما قل منك وما كفى ... زمان اذا اعطى استرد عطاءه
واذا استقام بدا له فتحرف ... وقد كتب علي بن ابي طالب رضي الله عنه
الى سلمان رضي الله عنه انما مثل الدنيا مثل الحية لين مسها قاتل سمها
فاعرض عنها وعما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها ودع عنك
همومها لما تيقنت من فراقها وكن ابعد ما تكون فيها احذر ما تكون
منها فان صاحبها كلما اطمأن فيها الى سرور اشخصته عنها الى محذور
وقد قال بعض البلغاء دار الدنيا كاحلام المنام وسرورها كالظل
الغمام واحداثها كصوائب السهام وشهواتها كمشوب
السمام وفتنتها كالامواج الطوام وقال ابو العتاهية
هي الدار دار الاذى والقذى ... ودار الفناء ودار الغير
ولو نلتها ولو انتهى بحذافيرها ... لمت ولم تقض منها الوطر
ايا من يؤمل طول البقا ... وطول البقاء عليه ضرر
اذا ما كبرت وبان الشباب ... فلا خير في العيش بعد الكبر
وانشد ابو منصور الثعالبي رحمه الله في ذم الدنيا
تمتع من الدنيا فلا تحك مثلها ... ولا تخطبن فقالة لا تقادح

بل ليس يجني من رجوها بعفوها ولم تزر رهقها اما تاملته يانع
لقد قال عيسى الحواريون اكثر وعنه لها وصف العمري طالع
صلاة فصار اهذا اعبر ومركب شهي اذا استلذته فهو جامع
وشغل جميع ثم الناس حبهم ولكن له اسرار سوء فبايع
فاذا علم العبد هذا كله علم يقين وتمكن من قلبه غاية التمكين
لم يتصور منه مع ذلك وجود رغبة البتة لانه اذ ذاك يجمع بين
الخسران المبين قال ابو هاشم الزاهد رضي الله عنه ان الله وسم الدنيا
بالوحشة ليكون انس المريدين به دونها وليقبل المطيعين اليه
بالاعراض عنها واهل المعرفة بالله من الدنيا مستوحشون والى
الاخرة مشتاقون وقيل اوحى الله تعالى الى الدنيا تضيقي وتشددي
على اوليائي وكوني وتوسعي على اعدائي تضيقي على اوليائي
حتى لا يشتغلوا بك عني وتوسعي على اعدائي حتى يشتغلوا بك عني
فلا يتفرغوا لذكري علم انك لا تقبل النصح المجرد دونك من
ذوقها ما يسهل عليك وجود فراقها النصح المجرد لا يقبله
الا من لم يستحكم فيه حب العاجلة والانس بلذتها الفانية وكان
كريم الطبع وسهل القياد واما من رسخت تلك الخبائث
وتمكنت من باطنه وكان لئيم السجية صعب المقادة فلا بد
في قصد هدايته وارشاده من زيادة على النصح والوعظ وهو
وجود ما يقهره ويجبره وليس ذلك الا ما ذكرناه في ما عهو

فقد

٢١٥

فقد انقمع طبعه بذلك واعتبر بمقتضاها وسلم لربه حكمته وقدرته
وحسن تدبيره وقد تقدم هذا المعنى عند قوله من لم يقبل على الله
بملاطفة الاحسان قيد اليه بسلاسل الامتحان العلم النافع الذي
ينبسط في الصدر شعاعه وينكشف عن القلب قناعه العلم
النافع هو العلم بالله تعالى وصفاته واسمائه والعلم بكيفية التعبد
له والتادب بين يديه فهذا هو العلم الذي انبسط في الصدر شعاعه
فينفسح وينشرح للاسلام وينكشف عن القلب قناعه فتزول عنه
الشكوك والاوهام وفي حكمة داود عليه السلام العلم في الصدر كالمصباح
في البيت قال محمد بن علي الترمذي رضي الله عنه العلم النافع هو الذي
تنفسح في الصدر وهو صورة الانوار وتصور بذلك النور اذا اشرق
في الصدر تصورت الامور حسنها وقبيحها ووقع بذلك كل
في الصدر فهو صورة الامور فياتي حسنها ويجتنب قبيحها
فذلك العلم النافع من نور القلب خرجت تلك العلائم الى الصدر
وهي العلامات الهدى والعلم الذي قد تعلمه فذلك علم اللسان
انما هو شيء قد استودع الحجة والشهوة غالبة عليه قد احاطت
به واخرجت بظلمتها ضوءه وقال ابو محمد عبد العزيز المهدوي
رضي الله عنه العلم النافع هو علم الوقت وصفاء القلب والزهد
في الدنيا وما يقرب من الجنة وما يبعد من النار والخوف من الله

والرجاء فيه ودلالات الفجر وظهارتها وهو النور المشار اليه
انه نور يقذفه الله في قلب من يشاء دون علم اللسان المنقول
المعقول وقال مالك ابن انس رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الروايات
وانما العلم نور يقذفه الله في القلوب انتهى وانما ضبحة العلم
ان يعرف العبد من ربه ويبعده من رؤية نفسه وذلك غاية
سعادته ومنتهى طلبه وارادته فقال الجنيد رضي الله عنه
العلم ان تعرف ربك ولا تعدوا قدرك وهذه عبارة مختصرة
وجيزة جمع فيها رحمه الله مقصود علوم الصوفية وهي معرفة
الله تعالى وحسن الادب بين يديه وهذه هي العلوم التي ينبغي للانسان
ان يستغرق فيها عمره الطويل لا ينفع منها بكثير ولا قليل وقد قال سيدي
ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه من لم يتغلغل في هذه العلوم يعني
علم الصوفية مات مصرا على الكبائر وهو لا يعلم وما سوى هذه العلوم
قد لا يحتاج اليها وربما اضر بصاحبه مداومته عليها وقد استعاذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخبر المشهور عنه من علم لا ينفع
ثم ذكر المؤلف رحمه الله عبارة اخرى في بيان العلم النافع فقال
خير علم ما كانت الخشية معه وخير العلوم ما يلزم
وجود خشية الله تعالى لان الله عز وجل اثنى على العلماء
في ذلك فقال عز من قائل انما يخشى الله من عباده العلماء

فعل علم

فكل علم لا خشية معه لا خير فيه بل لا يسمى صاحبه عالما على
الحقيقة قال الربيع ابن انس رحمه الله في قوله تعالى انما يخشى
الله من عباده العلماء قال من لم يخش الله فليس بعالم الا ترى
ان داود عليه السلام قال ذلك بانك جعلت العلم خشيتك
والحكمة الايمان بك فما علم من لم يخشك ولا حكمة من لم يؤمن بك
٢١٦
قال في لطائف المنن فشاهد العلم الذي هو مطلوب الله الخشية
لله وشاهد الخشية موافقة الامر اما علم تكون معه الرغبة
في الدنيا والتملق لاربابها وصرف الهمة الى اكتسابها والجمع
والادخار والمباهات والاستكثار وطول الامل ونسيان الاخرة
فما ابعد من هذا العلم علمه من ان يكون من ورثة الانبياء وهل
ينتقل الشيء الموروث الى الوارث الا بالصفة التي كان بها
عند الموروث عنه ومثل من هذه الاوصاف اوصافه من العلماء
كمثل الشمعة تضيء على غيرها وهي تحرق نفسها جعل الله
العلم الذي علمه من هذا وصفه حجة عليه وسببا في تكثير
العقوبة لديه انتهى وكان سهل بن عبد الله رضي الله عنه يقول
لا تقطعوا امرا من الدين ولا الدنيا الا بمشاورة العلماء فتحمد
العاقبة عند الله تعالى فقيل له يا ابا محمد من العلماء قال الذين
يؤثرون الاخرة عن الدنيا ويؤثرون الله عز وجل عن انفسهم ارحم
الناس العلماء لخشيتهم من الله تعالى واشتغالهم بما علمهم

وقال ابو [illegible] رضي الله عنه [illegible] الذين [illegible]

الله عز وجل وقال في التنوير في قوله صلى الله عليه وسلم طالب العلم
تكفل الله برزقه اعلم ان العلم حيث تكرر في كتاب الله العزيز وفي
السنة انما المراد به العلم النافع الذي تقارنه الخشية وتكتنفه
المخافة قال الله عز وجل انما يخشى الله من عباده العلماء فبين ان
الخشية تلازم العلم وفهم من هذا ان العلماء انما هم اهل
الخشية وكذلك قوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم والراسخون
في العلم وقل رب زدني علما وقوله صلى الله عليه وسلم ان الملائكة
لتضع اجنحتها لطالب العلم وقوله العلماء ورثة الانبياء
وقوله هاهنا طالب العلم تكفل الله برزقه انما المراد بالعلم
في هذه المواطن العلم النافع القاهر للهوى القامع وذلك
متعين بالضرورة لان كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم
اجل من ان يحمل على غير هذا وقد بينا ذلك في غير هذا الكتاب
والعلم النافع هو الذي يستعين به على طاعة الله ويلزمك
المخافة من الله والوقوف على حدود الله وهو علم المعرفة
بالله ويشمل العلم النافع العلم بالله والعلم بما به امر الله
اذا كان تعلمه لله انتهى وقد تقدم المعيار الصادق على
صحة دعوى التعلم والتعليم لله عند قوله واذا التبس عليك
امران وقال الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه
كل علم لا يورث صاحبه الخشية والتواضع والنصيحة

للخلق

للخلق والشفقة عليهم ولا يحمله على حسن معاملة المعبود ودوام
مراقبة وطلب الحلال وحفظ الجوارح واداء الامانة وخلافة
التكبر ومباينة الشهوات فذلك العلم الذي لا ينفع وهو الذي
استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم فقال اعوذ بالله من علم لا
ينفع ووصف الله العلماء بالخشية وقال انما يخشى الله من عباده
العلماء وقال رجل للشعبي ايها العالم فقال انما العالم
من يخشى الله تعالى وقال بعض السلف من ازداد علما ولم يزدد ورعا
وقال رجل للجنيد اي العلم انفع فقال ما دلك على الله وبعدك
عن نفسك قال والعلم النافع ما يدل صاحبه على التواضع ودوام المجا
هدة ورعاية السر ومراقبة الظاهر والخوف من الله والعزوف
عن الدنيا وعن طالبيها والتقلل منها ومجانبة ابواب اربابها
وترك ما فيها من ينافس اهلها والنصيحة للخلق وحسن
الخلق معهم ومجالسة الفقراء وتعظيم اولياء الله تعالى والاقبال
على ما يعنيه فان العالم اذا احب الدنيا واهلها وجمع منها فهو من
العصابة يغفل عن الاخرة ومن طاعة الله وفي ذلك قال الله عز وجل يعلمون
ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وقال صلى الله عليه وسلم
من احب دنياه اضر باخرته ومن احب اخرته اضر بدنياه فاثروا
ما يبقى على ما يفنى وقال فضيل بن عياض رضي الله عنه العلم طبيب
الدين والدنيا داء الدين فاذا كان الطبيب يجر الداء الى نفسه

فمنهم من يرى غيره بلاء او من الله العالم من العلماء الاقبال على الله
وعلى اوامره والاعراض عن الدنيا ومن فيها وبادر ما يلزمه ان يحمد ما
نعم الله عليه في ذلك ويقوم بواجب الشكر ويزيد تواضعا واجتهادا
ويعلم انه محمول على ذلك وان ذلك توفيق من الله لا باجتهاد منه
بل مجاهدته ايضا ومعرفته بنعم الله عليه زيادة توفيق
فهذا كان العالم بهذه المحاسن الذين كان اماما مقتدا به في الاحكام
الظاهرة واحوال الباطن ينتفع بنوره كل من صحبه وينتفع بعلمه
كل من اتبعه ويكون حجة الله على عباده وبركة في بلاده ومن ادى
علمه الى طلب الدنيا وطلب العلو فيها وطلب الرياسة والاستتباع
للخلق فهو العلم الذي هو غير النافع وهو العالم المغرور لا حسرة
اعظم ممن يهلك بما يرجوا به نجاته ونحن نعوذ بالله من الخذلان
ثم عبر المؤلف رحمه الله بعبارة اخرى من معنى ما تقدم فقال
العلم ان قارنته الخشية فلك والا فعليك العلم الذي تلزمه
الخشية لك لانك تنتفع به في دنياك وفي اخرتك وليس ذلك الا لذاكر الله
والعلم الذي لا خشية فيه عليك لانه لا تنتفعوا به فيهما وهذا هو
الفرق بين علماء الاخرة وعلماء الدنيا من حيث ان علماء الاخرة موصوفون
بالخشية والرهبة وعلماء الدنيا موسومون بالامن والغرة وقد بين
علماؤنا رضي الله عنهم حال الفريقين واوضح امرهم بالنعوت والعلامة
واطالوا في ذلك التعبير لما شهدوا من انتشار الفساد في الارض بسببه

جهل

218

بسببه جهل الناس بالعلم النافع اي شيء هو فمن اراد التشفي
في ذلك والاستيفاء في الكلام عليه وما في ذلك من الاخبار والاثار فعليه
بالنظر في كتاب العلم من كتاب الاحياء علوم الدين لابي حامد الغزالي
رضي الله عنه ولباب ذلك ما ذكره المؤلف رحمه الله ها هنا وقد قال الفضيل
ابن عياض رضي الله عنه كان العلماء ربيع الناس اذا نظر اليهم
السقيم لم يسره ان يكون صحيحا واذا نظر اليهم الفقير لم يود
ان يكون غنيا وقد صاروا اليوم فتنة على الناس قال هذا في زمانه
الصالح فكيف لو ادرك زماننا هذا انا لله وانا اليه راجعون واعلم
انه قد ورد في الكتاب والسنة من فضل العلم والعلماء ما لا يحصى
كثرة ولا يرجى حصول ذلك الا لمن حسنت فيه نيته في ذلك ان يكون غرضه
فيه طلب مرضات الله واستعماله فيما ينفع عنده وابتغاء الخروج
عن ظلمة الجهل الى نور العلم فهذه هي النية الصحيحة التي تحمد
عاقبتها عاجلا واجلا ثم تتابع عن السلف في ذلك فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كل يوم لا ازداد فيه علما يقربني
من الله عز وجل فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم وقال الحسن
رضي الله عنه كان الرجل اذا طلب العلم لم يلبث ان يرى ذلك في تخشعه
ولباسه وبصره ولسانه وصلاته وهديه وفي خلقه وزهده
وان كان الرجل ليطلب الباب من ابواب العلم فيعمل به فيكون له خيرا

من الدنيا وبما فيها لو كانت له فيها لعجلها الآخر ليأتين
على الناس زمان تشتبه فيه الحق بالباطل فاذا كان ذلك لم ينفع
فيه الا دعاء كدعاء الغريق وقال سفيان الثوري رضي الله عنه
انما يتعلم العلم ليتقى به الله وانما فضل العلم على غيره لانه يتقى
الله به فان اختل هذا المقصد وفسدت فيه طالبه ونيته
بان يستشعر فيه التوصل الى نيل دنيا او الى مال او جاه فقد
بطل اجره وحبط عمله وخسر خسرانا مبينا قال الله عز وجل
من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته
منها وما له في الآخرة من نصيب وقال صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه ابو
هريرة رضي الله عنه من تعلم علما لا يبتغي به وجه الله لا يتعلمه
الا ليصيب به غرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يعني ريحها
وكان الحسن رضي الله عنه يقول والله ما طلب هذا العلم احد الا كان
حظه منه ما اراده به وقال الحسن عقوبة العالم موت القلب قيل
له وما موت القلب قال طلب الدنيا بعمل الآخرة فان انضاف الى هذا
الغرض ان يتصدى به الى تولي الاعمال السلطانية كائنة ما كانت
او يتوصل به الى اكتساب مال من حرام او شبهة فقد تعرض لغضب
الله تعالى وسخطه وباء باثمه واثم المقتدين به وكان الجهل
اذ ذاك خيرا له من العلم واحمد عاقبته قال ابو عمر ابن عبد البر
رحمه الله

219

رحمه الله وروينا عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال شكت النواويس (الارض)
الى الله عز وجل ما تجد من نتن جيف الكفار فاوحى الله اليها
بطون علماء السوء انتن مما انتم فيه قال وروينا عن الفضيل
ابن عياض وسعيد بن العراث بلغنا ان الفسقة من العلماء
ومن حملة القرآن يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الاوثان قال
الفضيل ابن عياض رضي الله عنه لان من علم ليس كمن لم يعلم
قلت والغالب على طلبته في هذه الاعصار هذا الوصف المذموم
وحب الدنيا قد استولى عليهم واستهواهم الحرص على التقدم و
الترؤس فقد ملكهم جاههم واعمالهم ولذلك امارات وعلامات
لا تخطئ ولا تخفى ففي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال يخرج في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين يلبسون
للناس جلود الضأن من اللين السنتهم احلى من العسل وقلوبهم
قلوب الذئاب يقول الله تبارك وتعالى ابي تغترون ام علي تجترئون
فبي حلفت لابعثن على اولئك فتنة تدع الحليم منهم حيران
رواه عنه ابو هريرة رضي الله عنه وروى ابو الدرداء رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انزل الله في بعض الكتب
او اوحى الله الى بعض الانبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين
ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون
للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب السنتهم احلى

من العسل وقلوبهم امرّ من الصبر ايّاي يخادعون ام بي يستهزءون
فلا تيحن لهم فتنة تدع الحليم فيهم حيران وفي بعض الاخبار
المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان لا
يبقى من القرآن الا رسمه ولا من الاسلام الا اسمه قلوبهم خربة
من الهدى ومساجدهم عمرت من ابدانهم شر من نظر السماء
بوجيهة علماؤهم منهم تخرج الفتنة وفيهم تعود واعلم ان علم
النافع المتفق عليه في ما سلف وخلف انما هو العلم الذي يقود
صاحبه الى الخوف والخشية وملازمة التواضع والذلة والتخلق
بأخلاق الابرار وتوقي الاسرار والاعلام الى ما يتبع ذلك من بغض
الدنيا والزهد فيها وايثار الآخرة عليها والموالاة في الله والمعاداة
فيه والحرص على التفطن للاسباب الباعثة له على الاستقامة
ولزوم الادب بين يدي الله تعالى عليها والموالاة في الله فيرا عيبها
حفظا وطلبا ومعرفة الاسباب المادية ثم عن ذلك فيجوسعها رفضا
وهرب الى غير ذلك من الصفات العلية والمناهج السنية فبهذا
كله يحصل له فوائد العلم وثمراته الدنيوية والاخروية فان خلا طالب
العلم عنها او عن بعضها فان كان مايحلبه علما حقيقيا كان حجة
عليه وان كان رسميا كان وبالا عليه والعياذ بالله من ذلك قال في
العصر وجماعة الغافل من طلبة العلم من قال طلبنا العلم لغير الله
فابى ان يكون الا لله وليس في قول هذا القائل ما يستروح اليه من طلب
العلم

العلم للرياسة والمنافسة وانما اخبر هذا القائل عن امر
من الله اليه وفتنة سلمه الله منها الا يلزم ان يقاس عليه
فيها غيره وذلك بمثابة من به مرض مزمن عي الاطباء علاجه
وضاق عليه خلاقه فاخذ خنجرا وضرب به من لا بطنه ليقتل
نفسه فصادف ذلك المعى فقطعه فخرج الداء منه فهذا
لا يستوصي العقلاء بفعله وان نجحت عاقبته وليست كسلامة
العوافي والعقة العتب عن الحلبوا انفسهم الى الجهالة ليس الغرور
محمودا وان سلم في موضع واحد ولا يغرنك ان يكون لك اتباع للبادي
والحاضر فقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر
ومثل من تعلم لاكتساب الدنيا وتحصيل الرفعة كمثل من رفع العذرة بملعقة من
الياقوت فما اشرف الوسيلة وما اخس المتوسل اليه ومثل من قطع
الاوقات في طلب العلم فمكث اربعين سنة او خمسين سنة يتعلم
العلم ولا يعمل به كمثل من قعد هذه المدة يتطهر ويجدد الطهارة
ولا يصلي صلاة واحدة اذ مقصود العلم العمل كما ان المقصود بالطهارة
وجود الصلاة ولقد سأل رجل الحسن البصري رضي الله عنه عن مسألة
فأفتاه فيها فقال الرجل للحسن فقد خالفك الفقهاء فزجره الحسن
فقال هل رأيت فقيها انما الفقيه الذي فقه عن الله امره ونهيه قال
وسمعت شيخنا ابا العباس يقول الفقيه من انفق الحجاب من
عين قلبه انتهى والرجل الذي سأل الحسن البصري هو فرقد السبخي

والله اعلم وقد روي في صفات الفقهاء كلام اتم مما ذكره
صاحب كتاب لطائف المنن قال فرقد السبخي سألت الحسن
عن مسئلة فاجابني عنها فقلت ان الفقهاء يخالفونك
فقال لي ثكلتك امك يا فرقد وهل رأيت فقيها بعينك انما
الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بدينه المداوم
على عبادة ربه الورع الكاف نفسه عن اعراض المسلمين والعفيف
عن اموالهم والناصح لجماعتهم المجتهد في العبادة المقتفي على
سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي لا يحسد من هو فوقه ولا يحقر
من هو دونه ولا ياخذ على علم علمه الله حطاما قلت وعلى المتعلم
ان يتفقد احوال من يتعلم منه فلا يبذل علمه الا لمن توسم فيه
الخير والصلاح اذ بذلك تستقيم له الشروط والمقاصد التي
ذكرناها ولا يفيد العمر سوى هؤلاء من علم حاله او جهله و
قال رجل لسفيان الثوري رضي الله عنه لو انك نشرت ما معك من العلم
رجوت ان ينفعك الله به بعض عباده وتؤجر على ذلك فقال سفيان
والله لو اعلم من يطلب هذا العلم لا يريد به الا ما عند الله لكفيت انا
الذي اتيه في منزله فاحدثه بما عندي مما ارجو ان ينفعه الله به
وقد سئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب فقال له السائل اما سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كتم علما نافعا جاء يوم
القيامة ملجما بلجام من نار فقال له اترك اللجام واذهب

فان جاء

فان جاء من يستحقه وكتمته فليلجمني به وفي قوله عز من قائل
ولا تؤتوا السفهاء اموالكم تنبيه على ان حفظ العلم ممن يفسده
(٢٢) ويستضر به اولى كما قيل

ومن منح الجهال علما اضاعه ... ومن منع المستوجبين فقد ظلم

وقد حكي عن بعض الامم السالفة انهم كانوا يتخيرون المتعلم مدة في اخلاقه
فان وجد فيه خلقا رديا منعوه من التعلم اشد المنع و
قالوا انه يستعين بالعلم على مقتضى الخلق الردي فيصير العلم
في الة شر في حقه وقد قالت الحكماء زيادة العلم في الرجل السوء
كزيادة الماء في اصول الحنظل كلما ازداد ريا ازداد مرارة هذا كله
صحيح مجرب ينبغي اذا للعالم ان لا يهمله بل يراعيه ويمتثله
والاعتبار بما يتوهم في تعليمهم من وجود المصالح على تقدير (لا الاعتبار)
حصول توفيق الله تعالى لهم لان يعملوا ببعض ما يتعلمونه من العلم
الصحيح ان كان لهم ولاية حكم او نحو ذلك فان المفاسد
التي تقع بسبب ذلك لهم في خاصة انفسهم والمفاسد
التي تتعدى منهم الى غيرهم اكثر ودرء المفاسد اهم
عند العقلاء من جلب المصالح اما المفاسد التي تختص بهم
فهي تقوية صفاتهم الذميمة واخلاقهم اللئيمة بما يطلبونه
لانهم يستشعرون بذلك التوصل الى جميع مطالبهم الدنيا ويتم على
غاية الكمال والتمام فاذا استشعروا ذلك توجهت هممهم الى

وعكفوا بالجد والاجتهاد عليه ولولا هذا الاستشعار لم يثبت منهم
ذلك فاذا حصلوا على شيء من ذلك وظهرت لهم مخايل وصولهم
الى اغراضهم المذكورة فرحوا بذلك واغتبطوا به وكلما ازدادوا
منها ازدادوا فرحا واغتباطا بما هم فيه وهذا الفرح والاغتباط
في غاية الذم منهم لان ذلك من تعلق باسباب الدنيا وهو بمنزلة
السم القاتل الذي يوجب موت قلوبهم وقسوتها وبعدها عن
التاثير بالمواعظ والحكم كما قيل إذا قسا قلب لم تنفعه
موعظة كالارض ان سبخت لم ينفع المطر وعند ذلك
تنتعش نفوسهم وتنتفخ اجوافها وتظهر اثار ذلك على
ظواهرهم من التكالب على الدنيا والركون الى من هي عنده من ابنائها
المتكبرين ولا يظهر لهم ما يتوسلون به اليهم سوى علمهم فيمتنون
عن تحصيل اقبالهم عليهم وصرفهم وجوههم اليهم اشتغلوا عندهم
بانواع من الحيل ولا يبالون في ذلك من الرياء والتصنع والتملق
والادهان وغير ذلك الى انواع من المحظورات وفنون من العلل
مع ما يحل بهم في ذلك من الذل والهوان فاذا نالوا ذلك او بعضه
حصل لهم مقصود نفوسهم وتمكنوا من جميع حظوظهم فخرجوا
من الحرية الى استعباد الاغنياء واستبدلوا بالجهل النافع العلم
الضار وقد قال الفضيل ابن عياض رضي الله عنه لو ان اهل العلم اكرموا
انفسهم وشحوا على دينهم واعزوا العلم وصانوه حيث

انزله

انزله الله لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد لهم الناس وكانوا
لهم تبعا ولعز الاسلام واهله ولكنهم اذلوا انفسهم ولم يبالوا
بما نقص من دينهم اذا سلمت لهم دنياهم فبذلوا علمهم لابناء
الدنيا ليصيبوا بذلك ما في ايدي الناس فذلوا وهانوا على الناس
انتهى ولله در الشاعر حيث يقول

يقولون لي فيك انقباض وانما رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
إذا قيل هذا مورد قلت قد أرى ولكن نفس الحر تحتمل الظما
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
أأغرسه عزا وأجنيه ذلة إذا فاتباع الجهل قد كان أحزما
ولو ان أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوا فهان ودنسوا محياه بالاطماع حتى تجهما

فهانوا

وقال وهب ابن منبه رضي الله عنه لعطاء الخراساني كان العلماء
قبلنا قد استغنوا بعلمهم عن دنيا غيرهم وكانوا لا يلتفتون
الى دنيا غيرهم وكان اهل الدنيا يبذلون لهم دنياهم رغبة
في علمهم فاصبح اهل العلم فينا اليوم يبذلون لاهل الدنيا
علمهم رغبة في دنياهم فاصبح اهل الدنيا قد زهدوا في علمهم
لما راوا من سوء موضعه عندهم وقال ذا النون المصري رضي الله عنه
كان الرجل من اهل العلم يزداد بعلمه بغضا للدنيا وتركا لها
فاليوم يزداد الرجل بعلمه الدنيا ولها طالبا كان ينفق ماله

على علمه ويكسب الرجل اليوم بعلمه مالا وكان يراعي طالب
العلم زيادة في باطنه وظاهره فاليوم يرى على كثير من اهل
العلم فساد في الظاهر والباطن ما انكر رحمه الله الى ذكر هولاء
الفضلاء تجد ملازما لطلبة العلم هذا الزمان وليس الخبر كالعيان
ثم بعد وقوع هذه المفاسد بهم وتوغلهم فيها في سوء ادبهم
يتعذر عليهم بعد ذلك سلوك طريق الحق لما استحكم في
قلوبهم من علائق الخلق وعقد قيل التعمق في الباطن فقطع امال
الرجوع عنه فلما كان بعد المسامحة انهم كان الياس من الرجعة
اوجب واعظم الوبال عليهم اغترارهم بحالهم واستحسانهم
لسوء اعمالهم واعتقادهم انهم سالكون سبيل النجاة
في الدار الاخرة وقبل التوبة فيها وانهم هم الذين حازوا
الرتبة الشريفة والمناقب المنيفة التي اختص بها
العلماء الذين هم ورثة الانبياء وليس عندهم من المعرفة
وعلوم التحقيق ما يخرجون به من هذا الغرور لانهم لم يسلكوا
طريق ذلك ولم يهتدوا لما هنالك فهذا هو الفساد
الذي يختص به ولا يشاركون غيرهم فيه **واما** الفساد الذي
يتعدى الى غيرهم فالظاهر من كل ظاهر وناهيك من ملكته
نفسه اشد ملك واستعبدته اتم استعباد هل يبقى عليه
شر من الشر وانواع من انواع الفساد الا ويقع فيه اذا تمكن منه

ومن دقيق

ومن دقيق ما يسره عليهم من الفساد من غير قصد منهم
لذلك وقوع الاغترار للجهلة الاغمار بمشاهدة حالهم
فانهم يشاهدونهم قد حازوا من رتب الدنيا ما ارادوه ويظنون
انهم نالوا شرف الاخرة بما اجادوه واستفادوه فيحملهم
على الاقتداء بهم في طلب العلم ان كانوا ممن فيهم قابلية لذلك
فيقعوا فيما وقعوا فيه من انواع المهالك او يؤديهم ذلك
الى محبتهم وموالاتهم واتخاذهم اربابا يعظمونهم ويطيعونهم
في اوامرهم ونواهيهم ثم يخرج بهم استحسانهم الى الداء الأكبر
وهو مسارقة طباعهم الدنية واخلاقهم الردية فان نفوس العامة
قابلة لذلك ومهيأة له بمنزلة الصبي الذي ترضع فيه اخلاق
ءابائه وعاداتهم ومذاهبهم وعند ذلك ينقطع حظهم مما هو
مقصود بعثة الرسل من التزهيد في الدنيا والترغيب في الاخرة
وحب الفقر والمسكنة وايثار التواضع والذلة والتخلق
باخلاق الايمان والاسلام وشدة الحذر من ارتكاب المناهي
والاثام ثم يؤول ذلك بهم الى الشرك الخفي والجلي ويحيق
بهم المكر السيء والعياذ بالله من ذلك ويكون وبال جميع
ذلك راجعا الى المعلم لتيسير اسباب ذلك على يديه ولقد
صدق **ابن المبارك** رحمه الله حيث قال

وَهَلْ أَفْسَدَ الدِّينَ إِلَّا الْمُلُوكُ وَأَحْبَارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُهَا

وباعوا النفوس ولم يربحوا ولم يغل في البيع اثمانها
لقد رتع القوم في جيفة يبين لذي العقل انتانها

وروي عن حذيفة بن اليماني رضي الله عنه انه اخذ حصاة بيضاء فوضعها في كفه ثم قال ان الدين قد استضاء هذه ثم اخذ كفا من تراب فجعل يذره على الحصاة حتى واراها ثم قال والذي نفسي بيده ليجيئن اقوام يدفنون الدين هكذا كما دفنت هذه الحصاة ولتسلكن سبيل الذين كانوا قبلكم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل قلت ومنشأ وجود هذه المفاسد خراب بواطنهم وظلمة قلوبهم بسبب فقد اليقين منها وانكساف انوار الايمان فيها وانما بلاسهم من خفايا ذلك وعدم احتظائهم بشيء منه فصاروا بذلك ماسورين لاهوائهم منقادين لاغراضهم وارائهم فيفسدت بذلك نياتهم ومقاصدهم والاعمال بالنيات فاذا كانت النيات صالحة كانت الاعمال صالحة وترتب عليها اثار صالحة وانعطف من ذلك على القلوب مزيد اشراق وحميد اخلاق يوجب لها ذلك وجود القرب من الله تعالى ونيل درجة الحب منه واذا كانت النيات فاسدة كانت الاعمال ايضا فاسدة وترتب عليها اثار فاسدة وانعطف من ذلك على القلوب زيادة ظلمة ورداءة همة يقتضي البعد من الله تعالى وحلول

المقت

المقت منه وطلب العلم عمل من الاعمال معرض للعلة والاعتلال وليتفكر هؤلاء الذين استغرقوا اعمارهم في طلب العلم والاكثار منه واتعبوا انفسهم في الدراسة والتكرار وقطعوا ايامهم ولياليهم بالجوع والسهر وسمحت انفسهم بفراق ملذوذاتها والبعد عن جميع مالوفاتها هل بعثهم على ذلك باعث الدين او باعث الهوى ولا شك ان باعث الدين غير متصور منهم بل هو محال في حقهم لما قد شاهدتم من خراب البواطن وظلمة القلوب وكيف يتصور ذلك منهم وهم لا يعلمون ما تخلصهم من التكاليف الواجبة عليهم في ظواهرهم وبواطنهم بل لم يعرفوا ذلك البتة وان ادعوا انهم على احوال لا يجب عليهم فيها حكم لاحتاجوا الى معرفته والقيام به فهم مخدوعون ومرايين لهم ذلك والعلم به لا يحصل ضرورة فلابد لهم من استفادته ولا عناية لهم بذلك ايضا وانما كان يتصور منهم باعث الدين لو قربت اغراضهم لها عليهم ووصلوا الى ما يمكنهم الوصول اليه من شهواتهم واذا انقطع سبب من اسباب الدنيا ثم يصرفوا ما فضل من اوقاتهم عن محاولة هذه المطالب ونيلها الى طلب العلم عوضا عن البطالة التي تبرم بها صاحبها ويدعوه فراغه من اشتغال دنياه الى قطع ذلك الوقت بلهو او لعب او ارتكاب معصية وذنب لا البطالة التي تكون فيها استراحة لنفسه واستجمام

لعقلهم وحسه فيه هذه الحال قد يصلح باعث الدين في امثال
هؤلاء واما الحال التي وصفنا فلا يتصور عليها فاعل الا
الدنيا المجردة المجاورة للحد والنهم والمقت بمنزلة من هو
حريص على اتساع في الدنيا والحصول على غاية ملاذها فلا نه
يحمل فيما يوصله الى ذلك وان كان فيه هلاكه فترا يرتكب
الاخطار ويخوض لجاج البحار وفيوف البراري والقفار ويهون
عليه في جنب ما يؤمله كل مشقة تصيبه وبلية تنزل به ولو
لم يفعل هذا لم يحصل الا على سد الرمق والاقتصار على البلاغ
والعلو فكذلك هؤلاء الذين كلامنا فيهم لو لم ينظروا في خواطرهم
الحصول على كليات اغراضهم من اتساع مالهم وجاههم في دنياهم
ووصولهم مع ذلك الى رفيع الدرجات في عقباهم لم يبلغوا ذلك
المبلغ في الاجتهاد ولا قصروا على بعضه وهذه كلها امور
بينة لا اشكال فيها عند من له ادنى تمييز وفهم والسبيل المانع
لاكثر من ينتسب الى العلم من العمل بمقتضى ما ذكرناه خفاء
عليهم كيف وهم يعتقدون صحته ويسلمون حاصله وحقيقته
في الاحايين عندما ينجلي لهم ثم يرجعون في سائر اوقاتهم
الى ما الفوه واعتادوه وانما المنع لهم من ذلك انفراد الله
تعالى بالمشيئة والقدرة والاستيثار بالخذلان والنصرة فاذا
اراد الله تعالى ان يفعل بعبد امر عبادة لم ينظر عقله ولم ينفعه علم

قال الله

قال الله عز وجل ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا
وفي مثل هذا الموطن تبطل احكام الاسباب وتنمحق اوهام ارباب
الحقائق العظمة والجلال والعزة والكمال لرب الارباب فليعتبر
بما ذكرناه اولوا الابصار وليسلموا احكام الواحد القهار لعلهم
بذلك يهتدون الى منهج التحقيق فيعتبر بعض غيرهم من سوء الغروب
مصائب فوق عند فوق بواية وليتعلم العبد المؤمن اذا انظر اليهم
واعتبر بما جرا من سوء القضاء عليهم الحمد لله الذي عافاني مما
ابتلاهم وفضلني عليهم تفضيلا فقد روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال من رأى مبتلا فقال الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به
وفضلني عليك وعلى كثير ممن خلق تفضيلا عافاه من ذلك البلا كائنا
ما كان فعلى المعلم الناصح لنفسه العالم بعقله وحدسه العامل
على تصحيح اعماله وهمه المشفق على دينه الذي هو منوط بهمه
وهمه ان يتامل هذا المجالسة ويقيس بها ما توهمه من المصالح
الناشئة عن تعليمه بزعمه ويدقق النظر في ذلك كما ينبغي فقه
في اكثر المسائل التي لا يحتاج اليها ولا يقدم على التعليم في هذه
الازمنة دون العلل المزمنة حتى يقطع بوجوب ذلك عليه
من غير تردد ولا تجويز وقوع خطا في نظره ولا سبيل له الى هذا
ولا يسعه خلاف ذلك اذا كان منصفا قال بعضهم رأينا سفيان
الثوري حزينا فسالته عن ذلك فقال وهو بمن ما ضربا الافقيرا

لا بناء الدنيا قلت وكيف ذلك قال يلزمها احدى ثلاث حتى اذا
عرف بها وحمل حمل على ما طال او خرج بها او فجر ما نال او بايب
فيقول حدثنا سفيان الثوري وعليه ايضا ان يحرص على خلاص نفسه
فيما تدعو اليه من التعليم لان كل ما تستميله النفس ويوافق
غرضها مصحوب بالآفات والعلل التي تقدح في الاخلاص واخلاص
الاعمال شرط في وجود القبول وعند ذلك يذهب عمله ولا ينال
بسعيه طائلا وقد تقدم من كلام علي ابن ابي طالب رضي الله عنه
كونوا لقبول العمل اشد اهتماما منكم بالعمل عند قوله ما قل
عمل يبرز من قلب زاهد ولا كثر عمل يبرز من قلب راغب وقد تقدم
ايضا الكلام على اتهام النفس في دعاويها كلها فنبه عند قوله
اذا النفس عليك امران ولينفعك الحزم في ذلك من بشر بن الحارث
رضي الله عنه كان يقول انا اشتهي ان احدث ولو ذهبت عني شهوة
الحديث لحدثت وكان سبب تركه طلب الحديث انه سمع ابا
داود الطيالسي يحدث عن شعبة انه كان يقول الاكثار
من هذا الحديث يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون
فلما سمعه منه قال انتهينا انتهينا ثم ترك الرحلة
في طلب الحديث واقبل على العبادة وروي ايضا مثل هذا الكلام
عن مسعر بن كدام اما انا كان لا اكثر من الحديث بهذه الكتابة
عند اهل هذه الشهرة تبين في زماننا هذا مع ما فيه من الغوائل

الاخروية

الاخروية فهذا كفيل بغيره من فوائد ثمرات العلوم وفوائدها
ولقد روى الشيخ الحافظ ابو عمر ابن عبد البر رحمه الله باسناده
الى عبد الله بن مسلمة القعنبي رحمه الله قال دخلت على مالك
فوجدته باكيا فسلمت عليه فرد علي السلام ثم سكت عني
يبكي فقلت له يا ابا عبد الله ما الذي ابكاك فقال يا ابن قعنب
انا لله على ما فرط مني ليتني جلدت بكل كلمة تكلمت بها
في هذا الامر بسوط ولم يكن فرط مني ما فرط من هذا الرأي وهذه
المسائل وقد كان لي سعة فيما سبقت اليه قال وهذا يدل
على انه فيه من المسائل المحققة المبينة على اصول صحيحة غير
ملفقة بما الظن فما انتشر بعده من البدع التي يضار بها العادل
واقتضاء العصبية وتمالؤ الناس على الضلالة وتقليد الرؤساء الجهال
دنيا قوتها وهي الها مستقيمة وعلى كل واحد من العالم المتعلم ان يشتغل
بما هو اهم عليه مما هو مامور به ومسؤول عنه من مراقبة ربه واصلاح
نفسه وقلبه فلم في ذلك شغل شاغل عما يضره ويقسي
قلبه ويغيبه ذكر ربه عز وجل قال ابن وهب ذكر طلب العلم عند
مالك بن انس فقال ان طلبه حسن اذا صحت فيه النية ولكن انظر ما ذا
يلزمك من حين تصبح الى حين تمسي ومن حين تمسي الى حين تصبح
فلا تؤثرن عليه شيئا وكان الثوري يقول لاهل العلم الظاهر طلب هذا
ليس من زاد الآخرة وكان يقول ليس طلب الحديث من عدة الموت لكنه علة

بتحقق غلب بها الرجل وكان يقول لولا ان اتشكل به نصيبا مما
ازدحمت عليه بحث العلم وهذه نبذة قصدنا الاشهار
في هذا الموضع الذي يحظى من هذا التنبيه لينتبه به من سبق
له من الله زوال الغلو على بصره ومراجعة خوفه وحذره من العلميين
والمتعلمين وليتبين بها كلام المؤلف رحمه الله غاية التبيين
وبالله الذي لا اله سواه استعين متى آلمك عدم اقبال
الناس عليك او توجههم بالذم اليك فارجع الى علم الله
فيك فان كان لا يقنعك علمه فمصيبتك بعدم قناعتك
بعلمه اشد من مصيبتك بوجود الاذى منهم العبد لا ينبغي
ان يكون مطمح نظره الى مولاه فلا يفرح الا باقباله عليه ولا يحزن
الا لاعراضه عنه ولا ينظر الى الخلق فيما في اقبال ولا اعراض ولا
مدح ولا ذم فانهم لا يغنون عنه من الله شيئا وقد تقدم هذا
المعنى عند قوله غيّب نظر الخلق اليك بنظر الله اليك وغب
عن اقبالهم عليك بشهود اقباله عليك فمتى آلمه عدم اقباله
عليه وتوجههم بالذم اليه فليرجع الى ما بينه وبين ربه
فان كان قانعا بعلمه راضيا بقسمه كان له ذلك اعظم
سلوان عما يفوته من جهة الخلق فيبدل الحزن فرحا قلبه
لما عسى ان يكون منهم من اقبال واعراض وان لم راضيا ولا قانعا
بمصيبته بذلك اعظم من مصيبته باذى الناس له بل لا مصيبة

في الاذى

في اذى الناس البتة عند من عرف حسن ذلك على ما ذكره المؤلف الان
قال ابو ربيع التميمي رضي الله عنه لبعض اصحابه ما يقول الناس
في فقال يقولون انك مراء فقال الان طاب العمل وقال بشر رضي الله عنه
اكتفي والله بعلم الله فلم يجب ان يدخل مع علم الله علم غيره ق
قال بشر الحافي سكون القلب الى قبول المدح لها اشد عليها
من المعاصي انما اجرى الاذى عليهم كي لا تكون ساكنا اليهم
اراد ان يزعجك عن كل شيء حتى لا يشغلك عنه شيء وجود
اذية الناس للعبد نعمة عظيمة عليه لا سيما ممن اعتقد منهم
الملاطفة والاكرام والمبرة والاحترام لان ذلك يفيده عدم السكون
اليهم وترك الاعتماد عليهم وفقد الانشراح بهم فيتحقق بذلك عبو
دية ربه عز وجل قال شيخنا ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه
آذاني انسان مرة فضقت ذرعا بذلك فنمت فرأيت يقال لي
علامة الصديقية كثرة اعدائها ثم لا يبالي بهم وقال بعض
العارفين الصيحة من العدو سوط الله يضرب به القلوب اذا سكنت
غيره لولا ذلك لرقد القلب في ظل العز والجاه وهو حجاب عن الله
عظيم وقال سيدنا ابو محمد عبد السلام شيخ سيدي ابي الحسن رضي الله عنهما
في دعائه اللهم ان اقواما سألوك ان تسخر لهم خلقك فسخرت
لهم خلقك فرضوا منك بذلك اللهم واني اسألك اعوجاج الخلق
علي حتى لا يكون ملجئي الا اليك وقال ابو الحسن الوراق النيسابوري

رضي الله عنه الانس بالخلق وحشة والطمانينة اليهم حمق
والسكون اليهم عجز والاعتماد عليهم وهن والثقة بهم
ضياع واذا اراد الله بعبد خيرا جعل انسه به وبذكره وتوكله
عليه وصان سره عن النظر اليهم وظاهره عن الاعتماد عليهم وقد
قالوا الزهاد يخرجون المال من الكيس تقربا الى الله تعالى واهل الصفا
يخرجون الخلق والمعارف من القلب تحققا بالله عز وجل قال
في لطائف المنن اعلم ان اولياء الله تعالى حكمهم في بدايتهم
ان يسلط الخلق عليهم ليطهروا من البقايا وتتكمل فيهم
المزايا ولئلا يساكنوا الخلق باعتماد او يميلوا اليهم باستناد
ومن اذاك فقد اعتقك من رق احسانه ومن احسن اليك
فقد استرقك بوجود امتنانه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من
اسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تقدروا فادعوا له
كل ذلك ليتخلص القلب من رق احسان الخلق ولتتعلق
بالملك الحق قال وقال الشيخ ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه
اهرب من خير الناس اكثر مما تهرب من شرهم فان خيرهم
يصيبك في قلبك وشرهم يصيبك في بدنك ولان تصاب في بدنك
خير من ان تصاب في قلبك ولعدو تصل به الى الله خير لك من حبيب
يقطعك عن الله وعد اقبالهم عليك ليلا واعراضهم عنك نهارا
الا تراهم اذا اقبلوا افتتنوا قال وتسليط الخلق على اولياء

الله

الله في مبدا ظهورهم سنة الله في احبائه واصفيائه
قال الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه اللهم ان القوم قد حكمت
٢٢٨ عليهم بالذل حتى عزوا وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا
فكل عز يمنع دونك فنسالك بدله ذلا تصحبه لطائف
رحمتك وكل وجد يحجب عنك فنسالك عوضه فقدا تصحبه
انوار محبتك قال ومما يدلك ان هذا سنة الله في احبائه و
اصفيائه قوله تعالى وزلزلوا الاية وقوله ان الذين يقاتلون بانهم
ظلموا الى غير ذلك من الايات الدالات على هذا المعنى انتهى وكذلك
من استعمل حالا او سكن مقاما جرت سنة الله تعالى مع اوليائه تشويش
ذلك عليهم وهو من غيرته على قلوبهم لئلا تناله الغيرة ولئلا
تقيد بسواه قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه في القاطع (?)
المسالكة الشكوى الى استعلاء ما بك فيك من فنون تفريقه وكانه
في تخلل ما ابتلاك به بما غيبه فانه يكل الطبيعة يطيبك (?) ويكربك
محنتهم خدع خفية ومن ادركته السعادة كاشفه بشهود
جلاله وجماله لا بل ابدا ثم نتجة (?) لطيف احواله وما يخصه به من افضاله
واقباله واداء الطاعة على وجه الاستعلاء معه ودعنه (?) من
الشهوة الخفية ومن هذا المعنى ما ذكر عن صحبة ابي العباس
الشاذلي رضي الله عنه لما دخل على شيخه ابن عبد السلام في اوان الغيب (?)
وساله عن حاله فقال انا اشكو الى الله من برد الرضا والتسليم كما

تشكو النفس من حر التدبير والاختيار قال الشيخ ابو الحسن
اما شكواي من حر التدبير والاختيار فقد ذقته وانا الآن
فيه واما شكواك من برد الرضى والتسليم فلم اذقه فقال
اخاف ان تشغلني حلاوتها عن الله سبحانه وقال الشيخ ابو
العباس المرسي رضي الله عنه القطب محجوب عن القطبية في السكون
اليه والوقوف عنده وشدة الفرح به ولذلك قال سري السقطي
رضي الله عنه لو ان رجلا دخل الى بستان فيه من جميع ما خلق الله
تعالى من الاشجار عليها من جميع ما خلق الله من الاطيار فخاطبه كل
طائر منها بلغته السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه الى
ذلك كان في يديها اسيرا وقال بعضهم لا يكون الصوفي صوفيا حتى
لا تقله ارض ولا تظله سماء ولا يكون له قبول عند الخلق ويكون
مرجعه في كل احواله الى الحق وقيل الفقير من لا تنبغي له ولا فخر
بان عرض على ملك قال ليس من رجالنا من سلم الى رضوان فسلا
لا افتح اليه وليس من رجالي وان قلت من هو وما الذي يدعي
قال ليس ممن يدعي بشيء وقال محمد بن حسان رضي الله عنه
بينما ادور في جبل لبنان اذ خرج شاب قد احرقته
السموم والرياح فلما نظر الي ولى هاربا فتبعته
وقلت تعظني بكلمة فقال احذر فانه غيور لا يحب ان يرى
في قلب عبده سواه وكتب الجنيد رحمه الله عنه الى بعض اخوانه

تم اقرار

229

من اشتكى الى الله وشكى الى غيره ابتلاه الله وحجب ذكره
عن قلبه واجراه على لسانه فان انتبه وانقطع من شكره اليه
ورجع الى ما اشار اليه كشف الله ما به من المحن والبلوى وان
دام على شكوته نزع الله من قلوب الخلق الرحمة عليه والبسه
لباس الطمع فتزداد رغبته منهم مع فقدان الرحمة من قلوبهم
فتصير حياته عجزا وموته كمدا ومعاده اسفا ونعوذ
بالله من الشكوى الى غيره اذا علمت ان الشيطان لا يغفل عنك
فلا تغفل انت عمن ناصيتك بيده الشيطان عدو مسلط على
الانسان ومقتضى ذلك لا توجد منه غفلة ولا فترة عن التزيين
والاغواء والاضلال قيل لبعضهم اينام ابليس فقال لو نام
لوجدنا راحة فاذا علمت انه لا يغفل عنك فلا تغفل انت
عمن ناصيتك بيده وهو الله عز وجل واذا فتحقق عبوديتك
له وتوكلك عليه وافتقارك في كل احوالك اليه واستعاذتك
به من شر عدوك وعدوه فبذلك تخرج من سلطانه وتنجو
من غائلته قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك
وكيلا وقال عز وجل من قائل انه ليس له سلطان على الذين آمنوا
وعلى ربهم يتوكلون فان تحقق بهذه الصفة العلية من الايمان بالله
والعبودية له والتوكل عليه والالتجاء والافتقار اليه والاستعاذة
والاستجارة به كيفما لمعه وانه عليه سلطان والله حسبهم

وولي حفظه ونصره ولو كان ما أمرهم الله تعالى بالاستعاذة منه
ما استعاذوا منه ومن هو حتى يستعاذ بالله منه سأل
سيدي أبو العباس رضي الله عنه في قوله تعالى إن الشيطان لكم عدو
فقوم فهموا من هذا الخطاب أنهم أمروا بعداوة الشيطان
فشغلهم ذلك عن محبة الحبيب وقوم فهموا من ذلك أن الشيطان
لكم عدو وأنا لكم حبيب فاشتغلوا بمحبته فكفاهم
من دونه وقال أبو حازم رضي الله عنه ومن الشيطان حتى يهاب
لقد أطيع فما نفع ولقد عصي فما ضر وقال بعضهم الشيطان
منه في هذه الدار تمحص به أقدام النفس وهي منبع الشرور
وأنواع الفساد والمعاصي إليه أدبا مع الله عز وجل وهذا أمر
إيجاد كما قال وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره وقوله تعالى
هذا من عمل الشيطان وإما أن له حولا أو قوة يضر به أو ينفع فلا قال
أبو سليمان الداراني رضي الله عنه ما خلق الله عز وجل خلقا
أهون عليه من إبليس لولا أن الله عز وجل أمرنا نتعوذ منه
ما تعوذنا منه أبدا وقيل لبعض العارفين كيف مجاهدتك
للشيطان فقال الشيطان نحن قوم صرفنا هممنا إلى الله
فكفانا من دونه وسئل بعضهم فما تدع فقال لا أدع من
لا أعرف فأما إن أهملت ذلك وغفلت عنه ولم تعبأ به غلبك
بالجملة لثبوت سلطنته عليك ووصوله بالوسوسة إليك

قال أهل

قال أهل العلم لكل أحد من الناس وسواس موكل به مستقبلا
قلبه واضعا رأسه وقيل خرطومه عليه فإذا غفل العبد
وسوس وإذا ذكر الله خنس أي تأخر واستتر وقال
يحيى بن معاذ رضي الله عنه الشيطان فارغ وأنت مشغول والشيطان
كبير وأنت سليم الناحية والشيطان لا ينساك وأنت لا تزول
تنساه وله من نفسك عليك عون وقيل هو في ابن آدم عسكر
له ومجراه من ابن آدم مجرى الدم وأنت لا تقوم له إلا بعون
الله تعالى وقال مالك بن دينار رضي الله عنه أرعد وأبرق
ولا تزال الشديد المؤونة إمام عظيم الأذى وفيه يقول القائل
وكان تراه حيث لا يراك وعندما أنساه لا ينساني فيقيني أنه تحت سبيه
وقال ذو النون المصري رضي الله عنه إن كان هو يراك من حيث لا تراه
فإن الله يراه من حيث لا يرى الله فاستعن بالله عليه وعن أبي
سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول قال إبليس لربه عز وجل بعزتك وجلالك لا أبرح
أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم قال له ربه بعزتي و
جلالي لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني جعله لك عدوا
ليحوشك به إليه وحرك عليك النفس ليدوم إقبالك
عليه عداوة الشيطان عليك نعمة عظيمة من الله عليك إذ
من مقتضاها كما قلناه أن لا تغفل عنه وأن تبذل جهدك

في محاربتك ومقاتلتك بنفسه وبجنوده وخيله ورجاله
ولا طاقة لك على مقاتلته بنفسك لانك في غاية الضعف والعجز
فيضطرك الحال لا محالة الى الاستعانة عليه بمولاك الغني المتين
فيرجع منك حينئذ الالتجاء اليه والافتقار اليه والتوكل عليه
في دفعه عنك فعداوة الشيطان هي التي ردتك الشيطان
الى تعلقك بها اليه وجمعك بها عليه وهذا هو غاية المقصود
كذلك حركة النفس عليك بالحمل على متابعة الشهوة لما جبل
فيها من الطبع والجبلة نعمة عظيمة ايضا وان كانت اعداء الاعداء
لك اذ بواسطتها يتوصلون اليك وبامرها يعملون فيما يعود
بالضرر عليك من قبل انك لا تقدر على مجاهدتها وقطع هواها
الممتزج بلحمك ودمك الا من هو اقوى منك وليس ذلك الا
مولاك فيؤديك ذلك بهذا الى دوام الاقبال اليه والعكوف
بالحضرة عليه وكان المولف رحمه الله قصد في هذه الكلمات
الى ذكر الاعداء الاربعة المذكورين في قول الشاعر
اني بليت باربع يرمونني ... بالنبل عن قوس لها توتير
ابليس والدنيا ونفسي والهوى ... يا رب انت على الخلاص قدير
ويتبع كلامه وجود عداوتهم ووجود الاحتراز منها
وتضمن ذلك بيان ان تلك العداوة وان عظمت من اعظم
الوسائل الى اسنا المطالب لمن اراد بذلك وجهه

والتي

والتي بجميع ذلك والعالم بدعة مختصرة وجيزة محررة
فاعرف قدر هذه الفضل واعترف لواضعه بكمال النبل والفضل
وقال رضي الله عنه من اثبت لنفسه تواضعا فهو المتكبر
حقا اذ ليس التواضع الا عن رفعة فمتى اثبت لنفسك
رفعة فانت المتكبر اثبات التواضع يقتضي وجود الرفعة
لا محالة اذ لو كانت معدومة لكان ضدها وهو الضعة ثابتا
موجودا وينتفي عن العبد التكبر الا بوجود الضعة ووجود الضعة
لا يحتاج الى اثبات من العبد لانه ثابت في نفسه فالتواضع الذي
اثبته العبد لنفسه لا ينتفي عنه وجود التكبر بالضرورة وايضا
فان لفظة التواضع فوزنه لك فان التواضع تفاعل من الضعة
واكثر باب التفاعل موضع الاظهار وليست كذلك كالتقادم و
التكاسل والتعارج والتماوت وغير ذلك فلفظة التواضع لا يقتضي
ما يقتضي الضعة وعدم الرفعة ولا يلزم من وجودها ذلك والمطلوب
من العبد ان يتحقق بذلك حقيقة الاتصاف به بان ينتفي عنه
وجود الرفعة بالكلية وحينئذ يبرا العبد من الكبر ولا يكون له
وجود البتة ليس المتواضع الذي اذا تواضع رأى انه فوق ما صنع
بل المتواضع الذي اذا تواضع رأى انه دون ما صنع هذا دليل
اخر لما ذكره من ان العبد المتواضع حقيقة لا يثبت التواضع
لنفسه لانه يشهد من ضعة قدره وخمول ذكره وذاته

ومطالبته مما يضعه من ذلك وهذا هو التواضع الحقيقي
وهو شهودك لذلك ووجدك به وظهور آثاره في ظاهرك
بأن شهودك لذلك ووجودك به ظهور ما يقدح في حقيقة
تواضعه كما قال الشيخ ابو عبد الله القرشي رضي الله عنه من وجد
دون ذله في ذله فهو متعزز وفيه بقية فهذا العبد المتلطخ
بهذه الصفة لو فعل من افعال المتواضعين ما شاء لم يثبت بذلك
لنفسه فان اثبته لنفسه ورءا نفسه فهو ما ضيع مما بقيت في
وجود صفة التواضع له بزعمه فهو متكبر حقيقة ولذلك
قال الشبلي رضي الله عنه يوما في بعض كلامه ذلي عطل ذل اليهود
وقال من رأى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب وقال
ابو سليمان رضي الله عنه لا تواضع العبد لله حتى يعرف نفسه
وقال ابو يزيد رضي الله عنه ما دام العبد يظن ان في الخلق من هو
شر منه فهو متكبر قيل فمتى يكون متواضعا قال اذا لم
ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل احد على قدر معرفته
بنفسه وبربه وقال ابو سليمان رضي الله عنه لو اجتمع
الخلق على ضعتي كاتضاعي عند نفسي ما قدروا عليه وقال
يونس ابن عبيد رضي الله عنه وقد انصرف الناس عن عرفات
لم اشك في الرحمة لولا اني كنت فيهم وقيل لسعيد بن ... تلك
ادع الله لنا فبكى وقال ليتني لم اكن سببا لهلاككم وقيل

علامات

ومن علامات التخلق بهذا الخلق ان لا يغضب اذا عيب او تنقص
٢٣٢ ولا يكره ان يذم ويقذف بالكبائر ومن علامات تحققه به
ايضا ان يشتد حرصه على ان لا يكون له جاه وقدر عند
الناس ويلزم الصدق في ذلك بان لا يرى لنفسه موضعا في قلوبهم
فقد تقدم هذا المعنى عند قوله ادفن وجودك في ارض
الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه ويحكى عن ابي
القاسم ابن الكرنبي استاذ الجنيد رضي الله عنهما ان رجلا
دعاه ثلاث مرات الى طعامه ثم يرده فيرجع اليه بعد ذلك
حتى ادخله داره في المرة الرابعة فسأله عن ذلك فقال قد رضت
نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد
فينطرد ثم يدعى فيعود ويرمى له عظم فيجيب ولو رددتني خمسين
مرة ثم دعوتني بعد ذلك لاجبتك قال ابو طالب رضي الله عنه
وقد [illegible] عن بعض الصوفية انه نعلى رجل في كل جمعة [illegible] وقال ان كان
[illegible] فسح لله تعالى وقال اجلس فكل فقال الشيخ في كيفية فلا علالة في كيفية
فقعد مكانه يأكل فسأله عن الامتناع من الجلوس معه وقال
ان حالي مع الله الذل فكرهت ان اجاوز حالي قال وكان هذا ربعه
مدة يدعى الى العرس فيجعل فيه حارسه ومن اغرب ما رأيت
في التواضع ما ذكره صاحب كتاب عوارف المعارف قال ورأيت
شيخنا ضياء الدين ابا النجيب وكنت معه بسفره الى الشام

وقد بعث بعض ابناء الدنيا له طعاما على رءوس الاسارى
من الافرنج وهم في قيودهم فلما مد الحصيرة والاسارى ينتظرون
الاوان حتى نفرغ وقال للخادم احضر الاسارى حتى يقعدون
على الحصيرة مع الفقراء فجاء بهم واقعدهم على الحصيرة صفا
واحدا وقام الشيخ من سجادته ومشى اليهم وقعد بينهم
كالواحد منهم واكل واكلوا وظهر لنا على وجهه ما نزل بالمنة
من التواضع لله تعالى والانكسار في نفسه وانسلاخه من التكبر عليهم
بايمانه وعلمه وعمله واغرب من هذا ما ذكره صاحب كتاب بغية
الطالب ومنية الراغب ابو الحسن علي بن عتيق بن مومن القرطبي
رحمه الله عن ابيه انه رءا الشيخ الفقيه ابا محمد عبد بن عبد
الرحمان ابن معيد وكان من الفقهاء العلماء يوما وهو يمشي
في يوم شتاء كثير الطين فاستقبله كلب يمشي على الطريق
التي كان عليها قال فرايته قد لصق بالحائط وعمل للكلب
دوقه ينتظره ليجوز وحينئذ يمشي هو فلما قرب منه
الكلب قال فرايته قد ترك مكانه الذي كان فيه ونزل اسفل
وترك الكلب يمشي فوقه قال فلما جاز الكلب وصلت اليه
فوجدته وعليه كآبة فقلت له يا سيدي اني رايتك صنعت
الان شيئا استغربته كيف رميت بنفسك في الطين وتركت
الكلب يمشي في موضع نقي فقال لي بعد ان عملت له طريقا

تحته

تحته تفكرت وقلت ترفعت على الكلب وجعلت نفسي
ارفع منه بل هو والله ارفع مني واولى بالكرامة لاني عصيت
الله تعالى وانا كثير الذنوب والكلب لا ذنب له فنزلت عن ٢٣٢
موضعي وتركته يمشي عليه وانا الان اخاف المقت من الله
الا ان يعفو عني لاني رفعت نفسي على ما هو خير مني التواضع
الحقيقي هو ما كان ناشئا عن شهود عظمته وتجلي
صفته شهود عظمة الله تعالى وتجلي صفته هو الذي
يوجب للعبد وجود التواضع الذي ذكرناه لان ذلك هو الذي
يخمد النفس ويذيب خبثها ويكمل اشتغالها بما تجلى له
لشيء لا خفاء له فلا تنقلع من القلب شجرة الرياسة والكبر
الا به لا بما تتكلفه العبد وينتحله بنفسه من اعمال
واحوال قال الجنيد رضي الله عنه التواضع عند اهل التوحيد
تكبر قال ابو حامد ولعل مراده ان المتواضع يثبت نفسه
ثم يضعها والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيئا حتى
يضعها او يرفعها وقال ذو النون المصري علامة من اراد
التواضع فليوجه نفسه الى عظمة الله تعالى فانها تذوب وتصغر
ومن نظر الى سلطان الله تعالى ذهب سلطان نفسه لان النفوس
كلها حقيرة عند هيبته ومن اشرف التواضع الا ينظر
الى نفسه دون الله قاله في كتاب عوارف المعارف والعلم

ان العبد لا يبلغ حقيقة التواضع الا عند لمعان نور المشاهدة
في قلبه فعند ذلك تذوب النفس وفي ذوبانها صفاؤها
من غش الكبر والعجب فتلين وتنطبع للحق بمحو اثارها
وسكون وهجها وغبارها الا يخرجك عن الوصف الا شهود
الوصف هذه عبارة مليحة موافقة لمعنى ما تقدم الا ان الوصف
المذكور اولا وصف العبد والوصف المذكور ثانيا وصف الرب تعالى
المومن يشغله الثناء على الله عن ان يكون لنفسه شاكرا
وتشغله حقوق الله عن ان يكون لحظوظه ذاكرا شكر
النفس نسبة الافعال الجميلة والاحوال الحميدة اليها وذلك ثناء
عليها وهو مضاد للثناء على الله تعالى وذكر حظها من اعتقاد ان لها
حقا على ما تفعله من الطاعات وهو مضاد للقيام بحقوق الله تعالى
فالمومن الحقيقي لا يلتفت في نفسه في نسبة شيء من المحاسن
اليها وفي طلب حظ عليها لها بل يشغله الثناء على الله
تعالى والحرص على توفية حقوقه عن جميع ذلك ليس
المحب الذي يرجو من محبوبه عوضا او يطلب منه
غرضا فان المحب من يبذل لك وليس المحب من تبذل له
المحبة تقتضي من المحب بذل كلياته وجزئياته في مرضات
محبوبه من غير طلب حظ ينال منه فهذا ما يلزم
وجود المحبة كما قيل ان المحب اذا احب حبيبه

تلقاه

تلقاه يبذل فيه ما لا يبذل بل يرى ما فعل من ذلك غاية
الحظ وموافقة رضى محبوبه ونهاية السعادة والبغية
٢٣٧
كما قال ابو حفص عمر بن الفارض رحمه الله تعالى
ما لي سوى روحي وباذل روحه في حب من يهواه ليس بمسرف
فلئن رضيت بها فقد اسعفتني يا خيبة المسعى اذا لم تسعف
ولذلك قال المحبة الايثار وهو الايداع للمحبوب بميسور اذا
بذله ولا ممكنا الا استعمله ولا يبقي لنفسه ولحظه نفسا ولا انسه
ولا يستثني من كل ما بذله مهجته وانشدوا
لئن بقيت في العين مني قطرة لاني اذا في العاشقين دخيل
وقال ابو عبد الله القرشي رضي الله عنه حقيقة المحبة ان تهب
كلك لمن احببت حتى لا يبقى لك منك شيء وقال ابو يعقوب
السوسي حقيقة المحبة ان ينسى العبد حظه من الله
وينسى حوائجه اليه وقيل لبعض المحبين المحبوبين وكان
قد بلغ المجهود في بذل ماله ونفسه حتى لم يبق منه بقية
ما كان سبب حالك هذه في المحبة فقال كلمة سمعتها من خلق
علمتني في هذا البلاء قيل وما هي قال سمعت محبا خلا بمحبوبه
وهو يقول انا والله احبك بقلبي كله وانت تعرض عني بوجهك
كله فقال له المحبوب ان كنت تحبني فاي شيء تنفق علي فقال
يا سيدي املكك ما املك ثم انفق عليك روحي حتى اهلك
فقلت هذا خلق لخلق وعبد لعبد فكيف بخلق لخالق

وعبد لمعبود فكان هذا سببه بهذا الذي ذكرناه من
لوازم المحبة الحقيقية واما رجاء العوض وطلب الغرض
فهو حال من مقامه الرجا وليس من مقام المحبة المخصو
صة قال الشاعر من لم يكن بك فانيا عن حظه
وعن الهوى والانس بالاحباب فلانه بين المراتب واقف
لمنال حظه او لحسن مئاب وقال اخر
وما انا بالباغي على الحب رشوة ضعيف هوى يرجى عليه ثواب
وقال ابو محمد رويم من احب العوض بغير العوض اليه محبوبه
وقيل اوحى الله عز وجل الى عيسى عليه السلام انا اذا اطلعت على قلب
عبد فلم اجد فيه حب الدنيا والاخرة ملاته من حبي وقال
بعض المحبين كوشفت باربعين حوراء رايتهن يتساعين في
الهواء عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر يتخشخش
ويتثنى معهن فنظرت اليهن نظرة فعوقبت اربعين يوما
قال ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن في الحسن
والجمال وقيل لي انظر اليهن فسجدت وغمضت عيني لئلا
انظر اليهن وقلت اعوذ بك مما سواك لا حاجة لي بهن
فلم ازل اتضرع الى الله حتى صرفهن عني وذكر الشيخ الحافظ
ابو نعيم رضي الله عنه قال قال لي ميسرة الخادم غزونا في
بعض الغزوات فاذا فتى الى جانبي واذا هو مقنع في الحديد
فحمل على الميمنة حتى انثناها وعلى الميسرة حتى انثناها

ثم حمل

ثم حمل على القلب حتى ثناه ثم انشا يقول
أفسني بمولاك سيحييها اهنا هذا الذي كنت له تمنا
تنح يا حور الجنان عنا ما لك فاتلنا ولا قتلنا
ابرالى ربك تشتيطا فا قد علم السر وما اعلنا
قد كنت ارجوا وارجاء لم يخب الا يضيع اليوم كدي والطلب
يا من ملا تلك القصور باللعب لولاك ما طابت ولا كان الطرب
فحمل وقتل منهم عددا ثم رجع الى مصافه فتكالب به العدو
فحمل الثالثة ثم انشا يقول يا نفس في ثم اسمعي
ما لك فاتلنا فكجي وارجعي ثم ارجعي الى الجنان واسرعي
لا تطمعي لا تطمعي فقاتل حتى قتل واجل ما ذكرناه
من اقتضاء مقام المحبة تخلية البدل من المحب لزم وقوع
الابتلاءات والمحن البلايا حتى يحصل له توفية حقوق هذا المقام
على التمام ولهذا قال بعضهم اول ما يعقد المحب وطلب العبد
الطلب العاقبة والجنة والاعمال وغير ذلك فان قال لا اريد الا انت
فالله من دخل معي في هذه المساحة كل باسقاط الحظوظ ورفع
الحدوث وثبوت العدم وذلك يوجب لك العدم قال بعض
العلماء اذا رايته محبته ورايته يبتليك فاعلم انه يريد
ان يصافيك وقال بعض المريدين لاستاذه قد تولعت
بشيء من المحبة فقال يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواه

فما ترتب عليه اياه فقال لا تضع نفسك في المحبة فانه
لا يعطيها احد حتى يبلوه وقال بعض اصحابنا رضي
الله عنهم كل اهل المقامات يرجى ان يعفوا عنهم و
يسمح لهم الا اهل المعرفة والمحبة فانهم يطالبون
بكل شهوة مطالبة وفي كل حركة وسكون وفكرة وخطرة
لغير الله مع الله وقال ابرهيم بن ادهم رضي الله عنه وكان له
مقامات في المحبة رفيعة قلت ذات يوم يا رب ان كنت
اعطيت احدا من المحبين لك ما تسكن به قلوبهم قبل لقائك
فاعطني ذلك فقد اضر بي القلق قال فرايت في النوم انه اوقفني
بين يديه فقال يا ابرهيم اما استحييت مني ان تسالني ان
اعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائي فهل يسكن المشتاق قبل
لقاء حبيبه ام هل يستريح المحب الى غير مشوقه قال
فقلت يا رب تهت في حبك فلم ادر ما اقول فاغفر لي وعلمني
كيف اقول فقال قل اللهم رضني بقضائك وصبرني على
بلائك واوزعني شكر نعمائك انتهى فللمحبين قلق
خطرات ولطائف ملاحظات ويظهر لهم ذلك في صفاء
فيجهوا العبد مواطن قربهم فهم يفرون منها ويجزعون
عنها مخافة ان يغتروا بشيء من ذلك قلوبهم بادنى ميل
او مساكنة فيوجب ذلك لهم السقوط من مقامهم الرفيع

الى

الذي اهلهم له واهلوا له ولذلك قال ابو محمد سهل بن عبد الله
رضي الله عنه جناية المحب عند الله تعالى اشد من معصية
العالمة وهو ان يسكن الى غير الله تعالى او يستانس بسواه
وقيل اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام نعم العبد برخ هو في
الا ان فيه عيبا قال يا رب وما عيبه يعجبه نسيم الاسحار يا داود
اني حرمت على القلوب ان يدخلها حبي وحب غيري وحكي ان الله تعالى
قال لموسى عليه السلام نعم العبد برخ هو في الا ان فيه عيبا
قال يا رب وما عيبه قال يعجبه نسيم الاسحار فيسكن اليه ومن
احبني لم يسكن الى شيء ويروى ان عابدا عبد الله في غيضة دهرا
طويلا فنظر الى طير قد عشش في شجرة ياوي اليها وكان يصفر
عندها فقال لو حولت مسجدي الى تلك الشجرة فكنت انس بصوت
ذلك الطير ففعل فاوحى الله الى نبي ذلك الزمان قل لفلان العابد
لكنا انست بمخلوق ولاحطنك درجة لا تنالها بشيء من عملك ابدا
ولا خفاء ان النفوس ما تحقق سير السائرين لا مسافة بينك و
بينه حتى تطويها رحلتك ولا قطعة بينك وبينه حتى تمحوها
وصلتك السير الى الله تعالى هو قطع عقبات النفس ومحو اثار
دعاويها وغلبة احكام طبيعتها وجبلتها حتى تطهر من ذلك
وتحصل لها اهلية القرب من الله تعالى وتصل الى سعادتها الغاية ولولا
منازلات هذه الاشياء لم يتحقق السير والسلوك فيها والى

والحق تعالى اقرب الى العبد من نفسه في البعد الحسي وهو
المسافة التي تطويها رحلته والبعد المعنوي والقطعة
التي تمحوها وصلته محال لانه سبحانه تعالى النفي المشابهة في
الاول وعدم الضدية في الثاني وهذه الالفاظ التي عبر بها المؤلف
رحمه الله من السير والميادين والرحلة والوصلة وفي معناها
السير والسلوك والذهاب والرجوع وهي عبارات استعملها
الصوفية في امور معنوية تجوزوا بها من امور حسية ومرجع
جميع ذلك الى علوم ومعاملات يتصف بها العبد لا غير
وهذا الكلام الذي ذكره المؤلف رحمه الله تعالى هاهنا وما تقدم
له ولنا غير ما مرة من ان النفس هي الحجاب الاعظم للعبد
عن الله تعالى وان بمجاهدتها وقمعها وموتها تنال السعادة
لقاء الله تعالى جميع المعنى قال بعضهم ما الحياة الا بالموت
اي ما حياة القلب الا باماتة النفس وقيل النعمة العظمى
الخروج من النفس لان النفس اعظم حجاب بينك وبين الله وقال سيدي
ابو محمد رضي الله عنه من لم يمت لم ير الحق وقال سيدي
ابو العباس رضي الله عنه لا يدخل على الله الا من باب
الفناء الاكبر وهو الموت الطبيعي واما باب الجنة الخ
تعيينه هذه الطائفة وعن حاتم الاصم رضي الله عنه انه قال
من دخل في مذهبنا هذا فليجعل في نفسه اربع خصال من الموت موتات

موت

٢٣٧

موت احمر وموت اسود وموت ابيض وموت اخضر فالموت
الابيض الجوع والموت الاسود احتمال اذى الناس والموت الاحمر
مخالفة النفس والموت الاخضر طرح الرقاع بعضها على بعض
وقال سهل بن عبد الله رضي الله عنه للنفس سر ما ظهر
ذلك السر على احد من خلقه الا على فرعون فقال انا ربكم الاعلى
ولها سبع حجب سماوية وسبع حجب ارضية فكلما يدفن
العبد نفسه ارضا ارضا سما قلبه سماء سماء فاذا دفنت
النفس تحت الثرى وصلت بالقلب الى العرش يعني بذلك اذا
قاطعتها وبارزتها وسبيل المريد الى الوصول الى موت النفس
انما يكون بتقديم الافتقار والالتجاء والرغبة الى مولاه في تعيينه
ويقويه على امر نفسه ويسهل عليه طريق سلوكه وليستعمل
في كل حال ووقت وليجعل همته فيما هو بسبيله وقد تقدم
قال المؤلف رحمه الله متى وقف مطلب انت طالبه بربك وقال بعض
العارفين لا يمكن الخروج من النفس بالنفس وانما يكون الخروج من النفس
بالله ثم يشتغل بمراعاة حدود الشريعة والطريقة في ظاهره
وباطنه والتزام ادابهما ولكل عضو عمل مخصوص بمقتضى الحالة
حكما مخصوصا يقوم بحقه وذلك يختلف باختلاف احوال الناس
فحركات العبد وسكناته من اعماله الظاهرة وقصوده وهمومه
وارادته من اعماله الباطنة وكل واحد من القسمين ينبغي ان يتحقق فيه

بعزائم الامور ويجتنب الرخص التي هي شان العامة و
الجمهور حسبما تقدم في قوله من جهل المريد ان يسيء
الادب فتوخر العقوبة عنه فيجعل الامهال اكراما فليبادر
الى فعله ولا يتوانى عنه وليتصف بجميع ادابه اللازمة له ويلتحق
بذلك ما يكون مندوبا اليه اذا علم بان فيه قربة فهو وانما اشترطنا
هذا الشرط لان المندوبات التي تعترضه يحتاج فيها الى تقديم
الاولى فالاولى والاهم فالاهم منها فان لم يعمل على هذا وقدم ما اليسر
فانه كان متبعا للهوى لا لموجب العلم وليأخذ في ذلك بالقصد
من غير افراط ولا غلو ولا تقصير وفي حديث عائشة رضي الله
عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلفوا من العمل
ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وان احب العمل ادومه وان قل
وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين يسر
ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا وان
كان حراما فليبادر بالترك والاجتناب وليقطع عن نفسه جميع
اسبابه ويلتحق بذلك ما يكون مكروها وان كان مباحا
فهذا هو محل نظر المريد فعليه ان ياخذ بالعزيمة فيه
ويقف على حدود الضرورة منه وليكن اجتنابه لما يشتد ميل
النفس اليه ويعظم حرصها عليه اكثر من اجتنابه لما بعد منه
ذلك ويختلف ذلك باختلاف الاشخاص فرب شخص تميل نفسه

الى ما لا تميل

الى ما لا تميل اليه نفس شخص اخر فليشتغل المريد بقطع
ذلك وزوال علاقته من قلبه بالرياضة والمجاهدة وليستتر
ذلك حتى يكون وقوعه على ما لا بد له منه على وجه الطاعة والقربة
لا سبيل الهوى والشهوة ومما يشتد ميل نفوس اكثر
الناس اليه ما يكون سبب تناوله واستعماله مراعاة نظر الخلق
والجري على عوائدهم السيئة ومن استحق الخصومة ومجاهدة
النفس في مثل هذا عسيرة جدا لا سيما على من ابتلي بحب الجاه
والرياسة وقبول الخلق وولاية حكم او نشر علم او غير ذلك فانها
اشد الشهوات علاقة بالقلب واضرها بالمريد فيجب ان يعتني
بذلك ويبالغ في تطهير ظاهره وباطنه منه بما يتعاطاه من
اعمال واحوال وقد نبهنا على هذا المعنى في اول الكتاب عند
قول المؤلف ادفن وجودك في ارض الخمول فما نبت مما لم يدفن
لا يتم نتاجه ويتعين على المريد في رياضته ومجاهدته ان
يحفظ حواسه ويكف جوارحه عن التطلع والجولان في مظان وجدان
شهواته ويمنعه في عاداته والالف معها ولا يتبع ما ان ذلك منشا
كل شر ومنبع كل فساد وضر كما قيل

ان السلامة من سلمى وجارتها ... ان لا تمر على حال بواديها

فليراقب ربه ويجمع جوارحه وقلبه فان الانسان قد يتحرك
متقاضيا لطلب الخير والعمل من اعمال البر فينبغي ان يقع بطره

على شيء له فيه هوى وشهوة فتميل نفسه إليه بالفكرة
والمحبة فينكدر عليه وقته ويظلم قلبه ويختل عليه في
لحظة ما كان بعد أمره في سنة مثلا وكذلك سائر حواسه
وقد شبه العلماء رضي الله عنهم النفس في هذا بدابة استعا
رها رجل من ربها ومالكها ليتصرف بها في حاجته وكانت
دابة جموحة صعبة المرام فجاز بها المستعير في بعض طرقاته
على دار مولاها فنزعت إلى دار سيدها فإنه لا محالة يحتاج إلى صرفها
عنها فإن لم تنقد عسف ضربها بالسوط والعصى حتى يصرفها
في ذلك عما نزعت إليه وقد يكون عليه في ذلك تعب ومؤونة
وسبب هذا إنما هو مروره بها على دار مولاها التي ألفته واعتا
دته ولو لم يمر بها عليه لسلم ولم يحتج إلى معاناة ولا مكابدة فإن
تغافل عنها حتى دخلت به في عقبة الباب واستمكنت منه
ثم أراد منعها من الدخول لم تطعه بوجه بل تقتحم به باب الدار على
كرهها وربما جرحت رأسه في العتبة وسبب ذلك أنها جرت بها
من العمل بمقتضى طبيعتها وموافقة جبلتها وكذلك حال
النفس بالنفس إن أعطيتها هواها غرت نحو هواها
بداها ولذلك كانت الخلوة والعزلة من أوجب الواجبات
على المريد فإن نفسه إذ ذاك تكون ساكنة هادئة قد نسيت
عوائدها وفترت دواعيها وبدوامها على ذلك يحصل لها

من التزكية

٢٣٩

من التزكية والتحلية والاستقامة والطمأنينة ما هو المقصود
بالرياضة والمجاهدة فإن أعتز الشيء مما ذكرناه واختل
عليه حاله واحتاج من قبل المجاهدة الشاقة والرياضة
الصعبة وإن نال مع ذلك تلافي ما فاته وقد قالوا وقفة المريد
شر من فترته قال الإمام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه والفرق
بين الفترة والوقفة أن الفترة رجوع عن الإرادة وخروج منها
والوقفة سكون عن السير باستيلاء حالة الكسل وكل مريد
وقف في ابتداء إرادته لا يجيء منه شيء انتهى كلامه رحمه الله
فبعد إثبات الأمور التي يجب أن يراعيها المريد والسوالف التي تبين
والتصحيح ولا غنى للمريد في هذا القسم من تحصيل ما يحتاج إليه
من العلوم الشرعية على ما ينبغي وعمل الباطن يرجع إلى أمر
واحد وهو إخلاص التوحيد لله تعالى باعتقاد العبودية له
وذلك بأن يحمل نفسه على الاستسلام لأحكام الله تعالى وترك المنازعة
والتدبير والاختيار بين يديه وهذا المعنى هو الذي صنف المؤلف
رحمه الله كتاب التنوير في إسقاط التدبير فليستحضر المريد
على ذلك به ولا يقصد برياضته ومجاهدته التوصل إلى شيء
من الكرامات وخرق العوائد وأنواع الإجابة فإن ذلك فتنة وبلية
قد طمع عليه هو من العبودية قال أبو عثمان المغربي رضي الله عنه
من اختار الخلوة على الصحبة ينبغي أن يكون خاليا من جميع الأذكار
إلا ذكر ربه وخاليا من جميع الإرادات إلا رضى ربه وخاليا

من مطالبة النفس من جميع الأسباب وإن لم يكن بهذه الصفة
كان خلوته توقعه في فتنة أو بلية وقال الشيخ أبو عبد الله
القرشي رضي الله عنه من عمل لنجد أو يرى لم يفتح له في شيء
حتى يكون قصده تحقيق العبودية والقيام بما يجب عليه
من حقوق الربوبية قال صاحب كتاب عوارف المعارف ومن دخل
الخلوة معتقدا في دخوله دخل عليه الشيطان وسول له أنواع
الطغيان وأمثاله من الغرور والمحال ولكن إنه حمل على حسن الحال
وقد دخلت الفتنة على قوم دخلوا الخلوة بغير تقو وهاو
أقبلوا على ذكر من الأذكار واستقبلوا الخوض في العزلة من الخلق
ومنعوا الشواغل من الحواس كفعل الرهابين والبراهمة والفلاسفة
والوحدة في جميع الملل لها تأثير في صفاء الباطن مطلقا فكلما
كان من ذلك بحسن سياسة الشرع وصدق متابعة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم أنتج تنوير القلب والزهد في الدنيا ودوام
الذكر والمعاملة لله بإخلاص الصلاة والتلاوة وغير ذلك وما كان
من ذلك من غير سياسة الشرع ومتابعة رسول الله صلى الله عليه
ينتج صفاء النفس يستعان به على اكتساب علوم رياضية
مما يعتقد به الفلاسفة والدهريون وكلما كثر من ذلك
كثر البعد من ذلك ولا يزال المقبل على ذلك يستغويه الشيطان
بما يكتسب من علوم الرياضة أو بما قد يتراءاه له من صحة
الخاطر وغير ذلك حتى يركن إليه كل الركون ويظن أنه قد فاز

بالمقصود

بالمقصود من الخلوة يقول بعضهم الحق يريد منك الاستقامة
وأنت تطلب الكرامة وقد يفتح على الصادق في شيء من
خرق العادة وصدق الفراسة وتعبير ما سيقع في المستقبل
وقد لا يفتح عليهم ذلك في حالهم عدم ذلك وإنما يقدح في حالهم
الانحراف عن نهج الاستقامة وما يفتح من ذلك على الصادقين
يصير مزيدا لانشراحهم الداعي لهم إلى صدق المجاهدة والمعا
ملة والزهد في الدنيا والتخلق بالأخلاق الحميدة وما يفتح من ذلك
على ما ليس تحت سياسة الشرع يصير سببا المزيد بعده
وغروره وحماقته واستطالته على الناس وازدرائه بالخلق
ولا يزال به حتى يخلع ربقة الإسلام من عنقه وينكر الحدود والأحكام
والحلال والحرام ويظن المقصود من العبادات ذكر الله تعالى ويترك
متابعة الرسول ثم يندرج من ذلك إلى التلحيد والتزندق ونعوذ بالله
من الضلال وقد يلوح لأقوام خيالات يظنونها وقائع
ويسمونها بوقائع المشايخ من غير علم بحقيقة
ذلك انتهى كلامه رحمه الله وهو في غاية الحسن ونهاية التحقيق
فمداومة العبد على مثل هذه الأساليب التي ذكرنا مشاهد
النور بتوجهه به لربه عز وجل وتأييد له يحصل له مزيد كثير وعند
ذلك يتطهر باطنه من جميع الأدناس وخبائث الصفات
وتستنير سريرته بأنوار المكاشفات والملاطفات

وقد عبر الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه عن
طريق موت النفس بعبارات صحيحة مليحة فقال فقتل
النفس في الحقيقة التبري من حولها وقوتها وشهود
شيء منها ورد دواعيها اليها وتشوفها بمعنى تدبيرها
عليها وتسليم الامور الى الحق سبحانه بجملتها وانسلاخها
من اختيارها وارادتها وامتحاء اثار بشريتها فلا تبقى
الرسوم اليها كل ولا خطر لها ولا عبرة انتهى فهذا هي السبيل
الى موت النفس الموصل الى حضرة القدس لكونه جاريا على مقتضى
الشريعة والحقيقة التي بانوارهما ينتفع كل سالك ومريد
ولابد للمريد في هذه الطريقة من صحبة شيخ محقق مرشد قد فرغ
من تاديب نفسه وتخلص من هواه فليسلم نفسه اليه و
ليلتزم طاعته والانقياد اليه في كل ما يشير به عليه من غير
ارتياب ولا تاويل ولا تردد فقد قالوا من لم يكن له شيخ فالشيطان
شيخه وقد قال ابو علي الثقفي رضي الله عنه لو ان رجلا جمع
العلوم كلها وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال
الا بالرياضة من شيخ او امام او مؤدب ناصح ومن لم ياخذ ادبه
من امر له وناه يريه عيوب اعماله ورعونات نفسه لا يجوز
الاقتداء به في تصحيح المعاملات وقال سيدي ابو مدين رضي
الله عنه من لم ياخذ الادب من المتادبين افسد من يتبعه

قال المؤلف

قال المؤلف رحمه الله في لطائف المنن انما يكون الاقتداء بولي
دلك الله عليه واطلعك على ما اودعه من الخصوصية لديه
فطوى عنك شهود بشريته في وجود خصوصيته فالقيت
اليه القياد فسلك بك سبيل الرشاد يعرفك برعونات نفسك
وكمائنها ودفائنها ويدلك على الجمع على الله ويعلمك الفرار
عما سوى الله ويسايرك في طريقك حتى تصل الى الله يوقفك
على اساءة نفسك الهرب منها وعدم الركون اليها ويعرفك بالعلم با
حسان الله اليك الاقبال عليه والقيام بالشكر اليه والدوام على ممر
الساعات بين يديه قال فان قلت فاين من هذا وصفه لقد دللتني
على اغرب من عنقاء مغرب فاعلم انه لا يعوزك وجدان الدالين
انما قد يعوزك وجود الصدق في طلبهم جد صدقا تجد مرشدا
وتجد ذلك في ايتين من كتاب الله سبحانه امن يجيب المضطر
اذا دعاه وقال سبحانه فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فلو اضطررت
الى من يوصلك الى الله اضطرار الظمآن الى الماء والخائف الى الامن
لوجدت ذلك اقرب اليك من وجود طلبك ولو اضطررت
الى الله اضطرار الام لولدها اذا فقدته لوجدت الحق منك
قريبا ولك مجيبا ولوجدت الوصول غير متعذر عليك ولتوجه
الحق بتيسير ذلك عليك انتهى في كلامه رحمه الله فتنبيه على ان الشيخ
من منح الله تعالى وهداياه للعبد المريد اذا صدق في ارادته وبذل

في مقامه مولاه جهدا استطاعته لعلى ما ينوهه من لا علم
عنده وعند ذلك يوفقه الله لاستعمال الادب معه لما اشهده
من علو مرتبته ووضح درجته قال سيدي ابو مدين رضي الله عنه
الشيخ من شهدت له ذاتك بالتقديم وسرك بالتعظيم الشيخ
من هذبك باخلاقه وادبك باطراقه وانار باطنك باشراقه
الشيخ من جمعك في حضوره وحفظك في مغيبه وقال المولى
رحمه الله في لطائف المنن وليس شيخك من سمعت منه
انما شيخك من اخذت عنه وليس شيخك من واجهتك عبارته
انما شيخك الذي سرت فيك اشارته وليس شيخك من دعاك الى
الباب انما شيخك من رفع بينك وبين الحجاب وليس شيخك
من واجهك مقاله انما شيخك الذي نهض بك حاله شيخك هو الذي
اخرجك من سجن الهوى ودخل بك على المولى شيخك هو الذي ما
زال يجلو مرآت قلبك حتى تجلت فيه انوار ربك نهض الى
ينهضك الله وسار بك حتى وصلت اليه ولا زال محاذيا لك حتى
القاك بين يديه فزج بك في نور الحضرة وقال ها انت وربك انتهى
وفي اداب المريد مع الشيخ والشيخ مع المريد كثيرة مذكورة
في كتب ايمة الصوفية رضي الله عنهم ومن ابلغ ذلك واوجز
ما ذكره الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه قال فشرط
المريد الا يتعصى بقلبه الاباذن شيخه ومن خالف شيخه

في نفس

في نفس سرا او جهرا فسيرى غبنه من غير ما يجبه سريعا
ومخالفة الشيوخ فيما يستشيرونه منهم اشد مما يكون
بدونه بالجهر والسر لان هذا يلتحق بالخيانة ومن خالف
شيخه لا يشم رائحة الصدق وان بدر منه شيء من ذلك
فعليه بسرعة الاعتذار والافصاح عما حصل منه من المخالفة
والخيانة ليهديه شيخه الى ما فيه كفارة جرمه ويلتزم
في الغرامة ما يحكم به عليه فاذا رجع المريد الى شيخه بالصدق
وجب على شيخه جبران تقصيره بهمته فان المريدين عيال على
شيوخهم فرض عليهم ان ينفقوا من قوت احوالهم ما يكون
جبرانا للتقصير انتهى وقال الشيخ العارف محي الدين ابو العباس
البوني رحمه الله واياك ان تحقر فعلا يخطر لك اما اتى فيه الشيخ
طاعة او معصية على اي نوع يبرز لك ولو اقتلعا عليك العامرة
في الساعة اقتلعت عليه الف ساعة في الخاطر ليعلمك الدواء
الذي تزيحه به او يحل عليك بهمته قال ولقد رايت تلميذا
من اصحاب شيخنا الامام تاج العارفين ابو محمد عبد العزيز
المهدوي رحمه الله تعالى وكنت جالسا عنده اذ دخل عليه ووجد
بلا فلاة فقال سيدي اني وجدت هذا الباب فلا ابدا امنع بها فقال له
تركها حتى تعطي عليها فقلت له يا سيدي حتى البغلات يعلم بها
فقال يا ولدي لو خالفني في لحظة من خطراته لم يعلم ابدا اذا اجوهرت
النفس بهذه المجاهدات وفوتلت بهذه المقابلات رجعت

عن جميع ما لوثاتها الطبيعية وعاداتها الردية وزال
عنها النفور والاستكبار ودانت لمولاها بالعبودية والا
نقياد وتزكت اعمالها وصفت احوالها وهذه هي خاصيتها
التي خلقت لاجلها ومزيتها التي شرفت من قبلها وانما
الفت سوى هذه لمن خرجها من الركون الى هذا العالم الادنى
والانس بالشهوات التي تزول وتفنى حتى امتنع عليها ما
خلقت لاجله من موجب سعادتها وغاية شرفها فاذا تداركها
عليها تعالى بما ذكرناه عادت الى الصحة والى طبعها الاصلي
في الفت العبودية والتزمتها وصارت بذلك مطمئنة صالحة
لان يقال لها يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية
فادخلي في عبادي وادخلي جنتي قال الشيخ العارف ابو محمد عبد العزيز
المهدوي رضي الله عنه النفس المطمئنة هي التي تخلصت من السوى ووقع بين
بينها وبين السوى نسبة وكانت مبادي بطلب الاكتساب الابتدائي
والرضى المكتسب فلما صفت وتطهرت من جهة المخلوقات وزال
الحجاب الذي هو صفة الخلق سمعت النداء من مكان قريب فاجابت
لعدم الحجاب فخرجت المواهب والرضى الوضعي الموهبي الذي
قال الله فيه رضي الله عنهم ورضوا عنه فدخلت في رضى الله المطلوب
وفي عبادته وجنته لا في جنتها بوصف كسبها واعمالها انتهى
وعلامة وصول المريد الى هذا المقام الحميد ان يستوي عنده الاحوال
ولا يتاثر باطنه بما يواجه به من قبيح الافعال والاقوال لاستغراق

قلبه

قلبه في مطالعة حضرة الجلال قال ابو عثمان الحيري رضي الله عنه
لا يكمل الرجل حتى يستوي قلبه اربعة اشياء في المنع والعطا
والعز والذل وقال محمد بن خفيف رضي الله عنه قدم علينا بعض
اصحابنا فاعتل وكان به علة البطن فكنت اخدمه واخذ منه
الطست طول الليل فغفلت مرة فقال لي نمت لعنك الله فقيل له
كيف وجدت نفسك عند قوله لعنك الله فقال كقوله رحمك الله
وحكي عن ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه انه قال ما سررت في الاسلام
الا مرات معدودات كنت في مركب يوما وكان فيه رجل يحكي الحكايات
المضحكة فيضحك منه الناس وكان يقول راينا في بلاد الترك
علجا ففعلت هكذا وكان ياخذ بلحيتي ويمر بيده على حلقي هكذا والا
والناس يضحكون منه ولم يكن في ذلك المركب عنده احد اصغر مني
ولا احقر فسررت بذلك ويوما اخر كنت جالسا فجاء انسان
فصفعني من غير سبب ويوما اخر كنت جالسا فجاء انسان وبال علي
وكان في وقت حاتم الاصم رضي الله عنه رجل يسيء القول فيه وفي
اصحابه ويواجههم كل يوم بالقبيح فوقع عليه جدع من السقف
في بعض الايام في حال مواجهة القوم بالسب والشتم فمات فقال
الحمد لله فقيل له هذا اخلاق ما نامر نابه فقال ما حمدت الله شماتة
بموته بل حمدت الله اذ لم اسر بنكبته هذا وما شاكله من احوالهم
معلوم ضرورة وابلغ من هذا كله محبة الموت وكراهية
البقاء في الدنيا شوقا الى لقاء المولى قال بعضهم حقيقة زوال الهوى

من القلب حب لقاء الله تعالى بكل نفس من غير اختيار حالة يكون
المرء عليها فاذا وجد المريد هذه العلامات في نفسه فقد خرج
من عالم جنسه ووصل الى حضرة قدسه وكان كما قال الشاعر
لك الدهر طوعا والانام عبيد . فعش كل يوم من زمانك عيد
وقال سيدي ابو العباس العريف رضي الله عنه في مثله . فذلك سر
طال عنك اكتتامه . ولاح صباح كنت انت ظلامه
فانت حجاب القلب عن سر غيبه . ولولاك لم يطبع عليه ختامه
وجاء حديث لا يمل سماعه . شهي الينا نثره ونظامه
اذا سمعته النفس طاب نعيمها . وزال عن القلب المعنى غرامه
وانشدوا في هذا المعنى ايضا . قولي لامالي لا اقلا بمعي
وقد نجز الاحباب لي موعدي . فقد كنت قبل اليوم مستانسا منك
بكل مشوق مسعدي . وان نسيم الوصل من نحوهم هب بلي
عند كل فجر . وحيث لا احتاج لى اعلامهم . فليسعى فقد
الى من يشعي . وان لم يجدها في نفسه فليستمر على سلوكه
ومجاهدته لا يغتر بما يتراءى له من سنى حالاته فانه لم يحصل وان لم
يحصل له من هوى نفسه بقيه وليصطبر يوم موته المعين فقطع جميع
الاباء عنها وردها الى الاجتزاء بالخشيش والنخالة والمبالغة
في التقشف والتقلل مع قطع النظر عن احوال القلب وهمته وقصده
وارادته وترك الالتفات الا ما يجمه منها وما يبقى في ذلك كله غلو وبدعة
وقد غلا في هذا طوايف من الناس عملوا عليه في رياضاتهم ومجاهداتهم

ولم يقصدوا

ولم يقصدوا بذلك اخلاص العبودية لربهم فادى ذلك الى اختلال
عقولهم واختلال قوى ابدانهم ولم يحصلوا من امرهم على طائل وذلك
لجهلهم بالسنة وما كان عليه سلف هذه الامة جعلك في العالم ٤٤
المتوسط مضرجا لملكه وملكوته ليعلمك جلالة قدرك
بين مخلوقاته وانك جوهرة تنطوي عليك اصداف مكوناته
خلق الله تعالى الانسان في احسن تقويم واتم تسوية وتعديل
وجعل بنيته متضمنة اسرار جميع الموجودات علويها وسفليها
لطيفها وكثيفها فصار لذلك روحانيا جسمانيا ارضيا سماويا
ولذلك يقال له العالم الاصغر وهذا الذي يظهر لي في معنى جعلك في العالم
المتوسط بين عالم الملك وعالم الملكوت وعالم الملك هو عالم الشهادة
وعالم الملكوت هو عالم الغيب فلا جرم لما كان الانسان بهذه المثابة
من كونه نسخة جميع الموجودات الجسمانية والروحانية كانت
الاكوان كلها له باعتبار احاطتها به وحفظها له بمنزلة القشر
والصوان الذي يحفظ الشيء ويصونه وكان هو بمنزلة الجوهرة النفيسة
التي تحويها الصدفة والمقصود من هذا ان يعرف الانسان جلالة قدره
وعظمة امره فيعلو بهمته الى المراتب السنية اللائقة به وذلك
باخلاص العبودية لربه عز وجل وقطع النظر عن كل ما سواه ويحكى
هذا المعنى الى ما قال الشاعر . اذا كنت كرسيا وعرشا وجنة
ونارا وافلاكا تدور واملاك . وكنت من السر المصون سريرة
واذ كنت هذا بالحقيقة ادراك . فعيم التاج الحقيق تنبسط
مقيما على الاسرى اما حار اسرارك كان الشيخ ابو العباس المرسي

رضي الله عنه يقول الاكوان كلها عبيد سخرت وانت عبد الحضرة وقد ورد
في بعض الكتب المنزلة يا ابن ادم انا بدك اللازم فالزم بدك وفي بعض
الاثار المروية عن الله عز وجل يا ابن ادم خلقت الاشياء كلها من اجلك
وخلقتك من اجلي فلا تشتغل بما هو لك عمن انت له وقال الواسطي رضي الله
عنه في معنى قوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم قال بان سخرنا لهم الكون وما فيه
لئلا يكونوا في تسخير شيء ويتفرغوا الى عبادة ربهم وسعك الكون من
حيث جثمانيتك ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك انما
وسعك الكون من حيث جثمانيتك لوجود المناسبة والمجانسة
ووسعه لك باعتبار ما ذكرناه انما هو باكتفائك به وقضاء اوطارك
منه ووقوف امالك في منال حاجتك عليه ولا غاية لك في هذا
ايها الانسان لان مرتبتك اجل من ذلك وانما لم يسعك من حيث ثبوت
روحانيتك لعدم المناسبة فلا يسعك حينئذ ولا يناسبك الا التعلق
بالمكون وهذا من خاصيتك التي فيها سموك وعلوك ورفعة قدرك
فلم تهملها وتنحط منها الى اسفل سافلين قال ابو عبد الله بن الجلاء
رضي الله عنه من علت همته على الاكوان وصل الى مكونها ومن وقف بهمته
على شيء سوى الحق فاته الحق لانه اعز من ان يرضى معه بشريك وسئل احمد
ابن خضرويه رضي الله عنه اي الاعمال افضل فقال رعاية السر عن الالتفات الى
شيء سوى الله الكائن في الكون ولم تفتح له ميادين الغيوب مسجون
بمحيطاته ومحصور في هيكل ذاته من لازم الكون وبقي معه وقصر همته
عليه ولم تنفتح له ميادين الغيوب الملكوتية ولا خلص بسره الى فضاء مشاهد
الوحدانية فهو مسجون بمحيطاته ومحصور في هيكل ذاته وهذه

صحبة

صحبة اصحاب النار كما قال تعالى احاط بهم سرادقها وليس في جهنم
عذاب اعظم من السجن والحصر والضيق والقهر كما قال تعالى واذا القوا
منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا وما ذكرناه هو حال
من بقي مع نفسه وعمل على نيل حظه كائنا ما كان وفي بعض الاثار
المروية عن الله عز وجل عبدي اجعلني مكان همك اكفك كل همك
ما كنت بك فانت في محل البعد وما كنت بي فانت في محل القرب فاختر
لنفسك انت مع الاكوان ما لم تشهد المكون فاذا شهدته كانت
الاكوان معك فرق بين كونك مع الاكوان وكون الاكوان معك فان كونك
مع الاكوان يقتضي تقييدك بها وحاجتك اليها فانت بذلك عبد لها
ثم هي خاذلتك ومسلمتك احوج ما تكون اليها وهذه حالة خسيسة
يقتضيها عدم شهودك للمكون وكون الاكوان معك تقتضي ملكك لها
واستغناءك عنها فانت حينئذ حر عنها وهي محتاجة اليك و
خادمة لك ومقهورة بك حتى الجمادات والحيوانات قال الشبلي
رضي الله عنه ليس يخطر الكون ببال من عرف المكون انتهى وهذه حالة
نفيسة يقتضيها شهودك للمكون قال بعض المشايخ رضي الله عنهم
انا اذا دخلت السوق والاشياء تشتاقني وانا من جميعها حر وعن
[illegible] الكبير رضي الله عنه قال كنت مع ابراهيم الخواص في بعض
اسفاره فاذا عقرب تسعى على فخذه وقمت لاقتلها فمنعني
قال دعها كل شيء مفتقر الينا ولسنا مفتقرين الى شيء وقال محمد
ابن المبارك الصوري رحمه الله كنت مع ابراهيم بن ادهم في طريق
بيت المقدس فنزلنا وقت القائلة تحت شجرة رمان فصلى ركعات

فسمعت صوتا من اصل الرمان يا ابا اسحاق اكرمنا بان تاكل منا شيئا
فطاطا ابرهيم راسه فقال ذلك ثلاث مرات ثم قال يا محمد كن شفيعا
اليه ليتناول منا شيئا فقلت يا ابا اسحاق لقد سمعت فقام و
اخذ منها رمانتين فاكل واحدة وناولني الاخرى فاكلتها وفي
هذه الحكاية ان الشجرة كانت قصيرة ورمانها حامض وانها تطلع
في كل عام مرة فعلت وارتفعت وحلى ثمرها وصارت تطلع كل عام
مرتين وكانت السباع تجيء الى سهل بن عبد الله رضي الله عنه
بيته فلهم فبينما عنده فيضيفهم ويطعمهم اللحم وقال ابرهيم
الخواص رضي الله عنه كنت في البادية مرة فسرت في وسط النهار
فوصلت الى شجرة وبالقرب منها ماء فنزلت فاذا بسبع عظيم قد اقبل
فلما قرب مني اذا هو يعرج فهمهم بين يدي ووضع يديه في حجري فنظرت
فاذا يده منتفخة فيها قيح وصديد فاخذت خشبة وشققت المو
ضع الذي فيه القيح وشددت على يده خرقة فمضى فاذا انا به بعد
ساعة معه شبلان يتبصبصان لي وحمل الي رغيفا وقال بعضهم اشرفت
على ابرهيم بن ادهم وهو في بستان يحفظه وقد اخذه النوم واذا حية
في فيها طاقة من نرجس تروحه بها وحكي عن ابي اسحاق الصعلوكي رحمه الله
انه قال خرجت مرة الى الحج فبينما انا في البادية اذ تهت فلما جن
علي الليل وكانت ليلة قمراء سمعت صوت شخص ضعيف يقول
يا ابا اسحاق قد انتظرتك من الغداة قال فدنوت منه فاذا هو شاب
نحيف الجسم اشرف على الموت وحوله رياحين كثيرة منها ما اع
رفه ومنها ما لم اعرفه فقلت من اين انت فقال من مدينة

شميشاط

246

شميشاط كنت في عز وثروة فطالبتني نفسي بالعزلة فخرجت
فقد اشرفت على الموت فسالت الله تعالى ان يعرفني وليا من اوليائه
فارجو انك هو قال فقلت الك والدة قال نعم واخوة واخوات ثم
وكبير معي وخلفتهم [illegible] واخوات فقلت هل اشتقت اليهم
والذي ذكرهم قال لا الا اليوم اردت ان اشم ريحهم فاحتوشتني السباع
والبهائم وبكين معي وحملن الي هذه الرياحين قال فبينما انا كذلك
الحالة يرو له قلبي اذا بحية اقبلت في فمها طاقة نرجس فقالت
دع شرك عنه فان الله تعالى يغار على اوليائه قال فغشي علي فلما افقت
رحمة الله عليه ورضوانه ثم وقع علي سبات فانتبهت
حتى خرجت روحه قال ودخلت مدينة شميشاط بعد ما حججت فاستقبلتني
وانا على الجادة امراة اشبه بالشاب منها فلما راتني قالت
امراة تنتظرك منذ ثلاث فذكرت لها
يا ابا اسحاق كيف رايت الشاب فلما انتظرتك
ثم بلغ الشم الشم احراشمهم فصاحت وقالت لي
التعفف الى ان قلت ادرت والعوة فكلفني
وخرجت نفسها فخرج اقرانها عليهم الحرقة والعوة وهكذا حال من يكون
امرها نحو لبس شانهم رضي الله عنهم اجمعين فلا ت الا
الكون عظيم الهمة شريف الارادة والنية لا يسكن احد من المخلوقات الا
تعالى بامره ويجعل الله يتكفل على شيء من المصنوعات
بوجوده وكرمه حتى يقف لما يفعل بجوده وكرمه
فاذا ما له بامره رزقنا الله تعالى منها نصيبا
ومع البشرية انما تثبت الخصوصية وهي خصوصية ثبت عدم
لا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم ظهرت في الافق وليست منه تارة تشرق
كاشراق شمس النهار وتارة يغيب ذلك عنك فيرد ذلك
ما يتنور او جوده على ليل وجودك

الى حدودك بالنهار ليبين منك اليك ولكن وارد ورد عليك ثبوت
الخصوصية للعبد لا يلزم منه عدم وصف البشرية لان الوصف البشري
من حيث انه لازم للعبد والامور الذاتية اللازمة يستحيل عدمها او
انقلابها وانما اللازم من ذلك عدم غلبة احكام ذلك الوصف على العبد
فقط لاجل الوارد الغالب فان قدر ذهاب هذا الوارد الغالب بقي وصف
البشرية غالبا قاهرا وكان العبد في يده اسيرا ومثال ذلك من
المحسوسات اشراق شمس النهار على الافق المظلمة ليزيل اثر
ظلمتها فتستنير بذلك وتشرق فاذا غابت الشمس رجعت
الى حالها من الظلمات لان النور ليس ذاتيا لها وهو معنى قوله وليست
منه ومعنى الخصوصية المذكورة هي ما يفيض الحق تعالى على اوليائه من
ظهور اوصافه العلية ونعوته القدسية عليهم فيغطي بذلك او
صاف نعوتهم الدنية الرديه عنهم لئلا يظهر اثرها وانتفاء صفا
اوقاتهم كما تقدم في قوله اذا اراد ان يوصلك اليه ستر وصفك بوصفه
وغطى نعتك بنعته فاذا اشرقت انوار ذلك على ابل وجودهم دهشت بظلمات
نعوتهم وبقوا في نهار الوصلة والقربة من غير حول منهم ولا قوة وهو
معنى قوله فالنهار ليبين منك اليه وان غابت عنهم تلك الانوار المشرقة
رجعوا الى اصلهم ولزموا الوقوف على حدهم وكانوا في ليل القطيعة
والحجبة كما كانوا قبل ذلك والغرض من هذا الرد على قوم ابتدعوا غلطت
في هذا الامر وتغالت وزعمت ان القرب من الله تعالى والوصول اليه انما
يكون بعدم اوصاف البشرية وزوالها بالكلية واتصافه بصفات
الربوبية بدلا منها وبسبب هذا ما عبر به المشايخ من الفناء
والبقاء

والبقاء فيرفعوا من ذلك في ظلال وتنزه ونعوذ بالله من ذلك
والمعنى الصحيح في ذلك انما هو ما ذكره المؤلف رحمه الله ههنا
وان شهود الاثار على وجود اسمائه وبوجود اسمائه على ثبوت 247
اوصافه وبوجود اوصافه على وجود ذاته اذ محال ان يقوم الوصف
الموصوف بنفسه فارباب الجذب يكشف لهم عن كمال ذاته ثم
يردهم الى شهود صفاته ثم يرجعهم الى التعلق باسمائه
ثم يرجعهم الى شهود اثاره والسالكون على عكس هذا فنهاية
السالكين بداية المجذوبين وبداية السالكين غاية المجذوبين
لكن لا بمعنى واحد فربما التقيا في الطريق هذا في ترقيه وهذا
في تدليه عباد الله المخصوصون بالقرب منه والوصول اليه ينقسم
الى قسمين سالكين ومجذوبين فشان السالكين الاستدلال با
لاشياء عليه وهم الذين يقولون ما راينا شيئا الا راينا الله
بعده وشان المجذوبين الاستدلال به على الاشياء وهم الذين يقولون
ما راينا شيئا الا راينا الله قبله ولا شك ان الدليل اظهر من المدلول
فاول ما ظهر للسالكين الاثار وهي الافعال فاستدلوا بها على الاسماء
وبالاسماء على الصفات وبالصفات على وجود الذات وكان حالهم الترقي
والصعود من اسفل الى اعلا واول ما ظهر للمجذوبين حقيقة كمال الذات
المقدسة ثم ردوا منها الى مشاهدة الصفات ثم رجعوا الى التعلق
بالاسماء ثم انزلوا الى شهود الاثار فكان حالهم التدلي والتنزل
من اعلا الى اسفل فما بدا به السالكون من شهود الاثار اليه انتهى
المجذوبون وما بدا به المجذوبون من كشف حقيقة الذات اليه

انتهى السالكون الكل لا بمعنى واحد فان مراد السالكين شهود الاشياء
لله ومراد المجذوبين شهود الاشياء بالله فالسالكون عاملون على
تحقيق الفنا والمجذوبون مسلوك بهم طريق البقاء والصحو فلما كان
شان العبد بغيبته النزول في تلك المنازل المذكورة لزم منه التفاوت في
سيرهم السالك مترقي والمجذوب متدل لا يعلم قدر انوار القلوب والا
سرار الا في غيب الملكوت كما لا تظهر انوار السماء الا في شهادة
الملك انوار القلوب والاسرار المشرقة عليها من سماء
التوحيد والمعرفة لا يعرف قدرها الا في غيب الملكوت وهو عالم
الاخرة فهناك تجلى تمام هذه الانوار فمن اسمى الغيب كان له
من ذلك الحظ الاوفى كما ان انوار السماء المشرقة على ظواهر الاجرام
لا تظهر الا في شهادة الملك وهو عالم الدنيا وذلك لحصول المنا
سبة بين هذه الاشياء وجدان ثمرات الطاعات عاجلا بشائر
العاملين بوجود الجزاء عليها آجلا ما يجده العاملون بطاعة الله تعالى
في اعمالهم عاجلا من مزيد الايمان واليقين وشم روح الانس
ولذيذ القرب ولطيف الوصل بشائر من الله تعالى عاجلة بوجود
الجزاء عليها في الدار الآخرة بانها مقبولة عند الله تعالى وقد تقدم
هذا المعنى عند قوله من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود
القبول كيف تطلب العوض على عمل هو متصدق به عليك ام كيف
تطلب الجزاء على صدق هو مهديه اليك العمل الذي يصح طلب العوض
والجزاء عليه هو ما عملته لينتفع به غيرك ولم يحصل لك بذلك
منفعة ولم يندفع عنك بسببه مضرة والاعمال الدينية المطلوبة

منك

منك ظاهرا وباطنا بخلاف هذا كله اذ هي مطلوبة منك منسوبة
اليك بحكم خلقها واختراعها عائد ثمرة ذلك ومنفعته عليك في
ظاهرك وباطنك وهو غني عنك وعن عملها ولذلك عبر عنها بالتصديق
والاهداء تنبيها على ان ذلك لم يكن الا لمنفعتك فطلب العوض
والجزاء اذا على عمل هذه صفته في غاية القبح ولذلك هدد المولى
بكلامه بكيف التعجبية من ذلك قال الواسطي رضي الله عنه مطالبة الاعواض
على الطاعات من نسيان الفضل وسئل ابو العباس بن عطاء الله رضي
الله عنه عن اقرب شيء الى مقت الله فقال رؤية النفس وافعالها واشد
من ذلك مطالبة الاعواض على افعالها واستعمل المؤلف رحمه الله لفظة الصدقة
في الاعمال الظاهرة ولفظة الهدية في الصدق وعليه مدار الاعمال الباطنة اشعارا
بتباينهما في الشرف كتباين الصدقة والهدية قوم تسبق انوارهم اذكارهم
وقوم تسبق اذكارهم انوارهم ذاكر ذكر ليستنير قلبه وذاكر استنار
قلبه فكان ذاكرا سبقية الاذكار للانوار هو حال المريدين السالكين وذلك
لان شانهم المجاهدة والمكابدة فهم يأتون الاذكار في حال تكلف منهم
وتعمل فيحصل لهم بذلك زوائد الانوار والى هذا المعنى الاشارة بقوله
تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وسبقية الانوار للاذكار
هو حال المريدين المجذوبين لانهم مقامون في السهولة والفتح
عليهم لما وجهوا بالانوار حصلت منهم الاذكار بلا تكلف ولا تعمل
قال في لطائف المنن حاكيا عن شيخه رضي الله عنه ابي العباس المرسي
قال رضي الله عنه الناس على قسمين قوم وصلوا بكرامة الله الى طاعة الله
وقوم وصلوا بطاعة الله الى كرامة الله قال الله سبحانه الله يجتبي اليه
من يشاء ويهدي اليه من ينيب قال ومعنى كلام الشيخ هذا ان الناس

من حرك الله همته لطلب الوصول اليه بعد ان تكون معاملة نفسه وبيعها
طبعه الى ان وصل الى حضرة ربه ويدل على هذا قوله سبحانه والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا ومن الناس من يجذبه عناية الله من غير طلب
ولا استعداد ويشهد لذلك قوله تعالى يختص برحمته من يشاء
فالاول حال السالكين والثاني حال المجذوب وبين من كان مبدا المعاملة فنهايته
ينتهي الى المواصلة ومن كان مبدا المواصلة رد الى وجود المعاملة ولما تكون
ان المجذوب لا طريق له بل له طريق طوتها عناية الله له فسلكها
مسرعا الى الله تعالى عاجلا وكثيرا ما تسمع عند مراجعات المنتسبين
للطريق ان السالك اتم من المجذوب فان السالك عرف طريقا بها
توصل اليه والمجذوب ليس كذلك وهذا ابتناء على ان المجذوب لا طريق
له وليس الامر كما زعموا فان المجذوب طويت الطريق له لا ان تكون عنه
ومن طويت له الطريق لم تفته ولم تغب عنه وانما فاته منها
عبئها وطول امدها والمجذوب كمن طويت له الطريق الى مكة والسا
لك كالسائر اليها على اكوار المطايا انتهى ما ذكره في حال المجذوب
والمسلوك وكلامه في ذلك وهو حسن قل ان يوجد لغيره فلذلك
اوردته ههنا بكماله ما كان ظاهر ذكر الا عن باطن شهود وفكر
اعمال الظاهر نتيجة لما يكون في الباطن وقد تقدم هذا المعنى
عند قوله ما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الظوا
هر والذكر الظاهر لا محالة ثمرة الباطن الشهود والفكر
ثم هذا المعنى بقوله اشهدك من قبل ان استشهدك فنطقت
بالالهية الظواهر وتحققت باحديته القلوب والسرائر لا شك
ان القلوب والاسرار في غيب الغيب لحقائق وحدانيته واحاطة

قيوميته

قيوميته فلما اشهدها ذلك اجملت وتذكرت وتلاشت
فتحققت بذلك الاحادية فلما اظهرها على الشهادة بالالهية
فشهدت بلسان حالها ومقالها وكانت الشهادة منها لما
استشهدت تبعا للشهود لها لما استشهدت بالعدم حيث
سره وقلبه بوصف الجمع ومن حيث ظاهره وحسه بنعت الفرق
فلا بد في هذا الطريق من وجود الجمع والفرق وقد قالوا كل جمع بلا تفرقة
زندقة وكل تفرقة بلا جمع تعطيل وقال الجنيد رضي الله عنه في معنى الجمع والتفرقة
وتحققتك في سري فناجاك لساني ... فاجتمعنا لمعان وافترقنا لمعان
ان يكن غيبك التعظيم عن لحظ عياني فلقد صيرك الوجد من الاحشاء داني
اكرمك كرامات ثلاثا جعلك ذاكرا له ولولا فضله لم تكن اهلا لجريان
ذكره عليك وجعلك مذكورا به اذ حقق نسبته لديك و
جعلك مذكورا عنده فتمم نعمته عليك. اكرم الله تعالى عبده المؤمن
بثلاث كرامات جمع له فيها كل المفاخر والمحامد اولها كونه ذاكرا له
بان اجرى ذكره على قلبه ولسانه ومن اين له ذلك وباي وسيلة ناله لولا
فضل الله تعالى وكرمه وثانيها كونه مذكورا به فيقال هذا عبد الله
ووليه وحبيبه ومختاره وذلك بما اكرمه به من تحقيق النسبة وهي
اثباته الخصوصية له وقد تقدم معنى الخصوصية وثالثها كونه
مذكورا عنده وهذه هي غاية الاكرام ومنتهى الفضل والانعام
قال الله تعالى ولذكر الله اكبر قيل معناه ذكر الله عبده اكبر
من ذكر العبد الله وفي حديث ابي ابن كعب رضي الله عنه قال قال لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقرا عليك القران فقال
قلت يا رسول الله سماني لك ربك قال نعم فقرا علي قل بفضل الله

وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون وفي حديث حبة
البدوي رضي الله عنه قال لما نزلت لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب
والمشركين الى اخرها قال جبريل عليه السلام ان ربك يامرك ان تقراها
ابيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي ان جبريل امرني ان اقرئك هذه
السورة قال ابي اوذكرت ثم يا رسول الله قال نعم فبكى ابي وفي حديث
ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انا عند ظن
عبدي بي وانا معه حين يذكرني ان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان
ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه وان تقرب مني شبرا تقربت اليه ذراعا
وان تقرب الي ذراعا تقربت منه باعا وان اتاني يمشي اتيته هرولة
وعن ابي هريرة وابي سعيد يشهدان به على النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ما جلس قوم مسلمون مجلسا يذكرون الله فيه الا حفتهم
الملائكة وغشيتهم الرحمة وتنزلت عليهم السكينة وذكرهم الله
فيمن عنده قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه يا غفول يا جهول لو
سمعت صرير القلم حين يجري في اللوح المحفوظ بذكرك لمت طربا
رب عمر اتسعت اماده وقلت امداده ورب عمر
قليلة اماده كثيرة امداده الامداد الالهية التي يمد الحق
بها تعالى عباده المؤمنين زيادة في ايمانهم وتقوية لايقانهم لا تتوقف
فيها على طول العمر ولا قصره فلا تنقص بذلك ولا تزيد فيه ولا تقل ولا
تكثر وانما ترد عليهم من خزائن الفضل والكرم بحسب قوة استعدادهم
وكمال قابليتهم ويختلف هذا باختلاف تركيب خلقهم ومجبول فطر
تهم ولا مدخل للزمان في هذا الا بالعرض وبهذا فضلت هذه الامة
سائر الامم على قصر اعمارهم وطول اعمارهم قال احمد بن ابي

الحواري

الحواري رضي الله عنه قلت لابي سليمان الداراني رضي الله عنه
قد غبطت بني اسرائيل قال باي شيء قلت بثمانمائة سنة
حتى يصيرون كالشنان البالية وكالحنايا وكالاوتار قال ما
كنت الا وقد جئت بشيء والله لا يريد الله منا ان ييبس جلودنا
على عظامنا ولا يريد منا الا صدق النية فيما عنده هذا اذا صدق
في عشرة ايام نال ما نال ذلك في عمره من بورك له في عمره ادرك في يسير
من الزمان من منن الله تعالى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة ولا
تلحقه الاشارة البركة في العمر ان يرزق العبد من الفطنة واليقظة
ما يحمله على اغتنام اوقاته وانتهاز فرصة امكانه خشية فواته
فيبادر الى الاعمال القلبية والبدنية ويستفرغ في ذلك مجهوده
بالكلية وفي اثناء ذلك يحصل اليه من المنح الالهية ويشرق عليه
من الانوار الربانية ما تعجز العبارة عنه ولا تنتهي الاشارة اليه
ويكون ذلك في زمن يسير وعمر قليل فيكون له في شهر مثلا ما لا يكون
لغيره في الف شهر بمنزلة ليلة القدر العمل فيها لمن جاهدها خير من
العمل في الف شهر فقال بعض العلماء كل ليلة للعارف بمنزلة ليلة
القدر وكان ابو العباس المرسي رضي الله عنه يقول اوقاتنا بحمد الله كلها
ليلة القدر فهذا هو البركة في العمر لا تطويله وزيادة مدته وقيل هذا
المعنى في تاويل ما روي في الخبر البر يزيد في العمر الخذلان كل الخذلان ان تتفرغ
من الشواغل ثم لا تتوجه اليه وتقل عوائقك ثم لا ترحل اليه
من الخذلان ان تفقد العوائق والشواغل عن التوجه الى الله تعالى والرحيل
اليه بل الواجب عليك ان تبادر الى ذلك وترمي بالعوائق والشواغل
خلف ظهرك كما قيل سيروا الى الله عرجا ومكاسير ولا تنتظروا الصحة

فإن انتظار الصحة بطالة قال الله عز وجل انفروا خفافا وثقالا وقد تقدم
هذا المعنى عند قوله احالتك الاعمال على وجود الفراغ من رعونات
النفوس فإن زالت شواغلك وقلت عوائقك ثم قعدت عن التوجه والرحيل
فهو الخذلان كل الخذلان اعاذنا الله منه قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه
فراغ القلب عن الاشتغال نعمة عظيمة فاذا كفر عبد هذه النعمة بأن
فتح على نفسه باب الهوى وانجر في قياد الشهوات شوش الله عليه
نعمة قلبه وسلبه ما كان يجده من صفاء قلبه الفكرة سير القلب في
ميادين الاغيار الفكرة التي امر بها العبد وحض عليها هي سير القلب
في ميادين الاغيار فقط وهي مخلوقات الله تعالى ومصنوعاته واما الفكرة
في ذات الله تعالى فلا سبيل اليها فيعتبر المتفكر في آياته ولا يتفكر في
ما يتعلق بذاته وروى ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابصر قوما فقال ما لكم فقالوا نتفكر في الخالق فقال تفكروا في خلقه
ولا تتفكروا في الخالق فإنكم لا تقدرون قدره قال الامام ابو القاسم
القشيري رضي الله عنه التفكر نعمة كل طالب وثمرته الوصول بشرط
العلم فاذا سلم الفكر عن الشوائب ورد صاحبه على مناهل التحقيق
فمن فكر الزاهدين في فناء الدنيا وقلة وفائها لطلابها فيزدادوا
بالفكرة زهدا فيها وفكر العابدين في جميل الثواب فيزدادوا
نشاطا عليه ورغبة فيه وفكر العارفين في الآلاء والنعماء
فيزدادون محبة للحق سبحانه وقال الجنيد رضي الله عنه
اشرف المجالس واعلاها الجلوس مع الفكرة في ميادين التوحيد
وفي بعض النسخ الفكرة سير القلب في ميادين الاعتبار ومعناه
ظاهر الفكرة سراج القلب فاذا ذهبت فلا اضاءة له

القلب

القلب الخالي من الفكرة خال من النور مظلم بوجود الجهل والغرور وقد
تقدم هذا المعنى عند قوله ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها
ميدان الفكرة الفكرة فكرتان فكرة تصديق وايمان وفكرة
شهود وعيان فالاولى لارباب الاعتبار والثانية لارباب الشهود
والاستبصار تقدم ان الفكرة سير القلب في ميادين الاغيار
وهي سيره على وجهين صعود ونزول فالصعود لارباب الاعتبار
وهي فكرة ناشئة عن التصديق والايمان وهذا للسالكين وهو
حال ترقيهم وهو نعت المستدلين بالآثار على المؤثر والنزول
لارباب الشهود والاستبصار وهي فكرة ناشئة عن
الشهود والعيان وهذا للمجذوبين وهو حال تدليهم وهو وصف
المستدلين بالمؤثر على الأثر وقد تقدم هذا المعنى عند ذكر
المجذوب والسالك وقال رضي الله عنه مما كتب به لبعض
اخوانه هذا الكتاب تضمن ذكر حال السالك من اول ابتدائه وسيره
الى انتهائه وحصوله في مستقره وذكر فيه آداب السلوك والوصول
وقد اتى رحمه الله في ذلك بعبارات عجيبة وحكمة واستعارات
حسنة مليحة على طريقة عظيمة اذا سمعها السامع طرب
لها قلبه وهام فيها عقله ولبه وما ذلك الا لما علا فيها من انوار
قلب المتكلم وقد قال فيما تقدم كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب
الذي منه برز اما بعد فان البدايات مجلات النهايات والمجلات
كمال التجلي والظهور فالسالك في ابتداء سلوكه يتجلى له
من نهايته وان من كانت بالله بدايته كانت اليه نهايته

هذا بيان ما ذكره. ومعنى كون يده ابتهاجا بالله ان تكون مجاهداته ومكابداته
وانواع رياضته مصحوبة بالاستعانة بالله تعالى والاعتماد عليه والانقطاع
اليه فبذلك تصح له وينفعه في توجهه وسلوكه كما تقدم عند قوله ما توقف
مطلب انت طالبه بربك. ومعنى كون انتهائه اليه ان ينكشف له انفراد
الله تعالى بالقيومية وتوحده بالربوبية واتصافه بالاول والاخر
والظاهر والباطن انكشافا يظهر له به عدمية ذاته وتلاشيه وتحقق
كذبه واضمحلاله قال الله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه
فاذا هو زاهق فاذا صحت للمريد تلك البداية كما ذكرناه وصل الى النها
ية وقد تقدم هذا المعنى عند قوله من علامة النجح في النهايات الرجوع
الى الله في البدايات. والمشتغل به هو الذي احببته وسارعت اليه
والمشتغل عنه هو المؤثر عليه. المشتغل به الذي ينبغي للمريد
السالك انما هو عمله على التقرب من ربه والتوسل اليه بالطاعة
والعبودية له وهو الذي احببته وسارعت الى اجابة دعوته فيه
عليك الا تستثقل ذلك الشغل بل تكون منه قرير عين والمشتغل
عنه انما هو متابعة حظوظه العاجلة ومراد ذاته الزائلة وهو الذي
يستحق الايثار عليه اذ هو باطل مضمحل لا حقيقة له فلتطب عنه نفسا
ولا تمل اليه عقلا ولا حسا وهذا الكلام تعجيز للسالك وانعاش
لقوته وانهاض لهمته. قال الشيخ ابو القاسم عبد الرحمن الصقلي
رضي الله عنه سمعت عبد الله بن اسحق الظافقي يقول ما
الا بدعاء رجل بمكة مررت الى المسجد الحرام باسم فاذا رجل
ينسف التراب فقلت مجهود او مجنون ثم قلت له يا هذا انت تعب

التراب

التراب فقال قال لي او تراب هو ثم ناولني فقال بعدما شككت انه سوء او
فضة انا اشك ابجهل قال فقلت ولي الله وجثوت على ركبتي وقلت
ادع الله لي فقال عوضك الله منه ما تطلب حتى يهون عليك ما تترك
دان من اشرق الله بقلبه صدق الطلب اليه ومن علم ان الامور بيد الله
انجمع بالتوكل عليه العبد مطلوب لربه عز وجل باقامة وظائف العبودية
له وذلك بما اختصه من العقل والفهم وما رزقه من المعرفة والعلم
وثمرة ذلك الطلب عائدة على العبد فلم لا يصدق العبد في طلبه واجتهاده
اذا تيقن بذلك والامور كلها بيد الله تعالى ومن ذلك سعيه وكدحه فلم
لا يتوكل عليه في ذلك فيجتمع همه وتتيسر اموره اذا علم ذلك فالقسم
الاول قيام بمقتضى الشريعة والقسم الثاني وفاء بحق الحقيقة
وانه لابد لبناء هذا الوجود ان تنهدم دعائمه وان تسلب
كرائمه ذكر هذا المعنى تسلية للعبد عما يفوته في حال سلوكه
من حظوظه وشهواته لانه اذا علم ان هذه الاشياء لابد ان تزول عنه
او يزول عنها ولو بعد حين وكل ما هو آت قريب لم يغتبط بما يكون
مآل امره الى ذلك ويكون حبيب النفس بتركه وتفقد جمع الدعائم
وسلب الكرائم من الاستعارات البديعة فالعاقل من كان بما هو
ابقى افرح منه بما هو يفنى قد اشرق نوره وظهرت تباشيره
فرح العبد بالاشياء الفانية هو موجب للزيادة في همه وغمه
اذا افتقدها قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه من فرح بغير
مفروح به استجلب حزنا لا انقضاء له وقد تقدم هذا المعنى
عند قوله ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن عليه فالعاقل لا يفرح بذلك

ولا يحبه بل يكرهه ويبغضه وانما يكون فرحه بالامور الباقية التي لا تفنى
قد اشرق نور ذلك في قلبه وظهرت تباشيره على وجهه واشراق
النور وظهور التباشير نتايج تحققه في مقام الزهد وعدى
عن هذه الدار مغضيا واعرض عنها موليا فلم يتخذها وطنا
ولا جعلها سكنا بل لما كان العبد عن هذا الوصف صدق عن هذه الدار
الفانية اي مال عنها مغضيا جفنه على اقذا يها من غير مبالاة بذلك
معرضا عنها بوجه قلبه وقد ولاها دبره من غير التفات اليها وهذا
مبالغة في نبذها واطراحها فلم يركن بظاهره على سبيل التمتع
بها والاستيثار ولم يساكنها بباطنه على جهة المحبة لها والايثار
بل انزلها منزلة السجن والمقبور ومن نفسه فيها على تحمل
ما يطيق وما لا يطيق هذه علامات على تحققه بالزهد في الامور
الفانية التي هي بغيضة له مهما وصل الى ذلك من طهارة قلبه وصفاء حصل له (خ)
لبه ما حمله على التعلق بمولاه الباقي الدايم فجعل دنياه معبرا
يعبره اليه كما سيقول المؤلف الان بل انهض الهمة فيها الى الله
وصار فيها مستعينا به في القدوم عليه هذا ابتداء سيره بقلبه
الى الحضرة العلية وبدا بانهاض الهمة اليه والاستعانة به في القدوم
عليه وهو اساس امره كما تقدم قال الشاعر

اذا لم يعنك الله فيما تريده ... فليس لمخلوق اليه سبيل
وان هو لم يرشدك في كل مسلك ... ضللت ولو ان السماء دليل

قال ابو محمد الحريري رضي الله عنه من توهم ان عملا من اعماله يوصله الى مولاه
الا على او الادنى فقد ضل عن طريقه لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لن ينجي احدا

عمله

عمله منكم فلا ينجي من المخوف كيف يوصل الى المامول ومن صح اعتماده
على فضل الله فذلك الذي يرجى له الوصول فما زالت مطية عزمهم
لا يقر قرارها دايما تسيارها الى ان اناخت بحضرة القدس و
بساط الانس محل المفاتحة والمواجهة والمجالسة والمحادثة
والمشاهدة والمطالعة فصارت الحضرة معششا لقلوبهم اليها
ياوون وفيها يسكنون هذه استعارة مليحة استعارها في سير
القلب الى حضرة الرب وقد تقدم معنى ذلك عند قوله لولا ميادين
النفوس ما تحقق سير السايرين وحضرة القدس وبساط الانس
هما موضع حط الرحال وبلوغ الاثار والامال من قبل ان السالك تمحى عنه
رسوم بشريته وتبطل احكام انيته وتنكشف له اذ ذاك اوصاف معروفة
كرام العبد ويكون سره مع الله تعالى بلا اين فلما وصل الى هذه الحضرة العلية
ونال هذه المنقبة السنية قوبل بانواع من الكرامات والالطاف وفنون
من تحف السادات والاشراف وهي معاني هذه الالفاظ السنية التي ذكرها
المؤلف ولا تعرف الا بالذوق وكذلك التفرقة بين معانيها جميعها
التي السايرون فما سيرهم حمدوا عاقبة امرهم وصارت حضرة محبوبهم
معششا لقلوبهم ومستوطنهم في ذهابهم وايابهم الى طيها ياوون اذا
غيرهم يتبع هواه وفي دار الاقامة منها يسكنون حين عزج سواهم
عن متعة دنياه وها هنا حصل لهم التحقيق بمقام الفنا والمحو وهذا
هو انتهاء سيرهم بمعنى الصعود والترقي فان نزلوا الى سماء الحقوق
او ارض الحظوظ فبالاذن والتمكين والرسوخ في اليقين فلم ينزلوا
الى الحقوق بسوء الادب والغفلة ولا الى الحظوظ بالشهوة والمتعة

بان دخلوا في ذلك كله بالله ولله ومن الله والى الله هذا هو سفر التدلي
والنزول وبه يتحققون بمقام البقاء والصحو فاذا نزلوا من سدرة منتهاهم
هم الى سماء الحقوق وهي حقوق الله عليهم مما امرهم به او نهاهم عنه
ليقوموا بذلك فعلا او تركا والى ارض الحظوظ وهي حظوظ نفوسهم
التي تلابسهم ويحصل لهم الارتفاق بها فانما يكون نزولهم الى ذلك بالاذن
والتمكين والرسوخ في اليقين ومعنى ذلك ان يدخلوا في الاشياء
بمراد الله تعالى لا بمراد نفوسهم ويجدون الاذن من الله تعالى فيها
بشروق قلوبهم من النور الذي جعله علما على ذلك وقد ذكر شيخ تحقيق
ابو الحسن في بعض كلامه قال رضي الله عنه ومعنى الاذن في الولي نور
ينبسط على القلب يخلقه الله تعالى فيه وعليه فيمتد ذلك النور
على الشيء الذي تريد ان تتحركه نورا مع نور او ظلمة تحت ذلك النور
فيتبين لك ان فيه خير فتمشي او تترك او تختار او تدبر او تعطي او تمنع
او تقوم او تجلس او تصبر او تقيم هذا في باب المباح الخارج عن فيه
بالتخيير فاذا قارنه القول فاخذ الفعل المباح بمراد الله بلى فارتته
نية صحيحة لفعل فقد زال عنه حكم المباح وصار مندوبا وان ظهر
الظلمة تحت النور الممتد من القلب فلا يخلو ان يلوح عليه
طبع الغضب بانقباض القلب فاحذر ذلك واجتنبه فانه المحظور
او يكاد ولا تقطع بذلك الا ببينة من كتاب الله تعالى او سنة او
اجماع او خلاف مقلد فلا تقلد كمالك والشافعي وغيرهما من
العلماء الراسخين بالاحكام اذا على اصل صحيح وان يكن الظلمة شبه
غيم لا يتصدع معه القلب ولا يتفرغ به الذهن فتباعد عنه
فانه

فانه يكاد ان يكون مكروها ولا تحكم بعقلك ورايك فقد ظهر من
ها هنا خلق كثير ولا تغتر احد ان استخفاك واعط الورع حقه
ولا تقف ما ليس لك به علم فان تادبت ها هنا فعن قريب تاتيك
البينة من ربك والشاهد يتلوها منه انتهى كلام شيخ ابي الحسن
وهو مناسب لما ذكره المؤلف الا ان ما فيه من التفصيل لم يتعرض له
المؤلف بل اكتفى بالامر في ذلك مجملا كما تراه ونقرر له فاذا نزلوا
الى الحقوق واستعملوا فيها لم ينزلوا اليها بسوء ادب ولا غفلة
وهوان يشهدوا وفاءهم بها من انفسهم او يطلبون دنياهم بل دخلوا
في ذلك بالله مستعينين ولله عابدين ومن الله آخذين والى الله متوسلين
فذ نور الله تعالى ادخالهم في الاشياء واخراجهم منها واحدهم ذلك وعز عنهم
ملاحظة نفوسهم لانهم صاروا احرارا كرماء وقل رب ادخلني مدخل صدق
واخرجني مخرج صدق ليكون نظري الى حولك وقوتك اذا ادخلتني
واستسلامي وانقيادي اليك اذا اخرجتني المدخل والمخرج الادخال
والاخراج وقد عبر بهما تبين العبارتين عن السفرين المذكورين في المدخل
هو سفر الترقي لانه دخول على الله عز وجل في حال فنائه عن رؤية غيره
والمخرج هو سفر التدلي لانه خروج الى الخليقة لفائدة الارشاد
والهداية في حال بقائه بربه وتحققه في هاذين المقامين اعني مقام
الفناء والبقاء هو معنى صدق فيه مدخله ومخرجه وانما طلب هذا الفعل
يعني ذهابه عن رؤيته نفسه في النسبة والوقوف مع الحظ في الادخال
فيشاهد حول الله تعالى وقوته فينتفي عنه بذلك النسبة الى نفسه وفي الا
الاخراج فيستسلم لربه وينقاد اليه فينتفي عنه بذلك منازعة حكمه

واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ينصرني ويبصرني ولا ينصر علي ينصرني
على شهود نفسي ويعقني عن دائرة حسي طلبه من الله تعالى النصرة له
ليستقيم امره وطلب منه النصرة به ليكمل حاله في الترقي لمراقي
ملاك اهل البدايات من السالكين ينتصر عليهم قطع عقبات النفس
ومحو دعاوي الهوى والحسن والنصرة به هي مقتضى حال ارباب النهايات
من المحققين لانه لك تحصل لهم مرتبة الامامة ومقام الارشاد والهداية
وكل واحد من القسمين نصرة على شهود النفس وفناء عن دائرة الحس
واخراج النصرة عليه من السؤال والطلب لان ذلك من الخذلان وعدم التو
فيق وهو غلبة احكام نفسه وبقاؤه مع دائرة حسه وقال رضي
الله عنه مما كتب به لبعض اخوانه ان كانت عين القلب تنظر
الى ان الله واحد في منته فالشريعة تقتضي انه لابد من شكر
خليقته اذا اوصل المولى تعالى اليك نعمة على يد انسان سواء كانت دينية
او دنياوية فعليك في ذلك وظيفتان احدهما ان تشهد انفراده
الله تعالى بذلك فلا ترى النعمة الا منه وحده ولا ترى من سواه من اجرا
ها على يديه مقهورا مجبورا على ذلك مسلطا عليه لدواعي والبوا
عث حتى لا يجد انفكاكا وهذا هو التوحيد والثانية ان تشكر
من وصلت اليك على يديه بان تدعو له وتثني عليه وامتثالا لامر الله
تعالى وعملت بما جاءت به الشريعة قال الله تعالى ان اشكر لي ولو
لديك وفي حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم
يشكر الله وفي حديث اسامة بن زيد رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى

صلى الله عليه وسلم اشكر الناس لله اشكرهم للناس ولان الله تعالى
افتتح بانعامه في ذلك واهله له ومن اسمائه تعالى الشكور فليتخلق
العبد بذلك وهذا هو الشرع وان الناس في ذلك على اقسام ثلاثة
غافل منهمك في غفلته قويت دائرة حسه وانطمست حضرة
قدسه فنظر الاحسان من المخلوقين ولم يشهده من رب
العالمين اما اعتقادا فشركه جلي واما استنادا فشركه خفي
هذا بيان احوال الناس بالنسبة الى مشاهدة التوحيد ورؤية
الوسائط والعبيد فبدا بذكر عامة الناس وهم الغافلون المنهمكون
في غفلتهم اصحاب الظواهر والرسوم الدنية فقويت دائرة حسهم
في بدايتهم ووقفوا معها وانطمست حضرة قدسهم بعدهم
ولم يجلوا بها فنظروا الاحسان من المخلوقين بتعبدهم وطمعوا
فيهم ولم يشهدوه من رب العالمين بكفرانهم نعمته واستوجبوا
سخط الله ونقمته ثم هم في ذلك على قسمين احدهما ان يعتقدوا
ذلك بقلوبهم انه منهم فهو من قبلهم وهذا هو الشرك الجلي الذي يخرج
صاحبه عن دائرة الاسلام ويوقعه في الكفر والعياذ بالله والثاني
لم يعتقدوا ذلك منهم استنادا اعتمادا على غير الله وسكونا
الى سواه مع سلامة عقدهم وهذا هو الشرك الخفي الذي يخرج
صاحبه عن حقايق الايمان ويدخله في ابواب النفاق ونعوذ بالله
من الشرك جليه وخفيه وصاحب حقيقة غاب عن الخلق
بشهود الملك الحق وفنا عن الاسباب بشهود مسبب
الاسباب فهذا عبد مواجه بالحقيقة ظاهر عليه

انظر الشرك الجلي والخفي

سناها سالك للطريقة قد استولى على مداها غير انه غريق
الانوار ولطموس الاثار قد غلب شكره على صحوه وجمعه على فرقه
وفناؤه على بقائه وغيبته على حضوره هذا هو حال الخاص من ارباب
الحقائق وهم الذين غابوا عن الخلق بشهود الملك الحق فلم يبق
لهم شعور بهم ولا التفات اليهم وفنوا عن الاسباب برؤية مسبب
الاسباب فلم يروا لها فعلا ولا جعلا بحكم مواجيد حقيقة الحق
القاهر عليهم سناها اي نورها وضياؤها سالكو طريق الحق قد استولوا
على مداها اي وصلوا الى غايتها ومنتهاها الا انهم غرقوا في بحار
انوار التوحيد مطموس عليهم اثار الوسائط والعبيد في مطلق
عليهم رؤية ذلك والشعور به قد غلب سكرهم وهو عدم احسا
سهم بالاغيار على صحوهم وهو وجود احساسهم بها و
جمعهم وهو ثبوت وجود الحق بيد اعلى فرقهم وهو ثبات
وجود الخلق وفناؤهم وهو استهلاكهم في شهود الحق على
بقائهم وهو شعورهم بالخلق وغيبتهم وهو ذهاب احوال
الخلق عن نظرهم على حضورهم مع الخلق ومعاني هذه الالفاظ
كما تراها متقاربة وهي الفاظ قد ولع الصوفية المحققون
بينهم وعبروا بها في كتبهم ووضعوها على معان اختصوا بعلمها
ليتعرف بعضهم من بعض ما يتعاطونه ولهم الفاظ كثيرة في
غيرها وكان المؤلف رحمه الله اراد الا يخلو كتابه عن ذكر شيء
منها واكمل منه عبد تشرب فازداد صحوا وغاب فازداد
شعورا فلا جمعه يحجبه عن فرقه ولا فرقه يحجبه عن جمعه

والفناء

ولا فناؤه يحجبه عن بقائه ولا بقاؤه يحجبه عن فنائه يعطي كل ذي
قسط قسطه ويوفي كل ذي حق حقه هذا هو حال خاصة الخاصة
الذين ازدادوا بتبعيتهم الاكملية وهو قوم شربوا كؤوس التوحيد
فازداد صحوهم وغابوا عن الاغيار فازداد حضورهم قد ملكوا الاحوال
وتمكنوا في مقامات الرجال فلم يغلبهم صحو ولا محو ولم يحجبهم شيء
عن شيء بل رعوا حقوق جميع المراتب واعطوها اهلها من قسط واجب وذلك
لاتساع نظرهم ونفوذ بصائرهم وهذه هي صفة الصديق رضي الله عنه
في القصة التي يذكرها الان وقد قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لعائشة
رضي الله عنها لما نزلت براءتها من الافك على لسان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا عائشة اشكري رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت والله لا اشكر الا الله دلها ابو بكر رضي الله عنه على المقام
الاكمل مقام البقاء المقتضي لاثبات الاثار وقد قال الله تعالى ان اشكر لي
ولوالديك وقال صلوات الله عليه وسلامه لا يشكر الله من لا يشكر الناس
وكانت هي في ذلك الوقت مصطلمة عن شاهدها غائبة
عن الاثار فلم تشهد الا الواحد القهار
وقد اشبع المؤلف رحمه الله الكلام فيه والمعنى في ذلك يسير لا حاجة فيه
الا مزيد تتبع الاقوال وكانت هي في ذلك الوقت مصطلمة عن شاهدها
مقتطعة عن شاهدها وهو حكم بشريتها مستوجات عن احساسها
من كليتها والاصطلام نعت الحيرة ومحل القهر وغلبة الدهشة وفي قوله
وكانت هي في ذلك الوقت اشعار بان ذلك لم يكن حالا لازما لها في جميع
اوقاتها بل كان ذلك في وقت مخصوص ووقعة مخصوصة وذلك جميع احوالها
رضي الله عنها هو حال الكمال في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد

وجا نه كنحو حال الحبيبة رضي الله عنها من اخبارها وسيرها رضي الله عنها
وقال رضي الله عنه اما سبيل من قوله صلوات الله وسلامه عليه وجعلت
قرة عيني في الصلاة هل ذلك خص به ام لغيره معه شرب ونصيب فالجواب
ان قرة العين بالشهود على قدر المعرفة بالمشهود والرسول صلوات الله
وسلامه عليه لا تقر عينه بغير ربه وكيف وهو يدل على هذا المقام ويامر به
من سواه بقوله صلوات الله وسلامه عليه اعبد الله كانك تراه ومحال ان يراه
ويشهد معه سواه قال القايل لانها تجلي الله وبارزة من منة الله فكيف
لا يفرح بها وكيف لا تكون قرة العين بها وقد قال الله سبحانه تعالى قل بفضل
الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون فاعلم ان الاية قد اومت
الى الجواب لمن تدبر سر الخطاب اذ قال فبذلك فليفرحوا وما قال فبك [illegible]
يا محمد قل لهم ليفرحوا بالاحسان والتفضل وليكن فرحك انت بالمتفضل كما
قال في الاية الاخرى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون الصلوة هو احلى ما يتحف
الله تعالى به عباده ويشهد به ما في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ما اوتي عبد في الدنيا خيرا من ان يوذن له في ركعتين يصليهما فيها تحصل
لهم الخلوة معه والانفراد به والمجالسة له والانقطاع اليه وفيها ترتفع عن
قلوبهم الحجب والاستار وتتجلى فيها حقايق الاسرار وتنشر فيها شوا
رق الانوار وفيها تكون المناجات والمشاهدات كما تقدم وهي صلة بين
العبد وبين ربه عز وجل قال محمد بن علي الترمذي رضي الله عنه الصلاة عماد
الدين واول شيء فرضه الله على المسلمين والصلاة اقبال الله على العبد تذليلا
وتفضيلا تعبدا لا تخضعا وتخشعا وترغبا وتملقا بالوقوف تذللا و
التكبير تعظيم والثناء والتلاوة منيلا والركوع تخضع والسجود تخشع
والجلوس ترغب والتشهد تملق فاقبال العبد الى الله بهذه الصورة ليقبل الله

عليه

عليه بالفرح والتعطف والتفضل والتكريم والتقرب فليس بشيء من انوار الدنيا
اعظم من هذا ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين
وقال في حديث اخر الصلاة نور وقال لا يزال الله مقبلا على العبد بوجهه
ما دام في صلاته وان الله لينصب الى احدكم وجهه ما دام مقبلا عليه انتهى
ولاجل هذه الفوايد كانت الصلاة مفزع ذوي الفاقات والفقر من ارباب
القلوب في تغيبهم وجودها عن كل مرغوب ويتسلون بها عن كل محبوب قال
الله تعالى وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك الاية
فوجب اذا ان يكون قرة اعين عباد الله فيها وبها وقرة العين عبارة عن الروح
والراحة بكمال النعيم واللذة التي تحصل من غاية الموافقة والملايمة الا انها
تختلف باختلاف احوال الناس في مراتبهم ومقاماتهم فمن علت منزلته
وعلت مرتبته كانت ملايمته وموافقته في شهود التوحيد وكمال التجريد
المشار اليه بقوله صلى الله عليه وسلم ان تعبد الله كانك تراه اذ محال ان يراه
ويشهد معه سواه كما قال المولف رحمه الله تعالى وفيما روي عن عبد الله
ابن عمر رضي الله عنهما في قوله لعروة ابن الزبير رضي الله عنهما انا كنا نتراءى الله
بين اعيننا وكان هذا لما خطب اليه عروة ابن الزبير ابنته وهو في الطواف فلم
يجاوبه ابن عمر ولم يرجع اليه بشيء ثم اعتذر له بعد ذلك بهذا الكلام
فصاحب هذا الحال تكون قرة عينه في الصلاة لا بغيرها لما تضمنته من التجلي
والتمام والشهود الحقيقي ومن كانت منزلته دون ذلك كانت ملايمته وموا
فقته في شهود النعم ووجود الفضل والكرم وكانت قرة عينه بها لا فيها
لانها فضل من الله تعالى وبارزة من منة الله كما قال المولف رحمه الله والاشد ان معنى
قرة العين في الوجه الاول احرى بانتسابه الى المولى لا لصاحبه فان عن نفسه
بل وبربه ومن كان على هذا الوصف فهو من المخلصين الابرار السلطانية

عليه للعدو اللعين ومن زالت سلطانيته عنه في صلاته لم يحتج الى
مدافعته ومراجعته وكانت صلاته ملزومة بالحضور والخضوع والدوام
والخشوع وعند فقدان العبد لحديث نفسه ووسوسة عدوه يحصل له
غاية النعيم واللذة ويتحقق في حقه معنى قرة العين بخلاف الوجه الآخر
فان صاحبه لم يخرج عن نفسه بخلاص او يرقى الى درجة الفناء بربه فلم ينقطع
عنه حديث ولا وسوسة العدو فيحتاج لا محالة الى مجاهدة ومدافعة
فيتشوش نعيمه وتتكدر لذته فيضعف معنى قرة العين في حقه قال
الشيخ العارف ابو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه وقرة العين
لا تكون بمجاهدة ولا لمريد مع الشيطان عنه بل هي لمن استراح من المجا
هدة والدفع ولما كانت منزلة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عند ربه
اشرف المنازل ومرتبته في المعرفة به ارفع المراتب بحيث لا يتصور
ان يشاركه في ذلك غيره او يجاريه سواء كانت قرة عينه في صلاته
على حسب ذلك فمن قال ان ذلك خاص به لانفراده بالرتبة العليا و
الالهر الخاصية الكبرى فقوله صحيح وعليه يدل قوله صلى الله عليه وسلم وحده
وجعلت قرة عيني في الصلاة بعد قوله انما حبب الي من الدنيا الطيب
والنساء ولا شك انه حبب له هذين الامرين ليس على قدر ما فيهما غيره
لهما وانما ذلك لوجود الخاصية التي اقتضت منه ذلك الا ترى انه
ابيح له ما لم يبح لغيره من عدد الحرائر وامن لاجل ذلك من وقوع
معيشة في التباغض والتشاجر بسبب اجتماع الضرائر واستحبابه
صلى الله عليه وسلم للطيب وحبه له انما هو للقاء الملائكة التي
تناجيه والا فهو ذاته غني عن الطيب واستعماله كما قال انس
ابن مالك رضي الله عنه ما مسست حريرة ولا خزا الين من كف

رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت رائحة قط مسكا ولا
عنبرا اطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا كان حاله 258
في هذين الامرين على ما ذكرناه مع انه لم يذكر فيهما لفظة الحب وهما
من لذة الدنيا فكيف يكون حاله في الامر الثالث مع انه عبر فيه بقرة
العين وهي غاية المحبة وهو من اعمال الآخرة وقيل معنى قوله من الدنيا
اي في الدنيا ومن قال الغير منه شرعا وطبعا على المعنى الذي يليق
بهذا الغير فلقوله وجه وجواب المولى رحمه الله محتمل لهذين
الوجهين والله اعلم بما اراده منهما او من غيرهما وقال رضي
الله عنه مما كتب به لبعض اخوانه الناس في ورود النعم على
ثلاثة اقسام فرح بالنعم لا من حيث مهديها ومنشئها
ولكن بوجود متعته فيها فهذا من الغافلين يصدق عليه
قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة وفرح
بالنعم من حيث انه شهدها منة ممن ارسلها ونعمة
ممن اوصلها يصدق عليه قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته
فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون وفرح بالله ما شغله
من النعم ظاهر متعتها ولا باطن منتها بل شغله النظر
الى الله عما سواه والجمع بالتوكل عليه فلا يشهد الا اياه يصدق
عليه قوله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون
تضمن هذا الفصل بيان ما يجمع من احوال الناس وما يلزم عند
ورود النعم عليهم وحصول الفرح اذ ذاك لهم وينبني عليه ما يكون
من ذلك شكرا لها وما لا يكون وقد قسمهم المولى ثلاثة اقسام
وجعلهم طرفين وواسطة فهم في غاية الدناءة والخسة وهم الذين

يفرحون بالنعم من حيث بها قضاء اوطار نفوسهم ونيل اغرا
ضهم والتمتع في شهواتهم ولذاتهم فاحوال هؤلاء مذمومة جدا
اشبه شيء بحال الانعام والبهائم وهذه احوال اهل الطرد والبعد
والاستدراج والمكر حسبما اشار اليه في الاية الكريمة التي ذكرها
المولف رحمه الله في هذا القسم وهذه الاحوال بعيدة من الشكر منافية
له وقسم في غاية الشرف والجلالة وهم الذين فرحوا بالمنعم فقط
ولم يلتفتوا الى ظواهر النعم لاجل ان فيها منفعتهم ولذتهم ولا الى
بواطنها من كونها دالة على عناية الله تعالى بهم من حيث من بها
عليهم فاحوال هؤلاء محمودة جدا لانهم غابوا عن الاغيار العدمية و
تحققوا بحقائق الوحدانية كما اشار اليه في الاية الكريمة التي ذكرها
المولف رحمه الله في هذا القسم وحال هؤلاء هو الشكر الحقيقي وغا
ية الخالص الخالي من المزج والشوب لان المشاهد للمنعم فارغ حظو
ظ نفسه فهو يرى الاشياء كلها نعمة فلا تفرقة عنده بين الوجود
والعدم ولا العطاء ولا المنع ولا يخاف عليه من التغيير الاحوال والاسباب
ما يخاف على غيره لبقاء حظه قال ابو محمد الجريري رضي الله عنه من رءا
النعم ولم ير المنعم فقد حجب عن الشكر ومن رءا المنعم بغيبته عن النعم فقد
شكر وقال الشيخ ابو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه كل من
لم يشاهد المنعم في النعمة كانت النعمة في حقه استدراجا لانه
يود به ان يسكن اليها فاذا انتزعت له لزم ان يتغير عليها ومن
من حصل له نصيب من الشرف والجلالة وحظ من الدناءة والرذالة
وهم الذين فرحوا بالنعم لكونها منة من الله تعالى عليهم من حيث
شهودهم للمنة من ربهم شرفوا وجلت اقدارهم وكانت

احوالهم

٢٥٩

احوالهم محمودة وهو شكر منهم لانهم ومن حيث شكرهم
لانفسهم وبقاء حظوظهم مع حظوظهم كان لهم نصيب من الدناءة والخسة
فانحطوا بهذا الوصف عن مراتب الاعليين وارتقوا بالوصف الاول
عن الاحوال الادنيين فخوطبوا بما خوطبوا به عامة المومنين واوساطهم
في الاية الكريمة التي ذكرها المولف رحمه الله في هذا القسم وقد ضرب
الامام ابو حامد الغزالي رضي الله عنه في كتاب الشكر لهذه الاقسام
الثلاثة مثلا فقال الملك الذي يريد الخروج الى السفر فانعم بفرس الى الانسان
يتصور ان يفرح المنعم عليه بالفرس من ثلاثة اوجه احدها ان يفرح بالفرس
من حيث انه فرس وانه مال ينتفع به وانه مركوب يوافق غرضه وانه جواد
نفيس وهذا فرح من لا حظ له في الملك بل غرضه الفرس فقط ولو وجده في الصحراء
لاخذه لكان فرحه به مثل هذا الفرح الوجه الثاني ان يفرح به لا من حيث
انه فرس بل من جهة يستدل به على عناية الملك به وشفقته عليه وا
هتمامه بجانبه حتى لو وجد هذا الفرس في الصحراء او اعطاه له غير الملك
لكان لا يفرح به اصلا لاستغنائه عن الفرس واستحقاره له بالاضافة
الى مطلوبه من نيل المحل في قلب الملك الوجه الثالث ان يفرح به ليركبه
فيخرج في خدمة الملك ويتحمل مشقة السفر لينال بخدمته مرتبة
القرب منه ويرتقي الى درجة الوزارة من حيث انه ليس يقنع بان يكون م
حله في قلب الملك محل من يعطيه فرسا ويعتني به هذا القدر من العنا
ية بل هو طالب لان لا ينعم الملك بشيء من ماله على احد الا بواسطته
ثم انه ليس يريد من الوزارة الوزارة ايضا بل مشاهدة الملك والقرب منه
حتى لو خير بين القرب دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب لاختار القرب
فهذه ثلاثة درجات فالاول لا يدخل فيه معنى الشكر اصلا

لا ان نظره الى جبهما مقصور على الفرس بفرحه بالفرس لا بالمعطي وهذا حال
كل من فرح بنعمة من حيث انها لذيذة وموافقة لغرضه فهو بعيد
عن معنى الشكر والثاني داخل في معنى الشكر من حيث انه فرح بالمنعم
ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التي تستحثه على
الانعام في المستقبل وهذا هو حال الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه
خوفا من عقابه ورجاء لثوابه وانما الشكر التام في الفرح الثالث
وهو ان يكون فرح العبد بنعم الله عز وجل من حيث انه يقدر بها على
التوصل الى القرب منه والنزول في جواره والنظر الى وجهه على الدوام فهذه
هي الرتبة العليا وامارته الا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة الا
خرة ويعينه عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله وتصده عن
سبيله لانه ليس يريد النعمة لانها لذيذة كما لم يرد صاحب الفرس
لانه جواد ومهملج بل من حيث انه يحمله في صحبة الملك حتى تدوم
مشاهدته له وقربه منه ولذلك قال الشبلي رضي الله عنه الشكر
رؤية المنعم لا رؤية النعمة ولذلك قال الخواص رضي الله عنه شكر
العامة على المطعم والملبس وشكر الخاصة على واردات القلوب
وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده اللذات في البطن والفرج
ومدركات الحواس من الالوان والاصوات وخلا عن لذة القلب فان القلب
لا يلتذ في حال الصحة الا بذكر الله تعالى ومعرفته ولقائه وانما يلتذ بغيره
اذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس من اكل الطين وكما يستبشع
بعض المرضى الحلوة ويستحلي الاشياء المرة حتى قيل

ومن يكن ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا فاذا هذا شرط الفرح بنعمة الله
عز وجل فان لم يكن فالذي يليه في الدرجة الثانية اما الاولى فخارجة

عن كل

عن حساب الشكر فكم بين من يريد الملك للفرس وبين من يريد الفرس للملك
وكم من فرق بين من يريد الله عز وجل لينعم عليه وبين من يريد نعم الله
تعالى ليصل بها اليه انتهى كلام الامام ابي حامد الغزالي وهو في غاية البيان
والوضوح وهو كالتفسير لما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى ولذلك اوردناه
هاهنا بكلامه وقد اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود
قل للصديقين بي فليفرحوا وبذكري فليتنعموا وبهذا تحققت الذين تنعم
وعلم ان يتلذذ ويتنعم عن مزيد نعم قيل ان عتبة الغلام دخل في بعض الايام على
رابعة العدوية رضي الله عنها وعليه قميص جديد وهو يتبختر في مشيته خلاف
ما عهد من عادته فقالت له يا عتبة ما هذا التيه والعجب الذي اراه في
شمائلك قبل اليوم فقال يا رابعة ومن اولى بهذا التيه مني وقد اصبح
لي مولى واصبحت له عبدا وقال بعضهم كنت مسافرا الى مكة فبينما انا امشي
اذ رايت شيخا وبيده محجمها وهو ينظر فيه ويرقص فتقدمت اليه وقلت
له ما هذا الرقص فقال اغنى عنك ذلك في نفسي عنه مرادنا وكلام من انللوا وبيت
هوانا فاصد فاستفزني الوجد برقصنا وانشدوا في هذا المعنى

قوم تخالجهم زهو بسيدهم ... والعبد يزهو على مقدار مولاه
تاهوا برؤيته عما سواه له ... يا حسن رؤيتهم في حسن ما تاهوا

فهو المراد بقوله وبذكري فليتنعموا اي بذكري اياهم في الازل حيث لا وجود
لهم والاجل الذكر المنسوب اليهم محل الآفات والعلل وهو اجل رتبة من
ان يكون نعمهم بشيء ملتبس بهم والله تعالى اسال ان يجعل حظنا
واياك به وبالرضى عنه ولا يجعلنا من الغافلين وان يسلك بنا مسالك
المتقين بمنه وكرمه وهذا دعاء حسن من ابي الحسن بقدم وهو يشير للجناح
التي تضيف عليه والله تعالى يحقق لنا ذلك بفضله وقال رضي الله عنه اللهم
انا الفقير في غناي فكيف لا اكون فقيرا في فقري اللهم انا الجاهل في علمي

فكيف لا اكون جهولا في جهلي العبد موصوف بصفات النقص
وهي ذاتية له والكمال العارض والمنسوب اليه فصار على التحقيق وب
ثم كان ما ذكره المولف رحمه الله تعالى من كونه فقيرا في غناه وجاهلا في علمه
صحيحا مستقيما وكانه قصد رضي الله عنه بهذا الى الاعتراف
بدوام الاضطرار ولزوم الفاقة والافتقار وانه لا استغناء له عن مولاه
عز وجل ولا ينفك عن الاحتياج اليه والتعلق به والسؤال والطلب
منه في كل حال من احواله كما قال بعضهم انا الى الله مع الانفاس
محتاج لو كان في مفرقي الاكليل والتاج وهذا منه دليل على تحققه
في مقام العبودية التي اقتضتها عظمة الربوبية وتقديمه لهذه
المعاني بين يدي دعائه ومناجاته في غاية الحسن قال الشيخ ابو
الحسن رضي الله عنه ما طلبت من الله شيئا الا وقد قدمت اساءتي
امامي يريد رضي الله عنه حتى لا يطلب من الله شيئا بوصف
يستحق به العطاء بل لا يكون طلبه وجوده فضله لا بفعله وقال
ابو عثمان رضي الله عنه في قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية قال
التضرع في الدعاء ان تقدم اليه افعالك وصلواتك وصيامك وقراء
تك ثم تدعوا على اثره انما التضرع ان تقدم اليه افتقارك
وعجزك وضرورتك وفاقتك وقلة حيلتك ثم تدعوا بلا
علاقة ولا سبب يتبع دعاءك وقال الواسطي رضي الله عنه
تضرعا بذل العبودية وخلع الاستطالة وقال سهل بن عبد
الله رضي الله عنه ما اظهر عبد فقره الى الله في وقت الدعاء في شيء
يحل به الا قال الله لملائكته لولا انه لا يحتمل كلامي لاجبته لبيك الهي
ان اختلاف تدبيرك وسرعة حلول مقاديرك منعا عبادك
العارفين بك عن السكون الى عطاء واليأس منك في بلاء تلويس

الاحكام على العباد يقتضي الا يساكنوا احوالا لا استمرار يكونون عليها
ولا يياسوا من تغير حال ضارية تنزل بهم من وجود الراحة والفرج وهذا ٢٦١
مختص بالعلماء بالله تعالى وهو نعت العارفين الهي منك ما يليق بلومي
ومنك ما يليق بكرمك لوم العبد الخ ركب عليه يقتضي منه
مبادرته مولاه بالقبائح والكبائر وكرم المولى الخ هو متعلق به
يقتضي منه التجاوز والعفو عن عبده وقبول عذره وهذا الكلام من لطف
وجوه السؤال والرغبة وهو من اداب الدعاء يحكى ان رجلا قال لبعض
الانبياء عليهم السلام قل لربك اخالفه واعصيه وهو لا يعاقبني فاوحى اخالفه
الله تعالى الى ذلك النبي قل للعبد لتعلم اذا انا وانت انت الهي
وصفت نفسك باللطف والرأفة بي من قبل وجود ضعفي افتمنعني
منهما بعد وجود ضعفي اللطف والرحمة صفتان لله عز وجل اتصف
بهما في الازل قبل وجود ضعف العبد وفاقته وحاجته وهما مقتضيان
لوجود اثارهما فيما لا يزال بعد وجود ذات العبد وصفاته وهي
اسباغ نعمه عليه وايصال افضاله اليه فكيف ينقطع اذا ذاك منعه اياهما
الهي ان ظهرت المحاسن مني فبفضلك ولك المنة علي وان
ظهرت المساوي مني فبعدلك ولك الحجة علي ظهور المحاسن
على العبد وهي انواع الطاعات والحسنات والصفات المحمودات بفضل
من الله تعالى والمنة له عليه لعدم الاستحقاق لذلك وظهور المساوي
منه وهي ضروب المعاصي والسيئات والاوصاف المذمومات عدل من الله تعالى
اذ له ان يفعل بعبده ما يشاء والحجة له عليه لانه ربه وهو عبده ومناجات
العبد لمولاه بهذا الكلام من احسن المناجات وهي مقتضية لوجود
استعطافه له وموالات الطافه عليه لما فيها من الثناء على الله على بساط
قربه وذكر صفاته العلية والتعلق والافتقار له بالنعت الظاهر والباطن

ولما فيها من رؤية ضعف النفس والاقرار عليها بالنقص والقصور
وانزالها منزلتها من الذلة والمهانة وقد قال بعضهم تعلق شاب
باستار الكعبة وقال الهي لا لك شريك فيؤتى ولا وزير فيرشى ان اطعتك
فبفضلك ولك الحمد وان عصيتك فبجهلي ولك الحجة علي فباثبات حجتك
علي وانقطاع حجتي لديك الا غفرت لي فسمع الهاتف يقول الفتى
عتيق من النار. الهي كيف تكلني وقد توكلت لي وكيف اضام وانت
الناصر لي ام كيف اخيب وانت الحفي بي. الوكيل والنصير والحفي
اسماء الله تعالى عز وجل وهي مقتضية لوجود اثارها من وجود الكفاية
والمنعة والظفر بغاية المقصود والبغية فكيف يتصور انفكاك ذلك
عن العبد عند وجود حاجته كما تقدم في اللطف والرافة والغيرة الخ
ومعنى الحفي هو اللطيف والحفي به يحيط علمه بدقائق مصالحه
وخفية مضاره وايصال ذلك اليه برفق قال الله تعالى انه كان بي حفيا
ها انا اتوسل اليك بفقري اليك. التوسل والتقرب والوسيلة
ما يتقرب به واعظم وسائل العبد الى مولاه هو تحققه بما توجبه عبوديته
وهو فقره اليه في كل حال من احواله ولا يرى لنفسه حسنة يفتخر بها
ثوابا ولا يدلي بها حتى يدفع بها عن نفسه عقابا قال ابو يزيد رضي الله عنه
نوديت في سري فقيل لي خزائننا مملوءة من الخدمة فان اردتنا فعليك بالذلة
والافتقار وسئل ابو حفص رضي الله عنه بماذا يتقدم الفقير على ربه فقال
وما للفقير ان يتقدم به على ربه سوى فقره. وكيف اتوسل اليك بما هو
محال ان يصل اليك. بين المتقرب به والمتوسل اليه نسبة تامة وصلة
حقيقية وهي التي اقتضت له وجود التوسل ولا نسبة ولا صلة بين
الفقر الذي هو نعت العبد وبين الرب الذي هو الغني الاكبر وايضا توسل
العبد بفقره يقتضي شهوده له واعتداده به واعتماده عليه

ورؤيته

ورؤية العبد لاحواله وسكونه اليها علة فيها والاحوال المعلولة
لا تليق بالحضرة الالهية ولا تصل الى الله بمعنى انه لا يرضيها ولا يقبلها
فالفقر لا يصح التوسل به من هذا الوجه ايضا والى هذا المعنى يشير
ما يحكى عن سيدي ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنه حين دخل على الشيخ
ابي محمد عبد السلام رضي الله عنهما فقال له يا ابا الحسن بماذا
تلقى الله تعالى فقال له بفقري فقال له الشيخ والله لئن لقيت الله
بفقرك لتلقينه بالصنم الاعظم ولا يصح حقيقة الفقر الا بالغيبة
عن الفقر والا كنت غنيا بفقرك فاذا لا وسيلة الى الله بسوى الله
ام كيف اشكو اليك حالي وهو لا يخفى عليك. شكوى الحال لا تصح
الا لمن هي غائبة عنه وهو غير عالم بها والله تعالى لا يخفى عليه شيء
وقد ابى الخليل عليه الصلاة والسلام حسبه من سؤاله علمه بحالي
ام كيف اترجم اليك بمقالي وهو منك برز اليك. الترجمة بالمقال
هي التعبير باللسان عما في الضمير ليقع التفهم بذلك للمترجم له والله
تعالى هو الذي انطق اللسان واطلقه بذلك بالترجمة من الله تعالى
برزت واليه مآل امرها والعبد لا مدخل له في ذلك فكيف تنسب
اليه الترجمة ونسبة ذلك الى الله تعالى دليل على احاطة علمه باحوال
العبد فكيف يصح في حقه معنى الترجمة. ام كيف تخيب امالي وهي
قد وفدت اليك. الامال الوافدة الى الله تعالى لا يخيبها من قبل انها
جارية اليه ومتعلقة به ومنقطعة عما سواه والله تعالى كريم
جواد متفضل منعم فليثق العبد بذلك وليكن على يقين منه وان لم
يتيسر ولم يطلب. ام كيف لا تحسن احوالي وبك قامت واليك. من تحقق
في المعرفة رأى احواله كلها حسنة لوجود قيامها بالله ورجوع امرها

امرها اليه وهذه كلها انواع من التعجب عجب بها المولف رحمه الله نفسه
من نفسه فيما هو بصدده من سؤاله وطلبه بسبب ترقيه في المعرفة التي
وجبت له رؤية نقصه وقصوره في احواله الاول الهي ما الطفك بي مع
عظيم جهلي وما ارحمك بي مع قبيح فعلي شهود العبد [illegible]
المعنى مزيد عطفه يوجب له الحياء والانكسار فيستحسن منه حينئذ
الاعتراف بالنعم بفضله الهي ما اقربك مني وما ابعدني عنك شهود
المولف رحمه الله تعالى شهدت قرب الله تعالى منه لما دعاه من بعده لا
شياء عنه ودعها له اليه كما سياتي من قوله قد دفعتني العوالم اليك
وشهوده لبعده من الله عز وجل من حيث اقيم في الطلب له والطلب
دليل على فقد الطالب له وبعده عنه فالمشاهدة الاولى اوجبت له
ملازمة باب مولاه وانقطاع طمعه عن كل ما سواه والمشاهدة الثانية
اوجبت له التلطف في سؤال التقريب والاستغناء عن طلب القريب
ومن دعاء سيدي ابي العباس المرسي رضي الله عنه يا قريبا انت القريب
وانا البعيد قربك ايسني من غيرك وبعدي عنك ردني للطلب لك فكن لي
بفضلك حتى تمحوا طلبي بطلبك يا قوي يا عزيز الهي ما الطفك بي فما
الذي يحجبني عنك الرافة اشد الرحمة ولما شاهد رافة ربه غاب
بهذا الشهود عن رؤية نفسه وصفاتها فلذلك لم يظهر له سبب لا
لوجود حجابه عنه الهي قد علمت باختلاف الاثار وتنقلات الاطوار
ان مرادك مني ان تتعرف الي في كل شيء حتى لا اجهلك في شيء
كان المولف رحمه الله يقول اختلاف الاثار علي وتنقلات الاطوار مما
الصحة والمرض والغنا والفقر والعز والذل والقبض والبسط والفقد والو
جد وغير ذلك من مختلفات احوالي التي هي من شؤونك التي تنزلها علمت

منها

منها ارادتك في ان تتعرف الي في كل شيء تعرفا خاصا في حالة خاصة
حتى اشاهد وحدانيتك وعظمتك وجلالك وكمالك بحيث لا يتصور
مني جهل بما انا قابل لمعرفته في جميع ذلك ولو كان الامر على خلاف
ما ... او الزمتني حالة واحدة لما ارتضيها لنفسي واختارها لكانت معرفتي
ناقصة ومشاهدتي قاصرة فانا الان انقلب في جنة معجلة انبوا
منها حيث اشاء فقد استغرقني ما الاقيه من عظيم النوال وشغلني
ذلك عن الدعاء والسؤال وطلب الكون على ما ارتضيه من الاحوال فلك
الحمد على نعمك الظاهرة والباطنة والخفية والجلية قال بعضهم في الدنيا
جنة من دخلها لم يشتق الى جنة الاخرة ولا الى شيء ولم يستوحش
من شيء قيل وما هي قال معرفة الله تعالى وقال مالك بن دينار رضي الله عنه
خرج الناس من الدنيا ولم يذوقوا اطيب الاشياء قيل وما هو قال
المعرفة ثم قال ان عرفان الجليل العز وضياء وبهجة وسرور
وعلى العارفين ايضا بهاء وعليهم من النعمة نور فهنيئا لمن عرف الهه
هو والله دهره مسرور وقد روي انه رئي في جوف حكيمين من حكماء
المتعبدين مسجد وفي يد احدهما رقعة مكتوبة فيها اذا احسنت
على شيء فلا تظن انك احسنته حتى تعرف الله عز وجل وفي يد الاخر شيء
مكتوب قبل ان اعرف الله عز وجل اشرب واظما حتى اذا عرفته
رويت بلا شرب قال الشوني بعد كلام ذكره وانما قلنا ان الحالة
زايلة عنك لا محالة فان مراده ان ينقلك في الاطوار ويخالف عليك الاثار
ليتعرف لك في كل حالة خاصة بتعرف خاص فاذا اردت ان يديمك على
حالة واحدة فقد اردت ان يسلك بك غير الكمال فكانه يقول لك
لا تطلب منه ان يقيمك في حالة واحدة فانه لا يفعل ذلك معك

انريد ان تبغى ربوبيته معطلة الآثار ولكن سلني ان شئت كيف حيث
ما اردتك وحيث ما فهمتك حتى تكون في ولي قال الله سبحانه يسئله
من في السموات والارض كل يوم هو في شان اي يمنع ويعطي ويضع ويعلي
ويضيق ويبسط ويعز ويذل الى غير ذلك من مختلفات الآثار كانه
سبحانه وتعالى يقول لك يا عبدي لا تاسف على شيء ما دامت لك ولا تفرح
بشيء وانا لست لك بل انا العوض عما سواي لا يغنيك عني ولا تكن
ممن يعبدني بالعلل فتكون من عبيد الحروف بل اعبدني في بلاء بكمال الغناء
موصوفا بدوام الافضال معروفا قال الله عز وجل ومن الناس من يعبد
الله على حرف فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على
وجهه خسر الدنيا والآخرة لان الحق طلبه عن الفناء عنه فما دام له
وهو فما طلبنا حتى تكون له ومن عبده لما سواه فهو عبد ما
سواه ومن عبده لاجل جوده ونعماه فهو عبد جوده ونعماه لان من
احب شيئا فهو عبد ما احبه قال صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدنيا
وتعس عبد الدراهم تعس عبد الخميصة تعس وانتكس واذا
شيك فلا انتقش وكن عبد الله في كل شيء عطاء ومنعا وعزا
وذلا وغنى وفقرا وقبضا وبسطا وفقدا ووجدا وشدة ورخاء
وجفاء وبقاء الى غير ذلك من مختلفات الآثار وتنقلات الاغيار انتهى
كلامه رحمه الله وقد احسن فيه غاية الاحسان كله فجزاه الله خيرا
الهي كلما اخرسني لومي انطقني كرمك وكلما ايستني
اوصافي اطمعتني منتك لوم العبد ومخالفته وعصيانه
تخرس لسانه عن السؤال والطلب وكرم المولى وفضله واحسانه
تنطقه واوصاف العبد الذميمة التي اقتضتها طبيعته وجبلته

تؤيسه

يؤيسه من حصول المقصود منه على طريق الحق وفضل الله تعالى التي تشمل
البر والفاجر تطمعه في ذلك الهي من كانت محاسنه مساوي
فكيف لا تكون مساويه مساوي ومن كانت حقائقه دعاوي
فكيف لا تكون دعاويه دعاوي هذا امثال ما تقدم من ان الكمال
المنسوب الى العبد نقص على التحقيق فكيف بنقصانه الهي
حكمك النافذ ومشيئتك القاهرة لم يتركا لذي مقال مقالا
ولا لذي حال حالا شهود هذا المعنى يوجب للعبد مقام الخوف
والتحقق به فان كان ذا قول صحيح وحال صحيح لم يقطع ببقاء ذلك
ولم يغتر بما هنالك للقعود حكم الحق تعالى وقهر مشيئته
الهي كم من طاعة بنيتها وحالة شيدتها هدم اعتمادي
عليها عدلك بل اقالني منها فضلك الطاعة صفة ظاهر العبد
والحالة صفة باطنه وبناؤه للطاعة هو اقامتها على الوجه المامور به
من الوفاء بجميع اركانها وشرائطها وما يتعلق بها من حقوق
وآداب وتشييده للحالة هي تربيتها وتطهيرها وصيانتها
عما يكدر صفاءها ويكشف غطاءها وكانه لما يفعل هذين الامرين
يرى انه تحصن بحصن حصين واوى الى ركن متين لكن لما شهد عدل
الله تعالى هدم عليه ذلك لان مقتضاه ان يفعل ما يشاء ولا يبالي باعمال
العاملين فلما اشهده فضله وكرمه اقاله من ذلك بان جعل له
من التعلق به والاعتماد عليه بدلا منه وعوضا عنه ونعم البدل والعوض
بسببها المتفضل المنان الهي انك تعلم واني لم تدم الطاعة مني فعلا
جزما فقد دامت محبة وعزما جعل عزمه على الطاعة ومحبته لها
وان لم يدم عليها فعلا احد وسائله وذلك صحيح وكم من شخص

قد طرد وابعد بلى يكون عنده عزم ولا يجعل عزم الهي كيف اعزم و
انت القاهر وكيف لا اعزم وانت الآمر استبعد من نفسه وقوع العزم
منه وجعل مستنده ذلك شهود القهر لان من شهد قهره بطل عزمه
لانه الغالب واستبعد ايضا عدم وقوع العزم وجعل مستنده
شهود الامر لان من شهد امره بادر الى امتثاله وتحرز عن اغفاله
واهماله الهي ترددي في الآثار يوجب بعد المزار فاجمعني
عليك بخدمة توصلني اليك شكى الى مولاه عز وجل طول تردده في
الآثار وهي الاكوان واخبر انه يوجب له بعد المزار وهو البعد عن
شهود التوحيد وكمال المعرفة وقد تقدم هذا المعنى عند قوله
لا ترحل من كون الى كون ثم سأله وطلب منه ان يختصر له طريق
سلوكه ويقربه عليه ويجعله من مفترقات الآثار بخدمة تكون
فيها عبوديته ويصل بها الى مولاه من غير تردد ولا طول الهي كيف
يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر اليك ايكون لغيرك من
الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى
تحتاج الى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي
توصل اليك هذا تقبيح لاحوال المستدلين على ربهم وهم اصحاب الفكر
والاستدلال بالنسبة الى اهل المقام الآخر وهم ارباب الشهود والعيان قال
ابو بكر محمد بن علي الكتاني رضي الله عنه وجود العطاء من الحق شهود
الحق عند اهل الشهود والعيان بالحق لان الحق دليل على كل شيء ولا يكون شيء
دونه دليلا عليه قال في لطائف المنن وارباب الدليل والبرهان عموم عند اهل
الشهود والعيان قد من الموجود ظهوره ان يحتاج الى دليل يدل عليه وكيف
يحتاج الى الدليل من نصب الدليل وكيف يكون معروفا به وهو المعرف له قال

ابو الحسن

ابو الحسن رضي الله عنه كيف يعرف بالمعارف من به عرفت المعارف
كيف يعرف بشيء من سبق وجوده كل شيء وقال مريد لشيخه ٦٥
يا استاذي اين الله قال اسحقك الله تطلب مع العين اين وقد
تقدم هذا المعنى عند قوله شتان ما بين من يستدل به او يستدل عليه
الهي عميت عين لا تراك عليها رقيبا الرقيب الحفيظ ومن اسماء الله
تعالى رقيبا عليه يعلم جميع احواله ولا يخفى عليه شيء منها استحيى
وهابه ان يراه على ما يكرهه منه وقد قيل اذا عصيت مولاك فاعصه
بموضع لا يراك ومن لم يكن على هذا الوصف وغفل عن نظر الله تعالى اليه
عميت عين بصيرته فيبارز الله تعالى بانواع القبائح والفضائح من غير
اكتراث ولا مبالاة وقد سئل بعضهم بم يستعين الرجل على حفظ بصره
من المحظورات فقال بعلمه ان رؤية الله تعالى سابقة تسبق نظره الى تلك المحظورات
وقال الله عز وجل وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل
الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه قال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه
شهودا بما عن حقهم من الاطلاع عليهم في جميع احوالهم ورؤيته
لما يسلكونه من فنون اعمالهم والعلم بانه يراهم يوجب استحياءهم منه
وهذه احوال المراقبة بالعبد اذا علم بان مولاه يراه استحيى منه
وترك متابعة هواه ولا يحوم حول ما نهاه وفي حديث عبادة بن
الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل
ايمان المرء ان يعلم ان الله معه حيث كان وخسرت صفقة عبد لم تجعل
له من حبك نصيبا حب الله تعالى لعبده هو رحمة له وثناؤه عليه وا
حسانه اليه وحب العبد لربه عز وجل طاعته وموافقة امره وتعظيمه
وهيبته والحب المضاف الى الكافر في قوله من حبك يحتمل

اضافته الى الفاعل والى المفعول والظاهر كونه مضافا الى الفاعل لانه ابلغ
امدح ولان محبة الله تعالى لعبده اصل محبة العبد له قال الله تعالى يحبهم
ويحبونه فمن اعطاه تعالى من الحب المذكور نصيبا فقد حاز ربح الاربح
وفاز بقرة العين ومن حرمه ذلك فقد خسر صفقته وبان غبنه وخيبته
وفي بعض الكتب المنزلة على بعض الانبياء عليهم السلام يا عبدي انا
لك محب فبحقي عليك كن لي محبا وحكي عن بعضهم انه قال اشتريت
مملوكة فسمعتها وهي في شطر الليل تقول الهي بحبك اياي من الا
غفرت لي فقلت لها لا تقولي هكذا ولكن قولي بحبي اياك فقالت يا سيدي
بمحبته اياي من علي بالاسلام وايقظني لعبادته وكثير من عباده نيام
قال زيد ابن اسلم ان الله عز وجل ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له ان يقول له
اصنع ما شئت فقد غفرت لك الهي امرتني بالرجوع الى الاثار فار
جعني اليها بكسوة الانوار وهداية الاستبصار حتى ارجع اليك
منها مصون السر عن النظر اليها ومرفوع الهمة عن الاعتماد
عليها انك على كل شيء قدير الاثار التي امر العبد بالرجوع اليها
بعد وصوله الى صريح المعرفة وخالص التوحيد هي المكونات التي
يلزمه اذا تلبس بها احوال يكون له فيها منفعة وحظ فيها للخلق
نعلق اذ يرجعه اليها عن حالة شريفة مضادة للحالة التي كان عليها
قبل السلوك وهي كونه مكسوا بكسوة الانوار وهي انوار اليقين وهو
بهداية الاستبصار وهو العلم الراسخ المتين فاذا رجع العبد الى الاثار
على هذا الاسلوب والمعيار لم يؤثر فيه ولم تاخذ منه لكمال حريته عنها
وكان رجوعه الى مولاه في مقام امره في مثل دخوله منها عليه في ابتدائه
وسلوكه مصون السر عن النظر اليها بغير الاستحسان مرفوع الهمة

عن الاعتماد

عن الاعتماد عليها في نوال واحسان وقد تقدم هذا المعنى في قوله
بان نزلوا الى سماء الحقوق والارض الحظوظ الى اخره وقال رضي الله عنه
٢٦٦ الهي هذا ذلي ظاهر بين يديك وهذا حالي لا يخفى عليك
هذا اطراح منه على مولاه ومبالغة في بث شكواه وتلطف في سؤال
رحماه وبمثل هذا يرجى اجابة الدعاء واستمطار جزيل العطاء
وقد قالوا ابواب الملوك لا تقرع بالايادي بل بتنفس المحتاج وقال
بعضهم قلت للنهرجوري اجد في قلبي قساوة وقد شاورت فلانا
فاشار علي بالصوم فلم تزل فشاورت اخر فاشار علي بالسهر فلم تزل
فقال النهرجوري رضي الله عنه خطاك احضر الملتزم اذا نام الناس
وتضرع وقل تحيرت في امري فجئتك بعجزي ففعل وزالت القسوة وقال الشاعر
وما زمت الاخوان عليه حتى حللت محلة العبد الذليل
واغضيت الجفون على قذاها وصنت النفس عن قال وقيل ذل العبد لمولاه
غاية العز والفخر قال ذو النون المصري رضي الله عنه ما اعز الله عبدا بعز
هو اعز له من ان يدله على ذل نفسه وما اذل الله عبدا بذل هو اذل له
من ان يحجبه عن ذل نفسه منك اطلب الوصول اليك هذا صفة العارفين
الذين هم لا يسبق نظرهم الا الى الله ولا يطلبون الا منه ولا يكون مطلبهم
الا الوصول اليه لا غيره وبك استدل عليك لا بغيرك لانك انت
الظاهر قبل وجود كل شيء بل بظهورك خفيت المظاهر قيل لبعض
العارفين بم عرفت ربك قال عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي
وقال ابو القاسم النصرابادي رضي الله عنه الاشياء ادلة منه ولا
دليل عليه سواه وقال احمد بن ابي الحواري رضي الله عنه لا دليل على الله
سواه وانما يطلب العلم لاداب الخدمة الهي اهدني بنورك اليك

وهو نور الابصار والبصائر واقمني بحق العبودية بين يديك حتى اكون
ممتثلا لامرك مستسلما لقهرك الهي علمني من علمك المخزون
اضافة العلم الى الله تعالى ها هنا اضافة تشريف والعلم المخزون هو العلم
اللدني الذي اختزنه عنده فلم يؤته الا المخصوصين من الاولياء كما قال تعالى
في شان الخضر وعلمناه من لدنا علما وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال صلى الله عليه وسلم ان من العلم
كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا نطقوا به لا ينكره الا اهل
الغرة بالله قال بعضهم هي اسرار الله يبديها الى امنائه واوليائه وسادات
النبلاء من غير سماع ولا دراسة وهي الاسرار التي لم يطلع عليها
الا الخواص وقال ابو بكر الواسطي رضي الله عنه في قوله تعالى والراسخون
في العلم هم الذين رسخوا بارواحهم في غيب الغيب وفي سر السر
فعرفهم ما عرفهم وخاضوا بحر العلم بالفهم لطلب الزيادة فانكشف
لهم من مدخور الخزائن والمخزون تحت كل حرف واية من الفهم وعجائب
النص فاستخرجوا الدرر والجواهر ونطقوا بالحكمة ومتني بسر اسمك
المصون المصون المطلوب هو هيا فتنة عن رؤية الاغيار فيما يتجلى لقلبه
من سر الاسرار الهي حققني بحقائق اهل القرب حقائق اهل القرب هو
الفناء في التوحيد والتحقق بالتجريد فتنتفي في حقهم رؤية الاسباب ويزول
من مطمح نظرهم كل ستر وحجاب كما قال سيدي ابو الحسن رضي الله عنه
في حزبه الكبير واقرب مني بقدرتك قربا تمحق به عني كل حجاب محقته
عن ابراهيم خليلك فلم يحتج لجبريل رسولك ولا لسؤاله منك وحجبته
بذلك عن نار عدوك وكيف لا يحجب عن مضرة الاعداء من غيبته عن منفعة
الاحباب كلا اني اسئلك ان تغيبني بقربك مني حتى لا ارى ولا احس

بقرب

بقربك شيء ولا ببعدك عني انك على كل شيء قدير واسلك بي مسلك
اهل الجذب واهل الجذب هم المجذوبون ومسلكهم في غاية السهولة
لا تعب عليهم فيها ولا مشقة بل يجدون اللذة والحلاوة في اعمالهم ٢٦٧
وذلك من قبل انه اخرجهم من اسر نفوسهم وتولاهم بكلائته ورعايته
من غير مجاهدة منهم ولا مكابدة الهي اغنني بتدبيرك لي عن
تدبيري واختيارك لي عن اختياري واوقفني على مراكز اضطراري
المنفرد بالتدبير والاختيار والمشيئة والاقتدار هو الله عز وجل
فمن كان له دعوى في شيء من ذلك فقد نازع الله في ربوبيته وخلع
من عنقه ربقة عبوديته فلذلك سأله وطلب منه ان يغنيه عن تدبيره
واختياره وان يوقفه على مراكز اضطراره ليكون معترفا بفاقته متعلقا
بمولاه وقد تقدم هذا المعنى غير ما مرة والمركز موضع الاستقرار
والثبوت وهي استعارة حسنة الهي اخرجني من ذل نفسي
ذل النفس الذي طلب الاخراج منه هو ذلها لغير الله تعالى بالطمع والحرص
وقد تقدم هذا المعنى عند قوله ما بسقت اغصان ذل الا على بذر طمع
وطهرني من شكي وشركي قبل حلول رمسي الشك والشرك هما
هما بسبب وجود الطمع والحرص الموجبين لوقوع الذل والهوان وهذه
الاوصاف كلها مجانبة لحقائق الايمان والتوحيد عافانا الله منها والشك
هو الضيق في الصدر عند احساس النفس بامر مكروه يصيبها فاذا وجد
بسبب ذلك الضيق قلبه واصابه من اجله الهم والحزن وفارقه منه
انما يكون بوجود ضده وهو اليقين فبه يتسع الصدر وينشرح ويزول
عنه الحرج والضيق وبقدر احتظاء القلب من نور اليقين يكون انشراح
الصدر وانفساحه وعند ذلك يجد القلب الروح والفرح بالله تعالى وبفضله
وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بقسطه وعدله جعل

الروح والفرح في الرضى والتقدير وحمل الهم والحزن في السخط والشك
والشرك تعلق القلب بالاسباب عند غفلته عن المسبب ونسيانه له
فحلول الصد بالشرك ويكون مبدا ذلك هيجان الشهوة عند الاستيلاء
ظلمة الشك على القلب فيحول الى حينئذ الهوى فيفزع اذ ذاك الى
الاسباب التي يتوصل بها الى بغيته اذ لا يرى غيرها فيبرز لك من اجل ذلك
في حبائل الشرك وطهارته منه بضده وهو نور التوحيد الذي يقذفه الحق
تعالى في قلبه فتطهر بذلك نفسه وتتمكن عن الشرك والكثير الى
اصابها وكلما قوي نور التوحيد في قلبه كان خلاصه من الشرك
اكثر فيمحي عنه الاسباب ويثبت فيه خلاص التوحيد فيه
تطهير القلب من الشك والشرك تولاه الله تعالى بالهداية
والتسديد والمعونة والتاييد وفي اخبار داوود عليه السلام
ان الله تعالى اوحى اليه يا داوود هل تدري متى تولاهم اذا طهروا
قلوبهم من الشرك ونزعوا عن قلوبهم الشك بك استنصرنا
فانصرنا وعليك اتوكل فلا تكلني واياك اسال فلا تخيبني
وفي فضلك ارغب فلا تحرمني ولجنابك انتسب فلا تبعدني
وببابك اقف فلا تطردني فتعلق بالله في كل مطلب من هذه المطالب
واضرب عن الوسائط والاسباب وذلك من تحققه بالتوحيد الذي سال
من مولاه ان يحققه له بتطهيره من اضداده ومعاني هذه الكلمات
قريب بعضها من بعض قال ابو الحسن علي بن هند الفارسي رضي الله عنه
اجتهد في ان لا تفارق باب سيدك بحال فانه ملجا الكل فمن فارق
ذلك الباب لا يرى بعدها لقدميه قرارا ولا مقاما الهي تقدس
رضاك ان تكون له علة منك فكيف تكون له علة مني
رضى الله تعالى صفة من صفاته وصفاته قديمة ولذلك امتنع

عليها

عليها سبقية العلل والقديم لا يكون مسبوقا بشيء وإذا كانت ٢٦٨
صفاته العلية منزهة عن ان تكون لها علة منه فكيف يكون لها علة
من غيره فرضى الله تعالى لا علة له ولا سبب فرضاه وسخطه هما
سبب اعمال العاملين حسنها وسيئها فرضي عن قوم فاستعملهم
باعمال اهل الرضى وسخط على قوم فاستعملهم باعمال اهل السخط قال
ابو بكر الواسطي رضي الله عنه الرضى والسخط نعتان من نعوت الحق
يجريان على الابد بما جرى في الازل يظهران الرسمين في المقبولين والمطرودين
فقد بانت شواهد المقبولين بضيائها عليهم كما بانت شواهد
المطرودين بظلمها عليهم فانا تنفع من ذلك الالوان المصفرة والاكمام
المقصرة والاقدام المنتفخة انت الغني بذاتك عن ان يصل اليك
النفع منك فكيف لا تكون غنيا عني الكلام في الغنى كالكلام في الرضى وكان
المولف رحمه الله قصد في مناجاته بهذه الكلمات الى الاسترضاء والاستعطاف
والاستغفار وطلب المسامحة والتجاوز عن اعماله المدخولة المعلولة
وذلك من احسن المقاصد للداعي الهي ان القضاء والقدر غلبني
وان الهوى بوثائق الشهوات اسرني فكن انت النصير لي حتى
تنصرني وتنصر بي واغنني بفضلك حتى استغني بك عن طلبي
هذا اعتذار واعتراف والله تعالى اكرم من ان يرد عذر من اعتذر واليه
افتقر فيجب اخلاص من اعترف بذنبه وافتقر لديه فقال ان العبد يتوسل الى الله
تعالى بالاعتذار والعفو سبحانه يقول عبدي لو لم اقبل عذرك لما وفقتك
للاعتذار وقال الكتاني رضي الله عنه لم يبح الله تعالى سماع لسان المومنين
بالمعذرة الا ليفتح باب المغفرة فلا جرم لما وثق بذلك وقوي رجاؤه فيه
طلب منه النصرة له على اعدائه ولم يقتصر على ذلك بل اضاف اليه طلب
النصرة به ليكون تلك النصرة بسببه وعلى يديه كما قال ابو الحسن رضي الله عنه

واجعلنا سبب الغنا لاوليايك وبرزخا بينهم وبين اعدايك ثم لم
يقنع بذلك حتى طلب منه ان يغنيه بما يستغني به عن الطلب منه وهو
ما يوليه من فضله العظيم وكرمه الجسيم وهذه هي غاية السعادة كما
قال سيدي ابو الحسن رضي الله عنه والسعيد حقا من اغنيته عن السوال منك
انت الذي اشرقت الانوار في قلوب اوليايك حتى عرفوك وانت الذي
ازلت الاغيار عن قلوب احبايك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجئوا
الى غيرك وانت المونس لهم حيث اوحشتهم العوالم سبب
ايحاش العوالم لهم ما هي عليه من الفاقات والافتقار والحاجات
والاضطرار فكل واحد منها طالب لنفسه طالبا الحظ من كمال نفعه
ووجود نفسه والله تعالى غني حميد عزيز مجيب وهو مع ذلك لطيف
بعباده عطوف عليهم تودد اليهم رووف بهم فلما شهدوا هذه الحالة
منفردا هو بعيبر ومعاينته باشهاده اياهم لم يتملكوا ان احبوه
ووالوه وقصروا هممهم عليه وجعلوه متجه انسهم واستغنوا
به عن ابناء جنسهم فحصلوا اذ ذاك على غاية النعيم وفازوا بالنعمة
العظيم قال ذو النون المصري رضي الله عنه فبينما انا اسير في البوادي اذ
لقيتني امراة فقالت لي من انت فقلت رجل غريب فقالت وهل توجد
مع الله احزان الغربة وكتب مطرف ابن عبد الله بن الشخير الى عمر بن عبد
العزيز رضي الله عنهما وليكن انسك بالله وانقطاعك اليه فان لله عبادا
استانسوا بالله فكانوا في وحدتهم اشد استيناسا من الناس في كثرتهم
واوحش ما يكون الناس انس ما يكونون وانس ما يكون الناس اوحش
ما يكونون وانت الذي هديتهم حيث استبانت لهم المعالم
لما تولى الله تعالى بعدا يتهم الى طريق التوحيد والمعرفة بان لهم علامات
ذلك ودلايله فعند تظهر في تلك العلامات والادلة انشرحنا صدورهم

بانوار

٢٦٩

بانوار الايمان واليقين فلم يتداخلهم شك ولم يختلجهم ريب
والمعالم جمع معلم وكانه رحمه الله عرض في هذه الكلمات بالطلب
الذي بحصوله يستغني عن الطلب وهو اشراق الانوار في قلبه وازالة
الاغيار عن سره وايناسه له وهدايته اياه وهذه الاربعة مطالب
متضمنة لاسنى الرغايب ماذا وجد من فقدك وما الذي فقد
من وجدك قد تقدم غير ما مرة ان ما سوى الله عدم وكلمة وان الوجود
المحض والنور المتحقق انما هو الله عز وجل فاذا كان الامر على هذا صح ما
قاله المولف رحمه الله هاهنا وكان حقا لا مرية فيه قال ابو علي الروذباري
رضي الله عنه ما لقيني ابو بكر الزقاق رحمه الله فقال لي يا ابا علي لم تترك الفقراء
فقد البلغة في وقت الحاجة فقلت لانهم مستغنون بالمعطي عن العطاء
فقال نعم لكن من وقع له شيء واشر فقلت هات افدني ما وقع لك فقال لانهم
قوم لا ينفعهم الوجود فان الله لا فاقتهم ولا يضرهم الفاقة لان الله وجودهم
وكان ابو حمزة البغدادي رضي الله عنه يقول في مناجاته اللهم انك تعلم
انه من اجل فقري خلقك اليك فان كنت تعلم ان فقري اليك بمعنى هو غيرك
فلا تسد فقري لقد خاب من رضي دونك بدلا ولقد خسر من بغى عنك
متحولا هذا البيت وهو مبني على ما تقدم الان من الكلام راى الشبلي
رضي الله عنه في المنام بعد وفاته فقيل له ما فعل الله بك فقال لم يطالبني
بالبراهين على الدعاوى الا على شيء واحد قلت يوما لا خسارة اعظم من خسران
الجنة ودخول النار فقال واي خسارة اعظم من خسراني لقاي وفي معناه انشدوا
سهر العيون لغير وجهك باطل وبكاؤهن لغير فقدك ضايع
وقال بعضهم كان عندنا رجل مكث عندنا ثلاثة عشر سنة يصلي كل يوم وليلة
الف ركعة حتى اقعد من رجليه فاذا صلى العصر احتبى واستقبل القبلة
ثم قال عجبت للخليقة كيف ارادت بك بدلا بل عجبت للخليقة كيف استانست

بسواك ثم سكت الى المغرب كيف يرجى سواك وانت ما
قطعت الاحسان وكيف يطلب من غيرك وانت ما بدلت عادة
الامتنان هذا تعجب ممن كان على هذا الوصف وهو انجب من كل عجب والمعنى
في ذلك يبين يا من اذاق احباءه حلاوة مؤانسته فقاموا بين يديه
متملقين التملق هو التلطف في التودد وترتيبه على ذوقهم لحلاوة مؤانسته
يبين ويا من البس اولياءه ملابس هيبته فقاموا بعزته مستعزين
استعزازهم بعزته هو رفع هممهم عن تعليقها بغير الله تعالى تهيبا
وتكبرا عليها وتغنيا عنهم به وذلك لما البسهم من ملابس هيبته
حتى لم يهابوا معه غيره ولم ينالهم فلو جعل الى سواه ولذلك قال في
المعرفة صغر الافهام سوى قدره ومحو الاذكار سوى ذكره وقال بعض
المشايخ اذا عظم الرب في القلب صغر الخلق في العين وقيل
في معنى قوله تعالى تعز من تشاء قال بان يكون لك بك معه يبين يديك
انت الذاكر من قبل الذاكرين وانت البادي بالاحسان من قبل توجه العا
بدين وانت الجواد بالعطاء من قبل طلب الطالبين وانت الوهاب ثم انت
لما وهبتنا من المستقرضين الحق تعالى له الاولية فيما ذكر كما ذكر
قال ابو يزيد رضي الله عنه غلطت في ابتداء امري في اربعة اشياء
توهمت اني اذكره واعرفه واحبه واطلبه فلما انتهيت رأيت ذكره
سبق ذكري ومعرفته تقدمت معرفتي ومحبته اقدم من محبتي وطلبه لي
اولا حتى طلبته فاذا كانت له الاولية في ذلك لم يبق للعبد وسيلة
يتوسل بها سوى فضله وكرمه ومما يقوي ما ذكر المؤلف
ما حكي عن الجنيد رضي الله عنه في مناجاته يا ذاكر الذاكرين بما
به ذكروه ويا بادي العارفين بما به عرفوه ويا موفق العابدين
بمصالح ما عملوا من ذا الذي يشفع عندك الا باذنك من ذا

الذي

الذي يذكرك الا بفضلك واستغراق الرجاء من عبده هاوهب له غاية
في رفيعة لقدرك وابانته لشرفه ووعده مع ذلك جزيل الثواب
عليه نهاية في اكرامه له وتفضله عليه قال بعضهم ملكك ثم اشترى
منك ما ملكك ليبقى لك منه نسبة ثم استقرض منك ما اشتريه
ثم وعدك عليه من العوض اضعافا يشير فيه ان نعمه وعطاياه بعيد تنال
وتكون مشفوعين بالعلل الهي اطلبني برحمتك حتى اصل اليك
واجذبني بمنتك حتى اقبل اليك لا سبيل للعبد الى وصوله الى الله
تعالى الا برحمته فلذلك طلب منه ان يطلبه بها ولا يتاتى له الاقبال اليه
الا بمنته ولذلك طلب منه ان يجذبه اليه بها وذلك لتحقق الاولية
التي ذكرناها قبل الهي ان رجائي لا ينقطع عنك وان عصيتك كما
ان خوفي لا يزايلني وان اطعتك الخوف والرجاء حالان يتعاقبان
على قلب العبد واعتقاده هو المطلوب سواء كان العبد في طاعته
او في معصيته وقد مثلوا ذلك بكفتي الميزان وجناحي الطائر وهذا
انما هو مشاهد لغير العارفين الاولياء وذلك لان منشأهما عندهم
انما هو شهود الصفات المخوفة والمرجوة من صفات الله تعالى لا تفاوت
بينهما وكذلك مشاهدته لا تفاوت بينهما بان وقع بينهما تفاوت كانت
مشاهدته ناقصة واحواله معلولة ولذلك يتصور وجود كمال الخوف
مع الاتيان باعمال العبد بالطاعة وغلبة الرجاء مع ارتكابه المعصية كما
وصفه المؤلف نفسه قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه يكاد رجائي لك مع الذنوب
يغلب رجائي لك مع الاعمال لاني اجدني اعتمد في الاعمال على الاخلاص وكيف احرزها
وانا بالآفات معروف واجدني في الذنوب اعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها
وانت بالجود موصوف وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله من علامات الاعتماد
على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل ومن دعاء سيدي ابي العباس رضي الله عنه

الهي معصيتك نادتني بالطاعة وطاعتك نادتني بالمعصية
ففي ايهما اخافك وفي ايهما ارجوك ان قلت بالمعصية قابلتني بفضلك
فلم تدع لي خوفا وان قلت بالطاعة قابلتني بعدلك فلم تدع لي رجاء
فليت شعري كيف ارى احساني مع احسانك ام كيف اجهل فضلك مع
عصياني ومن كلام شيخ ابي العباس رضي الله عنه العامة اذا خوفوا
خافوا واذا رجوا رجوا والخاصة متى خوفوا رجوا ومتى رجوا خافوا
قال في لطايف المنن ومعنى كلام الشيخ هذا ان العامة واقفون مع ظوا
هر الامر فاذا خوفوا خافوا اذ ليس لهم نفوذ الى ما وراء العبارات بنور
الفهم كما لاهل الله واهل الله اذا خوفوا رجوا علما منهم ان ما وراء خو
فهم وما له خافوا اوصاف المرجو وان الله لا ينبغي ان يقنط
من رحمته ولا ان يوءيس من منته فاتكلوا على اوصاف كرمه علما منهم
انه ما خوفهم الا ليجمعهم عليه وليردهم بذلك اليه واذا رجوا خافوا غيب
مشيئته التي هي من وراء رجائهم وخافوا ان يكون ما ظهر من الرجاء
اختبارا للعقول لهم هل تقف مع ظاهر الرجاء او تنفذ الى الخوف مما يمكن
في مشيئته وذلك استتار الرجاء فوجهتهم قد دفعتني العوائد
اليك انما دفعته العوائد اليه لما تضمنته من الصفات الموحشة
كما تقدم ولقد احسن من قال لا وحشة مع الله ولا راحة مع غير الله وفي هذا
المعنى انشدوا يا قرة العين سل عيني هل اكتحلت بمنظر حسن مذ
غبت عن عيني وقد اوقفني علمي بكرمك عليك اذ الكريم
لا تتخطاه امال المؤملين ولا تتوجه نحو سواه كليات
الطالبين الهي كيف اخيب وانت املي ام كيف
اهان وعليك متكلي لما تعلق بالله تعلقه وتوكل
عليه استبعد ان يخيب امله او يناله هوان توءدي تحمله
الهي

الهي كيف استعز وفي الذلة اركزتني ام كيف لا استعز
واليك نسبتني الهي كيف لا افتقر وانت الذي في الفقر
اقمتني ام كيف افتقر وانت الذي بجودك اغنيتني
لكونه في هذه الاوصاف المتضادة لما يغيب عليه من مشاهدة
ما يوجبها والذلة المثبتة فيها ذلة الخلقة والعبودية
والنسبة التي اشار اليها هي سر الخصوصية والافتقار
بمعنى الذلة والاستغناء مثل العزة قال بعضهم رايت
كل ذي ذل فزاد ذلي على ذلهم ونظرت في عز كل ذي عز فزاد عزي على عزهم
وقال الشبلي رضي الله عنه لقد ذللت حتى اعز في ذلتي كل ذي ذل
وتعززت حتى ما تعزز احد الا بمن به تعززت انت الذي لا اله
غيرك تعرفت لكل شيء فما جهلك شيء وانت الذي تعرفت
الي في كل شيء فرايتك ظاهرا في كل شيء وانت الظاهر لكل شيء
هذا كله فذ فخم معناه ولفظه في كلام المولف على غاية الكمال
والتمام والحاصل منه ان الظهور التام لله تعالى بكل اعتبار
ثم انه عبر هنا عن ذلك بعبارة لم يذكرها فيما تقدم وهو قوله
يا من استوى برحمانيته على عرشه فصار العرش غيبا في رحما
نيته كما صارت العوالم غيبا في عرشه كانه اشار بهذا الى معنى
قوله تعالى الرحمان على العرش استوى وقوله تعالى ثم استوى على العرش الرحمان
ورحمانية الله كونه رحمانيا والرحمان اسم الله تعالى يقتضي
وجود الموجودات وهو مشتق من الرحمة والرحمة هاهنا هي
الرحمة العامة التي وسعت كل شيء كما وسع علمه كل شيء

في قوله تعالى مخبرا عن حملة العرش إذ قالوا ربنا وسعت كل شيء
رحمة وعلما ولذلك دخل مقتضى اسمه الرحمان جميع أسمائه
تعالى الأحادية وبعضهم من معنى الاستواء القهر والغلبة ومقتضا
هما فحوى أن الله تعالى لا يكون لغيره وجود مع وجوده ولا ظهور مع
ظهوره فلا حرج لما كان الحق تعالى مستويا برحمانيته على عرشه
التي العوالم كلها في طيه كان العرش غيبا في الرحمانية مندرجا فيها
والعوالم كلها غيب في العرش لانطوائها فيه فلا ظهور إذا للعرش ولا
للعوالم وإنما الظهور التام لله عز وجل فعرفت الآثار بالآثار ومحوت
الأغيار فمحيطات أفلاك الأنوار لما بين العرش والرحمانية ومحيطات
أفلاك الأنوار وهي أسماء الله تعالى الحسنى والله أعلم فيا من احتجب
في سرادقات عزته عن أن تدركه الأبصار عزة الله تعالى اقتضت كون
كل ما سواه محجوبا عن رؤيته عز وجل قال العزيز معناه المنيع الذي
لا يوصل إليه يقال حصن عزيز إذا تعذر الوصول إليه وقيل العزيز الذي لا ترتقي
إليه وهم طمع في تقديره ولا يسمو إلى صمديته فهم قصد إلى تصويره و
قيل العزيز من ضلت العقول في بحار تعظيمه وحارت الألباب
دون إدراك نعمته وكلت الألسن عن استيفاء مدح جلاله ووصف
جماله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أحصي ثناء عليك أنت كما
أثنيت على نفسك وذكر السرادقات هنا مضافة إلى عزته واحتجابه
فيها مجاز حسن فيا من تجلى بكمال بهائه فعرفت عظمته الأسرار
كمال بهائه هو محاسن صفاته وأسمائه فظهور ذلك وتجليه بها
عرفت عظمته أسرار العارفين كيف تختفي وأنت الظاهر أم كيف

تغيب

تغيب وأنت الرقيب الحاضر والله الموفق وبه أستعين
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

هذا كله بين لا إشكال فيه وقد تقدم معناه غير ما مرة ٢٧٢
من كلام المؤلف رحمه الله وقد نجز بحمد الله ما أردناه و
بلغنا الغرض الذي قصدناه ولا حول ولا قوة إلا بالله
وقصد بذلك تيسير ما عسر في مسائل الكتاب والله تعالى
الهادي إلى الصواب وقد تقدم في أول هذا التنبيه أنا لم
نقصد به إلا هذا المعنى ولم نلتزم كون ما ذكرناه فيه صحيح
المعنى حتى نحتاج إلى تطلب الأدلة والبراهين على ما اعتقدناه
فيه وإنما سقنا ذلك على سبيل حكاية مذهب من المذاهب
وللمتكلم له ذلك أن يصححه أو يبطله إن أحب وما وقع فيه
من نوع استدلال على مطلب من المطالب فأنا في ذلك متبرع
فإن صح ذلك الدليل فهو المطلوب وإن بطل فلا ضرر في بطلانه
بطلان الاستدلال وبقي المذهب قابلا للتصحيح أو الإبطال
من غير أن نتوجه على مطالبة بذلك والذي حملني
على سلوك هذا السبيل ما فيه من وجدان السلامة لي
من الخطر الذي يتعرض له من يتكلم على طريق القوم ممن لا
يتحقق له فيه ويدعي فهم ما يذكر بعقله وفهمه وينسب
ذلك إلى القوم ولعل شيء من ذلك لا يصح عنهم فيكون بذلك
مفتريا كذبا عليهم ثم فيه من سوء الأدب معهم والتقدم
بين أيديهم ما لا يقوم له شيء وعند ذلك يكون الخرس

والبكم وذهاب الحس والحرمة اولى بمن واجه عاقبة اي
التخليطة بذلك من شر لسانه وجنانه ثم انما قصدنا له
من ذلك لا يمنع من حصول الفائدة لمن اراد الله تعالى نفعه بها
ووفقه لها وعلى العبد ان يحمل على اخلاص نفسه ولا يلزمه اتباع
مرضات غيره فقد قيل رضى الناس غاية لا تدرك ونحن
نرغب الى من وقع بيده هذه التآليف وظهر له فيه خطأ او تحريف
ان يصلح منه ما اليه سبيل وان ينتهج من الاعتذار عنه الطريقة
المثلى وان ظهر له ان يضع في ذلك تأليفا يتضمن تنبيها و
تعريفا بذلك من المذاهب التي ترضى وهذا لم يزل من شأن من
قد مضى ونحن نستغفر الله تعالى مما يعلمه منا من التصنع
والجرأة فيما تعرضنا له من بيان كلام الاولياء والمحققين
من العلماء وتفسير عباراتهم واشاراتهم من غير اطلاع منا
على كنهها ولا بصيرة فيها ونستغفره ايضا مما اقدمنا
عليه من اظهار ما ستروه واعلان ما اسروه ونستغفره مما وقع
منا فيه من ذكر احوال الاولياء ومقاماتهم وتعريفاتهم
ونحن نضمنا على سلوك طريقهم المستقيم مع ابتلائنا
من جميع ذلك وعدم اختصاصنا ونسأله مع ذلك الا يؤا
خذنا بما انطوت عليه ضمائرنا واكتنفته سرائرنا من انواع
القبائح والمعايب التي يعلمها منا ولا نعلمها او نعلمها ولا تسمح
نفوسنا بالتنصل منها والتنزه عنها اغترارا منا بحلمه واستئنا
سا بنظره وعلمه ونرغب الى الله جل وعلا ان يمن علينا بتوبة تمحو عنا

كل

مرحوبة حتى ينقلب اعداؤنا عنا خائبين خاسرين داخرين صاغرين
لو رأونا اليوم تخيلوا انهم جبنا ما طلبنا ولم يبلغوا من عدم اسعافه
ايانا فيما طلبناه منه ما رجوا وان يشمل في ذلك معنا كل من ٢٧٢
امن على هذا الدعاء من سمعه ودعا لنا بمثله من اخواننا
المسلمين ونتوسل اليه في بلوغ هذا الامل والوصول الى المبتغى
الاجل بمن شرفنا به من توفي كل جحود وكفور اذ خرجنا على يديه
من الظلمات الى النور سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين
وامام المرسلين وحبيب رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى اله واصحابه الطيبين الطاهرين البررة الاكرمين وتابعيهم باحسان
الى يوم الدين امين

تمت بحمد الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه والطافه
والسلام على سيدنا محمد نبيه وعبده صلى الله عليه
وسلم اللهم صل على سيدنا محمد عدد ما ذكره الذاكرون
وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم على يد كاتبه
محمد بن عبد [illegible] المسمى كتبه
لمحبه في الله الشريف سيدي عبد
العزيز من ذرية سيدي عبد
القادر الجيلاني تاب الله
على الجميع بجاه
المصطفى صلى
الله عليه
وسلم

على جميع عباده

نهاية العلوم خوف الله
عليه قد نجح اهل الله

ولم ارد زهرة الدنيا التي قطفت
يد زهير بها اثنى على الهرم

الحمد لله وحده اشترى بحول الله وقوته الفقيه العدل السيد محمد بن بلقاسم العميري المكناسي
من البائع له السيد محمد بن سعيد الهلالي القاطن بزاوية سيدي احمد بن يحيى نفع الله به
هذا المجلد المحتوي على هذا الكتاب [illegible] اخر هذه الورقة المرسوم عليها بالبيع
الصحيح القاطع بثمن قدره اثنا عشر اوقية دراهم فضة سكة [illegible] اوقية كما
[illegible] بمثقال دراهم وثمان موزونات [illegible]
[illegible] الجانبين من ورق [illegible] بعد [illegible] والتقليب
[illegible] والمرجع بالدرك [illegible] شهد به عليهما بحال [illegible]
اواخر رجب الفرد عام [illegible] عبد ربه [illegible]

[illegible] في جمادى الثانية عام ١٢٥٣
[illegible] احمد بن سعيد [illegible]
[illegible] بن سعيد [illegible]
[illegible]

[illegible] الجبار [illegible]
[illegible]